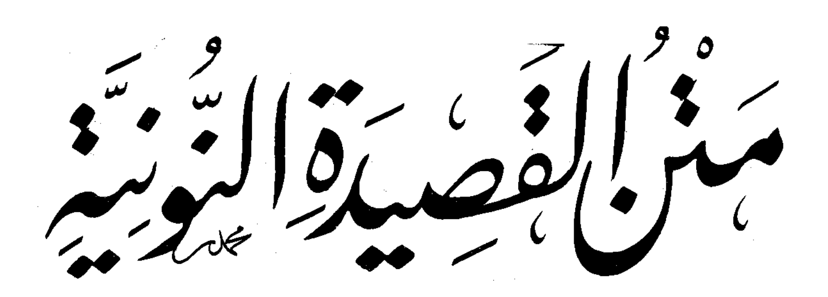


تأليف

العلامة ابن القيم

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة
هاتف ، ٨٦٤٢٤٠

توزيع
مكتبة العلم بجدة
حي الثغر هاتف ٦٨٧٧٠١٤


بسم الله الرحمن الرحيم

مَتْنُ القَصِيدَةِ النُّونِيَّةِ

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

حُكْمُ المَحَبَّةِ ثَابتُ الأركانِ مَا للصُّدُود بفسْخِ ذَاكَ يَدانِ
أنَّى وقاضي الحُسنِ نفَّذ حُكمَها فَلِذَا أقرَّ بذلك الخَصْمانِ
وَأتت شهودُ الوصلِ تشهدُ أنه حقٌّ جَرَى في مَجْلسِ الإحسَانِ
فتأكَّد الحكمُ العزيزُ فلم يجْدْ فسخُ الوشاة إليه مِنْ سُلطانِ
ولأجلِ ذا حُكْمُ العَذولِ تَداعتِ الـ أرْكَانُ مِنْهُ فَخَرَّ لِلأذْقَانِ
وأتى الوشاةُ فصادفوا الحكمَ الذي حكموا به مُتيقَّن البطلان
ما صادف الحكمُ المحلَّ ولا هُوَ اسْـ ـتَوْفَى الشروطَ فصارَ ذا بُطلان
فلذاك قَاضِي الحسنِ أثبت مَحْضَرًا بفسَادِ حُكمِ الهَجْر والسُّلوان
وحَكَى لك الحُكْمَ المحالَ ونقضَه فاسمعْ إذاً يا من لهُ أذنان
حُكْمُ الْوشَاةِ بغير ما برهانِ إن المحبَّة والصُدودَ لِـدَانِ
واللهِ ما هذا بِحُكمٍ مقْسِطٍ أين الغرامُ وصدُّ ذي هِجرَان
شَتَّان بين الحالتين فإن تُرد جمعًا فما الضدَّانِ يَجْتَمعَانِ
يَا وَالِهًا هانتْ عليه نفسُه إذ بَاعَها غَبْنًا بِكلِّ هَوَان
أتَبيعُ مَنْ تَهْواهُ نَفْسُك طائعًا بالصدِّ والتعذيبِ والهِجْران
أجَهِلْتَ أوصافَ المبيعِ وقدرَه أم كنتَ ذا جَهلٍ بذِي الأثمان

واهًا لقلبٍ لا يفارِقُ طيرُه الْـ أَغْصَانَ قائمةً على الكُثبان
ويَظَلُّ يسْجَعُ فَوقَهَا ولغيرِه منهَا الثِّمارُ وكُلُّ قِطْفٍ دَانِ
ويبيتُ يبكِي والمواصِلُ ضَاحِكٌ وَيَظَلُّ يشْكُو وهْو ذُو شُكْرانِ
هَذا ولو أن الجَمَال معلَّقٌ بالنجمِ همَّ إليهِ بالطَّيرانِ
للهِ زَائِرةٌ بليلٍ لَمْ تَخَفْ عَسَسَ الأميرِ ومَرْصَدَ السَّجَّانِ
قَطعتْ بِلادَ الشامِ ثم تيممت من أرضِ طيبةَ مطلعَ الإيمان
وأتَتْ على وادي العقيقِ فجاوزتْ مِيقَاتَهُ حِلًّا بِلَا نُكرانِ
وَأَتَتْ على وَادي الْأَرَاكِ وَلَمْ يَكنْ قَصْدًا لَهَا فَأَلَّا بأنْ سَتَراني
وأتتْ على عَرفاتِ ثم مُحسِّرٍ ومِنًى فكم نَحَرَتْه من قُربَان
وأتتْ على الجمراتِ ثُم تيممتْ ذاتَ السُّتور وربةَ الأركان
هذا وما طافَت ولا استلمتْ ولا رمتِ الجمارَ ولا سَعتْ لِقرَان
ورَقَتْ إلى أعلَى الصَّفَا فَتيمَّمتْ دارًا هنَالِك للمحِبِّ العَاني
أَتَرى الدليلَ أعارَها أثوابَهُ والريح أعطتْها مِنَ الخَفقَان
وَاللهِ لو أنَّ الدليلَ مكانَها ما كانَ ذلِك منه في إمكان
هذا ولو سارت مسيرَ الرِيح ما وصلتْ به ليلًا إلى نُعْمانِ
سَارَتْ وكان دليلَها في سيرِها سعدُ السعودِ وليسَ بالدِّبْرانِ
وردت جفارَ الدمع وهي غزيرةٌ فَلِذَاك مَا احتَاجت ورودَ الضَّان
وَعَلَتْ عَلَى مَتْنِ الهَوى وتزودَتْ ذكْرَ الحَبيبِ ووصْلَهُ المتَدَانِي

وَعدتْ بزروَتِهَا فأوفَتْ بالذي وعدَتْ وكانَ بملتَقى الأجْفَانِ
لم يَفْجَأِ المشتاقَ إلا وهْي دا خِلة الستورِ بغير ما اسْتِئذان
قَالتْ وقدْ كَشَفتْ نِقابَ الْحُسْنِ ما بالصبرِ لي عن أن أرَاكَ يَدانِ
وتحدثت عندِي حديثاً خِلْتُه صِدْقاً وقد كذَبت به العَينَانِ
فعجبتُ منه وقلتُ من فَرحِي به طَمَعاً ولكنَّ المنَـامَ دهَـاني
إن كنتِ كاذبةَ الذي حَدَّثِتِنِي فعليكِ إثمُ الكاذِبِ الفتَّان
جَهْمُ بنُ صفوانٍ وشيعتُهُ الأُلى جَحدُوا صفاتِ الخالِق الديَّان
بَلْ عطَّلوا منهُ السَّمواتِ العُلَى والعرشَ أخلَوهُ من الرَّحْمـٰنِ
ونَفَوْا كَلَامَ الرَّبِّ جلَّ جلَالُهُ وقَضَوْا له بالخلقِ والحِدْثانِ
قَالوا وَلَيْسَ لربّنَا سَمْعٌ وَلَا بصرٌ وَلَا وجْهٌ فكيف يَدانِ
وكذاك ليسَ لربِّنا منْ قدرةٍ وإرادةٍ أو رحْمَـةٍ وحنـانِ
كلَّا ولا وصفٌ يقومُ به سِوَى ذاتٍ مُجـرَّدَةٍ بـغير مَعَـان
وحياتهُ هِيَ نفسُه وكلامُه هوَ غيرُه فاعجبْ لِذا البهتَان
وَكَذاكَ قَالُوا ما له من خَلْقِه أحدٌ يَكون خلِيلَه النفسانِي
وخليلهُ المحتاجُ عندَهُمُ وفِي ذَا الوصْفِ يدخلُ عابدُ الأوثانِ
فالكـلُّ مفتقـرٌ إليـه لذاتِـه في أسرِ قَبضتِهِ ذليلٌ عانِ
ولأجلِ ذا ضَحَّى بجعْدٍ خالِدُ الـ ـقَسْرِيُّ يومَ ذَبائِحِ القُرْبَان
إذْ قَالَ إبْرَاهيمُ لَيْسَ خَليلَه كَلَّا وَلَا مُوسى الكَليمَ الدَّانِي

شكَرَ الضحيَّةَ كلُّ صَاحِبِ سنةٍ ... للهِ دَرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَـانِ

□ فصــلٌ □

وَالعَبْدُ عندهُمُ فَلَيسَ بفاعِلٍ ... بَلْ فِعْلُه كتحرُّكِ الرَّجَفَـانِ
وهبوبِ ريحٍ أو تحرُّكِ نائمٍ ... وتحرُّكِ الأشجـارِ للمَـيلَانِ
وَاللهُ يُصْليهِ على ما لَيْس مِنْ ... أفْعَالِهِ حـرَّ الحَميـمِ الآن
لكـن يعاقِبُـهُ علـى أفعَالِـهِ ... فِيهِ تعالَى اللهُ ذو الإِحسَانِ
وَالظلمُ عندَهُمُ المحالُ لذاتِهِ ... أنَّى يُنزَّهُ عنهُ ذو السُّلطان
وَيَكونُ مدْحًا ذَلِكَ التنزيهُ مَا ... هَذا بِمَعْقولٍ لِذِي الأذْهَانِ

□ فصــلٌ □

وَكَذاكَ قالُوا ما لهُ مِنْ حِكْمَةٍ ... هِي غَايَةٌ لِلأَمْرِ والإِتْقَـانِ
مَا ثَمَّ غَيْرُ مشيئةٍ قَدْ رجَّحتْ ... مَثَلًا على مَثَلٍ بِلَا رُجْحَانِ
هَذا وما تلكَ المشيئةُ وصفُهُ ... بَلْ ذَاتُهُ أو فِعلُه قَـوْلَانِ
وَكَلَامُهُ مذْ كانَ غيرًا كَانَ مَخْـ ... ـلُوقًا لَه مِنْ جُمْلَةِ الأكْوَانِ
قَالُـوا وإقـرارُ العِبـادِ بأنَّـه ... خلَّاقُهمْ هُو مُنْتهَى الإِيْمَانِ
وَالنَّاسُ فِي الإِيمَانِ شيءٌ وَاحِدٌ ... كَالمشطِ عنْدَ تماثُل الأسْنَانِ
فَاسْأَلْ أبَا جَهْلٍ وَشيعَتَهُ وَمنْ ... وَالَاهُمُ مِنْ عَابِدي الأوْثَانِ

وسَلِ اليهُودَ وكلّ أقلفَ مشركٍ عَبَدَ المسيحَ مقبِّلَ الصلبَانِ
واسأَلْ ثمودَ وعادَ بل سَلْ قبلَهمْ أعداءَ نوحٍ أمةَ الطُّوفانِ
واسأل أبَا الجنِّ اللعينَ أتعرفُ الـ ـخلّاقَ أم أصبحتَ ذا نُكْرانِ
واسأَلْ شِرارَ الخلقِ أَغلَى أمةٍ لُوطِيَّةٍ هُم ناكِحُو الذُّكرَان
واسأَلْ كذاكَ إمامَ كلِّ مُعطِّلٍ فرعونَ مَعْ قَارُونَ مَعْ هَامَانِ
هل كانَ فيهِمْ منكرٌ للخالِقِ الـ ـرَّبِّ العظيمِ مكوِّن الأكْوانِ
فَلْيُبْشِرُوا ما فيهِمُ مِنْ كافِرٍ همْ عندَ جَهمٍ كَامِلو الإيمانِ

□ فصل □

وَقضَى بأنَّ اللهَ كان مُعطَّلا والفعلُ مُمتنِعٌ بِلَا إمْكَانِ
ثُمَّ استحَالَ وصَارَ مقدورًا لَهُ من غَيْرِ أمرٍ قَامَ بالدَّيانِ
بل حَالُهُ سُبْحَانَهُ في ذَاتِه قبْلَ الحُدوثِ وبعدَهَا سِيَّانِ
وَقَضَى بأن النَّارَ لم تُخلقْ ولا جناتُ عدنٍ بلْ هُما عَدَمَانِ
فإذا هُمَا خُلِقَا ليومِ معادِنَا فَهُمَا على الأوقاتِ فانِيتَانِ
وَتلطَّفَ العلافُ من أتباعِهِ فأتى بضِحْكةِ جاهلٍ مَجَّانِ
قَالَ الفناءُ يَكونُ في الحركاتِ لَا في الذاتِ واعجَباً لِذا الهذَيَانِ
أَيصيرُ أهلُ الخلدِ في جنَّاتهمْ وجحيمِهِمْ كحجارةِ البُنيانِ
مَا حَالُ منْ قَدْ كَانَ يَغْشَى أهْلَهُ عندَ انْقِضَاءِ تحرُّك الحَيَوانِ

وَكَذَاكَ مَا حَالُ الَّذي رفَعَتْ يَدَا ... هُ أَكْلَةً مِنْ صَفْحةٍ وخِوانِ
فَتَنَاهتِ الحركاتُ قبلَ وصُولها ... للفمِّ عنـدَ تفتُّح الأسْنَـانِ
وكذاكَ ما حالُ الذِي امتدتْ يَدٌ ... منهُ إلى قنـوٍ مـن القِنْـوانِ
فتناهَتِ الحركاتُ قبلَ الأخْذ هلْ ... يبقَى كذلِك سائرَ الأزْمَـانِ
تَبًّا لهاتِيكَ العقـولِ فـإنها ... واللهِ قد مُسِخَتْ على الأبدانِ
تبًّا لِمنْ أضْحَى يقدِّمُهَا على الْـ ... آثـارِ والأخبَـار والقُـرآنِ

□ فصــلٌ □

وَقَضَى بأنَّ اللهَ يجعل خلقَهُ ... عَدَماً ويقْلِبُه وُجُوداً ثـانِ
العرشُ والكرسِيُّ والأرواحُ والْـ ... أمْلاكُ والأفْـلاكُ والقَمـرَانِ
والأرضُ والبحرُ المحيطُ وسائرُ الْـ ... أكْوانِ منْ عَرَضٍ ومنْ جُثْمَانِ
كلٌّ سَيُفْنِيهِ الفنَاءَ المحضَ لَا ... يَبْقَى له أثرٌ كَظِـلٍّ فَـانِ
ويُعِيدُ ذا المعدومَ أيضاً ثانياً ... محضُ الوجودِ إعادةٌ بزمانِ
هَذَا المعَادُ وَذلكَ المبدَا لَدَى ... جَهْمٍ وقدْ نسَبُوه للقـرآن
هذا الذي قادَ ابنَ سِينَا والأُلَى ... قَالوا مقالَته إلـى الكُفْـرانِ
لم تَقبلِ الأذْهانُ ذَا وتوَهَّمُوا ... أنَّ الرَّسُولَ عَنَاهُ بالإيمـان
هَذَا كِتَابُ اللهِ أنَّى قَالَ ذَا ... أوْ عبْدُه المبعوثُ بالبرْهَانِ
أوْ صَحبُه من بعْدِه أو تابعٌ ... لهُمُ عَلى الإيمانِ والإحْسَانِ

بَلْ صرّحَ الوحْيُ المبينُ بأنّهُ حقًّا مغيِّرٌ هَـذِه الأكْـوانِ
فيُبَدِّلُ اللهُ السَّموَاتِ العُلَى والأرضُ أيْضًا ذَاتُ تَبْدِيلَانِ
وهمَا كتبْديل الجلود لساكِني الـنـيرانِ عندَ النضـجِ مـن نِيرَانِ
وَكَذَاكَ يقبضُ أرضَهُ وَسَمَاءَهُ بيدَيْهِ ما العدَمانِ مَقْبُوضَانِ
وتُحدِّث الأرضُ التي كُنَّا بها أخبارَها في الحشْرِ للرحْمنِ
وتظلُّ تشهَدُ وهْي عدلٌ بالذي من فوقِهَا قد أحدَث الثَّقَلانِ
أَفَيَشْهَدُ العدمُ الذي هَو كاسْمِه لَا شيءَ هَذَا لَيْسَ في الإِمكانِ
لَكِنْ تُسَوَّى ثم تُبْسَطُ ثم تُشـ ـهدُ ثم تُبْدَلُ وهْي ذاتُ كَيَانِ
وتُمدُّ أيضا مثلَ مدِّ أدِيمِنَا مِن غيرِ أوْدِيَةٍ ولا كُثْبَانِ
وتَقِيءُ يَومَ العرض من أكْبَادِهَا كَالأسْطوَانِ نفائسَ الأثْمَـانِ
كـلٌّ يَـرَاهُ بِعَيْنِـهِ وعِيَانِـهِ مَا لامْرِيءٍ بالأخْذِ منْه يَدانِ
وَكَذَا الجِبَالُ تُفَتُّ فتًّا مُحْكَمًا فَتَعودُ مِثْلَ الرملِ ذِي الكُثْبانِ
وَتَكُونُ كَالعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الأَلْـوَانِ
وتُبَسُّ بسًّا مثْلَ ذَاكَ فَتنْثَنِي مثْلَ الهَبَاءِ لنَاظِـرِ الإِنسَانِ
وَكَذَا البحَارُ فإنَّها مسْجُورَةٌ قَدْ فُجِّرتْ تَفْجِير ذِي سُلْطانِ
وَكَذَلِك القَمرانِ يأذَنُ ربُّنا لهُمَـا فيجْتَمِعَـانِ يلتَقِيَـانِ
هَذِي مكوَّرَةٌ وَهذَا خَاسِفٌ وَكِلَاهُمَا فِي النَّار مَطْروحَانِ
وَكَوَاكِبُ الأفْلَاكِ تُنثَر كُلُّهَا كَلآلِءٍ نُثِرَتْ عَلَى مَيْدانِ

وكَذا السَّمَاءُ تُشَقُّ شَقًّا ظَاهِراً وَتمورُ أَيْضاً أَيَّمَا مَــوَرَانِ
وتصيرُ بعدَ الإنشِقَاقِ كمثلِ ها ذَا المهْلِ أو تَكُ وردةً كَدِهانِ
والعرشُ والكُرسيُّ لا يُفْنِيهمَا أَيْضًا وإنَّهُمــا لمخلوقَـــانِ
والحورُ لا تَفْنَى كَذلكَ جَنَّةُ الْـ ـمأْوَى وما فِيهَا مِنَ الوِلْدَانِ
ولأَجْلِ هَذَا قَالَ جَهْمٌ إنَّهَا عَدَمٌ ولمْ تُخْلَقْ إلى ذَا الآنِ
والأنبياءُ فإنَّهُمْ تَحْتَ الثَّرَى أجسَامُهُمْ حُفِظَتْ منْ الدِّيدَانِ
ما لِلبلَى بلحُومِهِمْ وجُسُومِهِمْ أَبدًا وَهُمْ تَحْتَ التُّرابِ يَدَانِ
وَكَذاكَ عُجْبُ الظَّهْرِ لَا يَبْلَى بَلى مِنْهُ تركَّبُ خِلْقَـةُ الإنسانِ
وكَذَلِكَ الأَرْوَاحُ لاَ تَبْلَى كَمَا تَبْلَى الجُسُومُ وِلَا بِلَى اللَّحْمَانِ
ولأجْل ذَلِكَ لم يقرّ الجَهْمُ مَا الْـ أَرْوَاحُ خَارجَةٌ عنْ الأَبْدَانِ
لكنَّهَا مِنْ بَعْضِ أعراضٍ بِهَا قَامَتْ وَذا في غَايَةِ البُطْلَانِ
فالشَّأْنُ للأرواح بعدَ فِراقِها أبدانَهَـا وَاللهِ أعظـمُ شَانِ
إمَّا عَذابٌ أَوْ نَعيمٌ دَائـمٌ قَدْ نُعِّمتْ بالرَّوحِ والرَّيْحَانِ
وتصيرُ طَيْرًا سَارحًا معْ شكْلِهَا تَجْنِي الثِّمَارَ بجَنَّةِ الحَيَوانِ
وتظَـلُّ واردةً لأنهـارٍ بهَـا حَتَّى تَعُودَ لِذَلك الجُثْمَانِ
لَكنَّ أَرْوَاحَ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي جَوْفِ طَيْرٍ أخْضَرٍ ريَّانِ
فَلهم بذَاكَ مزيَّةٌ في عَيْشِهِمْ وَنَعِيمُهُمْ للرُّوحِ والأبْـدانِ
بَذَلُوا الجُسُومَ لربِّهم فأَعَاضَهُمْ أجسامَ تلكَ الطيرِ بالإحسَانِ

وَلهَا قنَاديلٌ إِلَيْهَا تَنْتَهِي مَأوىً لَهَا كمسَاكِنِ الإِنْسَانِ
فالرُّوحُ بعدَ الموتِ أكملُ حالةً منهَا بهَذِي الدَّارِ في جُثْمَانِ
وَعَذَابُ أشقَاهَا أشَدُّ من الَّذِي قَدْ عَايَنتْ أبصَارُنَا بعِيَانِ
والقائلُونَ بأنها عَرَضٌ أبَوْا ذَا كلَّه تبًّا لِذِي نُكْرانِ
وإذا أرَادَ اللهُ إخْرَاجَ الوَرَى بَعْدَ الْمَمَات إلَى المعادِ الثَّانِي
ألْقَى على الأرْضِ التي هُمْ تَحتَها وَاللهُ مقتَدِرٌ وذُو سُلطَانِ
مطرًا غليظًا أبيضًا متتابِعًا عَشْرًا وعشرًا بعدَها عَشْرَانِ
فتظلُّ تَنبُتُ منهُ أجسامُ الوَرَى وَلحُومهُمْ كمنابتِ الرَّيحانِ
حَتَّى إذَا مَا الأمُّ حَانَ وِلَادُهَا وتمخَّضَتْ فَنِفَاسُهَا مُتَدَانِ
أوْحَى لها ربُّ السَّما فتشقَّقتْ فَبدَا الجَنِينُ كأكملِ الشُّبَّانِ
وتخلَّتِ الأمُّ الوَلودُ وأخرَجَتْ أثْقَالهَا أُنْثَى ومِنْ ذُكْرَانِ
واللهُ ينشِئُ خَلقَهُ فِي نَشْأةٍ أخْرَى كَمَا قَدْ قَالَ في القُرْآنِ
هَذَا الَّذِي جَاءَ الكتابُ وَسنةُ الـ هَادِي بِهِ فاحرِصْ عَلَى الإِيمَانِ
مَا قَالَ إنَّ اللهَ يَعْدِمُ خَلْقَهُ طرًّا كَقَولِ الجَاهِلِ الحيرانِ

☐ فصـــلٌ ☐

وَقَضَى بأنَّ اللهَ لَيسَ بفَاعِلٍ فعْلًا يَقومُ بِهِ بلَا برهَانِ
بَلْ فِعْلُه المفعُولُ خارجُ ذاتِهِ كَالْوَصْفِ غير الذَّاتِ في الحُسْبَانِ

وَالجَبْرُ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ العُصَاةِ وشيعةُ الشَّيطانِ
كانُوا على وَجَلٍ من العِصْيانِ ذا هوَ فعلهُم والذَّنْبُ للإنسَان
واللَّوم لا يعدُوه إذ هو فَاعِلٌ بإرادةٍ وَبِقُدْرةِ الحيوَانِ
فأراحَهُمْ جهمٌ وشيعتُهُ من اللَّومِ العنيفِ وَمَا قَضوْا بأمَانِ
لكنَّهمْ حَمَلوا ذُنُوبَهُمُ عَلَى رَبِّ العِبَادِ بعزَّةٍ وأمَانِ
وتبرَّءوا منْهَا وقالُوا إنَّهَا أفْعَالهُ مَا حيلَةُ الإنْسَانِ
مَا كلَّفَ الجبَّارُ نفسًا وسْعَها أنَّى وَقَدْ جُبِرتْ عَلَى العِصْيَانِ
وَكَذا عَلَى الطَّاعاتِ أيضًا قَدْ غَدتْ مَجبُورةً فَلَهَا إذًا جَبْرَانِ
وَالعَبْدُ فِي التَّحْقيقِ شِبْهُ نَعَامَةٍ قَدْ كُلِّفتْ بالحَمْلِ وَالطَّيرَانِ
إذْ كَانَ صُورَتَها تَدُلُّ عَلَيْهِمَا هَذَا وَلَيْسَ لَهَا بِذَاكَ يَدَانِ
فلِذَاكَ قالَ بأنَّ طَاعَاتِ الوَرَى وَكَذَاكَ مَا فَعَلُوهُ منْ عِصْيانِ
هِيَ عَيْنُ فِعْلِ الربِّ لَا أفْعَالُهُمْ فيصِحُّ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَا نَفيانِ
نَفْيٌ لِقُدْرتِهِمْ عَلَيْهَا أوَّلًا وَصدورُهَا مِنْهُمْ بِنَفْيٍ ثَانِ
فَيقالُ مَا صَامُوا ولَا صَلَّوْا وَلَا زَكَّوْا وَلَا ذَبَحُوا مِنَ القُرْبَانِ
وَكَذَاكَ مَا شَرِبُوا وَمَا قَتَلُوا وَمَا سَرَقُوا وَلَا فِيهِمْ غَوِيٌّ زَانِ
وَكذاكَ لم يأتُوا اخْتيارًا مِنْهُمُ بالكُفْرِ والإسْلَامِ والإيمَانِ
إلَّا عَلَى وجْهِ المجازِ لأنَّهَا قَامَتْ بِهِمْ كالطَّعْمِ وَالألْوَانِ
جُبِرُوا عَلَى ما شَاءَهُ خَلَّاقُهمْ مَا ثَمَّ ذُو عَوْنٍ وَغَيرِ مُعَانِ

الكلُّ مَجْبُورٌ وَغَيْرُ مـيسَّرٍ كَالْمَيتِ أُدْرجَ داخلَ الأكْفَانِ
وَكَذَاكَ أفْعَالُ المهَيْمنِ لَمْ تَقُمْ أيْضًا بِهِ خَوْفًا منْ الحَدَثَانِ
فَإذَا جَمعْتَ مَقَالَتَيْهِ أنْتَجَا كِذْبًا وزُورًا واضِحَ البُهْتَانِ
إذ لَيْسَتِ الأَفْعَالُ فِعْلَ إلَهِنَا وَالرَبُّ لَيْسَ بِفَاعِلِ العِصْيَانِ
فَإذَا انْتَفتْ صِفَةُ الإلَهِ وَفعْلُهُ وَكَلامُـهُ وفعَائِـل الإِنْسَانِ
فهُنَاكَ لَا خَلْقٌ وَلَا أمْرٌ وَلَا وَحْيٌ وَلَا تَكْلِيفُ عَبْدٍ فَانِ
وَقَضَى عَلَى أسْمَائِه بحدوثِهَا وبخَلْقهَا مِنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ
فَانظرْ إلَى تعطِيلِه الأوْصَاف وَالْـ أفْعَالَ وَالأسْمَاءَ للرَّحْمَـٰنِ
مَاذَا الذِي في ضِمْنِ ذا التَّعطِيل مِنْ نَفْيٍ ومنْ جَحدٍ ومنْ كُفْرَانِ
لَكنَّه أبْدَى المَقَالَة هَكَـذَا فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ للرَّحمَـٰنِ
وأتَى إلَى الكفرِ العَظِيمِ فصَاغَهُ عِجْلًا ليفتِـنَ أمةَ الثِّيـرَانِ
وَكسَاهُ أنْوَاعَ الجواهِرِ والحِلَى مِـنْ لـؤلـؤٍ صَافٍ ومنْ عِقْيانِ
فرآه ثيرانُ الوَرَى فأصَابَهُمْ كَمُصَابِ إخْوَتِهِمْ قَدِيمَ زَمَانِ
عِجْلَانِ قَدْ فَتَنَا العِبَادَ بصوْتِهِ إحْدَاهُمَا وبحرفِهِ ذَا الثَّـانِي
والنَّاسُ أكثرُهُم فأهْلُ ظَوَاهِرٍ تَبْدُو لَهمْ لَيْسُوا بأهْلِ مَعَانِ
فهُمُ القشُورُ وبالقشورِ قِوَامُهُمْ وَاللُّبُّ حظُّ خُلَاصَةِ الإِنْسَانِ
وَلِذَا تقسَّمَتِ الطوَائِفُ قوْلَه وتوارَثُوهُ إرْثَ ذِي السَّهْمَانِ
لَمْ يَنْجُ مِنْ أقوَالِه طرًّا سِوَى أهْلِ الحَدِيثِ وشِيعةِ القرآنِ

فتبرَّءُوا منهَا براءة حَيْـدَرٍ وَبَرَاءة المَوْلُود من عُثْمَانِ
مِنْ كُلِّ شيعِيٍّ خَبيثٍ وَصْفُهُ وَصْفُ اليهُودِ مُحَلِّلِي الْحِيتَانِ

□ فصــل □

○ في مقدمةٍ نافعةٍ قبلَ التَّحكيمِ ○

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ المريدُ نَجاتَـهُ اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانِ
كُنْ في أمورِك كلِّها متمسِّكًا بالوَحي لَا بزخَارِفِ الهَذيَانِ
وَانْصُرْ كِتَابَ اللهِ والسُّنَنَ الَّتي جَاءتْ عَنِ المبْعُوثِ بالفُرْقَانِ
واضربْ بسيفِ الوحْيِ كلَّ مُعَطِّلٍ ضَرْبَ المجاهِدِ فَوْقَ كُلِّ بَنَانِ
واحمِلْ بعزْمِ الصِّدْقِ حملة مُخْلِصٍ متَجـرِّدٍ لِلهِ غَيْـرِ جَبَـانِ
وَاثبتْ بصبرِكَ تَحْتَ ألوِيَة الهُدَى فإذَا أصبْتَ فَفِي رِضَا الرَّحمٰنِ
واجْعَل كِتَابَ اللهِ والسُّنَنَ الَّتي ثبتَتْ سِلَاحَكَ ثمَّ صِحْ بجِنَانِ
مَنْ ذَا يبارِزُ فلْيقدِّمْ نفسَهُ أَوْ مَنْ يسَابِقْ يَبْدُ فِي المَيْدَانِ
واصدَعْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ وَلَا تَخَفْ مِنْ قلَّةِ الأَنْصَارِ وَالأَعْوَانِ
فاللهُ نَـاصرُ دينِـهِ وكتَابِـهِ واللهُ كَـافٍ عَبْدَه بأَمَـانِ
لَا تَخشَ مِن كَيْدِ العدُوِّ ومكرِهِمْ فقتَالُهُمْ بالكـذْبِ والبُهْتَـانِ
فجُنودُ أتْبَاعِ الرَّسُولِ ملائِكٌ وَجنودُهُمْ فعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ
شَتَّانَ بَيْنَ العسْكَرينِ فَمَنْ يَكنْ مُتَحَيِّـرًا فَلينظُـرِ الفِئتَـانِ

واثْبُتْ وقَاتِلْ تَحتَ رَاياتِ الهُدى　　واصبِرْ فنصرُ الله ربِّك دَانِ
وَاذْكُرْ مقاتلَهُمْ لفرسَانِ الهدَى　　لله دَرُّ مقاتِـلِ الفـرسَانِ
وادرأْ بلفظِ النَّصِّ فِي نَحرِ العِدا　　وارجُمْهُمُ بثَواقِبِ الشُّهْبَـانِ
لَا تَخشَ كَثْرَتُهُم فهمْ همجُ الورَى　　وذُبابُهُ أَتخافُ مِـنْ ذِبَّـانِ
واشْغَلْهُمُ عنْدَ الجِدَالِ ببعْضِهِمْ　　بعضًا فَذَاكَ الْحَزْمُ للْفُرسَانِ
وإذا هُمُ حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلَا تَكُنْ　　فَزعًا لحَمْلَتِهِمْ وَلَا بجَبَانِ
وَاثبتْ وَلَا تحمِلْ بِلَا جنْدٍ فَما　　هَذَا بمحْمُودٍ لدَى الشُّجْعَانِ
فإذَا رأيتَ عِصَابَةَ الإسْلَامِ قَدْ　　وَافَتْ عسَاكِرُهَا مَعَ السُّلْطَانِ
فهنَاكَ فاخْترِقِ الصُّفُوفَ وَلَا تَكُنْ　　بالعَاجِزِ الوَانِي وَلَا الفَزْعَانِ
وتعرَّ منْ ثوبَيْنِ مَنْ يلبسْهُما　　يَلْقَ الرَّدَى بمذمَّةٍ وهَـوَانِ
ثوبٌ من الجهْلِ المركَّبِ فوْقَهُ　　ثَـوبُ التعَصُّبِ بئسَتِ الثوبَانِ
وتحلَّ بالإنْصَافِ أفْخرِ حلَّةٍ　　زِينَتْ بهَا الأعطافُ والكَتِفَانِ
واجْعلْ شعارَكَ خشية الرَّحمَـٰنِ مَعْ　　نُصْحِ الرَّسُولِ فحبَّذا الأمْرَانِ
وتمسَّكَـنَّ بِحَبْلِـهِ وَبِوَحْيِـهِ　　وتوكَّلَـنَّ حقِيقَـةَ التُّـكْلَانِ
فالحَقُّ وَصْفُ الربِّ وهوَ صِراطُهُ الـ　　ـهَادِي إِلَيْهِ لصَاحِبِ الإيمَانِ
وهُوَ الصِّراطُ عَلَيهِ رَبُّ العَرْشِ أيْـ　　ـضًا وَذَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ
والحَقُّ منْصُورٌ ومُمْتَحَنٌ فَلَا　　تَعْجَبْ فهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَـٰنِ
وَبِذَاكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حَزْبِهِ　　وَلأجْلِ ذَاكَ النَّاسُ طَائِفَتَانِ

ولأجْلِ ذَاكَ الحربُ بَيْنِ الرُّسْلِ وَالْـ ـكُفَّارِ مُذْ قَامَ الوَرَى سجْلَانِ
لكنَّمَا العُقْبَى لأهْلِ الحَقِّ إنْ فَاتَتْ هُنَا كانَتْ لَدَى الدَّيَّانِ
واجعَلْ لقلْبِكَ هِجْرَتَينِ وَلَا تَنَمْ فهُمَا عَلَى كلِّ امْرِىءٍ فَرْضانِ
فالهِجْرةُ الأولى إلَى الرَّحْمـٰنِ بالْـ إخلَاصِ فِي سِرٍ وفِي إعْلَانِ
فالقصدُ وجهُ الله بالأقْوَالِ والْـ أعْمالِ والطاعَاتِ والشُّكْرَانِ
فبِذاكَ ينْجُو العبْدُ منْ إشْراكِهِ ويصيرُ حقًّا عَابدَ الرَّحْمَـٰنِ
والهجرةُ الأخْرَى إلى المبعوثِ بالْـ ـحَقِّ المُبينِ وواضحِ البرْهَانِ
فيدورُ معْ قَوْلِ الرَّسُول وفعْلِه نفيًا وإثباتًا بِلَا رَوَغـانِ
ويحكِّمُ الوحيَ المُبينَ علَى الَّذِي قَالَ الشّيُوخُ فعنْدَهُ حُكْمَانِ
لَا يحْكُمـانِ بِباطِـلٍ أبـدًا وكـلُّ العدلِ قَدْ جَاءتْ بِـهِ الحُكْمـانِ
وهُما كِتَابُ الله أعْدلُ حاكمٍ فِيهِ الشِّفا وهدايَةُ الحَيْـرَانِ
والحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رسولِهِ مَا ثَمَّ غيْرُهُمَا لذِي إيمَانِ
فإذا دَعَوْكَ لغَيرِ حُكمِهِمَا فَلَا سَمْعًا لدَاعِي الكُفْرِ والعِصْيانِ
قُلْ لَا كرامةَ لَا وَلَا نُعْمَى وَلَا طَوْعًا لِمنْ يَدْعُو إِلَى طُغْيَانِ
وإذا دُعيتَ إِلَى الرَّسُولِ فَقلْ لهُمْ سمعًا وطوعًا لسْتُ ذَا عِصْيانِ
وإذا تكَاثَرتِ الخصُومُ وصيَّحُوا فاثبتْ فصيْحَتُهُمْ كمثْلِ دُخَانِ
يَرْقَى إِلَى الأوْجِ الرَّفِيع وَبعْدَه يَهوِي إِلَى قَعْرِ الحَضِيضِ الدَّانِي
هَذَا وَإنَّ قِتَالَ حِزْبِ الله بالْـ أعْمَالِ لَا بكتَائِبِ الشُّجْعَانِ

وَاللهِ مَا فَتَحُوا البِلَادَ بِكَثْرَةٍ أَنَّى وَأَعْدَاهُمْ بِلَا حُسْبَانِ
وَكَذَاكَ مَا فَتَحُوا القُلُوبَ بِهَذِهِ الـ آرَاءِ بَلْ بِالعِلْمِ وَالإِيمَانِ
وَشَجَاعَةُ الفُرْسَانِ نَفْسُ الزُّهْدِ فِي نَفْسٍ وَذَا مَحْذُورُ كُلِّ جَبَانِ
وَشَجَاعَةُ الحُكَّامِ وَالعُلَمَاءِ زُهْـ ـدٌ فِي الثَّنَا مِنْ كُلِّ ذِي بُطْلَانِ
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِقَلْبٍ صَادِقٍ شُدَّتْ رَكَائِبُهُ إِلَى الرَّحْمَٰنِ
وَاقْصِدْ إِلَى الأَقْرَانِ لَا أَطْرَافِهَا فَالعِزُّ تَحْتَ مَقَاتِلِ الأَقْرَانِ
وَاسْمَعْ نَصِيحَةَ مَنْ لَهُ خُبْرٌ بِمَا عِنْدَ الوَرَى مِنْ كَثْرَةِ الجَوَلَانِ
مَا عِنْدَهُمْ وَاللهِ خَيْرٌ غَيْرَ مَا أَخَذُوهُ عَمَّنْ جَاءَ بِالقُرْآنِ
وَالكُلُّ بَعْدُ فَبِدْعَةٌ أَوْ فِرْيَةٌ أَوْ بَحْثُ تَشْكِيكٍ وَرَأْيُ فُلَانِ
فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللهِ لَا تَخْشَ الوَرَى فِي اللهِ وَاخْشَاهُ تَفُزْ بِأَمَانِ
وَاهْجُرْ وَلَوْ كُلَّ الوَرَى فِي ذَاتِهِ لَا فِي هَوَاكَ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ
وَاصْبِرْ بِغَيْرِ تَسَخُّطٍ وَشِكَايَةٍ وَاصْفَحْ بِغَيْرِ عِتَابِ مَنْ هُوَ جَانِ
وَاهْجُرْهُمُ الهَجْرَ الجَمِيلَ بِلَا أَذًى إِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ الهِجْرَانِ
وَانْظُرْ إِلَى الأَقْدَارِ جَارِيَةً بِمَا قَدْ شَاءَ مِنْ غَيٍّ وَمِنْ إِيمَانِ
وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ مُقْلَتَيْنِ كِلَاهُمَا بِالحَقِّ فِي ذَا الخَلْقِ نَاظِرَتَانِ
فَانْظُرْ بِعَيْنِ الحُكْمِ وَارْحَمْهُمْ بِهَا إِذْ لَا تُرَدُّ مَشِيئَةُ الدَّيَّانِ
وَانْظُرْ بِعَيْنِ الأَمْرِ وَاحْمِلْهُمْ عَلَى أَحْكَامِهِ فَهُمَا إِذًا نَظَرَانِ
وَاجْعَلْ لِوَجْهِكَ مُقْلَتَيْنِ كِلَاهُمَا مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَٰنِ بَاكِيَتَانِ

لَوْ شَاءَ رَبُّك كُنْتَ أَيْضًا مِثْلَهُمْ فالقلْبُ بَيْنَ أصَابعِ الرَّحْمَـنِ
واحذَرْ كمائِنَ نفسِكَ اللَّاتي مَتَى خرجتْ عَلَيْكَ كُسِرتَ كسرَ مُهَانِ
وإذَا انْتصَرْتَ لَهَا فأنْتَ كَمَنْ بَغَى طَفْيَ الدُّخانِ بموقِدِ النِّيرانِ
والله أخْبَرَ وهوَ أصْدَقُ قَائِلٍ أَنْ سَوْفَ ينْصرُ عَبْدَهُ بأمَانِ
مَنْ يَعْمَلِ السُّوءَى سيُجْزَى مِثْلَهَا أَوْ يَعْمَلِ الحسْنَى يفُزْ بجِنَانِ
هَذِي وصيةُ نَاصحٍ ولنفْسِهِ وَصَّى وبعْدٌ سَائِرَ الإخْوَانِ

□ فصلٌ □

○ وهذا أوَّلُ عقدِ مجلسِ التَّحكيمِ ○

فاجْلِسْ إذًا فِي مجلِسِ الحَكَمَيْنِ للـ ـرَّحْمَـنِ لَا للنَّفْـسِ والشَّيْطَـانِ
الأول النقلُ الصحيحُ وَبعْدَهُ الـ ـعَقْلُ الصَّريحُ وفطرةُ الرَّحمَـنِ
واحكمْ إذًا فِي رُفْقَةٍ قَدْ سَافَرُوا يبغُونَ فاطِرَ هَذِهِ الأَكْـوَانِ
فترافَقُوا فِي سَيْرِهمْ وتَفَارَقُوا عِنْدَ افتراقِ الطُّرْقِ بالحَيْرانِ
فأتَى فريقٌ ثُمَّ قَالَ وجدْتُهُ هَذَا الوجودُ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ
مَا ثَمَّ موجودٌ سِوَاهُ وإنَّمَا غَلطَ اللّسَانُ فقالَ موجُودَانِ
فهْوَ السَّماءُ بِعينِهَا ونجُومِهَا وَكَذَلِكَ الأَفْلَاكُ والقمَـرانِ
وَهْوَ الغَمَامُ بِعَيْنِهِ والثلجُ والْـ أمْطَارُ معْ بردٍ ومعْ حُسْبَانِ
وَهْـوَ الْهـوَاءُ بِعَيْنِـهِ وَالمَـاءُ وَالـتُّـرْبُ الثَّقيل وَنَفْسُ ذِي النِّـيرَانِ

هَذِي بسائطُه ومنْه تركَّبتْ هَذِي المظَاهُر مَا هنا شيْئَان
وَهْو الفَقِيرُ لَهَا لأجْلِ ظهُورِهِ فِيهَا كفقْرِ الرُّوحِ للأبْدَانِ
وهْي الَّتي افْتَقرتْ إلَيْهِ لأنه هُوَ ذاتُهَا ووجودُهَا الحقَّانِي
وتَظَلُّ تلبسُه وتخلعُه وذَا الْـ إيجادُ والإعـدَامُ كـلَّ أوَانِ
ويظلُّ يلبسُهَا ويَخلعُهَا وَذَا حُكْمُ المظاهِرِ كي يَرَى بِعيَانِ
وتكثُّرُ الموجودَ كالأعضاءِ فِي الْـ ـمَحْسُوسِ من بشرٍ ومنْ حَيَوانِ
أوْ كالقُوَى فِي النَّفْسِ ذَلِك وَاحِدٌ متكثِّرٌ قَامتْ بـِهِ الأمْـرَانِ
فَيَكونُ كُلًّا هَذِه أجـزَاؤُه هَذِي مقالَةُ مُدَّعي العِرْفَانِ
أوْ أنَّهَا لتكثرِ الأنواعِ فِي جِنْسٍ كمَا قَالَ الفريقُ الثَّانِي
فَيكُـونُ كليًّـا وجزئيَّاتُـــهُ هَذَا الوجُودُ فهذِهِ قَـوْلَانِ
إحْدَاهُمَا نصُّ الفُصُوصِ وبَعْدَهُ قَوْلُ ابن سَبْعِينٍ وَمَا القَوْلَانِ
عِنْدَ العَفِيفِ التِّلمسَانِيِّ الَّذِي هُوَ غَايَةٌ فِي الكُفْرِ وَالبُهْتَانِ
إلَّا مِن الأَغْلَاطِ فِي حسٍّ وَفِي وَهْمٍ وَتِلْكَ طَبيعَةُ الإنسَانِ
والكلُّ شَيءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ مَا لِلتَّعدُّدِ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِ
فَالضَّيْفُ والمأكُولُ شَيءٌ وَاحِدٌ والوَهْمُ يُحْسَبُ هَاهُنَا شَيْئَانِ
وكَذَلِكَ الموطُوءُ عَيْنُ الوَطْءِ وَالْـ ـوَهْمُ البعِيدُ يَقُولُ ذَا إثْنَانِ
ولَرُبَّمَا قَـالَا مَقَالَتَهُ كَمَـا قَدْ قَالَ قَوْلَهُمَا بِلَا فُرْقَانِ
وأبَى سِوَاهُمْ ذَا وَقَالَ مَظَاهِرٌ تجْلُوهُ ذَاتُ توحُّدٍ ومَثَـانِ

فَالظَّاهِرُ المجلوُّ شَيءٌ وَاحِدٌ لَكِنْ مَظَاهِرُهُ بِلَا حُسْبَانِ
هَذِي عبارَاتٌ لَهُم مَضْمُونُهَا مَا ثَمَّ غَيْرٌ قطُّ فِي الأَعْيَانِ
فَالقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنْ إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَوَانِ
كَلَّا وَلَا عُلْوٍ وَلَا سُفْلٍ وَلَا وَادٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا كُثْبَانِ
كَلَّا وَلَا طَعْمٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا صوْتٍ وَلَا لَونٍ من الأَلْوَانِ
لكنَّهُ المطْعُومُ والمَلْبُوسُ وَالْـ ـمَشْمُومُ وَالمسْمُوعُ بالآذَانِ
وَكذَاكَ قَالُوا إنَّهُ المنْكُوحُ والْـ ـمَذْبوحُ بَلْ عَيْنُ الغَوِيِّ الزَّانِي
والكُفْرُ عِنْدَهُمْ هُدًى وَلَو انَّهُ دِينُ المجُوسِ وعَابِدِي الأَوْثَانِ
قَالُوا وَمَا عَبَدُوا سِوَاهُ وإنَّمَا ضَلُّوا بِمَا خَصُّوا مِنَ الأَعْيَانِ
وَلَوْ انَّهُمْ عَمُّوا وَقَالُوا كلُّهَا مَعْبُودَةٌ مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ
فالكُفْرُ سَتْرُ حَقِيقَةِ المَعْبُودِ بالتَّـخْصِيص عِنْدَ مُحَقِّقٍ رَبَّانِي
قَالُوا وَلَمْ يَكُ كافِرًا فِي قَوْلِهِ أنا رَبُّكُم فِرْعَوْنُ ذُو الطغْيَانِ
بَلْ كَانَ حَقًّا قَوْلُه إِذْ كَانَ عَيْـ ـنَ الحَقِّ مضْطَلِعًا بِهَذَا الشَّانِ
وَلِذَا غَدَا تَطْهِيرُهُ فِي البَحْرِ تَطْـ ـهِيرًا مِنَ الأَوْهَامِ والحُسْبَانِ
قَالُوا وَلَمْ يَكُ مُنْكِرًا مُوسَى لِمَا عَبَدُوهُ مِنْ عِجْلٍ لِذِي الخَوْرَانِ
إِلَّا عَلَى مَنْ كَانَ لَيْسَ بعَابِدٍ مَعَهُمْ وأصْبحَ ضَيِّقَ الأَعْطَانِ
وَلِذَاكَ جَرَّ بِلِحْيَةِ الأخِ حَيْثُ لَمْ يَكُ وَاسِعًا فِي قَوْمِهِ لبطَانِ
بَلْ فَرَّقَ الإِنْكَارَ مِنْهُ بَيْنَهُمْ لَمَّا سَرَى فِي وَهْمِهِ غَيْرَانِ

وَلَقَدْ رَأى إبليسَ عَارِفُهُـمْ فأَهْـ ـوَى بالسُّجُودِ هُوِيَّ ذِي خُضْعَانِ
قَالُوا لَهُ مَاذا صَنَعْتَ فَقَالَ هَلْ غَيْرُ الإلَـهِ وأَنْتُمَـا عِمْيَـانِ
مَا ثَمَّ غيرٌ فاسْجُدُوا إنْ شِئْتُمُ للشَّمْسِ والأصْنَامِ والشَّيْطَانِ
فالكُلُّ عَينُ اللهِ عِنْدَ مُحَقِّقٍ والكُلُّ مَعْبُودٌ لِذِي عِرْفَانِ
هَذَا هُوَ المَعْبُودُ عِنْدَهُمُ فقُلْ سبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ
يا أُمَّةً مَعْبودُهَا مَوطُوؤهَـا أَيْنَ الإلَـهُ وثُغْـرَةُ الطعَّـانِ
يا أُمَّةً قَدْ صَارَ مِنْ كُفْرَانِهَا جُزْءٌ يُسَيَّرُ جُمْلَةَ الكُفْـرَانِ

□ فصـــل □

○ في قدومِ ركبٍ آخرَ ○

وأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ وَجَدْتُهُ بالذَّاتِ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانِ
هُوَ كالْهَوَاءِ بعَيْنِهِ لَا عيْنُهُ مَلأُ الخَلَاءَ وَلَا يُرَى بعيَانِ
والقَوْمُ مَا صَانُوهُ عنْ بِئْرٍ وَلَا قَبْرٍ وَلَا حُشٍّ وَلَا أَعْطَانِ
بَلْ مِنْهُمُ مَنْ قَدْ رَأى تَشْبِيهَهُ بالرُّوح دَاخِلَ هَذِهِ الأبْدَانِ
مَا فِيهِمُ مَنْ قَالَ لَيْسَ بدَاخِلٍ أَوْ خَارجٍ عنْ جُمْلة الأكْوَانِ
لَكِنَّهُمْ حامُوا عَلَى هَذَا وَلَمْ يتجَاسَرُوا مِنْ عَسْكَرِ الإيمَانِ
وَعَلَيهِمُ رَدَّ الأئِمةُ أحمَـدٌ وَصِحَابُهُ مِنْ كلِّ ذِي عِرْفَانِ
فهُمُ الخُصُومُ لِكلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ وَهُـمُ الخصُومُ لمنزِلِ القُرْآنِ

وَلهمْ مقَالَاتٌ ذَكَرْتُ أصُولَهَا   لَمَّا ذَكَرْتُ الجَهْمَ في الأَوْزَانِ

فصـــل

في قدومِ ركبٍ آخرَ

وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَارَبَ وَصْفَهُ   هَذَا وَلكنْ جَدَّ فِي الكُفْرَانِ
فأسَرَّ قَوْلَ مُعطِّلٍ ومُكَذِّبٍ   فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ للرَّحْمنِ
إذْ قَالَ لَيْسَ بدَاخِلٍ فِينَا وَلَا   هُوَ خَارِجٌ عَنْ جمْلةِ الأَكْوَانِ
بَلْ قَالَ لَيْسَ ببائِنٍ عَنْهَا وَلَا   فِيهَا وَلَا هُوَ عَيْنُهَا بِبَيَانِ
كَلَّا وَلَا فَوقَ السَّمواتِ العُلَى   والعَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلَا رَحْمنِ
والعَرْشُ لَيْسَ عليهِ معبُودٌ سِوَى الْـ   ـعَدَمِ الَّذِي لَا شيءَ فِي الأعْيانِ
بَلْ حَظُّهُ مِنْ رَبِّهِ حَظُّ الثَّرى   مِنْهُ وحَظُّ قَوَاعِدِ البُنْيَانِ
لَوْ كَانَ فَوْقَ العَرْشِ كَانَ كَهَذِه الْـ   أَجْسَامِ سُبْحَانَ العَظِيمِ الشَّانِ
وَلَقَدْ وَجدْتُ لفاضِلٍ مِنْهُمْ مَقَا   مًا قَامَهُ فِي النَّاسِ مُنْذُ زَمَانِ
قَالَ اسْمَعُوا يَا قَوْمُ إنَّ نَبِيَّكُمْ   قَدْ قَالَ قَوْلًا وَاضِحَ البُرْهَانِ
لَا تحْكُمُوا بالفَضْلِ لِي أَصْلًا عَلَى   ذِي النُّونِ يُونُسَ ذَلِكَ الغَضْبَانِ
هَذَا يَرُدُّ عَلَى المجَسِّمِ قَوْلَهُ   اللهُ فَوْقَ العَرْشِ والأَكْوانِ
وَيَدلُّ أنَّ إلهَنَا سُبْحَانَهُ   وَبحمدِهِ يُلْفَى بِكلِّ مَكَانِ
قَالُوا لَهُ بَيِّنْ لَنَا هَذَا فَلمْ   يَفعَلْ فأعْطَوْهُ مِنَ الأَثْمَانِ

أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ الْعَتِيقِ فَقَالَ فِي تِبْيَانِهِ فاسْمَعْ لِذَا التِّبيانِ
قَدْ كَانَ يُونُسُ في قرارِ البَحْرِ تَحْـ ـتَ المَاءِ فِي قَبْرٍ مِنَ الحِيتَانِ
ومحَمَّدٌ صَعِدَ السَّمَاءَ وجَاوَزُ السَّـبْعَ الطِّبَاقَ وَجَازَ كُلَّ عَنَانِ
وَكِلَاهُمَا فِي قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ ذَاكَ مُسْتَوِيَانِ
فالعُلْوُ والسُّفْلُ اللذانِ كِلَاهُمَا فِي بُعْدِهِ مِنْ ضِدِّه طَرْفَانِ
إِنْ يُنْسَبَا للهِ نُزِّه عَنْهُمَا بالإِخْتِصَاصِ بَلَى هُمَا سِيَّانِ
فِي قُربِ مَنْ أَضْحَى مُقِيمًا فِيهِمَا مِنْ رَبِّهِ فكلَاهُمَا مِثْلَانِ
فَلأَجْلِ هَذَا خَصَّ يُونُسَ دُونَهُمْ بالذكْرِ تَحْقِيقًا لِهَذَا الشَّانِ
فأَتَى الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيةٍ بِلَا حُسْبَانِ
فاحْمَدْ إلهَكَ أَيُّهَا السُّنِّيُّ إِذْ عَافَاكَ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانِ
واللهِ مَا يَرْضَى بهَذا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ أَمسَى عَلَى الإِيمَانِ
هَـذَا هُـوَ الإِلْحَادُ حقًّا بَلْ هُـوَ الـتَّـحْـرِيفُ محْضًا أبـرَدَ الهـذَيَـانِ
واللهِ مَا بُلِيَ المجسِّمُ قطُّ ذِي الـ ـبَلْوَى وَلَا أَمْسَى بِذِي الخذْلَانِ
أمثَالُ ذَا التَّأْوِيلِ أَفْسَدَ هَذِهِ الـ أَدْيَان حِينَ سَرَى إلى الأَدْيَانِ
واللهِ لَوْلَا اللهُ حَافِظُ دِينِهِ لتهدَّمتْ مِنْهُ قُوَى البُنْيَانِ

* * *

□ فصل □

○ في قدوم ركبٍ آخرَ ○

وأَتَى فرِيقٌ ثمَّ قاربَ وَصْفهُ هَذَا وَزَادَ عَلَيْه فِي الميزَانِ
قَالَ اسْمَعُوا يَا قَوْمُ لَا تُلهيكُمُ هَذِي الأَمَانِي هُنَّ شَرُّ أمَانِي
أتعبْتُ رَاحِلتِي وَكَلَّتْ مُهْجَتِي وبذلْتُ مَجهُودِي وقدْ أعْيَانِي
فتَّشْتُ فَوْقَ وتحتَ ثُمَّ أمَامَنَا وَوَرَاءَ ثمَّ يسَار مَعْ أُيْمَانِ
مَا دلَّنِي أحَدٌ عَلَيْهِ هُنَاكُمُ كَلَّا وَلَا بَشَرٌ إِلَيْهِ هَدَانِي
إلَّا طَوَائِفُ بِالحَدِيث تَمسَّكَتْ تُعزَى مذاهِبُهَا إِلَى القُرْآنِ
قَالُوا الَّذِي تَبْغيهِ فَوْقَ عِبَادِهِ فَوقَ السَّمَاءِ وفَوقَ كُلِّ مَكَانِ
وَهُو الَّذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى لكنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى الأَكْوَانِ
وإلَيْهِ يَصْعَدُ كُلُّ قَوْلٍ طيِّبٍ وإلَيْهِ يُرفَعُ سَعْيُ ذِي الشُّكْرَانِ
والرُّوحُ والأملاكُ مِنْهُ تَنَزَّلَتْ وإلَيْهِ تَعْرُجُ عِنْدَ كُلِّ أوَانِ
وإلَيْهِ أيدِي السَّائِلينَ توجَّهَتْ نَحْوَ العُلُوِّ بفطْرَةِ الرَّحْمَـٰنِ
وإلَيْهِ قَـدْ عَرَجَ الرسولُ فقُدِّرَتْ مِنْ قُرْبِه مِنْ رَبِّهِ قَوْسَانِ
وإلَيْهِ قد رُفِعَ المسيحُ حقِيقَةً ولسَوْفَ يَنْزِلُ كَيْ يُرَى بعِيَانِ
وإلَيْهِ تصْعَدُ روحُ كلِّ مُصَدِّقٍ عِنْدَ الممَاتِ فتنْثَنِي بأمَانِ
وإلَيْهِ آمالُ العِبَادِ توجَّـهَتْ نَحْوَ العُلُوِّ بِلَا تَواصٍ ثانِ

بَلْ فِطْرَةَ اللهِ الَّتي لَمْ يُفطَرُوا ... إِلَّا عَلَيْهَا الخَلْقُ وَالثَّقَلانِ

ونظِيرُ هَذَا أَنَّهُمْ فُطِرُوا عَلَى ... إِقرَارِهِمْ لَا شَكَّ بالدَّيَّانِ

لَكِنْ أولُو التَّعْطِيلِ مِنهُمْ أصْبَحُوا ... مَرْضَى بِدَاءِ الجَهْلِ وَالخُذْلَانِ

فَسأَلت عنْهُم رفقتي وأحبتي ... أصْحاب جَهْم حزب جِنْكِيز خَانِ

مَنْ هؤلاءِ وَمنْ يقالُ لهمُ فقَدْ ... جَاءوا بأمْرٍ مَالِىءِ الآذانِ

وَلهمْ عَلَيْنَا صَولةٌ مَا صَالهَا ... ذُو بَاطِلٍ بَلْ صَاحبُ البُرْهَانِ

أوَ مَا سمعْتمْ قَوْلَهمْ وَكَلَامَهُم ... مثلَ الصواعِقِ لَيْسَ ذَا لِجبانِ

جَاءوكُمُ مِنْ فوقِكُمْ وأتيتمو ... مِنْ تحتهِمْ مَا أنتمُ سِيَّانِ

جَاءوكُمُ بالوَحْي لكنْ جِئتمُ ... بنُحَاتـةِ الأفْكَارِ والأذْهَانِ

قَالُوا مُشَبِّهَةٌ مجسِّمَةٌ فَلَا ... تَسْمَعْ مَقَالَ مُجَسِّمٍ حَيَوَانِ

وَالْعَنْهُمُ لَعْنًا كَبيرًا واغْزُهُمْ ... بعَسَاكِرِ التَّعْطِيلِ غيرَ جَبَانِ

واحْكُمْ بسَفْكِ دِمَائِهِمْ وبحَبْسِهِمْ ... أَوْ لَا فَشَرِّدْهُمْ عَنِ الأَوْطَانِ

حَذِّرْ صحَابَكَ مِنْهُمُ فَهُمُ أضَلُّ ... مِنَ اليَهُودِ وعَابِدي الصُّلْبَانِ

واحذَرْ تُجَادِلَهُمْ بقَالَ اللهُ أَوْ ... قَالَ الرَّسُولُ فتنْثَنِي بهَوَانِ

أنَّى وَهُمْ أوْلَى بِهِ قدْ أنفَذُوا ... فِيهِ قُوَى الأذْهَانِ والأبدَانِ

فَإذَا ابتُلِيتَ بهِمْ فَغَالِطْهُمْ عَلَى التَّـأْوِيـلِ للأَخْبَـارِ وَالْقُـرْآنِ

وَكَذَاكَ غالِطْهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلْـ ... آحَادِ ذَانِ لِصحْبِنَا أَصْلَانِ

أَوْصَى بِهَا أَشْيَاخُنَا أَشْيَاخَهُمْ ... فَاحْفَظْهُمَا بيديْكَ والأسْنَانِ

وإذَا اجْتَمعْتَ وهُمْ بمشْهَدِ مجْلِسٍ فابْدَرْ بإيرادٍ وشُغْلِ زَمَانِ
لَا يَمْلِكُوهُ عَلَيْكَ بالآثارِ والْـ أَخْبَارِ والتَّفسِيرِ للفُرْقَانِ
فتَصِيرَ إنْ وَافقْتَ مِثْلَهُمْ وإنْ عَارَضْتَ زِنْدِيقًا أَخَا كُفْرَانِ
وإذَا سَكَتَّ يُقَالُ هَذَا جَاهِلٌ فَابدَرْ وَلَوْ بالفَشْرِ والهذَيَانِ
هَذَا الَّذِي واللهِ أَوْصَانَا بِهِ أَشْيَاخُنَا فِي سالِفِ الأَزْمَانِ
فرجعْتُ من سَفَرِي وقلتُ لصَاحِبِي ومطيَّتِي قَدْ آذنتْ بحِرَانِ
عطِّلْ رِكَابَكَ واسترِحْ منْ سيْرِهَا مَا ثَمَّ شيءٌ غَيْرُ ذِي الأَكْوَانِ
لَوْ كَانَ للأَكْوانِ رَبٌّ خَالِقٌ كَانَ المجسِّمُ صَاحِبَ البُرْهَانِ
أَوْ كَانَ رَبٌّ بائنٌ عَنْ ذِي الوَرَى كَانَ المجسِّمُ صاحِبَ الإِيمَانِ
ولكَانَ عِنْدَ النَّاسِ أَوْلَى الخَلْقِ بالْـ إسْلَامِ والإيمَانِ والإحْسَانِ
ولكَانَ هَذَا الحزْبُ فَوْقَ رؤوسِهِمْ لَمْ يخْتَلِفْ منهُمْ عَلَيهِ اثْنَانِ
فدَعِ التَّكَالِيفَ الَّتِي حُمِّلْتَهَا واخلَعْ عِذَارَكَ وارْمِ بالأَرْسَانِ
مَا ثَمَّ فَوْقَ العَرْشِ مِن ربٍّ ولَمْ يتكلمِ الرَّحْمَٰنُ بالقُرْآنِ
لَوْ كَانَ فَوْقَ العَرْشِ ربٌّ ناظِرٌ لزِمَ التحيُّزُ وافتقارُ مَكَانِ
لَوْ كَانَ ذَا القُرْآنُ عَيْنَ كَلَامِهِ حَرْفًا وَصوْتًا كَانَ ذَا جُثْمَانِ
فَإِذَا انْتَفَى هَذَا وهَذَا مَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى ذَا النَّفْيِ مِنْ إيمَانِ
فدَعِ الحَلَالَ مَعَ الحَرَامِ لأَهْلِهِ فهُمَا السِّيَاجُ لَهُمْ عَلَى البُسْتَانِ
فاخْرِقْهُ ثمَّ ادخُلْ تَرَى فِي ضِمْنِهِ قَدْ هُيِّئَتْ لَكَ سَائِرُ الأَلْوَانِ

وَتَرَى بِهَا مَا لَا يَرَاهُ مَحَجَّبٌ   مِنْ كلِّ مَا تَهْوَى بِهِ زَوْجَانِ
واقْطَعْ عَلَائقَكَ الَّتي قَدْ قَيَّدتْ   هَذَا الوَرَى مِنْ سَالِفِ الأَزْمَانِ
لِتَصِيرَ حُرًّا لَسْتَ تَحْتَ أوَامِرٍ   كَلَّا وَلَا نَهْيٍ وَلَا فُرْقَانِ
لَكِنْ جَعَلتَ حِجَابَ نَفْسِكَ إذ تَرَى   فَوْقَ السَّمَا للنَّاسِ مِنْ دَيَّانِ
لَوْ قُلْتَ مَا فَوْقَ السَّماءِ مدبِّرٌ   والعَرْشَ نُخْلِيهِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ
واللهُ لَيْسَ مكلِّماً لِعِبَادِهِ   كَلَّا وَلَا متكلِّمًا بِقُرَانِ
مَا قَالَ قطُّ وَلَا يَقولُ ولَا لَهُ   قَوْلٌ بَدَا مِنْهُ إِلَى إنسَانِ
لَحَلَلْتَ طلسَمَهُ وفُزْتَ بكَنْزِهِ   وعَلِمتَ أن النَّاسَ فِي هَذَيَانِ
لَكِنْ زَعَمْتَ بأنَّ رَبَّكَ بائِنٌ   مِنْ خَلقِهِ إذْ قُلْتَ مَوْجُودَانِ
وزَعمْتَ أنَّ اللهَ فوقَ العَرْشِ والْـ   ـكُرْسِيُّ حقًّا فوقَهُ القَدَمَانِ
وزعمْتَ أن اللهَ يسْمَعُ خلقَهُ   ويراهُمُ منْ فَوْقِ سَبْعِ ثَمانِ
وزعمْتَ أن كَلَامَهُ منْهُ بَدَا   وإِلَيْهِ يَرْجِعُ آخرَ الأَزْمَانِ
ووصَفتَهُ بالسمْعِ والْبصَرِ الَّذي   لَا يَنْبغِي إلَّا لِذِي الجُثْمَانِ
ووصَفْتَهُ بإرادةٍ وبقُدْرَةٍ   وكراهَةٍ ومحَبَّةٍ وحَنَانِ
وزعمْتَ أن اللهَ يعْلَمُ كلَّ مَا   فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ ومِنْ إعْلَانِ
والعِلْمُ وصْفٌ زائِدٌ عنْ ذَاتِهِ   عَرَضٌ يَقُومُ بغَيْرِ ذِي جُثْمَانِ
وزعمْتَ أنَّ اللهَ كلَّم عبْدَهُ   موسَى فأسْمَعَهُ نِدَا الرَّحْمَٰنِ
أفتسمَع الآذانُ غيرَ الحرْفِ والصَّوت الَّذي خُصَّتْ بِهِ الأُذُنَانِ

وكذَا النداءُ فإنَّهُ صَوْت بإجْـ ـماعِ النُّحاةِ وأهْل كُلِّ لِسَانِ
لَكِنَّـهُ صَـوْتٌ رَفِيـعٌ وَهْـوَ ضِـدٌّ للنجَـاءِ كِلَاهُمَـا صَوْتَـانِ
فزَعَمْتَ أنَّ اللهَ نَادَاه وَنَا جَاهُ وَفِي ذَا الزَّعْمِ مَحْذُورَانِ
قُربُ المكَانِ وبُعْدُه والصَّوتُ بَلْ نَوْعَاهُ مَحْذُورَانِ مُمتَنِعَانِ
وَزعمْتَ أنَّ محمَّدًا أسْرَىٰ بِهِ لَيْلًا إِلَيْهِ فهْوَ مِنْهُ دَانِ
وَزَعمْتَ أن محمَّدًا يَوْمَ اللِّقَا يُدْنِيهِ رَبُّ العَرْشِ بالرِّضْوَانِ
حَتَّى يُرَى المُخْتَارُ حقًّا قَاعدًا مَعَه عَلَى العَرْش الرَّفِيعِ الشَّانِ
وَزَعمْتَ أنَّ لعرْشِهِ أَطًّا بِهِ كالرَّحْلِ أطَّ براكبٍ عَجْلَانِ
وَزَعمْتَ أنَّ اللهَ أَبْدَى بَعْضَهُ للطُّور حَتَّى عَادَ كَالكُثْبَانِ
لمَّا تَجَلَّى يَوْمَ تَكْلِيم الرِّضَى مُوسَى الكَلِيمُ مُكلِّم الرَّحْمَـٰنِ
وَزَعمْتَ للمعْبُود وَجْهًا بَاقِيًا ولَهُ يَمِينٌ بَلْ زعمْتَ يَدَانِ
وَزَعمْتَ أنَّ يَدَيْهِ للسَّبع العُلَى وَالأرْضِ يَوْمَ الحَشْرِ قَابِضَتَانِ
وَزَعمْتَ أنَّ يَمِينَه ملأَى مِنَ الْـ ـخَيْرَات مَا غَاضَتْ عَلَى الأزْمَانِ
وَزَعمْت أنَّ العَدْلَ فِي الأخْرَى بِهَا رَفْعٌ وخَفْضٌ وَهْوَ بِالميزَانِ
وَزَعمْتَ أنَّ الخلْقَ طُرًّا عِنْدَهُ يهْتزُّ فَوْقَ أصَابعِ الرَّحْمَـٰنِ
وَزَعَمْتَ أَيْضًا أنَّ قَلْبَ العَبْدِ مَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ مِنْ أَصَابعِ عَانِ
وَزَعَمْتَ أنَّ اللهَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَتَقَابَلُ الصَّفَّانِ يَقْتَتِلَانِ
مِنْ عَبْدِه يأتِي فَيُبْدِي نَحْرَهُ لِعَدُوِّهِ طَلَبًا لِنَيْلِ جِنَانِ

وَكَذَاكَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَثِبُ الفَتَى ... مِنْ فَرْشِهِ لِتِلَاوَةِ القُرْآنِ
وَكَذَاكَ يَضْحَكُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ ... إِذْ أَجْدَبُوا وَالغَيْثُ مِنْهُمْ دَانِ
وَزَعَمْتَ أَنَّ اللهَ يَرضَى عَنْ أُولِي الْـ ... ـحُسْنَى ويغضَبُ عنْ أُولي العِصْيَانِ
وَزَعمتَ أَنَّ اللهَ يسْمعُ صَوْتَهُ ... يومَ المعَادِ بعيدُهُمْ والدَّانِي
لَمَّا يُنَادِيهِمْ أَنَا الدَّيَّانُ لَا ... ظُلْمٌ لَدَيَّ فيسْمَعَ الثَّقلَانِ
وَزَعْمْتَ أَنَّ اللهَ يُشرِقُ نُورُه ... فِي الأَرْضِ يومَ الفَصْلِ والميزانِ
وَزَعَمْتَ أَنَّ اللهَ يكْشِفُ سَاقَهُ ... فَيخرُّ ذَاكَ الجمْعُ للأَذْقَانِ
وَزَعَمْتَ أن يَمِينَه تَطوِي السَّمَا ... طَيّ السِّجِلِّ عَلَى كِتَابِ بَيَانِ
وَزَعَمْتَ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَى ... فِي ثُلْثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِ
فيقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فأُجِيبَهُ ... فأَنَا القَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي
وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهُ نُزولًا ثَانِيًا ... يومَ القِيَامَةِ لِلقَضَاءِ الثَّانِي
وَزَعَمْتَ أَنَّ اللهَ يبْدُو جَهْرَةً ... لِعبَادِهِ حَتَّى يُرَى بعِيَانِ
بَلْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ ... فالمُقْلَتَانِ إِلَيْهِ نَاظِرَتَانِ
وَزَعَمْتَ أَنَّ لربِّنَا قَدَمًا وأَنَّ اللهَ ... واضِعُهَا عَلَى النِّيرَانِ
فَهُنَاكَ يَدْنُو بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا ... وتقُولُ قَطْ قَطْ حَاجَتِي وكَفَانِي
وَزَعَمْتَ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ مَزِيدِهِمْ ... كُلٌّ يُحَاضِرُ رَبَّهُ ويُدَانِي
بالحَاءِ مَعْ ضَادٍ وجَامِعِ صَادِهَا ... وجْهَانِ فِي ذَا اللَّفظِ محفُوظَانِ
فِي التِّرمِذِيّ ومسْنَدٍ وسِوَاهُمَا ... مِنْ كُتْبِ تَجْسِيمٍ بِلَا كِتْمَانِ

وَوصَفْتَهُ بِصفَاتِ حَيٍّ فَاعِلٍ بالإِخْتِيَارِ وذَانِكَ الأَصْلَانِ
أَصْلُ التَّفرقِ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْـ ـبَارِي فَكُنْ فِي النَّفْيِ غَيْرَ جَبَانِ
أَوْ لَا فَلَا تَلعَبْ بدِينِكَ نَاقِضًا نَفْيًا بإِثْبَاتٍ بِلَا فُرقَانِ
فالنَّاسُ بَيْنَ مُعَطِّلٍ أَوْ مُثْبتٍ أَوْ ثَالِثٍ مُتَناقِضٍ صِنْفَانِ
واللهِ لَسْتَ برابعٍ لَهُمُ بَلَى إِمَّا حِمَارًا أَوْ مِنَ الثِّيرَانِ
فاسْمَعْ بإِنْكَار الجَمِيعِ ولَا تَكُنْ مُتنَاقِضًا رَجُلًا لَهُ وَجْهَانِ
أَوْ لَا ففرِّقْ بينَ مَا أَثبتَّهُ ونفيتَهُ بالنصِّ وَالبُرْهَانِ
فالبَابُ بَابٌ واحدٌ فِي النَّفْيِ والْـ إِثْبَاتِ فِي عَقْلٍ وَفِي مِيزَانِ
فمتَى أَقرَّ ببعْضِ ذَلِكَ مُثْبتٌ لَزِمَ الجَمِيعَ أَو ائتِ بِالفُرْقَانِ
وَمَتَى نَفَى شَيْئًا وأَثْبتَ مِثْلَهُ فمجسِّمٌ مُتنَاقِضٌ دَيصَانِ
فذَرُوا المِرَاءَ وصَرِّحُوا بمذاهبِ الْـ ـقُدَمَاءِ وانْسَلِخُوا مِنَ الإِيمَانِ
أَوْ قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ تَحْتَ لِوَاءِ ذِي القُرْآنِ
أَوْ لَا فَلَا تَتَلاعَبُوا بعُقولِكُمْ وكِتَابِكُمْ وبسَائِرِ الأَدْيَانِ
فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بصِفَاتِهِ وكَلَامِهِ وعُلُوِّهِ بِبَيَانِ
والنَّاسُ بَيْنَ مصَدِّقٍ أَوْ جَاحِدٍ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أو شَبِيهُ أَتَانِ
فَاصْنَعْ مِنَ التَّنزيه تُرسًا مُحْكَمًا وانْفِ الجَمِيعَ بِصَنْعَةٍ وبَيَانِ
وَكَذَاكَ لَقِّبْ مَذْهَبَ الإِثْبَاتِ بِالتَّجْسِيمِ ثُمَّ احْمِلْ عَلَى الأَقْرَانِ
فَمَتَى سَمَحْتَ لَهُمْ بِوَصْفٍ وَاحِدٍ حَمَلُوا عَلَيْكَ بحَمْلَةَ الفُرْسَانِ

فصرِعْتَ صَرْعَةَ مَنْ غَدَا متلَبِّطًا وَسطَ العَرِينِ ممزَّقَ اللُّحْمَانِ
فَلِذَاكَ أنْكَرْنَا الْجَمِيعَ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ أنْ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ
ولِذَا خَلَعْنَا رِبْقَةَ الأدْيَانِ مِنْ أَعْنَاقِنَا فِي سَالِفِ الأزْمَانِ
وَلَنَا مُلُوكٌ قَاوَمُوا الرُّسْلَ الأُلَى جَاءوُا بإثْبَاتِ الصِّفَاتِ كَمَانِ
فِي آلِ فِرْعَونٍ وهَامَانٍ وقَا رُونٍ ونُمْرُودٍ وجَنْكِيز خَانِ
وَلَنَا الأئمَّةُ كالفَلَاسِفَةِ الأُلَى لَمْ يَعْبَئُوا أَصْلًا بِذِي الأدْيَانِ
مِنْهُمْ أَرِسْطُو ثُمَّ شِيعَتُهُ إِلَى هَذَا الأَوَانِ وَعِنْدَ كُلِّ أَوَانِ
مَا فِيهِمُ مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ فَوْ قَ العَرْشِ خَارِج هَذِهِ الأَكْوَانِ
كَلَّا وَلَا قَالُوا بِأَنَّ إلهَنَا مُتَكَلِّمٌ بِالوَحْيِ والقُرْآنِ
ولأجْلِ هَذَا رَدَّ فِرْعونٌ عَلَى مُوسَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الإيمَانِ
إِذْ قَالَ مُوسَى رَبُّنَا متكَلِّمٌ فَوْقَ السَّمَاءِ وَأَنَّهُ مُتَدَانِي
وَكَذَا ابْنُ سِينَا لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ وَلَا أَتْبَاعُهُ بَلْ صَانَعُوا بِدِهَانِ
وَكَذَلِكَ الطُّوسِيُّ لَمَّا أَنْ غَدَا ذَا قُدْرَةٍ لَمْ يَخْشَ مِنْ سُلْطَانِ
قَتَلَ الخَلِيفَةَ والقُضَاةَ وحَامِلِي الْـ ـقُرْآنِ والفُقَهَاءِ فِي البُلْدَانِ
إِذْ هُمْ مشَبِّهَةٌ مجسِّمَةٌ ومَا دَانُوا بِدِينِ أكَابِرِ اليُونَانِ
وَلَنَا المَلَاحِدَةُ الفُحُولُ أئِمَّةُ التَّعْطِيلِ والتَّسْكِينِ آلُ سِنَانِ
وَلَنَا تَصَانِيفٌ بِهَا غَالَبْتُمُ مِثْلَ الشِّفَا ورَسَائِلِ الإِخْوَانِ
وَكَذَا الإِشَارَاتُ الَّتِي هِيَ عِنْدكُمْ قَدْ ضُمِّنَتْ لِقَوَاطِعِ البُرْهَانِ

قَدْ صرَّحَتْ بالضِّدِّ ممَّا جَاءَ في التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
هِيَ عِنْدَكُمْ مِثْلُ الفُصُوصِ وفوْقَها فِي حُجَّةٍ قَطْعِيَّةٍ وبَيَانِ
وإذَا تَحاكَمْنَا فإنَّ إلَيْهِمُ يَقَعُ التَّحاكُمَ لَا إلَى القُرْآنِ
إذْ قَدْ تُسَاعِدُنَا بأنَّ نصُوصَهُ لَفظيَّةٌ عُزِلَتْ عَنِ الإيقَانِ
فلِذَاكَ حكَّمنَا عَلَيْهِ وأنْتُمُ قَوْلَ المعَلِّمِ أولًا والثَّانِي
يَا وَيْحَ جَهْمٍ وابْنِ دِرْهَمَ والأُلَى قَالُوا بقَوْلِهمَا مِنَ الخُورَانِ
بَقيَتْ مِنَ التَّشْبيه فِيهِ بَقيَّةٌ نَقضَتْ قَوَاعِدَهُ مِنَ الأرْكَانِ
يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ لَا يَلْوي عَلَى خَبَرٍ وَلَا قُرْآنِ
ويقُولُ إنَّ اللهَ يَسْمَعُ أوْ يَرَى وَكَذَاكَ يَعْلَمُ سِرَّ كلِّ جَنَانِ
ويقولُ إنَّ اللهَ قَدْ شَاءَ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ مِنْ هَذِهِ الأكْوَانِ
وَيقولُ إنَّ الفِعْلَ مَقْدُورٌ لَهُ وَالكَوْنَ يَنْسِبُهُ إلَى الحِدْثَانِ
وبِنَفْيِهِ التَّجْسِيمَ يَصْرُخُ فِي الوَرَى واللهِ مَا هَذَانِ مُتَّفِقَانِ
لَكِنَّنَا قُلْنَا مُحَالٌ كُلُّ ذَا حَذَرًا مِنَ التَّجْسِيمِ والإمْكَانِ

□ فصــلٌ □

○ في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن ○

وَأتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ ألَا اسْمَعُوا قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ مَطْلَعِ الإيمَانِ
مِنْ أرْضِ طيبَةَ مِنْ مُهَاجرِ أحْمَدٍ بالحَقِّ والبُرْهَانِ والتِّبْيَانِ

سَافَرْتُ فِي طَلَب الإِلَه فَدلَّنِي الْـ ـهَادِي عَلَيْهِ ومُحْكَمُ القُرْآنِ
مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَن جَلَّ جَلالُهُ وصرِيحِ عَقْلِي فاعْقِلِي بِبَيَانِ
فَتوافَقَ الْوَحْيُ الصَّرِيحُ وَفِطْرَةُ الـرَّحْمَـنِ والمعْقُـولُ فِي إِيمَـانِي
شَهِدُوا بأَنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ متفـرِّدٌ بـالملْكِ والسُّلْطَـانِ
وَهـوَ الإِلَـهُ الْحـقُّ لَا مَعْبُـودَ إِلَّا وَجْهُـهُ الأَعْلَى العظيمُ الشَّـانِ
بَلْ كُلُّ معْبُودٍ سِوَاهُ فَبَاطِلٌ مِنْ عَرْشِهِ حَتَّى الحضِيضِ الدَّانِي
وَعِبَادَةُ الرَّحْمَن غَايَةُ حُبِّـهِ مَعَ ذُلِّ عَابِدِه هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ العِبَادَة دَائـرٌ مَا دَارَ حَتَّى قامَتِ القُطْبَانِ
ومَدَارُهُ بالأَمْرِ أَمْرِ رسُولِـهِ لَا بالهَوَى والنفْسِ والشَّيطَانِ
فَقِيامُ دِينِ اللهِ بالإِخلاصِ والـ إِحْسَانِ أَنَّهُمَـا لَـهُ أَصْلَانِ
لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ الإِلَهِ ونَارِهِ إِلَّا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الأَصْلَانِ
والنَّاسُ بَعْدُ فمشْرِكٌ بإِلهِهِ أَوْ ذُو ابْتَدَاعٍ أَوْ لَهُ الوَصْفَانِ
واللهُ لَا يَرْضَى بكثْرَةِ فِعْلِنَا لَكِنْ بأَحْسَنِهِ مَعَ الإِيمَـانِ
فالعَارِفُونَ مُرادُهُـمْ إحسَانُـهُ والجَاهِلُون عَمُوا عَنِ الإِحْسَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ شَهِدُوا بأَنَّ اللهَ ذُو سَمْعٍ وذُو بَصَرٍ هُمَا صِفَتَانِ
وَهوَ العَلِيُّ يَرَى وَيسْمَعُ خَلْقَهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ فَوْقَ سِتٍّ ثَمَانِ
فَيرى دَبِيبَ النَّمْلِ فِي غَسَقِ الدُّجَى وَيَرَى كَذاكَ تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ
وَضَجِيجُ أَصْوَاتِ العِبَادِ بسَمْعِهِ وَلَدَيْهِ لا يَتَشَابَهُ الصَّوْتَـانِ

وَهْوَ العَلِيمُ بِمَا يُوسْوِسُ عَبْدُهُ ... فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ نُطْقِ لِسَانِ
بَلْ يَسْتَوِي فِي عِلْمِه الدَّانِي مَعَ الـ ... ـقَاصِي وَذُو الإِسْرَارِ والإِعْلَانِ
وَهْوَ العَلِيمُ بِمَا يَكُونُ غَداً وَمَا ... قَدْ كَانَ والمَعْلُومُ فِي ذَا الآنِ
وبِكُلِّ شَيءٍ لَمْ يكنْ لَوْ كَانَ كَيْـ ... ـفَ يَكُونُ موجُوداً لِذِي الأَعْيَانِ
وَهْوَ القَدِيرُ فَكُلُّ شَيء فَهْو مَقْـ ... ـدُورٌ لَهُ طَوْعًا بِلَا عِصْيَانِ
وَعُمُومُ قدْرَتـهِ تَـدُلُّ بأَنَّـهُ ... هُوَ خَالِقُ الأَفْعَالِ للحَيَوَانِ
هِيَ خَلْقُهُ حَقًّا وأَفْعَالٌ لَهُمْ ... حَقًّا وَلَا يَتَنَاقَضُ الأَمْـرَانِ
لِكنَّ أَهْلَ الجَبْرِ والتَّكْذِيبِ بِالْـ ... أَقْدَارِ مَا انْفَتَحتْ لَهُمْ عَيْنَانِ
نَظَرُوا بِعَيْنَيْ أَعْوَرٍ إِذْ فَاتَهُمْ ... نَظَرُ البَصِيرِ وغَارَتِ العَيْنَانِ
فَحَقِيقَةُ القَدَرِ الَّذِي حَارَ الوَرَى ... فِي شَأْنِهِ هَوَ قُدْرَةُ الرَّحْمنِ
واسْتَحْسَنَ ابنُ عُقَيْلٍ ذَا مِنْ أَحْمدٍ ... لمَّا حَكَاهُ عَنِ الرِّضَا الرَّبَّانِي
قَالَ الإِمَامُ شَفَا القُلُوبَ بلَفْظَةٍ ... ذَاتِ اخْتِصَارٍ وَهْيَ ذَاتُ بَيَانِ

□ فصـــل □

وَلَهُ الحَيَاةُ كمَالُهَا فَلأَجْلِ ذَا ... مَا لِلمَماتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
وكَذَلكَ القَيُّومُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... مَا لِلمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غَشَيَانِ
وكَذاكَ أَوْصَافُ الكَمَالِ جَمِيعُها ... ثَبَتَتْ لهُ ومَدارُهَا الوَصفَانِ
فمُصحِّحُ الأَوْصَافِ والأَفْعَالِ والْـ ... أَسْمَاءِ حَقًّا ذَانِكَ الوَصْفَانِ

ولأجْلِ ذَا جَاءَ الحَدِيثُ بأنَّهُ فِي آيةِ الكُرْسِي وذِي عِمْرَانِ
إسْمُ الإلَهِ الأعْظَمُ اشتَمَلا عَلَى اسْـ ـمِ الحَيِّ والقيُّومِ مُقْترِنَانِ
فالكُلُّ مرجِعُهَا إلَى الإسْمَيْن يَدْ رِي ذَاكَ ذُو بَصَرٍ بِهَذَا الشَّانِ
وَلَهُ الإرَادَةُ والكَرَاهَةُ والرِّضَا وَلَهُ المحَبَّةُ وَهْوَ ذُو الإحْسَانِ
وَلَهُ الْكَمَالُ المُطْلَقُ العَارِي عَنِ الـتَّـشْبِيـهِ والتَّمْثِيـل بالإنْسَـانِ
وَكَمَالُ مَنْ أعطَى الكَمَالَ لنَفْسِهِ أوْلَى وأقدَمُ وهوَ أعظَمُ شَانِ
أيكُونُ قدْ أعْطَى الكَمَال ومَا لَهُ ذَاكَ الكَمَالُ أذَاكَ ذُو إمْكَانِ
أيكُونُ إنسَانٌ سَمِيعًا مُبصِرًا متكلِّمًـا بمشِيئَـةٍ وَبَيَـانِ
وَلَهُ الحَيَاةُ وقُـدْرَةٌ وإرَادَةٌ والعِلْـمُ بالكُلِّـيِّ والأعْيَـانِ
واللهُ قَدْ أعطَاهُ ذَاكَ وَليسَ هَـ ـذَا وَصْفَهُ فاعْجَبْ مِنَ البُهْتَانِ
بِخلَافِ نَوْمِ العَبْد ثُمَّ جِمَاعِهِ والأكْلِ مِنْهُ وحَاجَةِ الأبْدَانِ
إذ تِلكَ ملزومَاتُ كَونِ العَبْدِ مُحْـ ـتَاجًا وتِلْكَ لَوَازِمُ النقْصَانِ
وكَذَا لَوازِمُ كَوْنِهِ جَسَدًا نَعَمْ وَلَوَازِمُ الأحْدَاثِ والإمْكَانِ
يتقدَّسُ الرَّحمنُ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْهَا وَعَنْ أعْضَاءِ ذِي جِسْمَانِ
واللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ متكلِّمًا وكَلَامُهُ المسْمُـوعُ بـالآذَانِ
صِدْقًا وعَدْلًا أُحْكِمَتْ كَلِمَاتُهُ طَلَبًا وإخْبَارًا بِلَا نُـقْصَانِ
وَرَسُولهُ قَدْ عَاذَ بالكَلِمَاتِ مِنْ لَدْغٍ وَمِنْ عَيْنٍ ومِنْ شَيْطَانِ
أيُعَاذُ بالمخْلُوقِ حَاشَاهُ مِنَ الـ إشْرَاكِ وَهْوَ مُعَلِّمُ الإيمَانِ

بَلْ عَاذَ بالكَلِمَاتِ وَهْيَ صِفَاتُهُ ... سُبْحَانَهُ لَيسَتْ مِنَ الأَكْوانِ
وَكَذَلِكَ القرْآنُ عَيْنُ كَلامِهِ الْـ ... ـمَسْمُوعِ مِنْهُ حقِيقَةٌ بِبَيَانِ
هُوَ قَوْلُ رَبِّي كلُّهُ لَا بَعْضُهُ ... لَفْظًا وَمَعْنًى مَا هُمَا خَلْقَانِ
تَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ وقَوْلُهُ الـ ... ـلَّفْظُ والمعْنَى بِلَا رَوَغَانِ
لَكنَّ أَصْواتَ الْعِبَادِ وفعْلَهُمْ ... كَمدَادِهِمْ والرِّقُّ مَخْلوقَانِ
فالصَّوتُ لِلْقَارِي ولَكِنَّ الكَلَا ... مَ كلَامُ ربِّ العرْشِ ذِي الإِحْسَانِ
هَذا إِذَا مَا كَانَ ثَمَّ وَسَاطَةٌ ... كَقِرَاءَةِ المخْلُوقِ للقُرْآنِ
فإِذَا انتفَتْ تِلْكَ الوسَاطَةُ مِثْلَ مَا ... قَدْ كلَّمَ المَوْلودَ مِنْ عِمْرانِ
فهُنالِكَ المخْلُوقُ نَفْسُ السَّمْعِ لَا ... شَيءٌ مِنَ المسْمُوعِ فافْهَمْ ذَانِ
هَذِي مَقَالَةُ أحْمدٍ ومُحَمَّدٍ ... وخُصُومُهُمْ مِنْ بَعْدُ طَائِفَتَانِ
إِحْدَاهُمَا زَعَمَتْ بأَنَّ كَلَامَهُ ... خَلْقٌ لَهُ أَلفَاظُهُ وَمعانِي
والآخَرُونَ أَبَوْا وَقَالُوا شَطْرُهُ ... خَلْقٌ وشَطْرٌ قَامَ بالرَّحْمٰنِ
زَعَمُوا القران عِبَارَةً وحِكَايَةً ... فَلَنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرآنَانِ
هَذَا الَّذِي نَتْلوهُ مخْلُوقٌ كَمَا ... قَالَ الوَلِيدُ وَبعْدَهُ الفِئَتَانِ
والآخَرُ المعْنَى القَدِيمُ فقَائِمٌ ... بالنَّفْسِ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدَّيَّانِ
والأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ واسْتِفْهَامُهُ ... هُوَ عَيْنُ إِخْبَارٍ وَذُو وِحْدَانِ
وَهُوَ الزَّبُورُ وَعَيْنُ تَوْرَاةٍ وإِنْـ ... ـجِيلٍ وعَيْنِ الذِّكْرِ والفُرْقَانِ
الكُلُّ شَيءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ ... لَا يَقْبَلُ التَّبعِيضَ فِي الأَذْهَانِ

مَا إنْ لَهُ كلٌّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا حَرْفٌ وَلَا عَرَبِي وَلَا عِبْرَانِي
ودَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ بَيْتٌ قَالَهُ فِيمَا يُقَالُ الأَخْطَلُ النَّصْرَانِي
يَا قَوْمُ قَدْ غَلطَ النَّصارَى قَبْلُ فِي مَعْنَى الكَلَامِ ومَا اهْتَدَوْا لِبَيَانِ
ولأَجْلِ ذَا جَعَلُوا المسِيحَ إلَهَهُمْ إذ قِيلَ كِلْمَةُ خالِقٍ رَحْمنِ
ولأَجْلِ ذَا جَعلُوهُ نَاسُوتًا وَلَا هُوتًا قَدِيمًا بَعْدُ مُتحِدَانِ
وَنظِيرُ هَذَا مَنْ يَقُولُ كَلامُهُ مَعْنًى قَدِيمٌ غَيْرُ ذِي حِدْثَانِ
والشَّطرُ مخْلُوقٌ وتِلْكَ حُرُوفُهُ نَاسُوتُهُ لَكِنْ هُمَا غَيْرَانِ
فانظُرْ إِلَى ذَا الاتِّفَاقِ فإنَّهُ عَجَبٌ وطَالِعْ سُنَّةَ الرَّحمٰنِ
وتكَايَسَتْ أخْرَى وَقَالَتْ : إنَّ ذَا قَوْلٌ مُحَالٌ وَهْوَ خَمْسُ مَعَانِ
تِلْكَ التِي ذُكِرتْ ومعْنًى جَامعٌ لجمِيعِهَا كالأُسِّ للبُنْيَانِ
فيكُونُ أنواعاً وعِنْدَ نَظِيرِهِمْ أوْصَافُهُ وهُمَا فمتَّفِقَانِ
إنَّ الَّذِي جَاءَ الرسُولُ بِهِ لَمخْلُوقٌ ولَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدَّيانِ
والخُلْفُ بَيْنَهُمُ فقيل مُحَمَّدٌ أنْشَاهُ تَعْبِيرًا عَنِ القُرْآنِ
والآخرونَ أَبَوْا وَقَالُوا إنَّمَا جِبْرِيلُ أنشَاهُ عَنِ المنَّانِ
وتكَايَسَتْ أخْرَى وقَالَتْ إنَّهُ نَقْلٌ مِنَ اللَّوحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ
فاللوحُ مبْدَؤه وربُّ اللوحِ قَدْ أنشَاهُ خَلْقًا فِيه ذَا حِدْثانِ
هَذِي مقَالَاتٌ لهُمْ فانظرْ تَرَى فِي كُتْبِهِمْ يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

لَكِنَّ أهْلَ الحَقِّ قَالُوا إنَّمَا جِبْرِيلُ بلَّغَهُ عَنِ الرَّحْمَـٰنِ
أَلْقَاهُ مَسْمُوعًا لَهُ مِنْ رَبِّهِ للصَّادِقِ المصْدُوقِ بالبُرْهَانِ

□ فصـــلٌ □

○ في مجامعِ طُرُقِ أهلِ الأرضِ واختلافِهم في القرآنِ ○

وإذَا أَرَدْتَ مَجَامِعَ الطُّرقِ الَّتِي فِيهَا افتِرَاقُ النَّاسِ فِي القُرآنِ
فَمَدارُهَا أَصْلَانِ قَامَ عَلَيْهِمَـا هَذَا الخِلَافُ هُمَا لَهُ رُكنَانِ
هَلْ قوْلُهُ بمشِيئةٍ أَمْ لَا وَهَلْ فِي ذَاتِهِ أَمْ خَـارِجٌ هَـذَانِ
أصْلُ اختِلَافِ جَمِيعِ أهْلِ الأرْضِ فِي الْـ ـقُرْآنِ فَاطْلُبْ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ
ثُمَّ الألَى قَالُوا بِغيرِ مَشِيئَةٍ وإرادَةٍ مِنْـــهُ فطَائِفَتَـــانِ
إِحْدَاهُمَا جَعَلَتْهُ مَعْنًى قَائِمًا بالنَّفْسِ أو قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانِ
واللهُ أحدَثَ هَذِه الألفَاظَ كَيْ تبدِيهِ معْقُولًا إِلَى الأذْهَـانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا إنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ الْـ ـقُرآنَ بَلْ دَلَّتْ عَلَى القُرْآنِ
ولربَّما سُمِّي بِهَا القُرْآنُ تَسْـ ـمِيةَ المجازِ وذَاكَ وَضْعٌ ثَانِ
وكَذَلِكَ اخْتَلفُوا فقيلَ حِكَايَةٌ عَنْـهُ وقِيـلَ عِبَـارةٌ لِبَيَـانِ
إذْ كَانَ ما يُحْكَى كمحْكِيٍّ وهَـ ـذَا اللفْظُ والمعْنَى فمُخْتَلِفَانِ
ولذَا يُقَالُ حَكَى الحَدِيثَ بعَيْنِهِ إذْ كَانَ أوَّلُهُ نظيرَ الثَّانِي

فَلِذَاكَ قَالُوا لَا نَقُولُ حِكَايَةٌ ونَقُولُ ذَاكَ عِبَارَةُ الفُرْقَانِ
والآخَرُونَ يَرَوْنَ هَذَا البَحْثَ لفْـ ـظِيًّا ومَا فِيهِ كَبِيرُ مَعَانِ

□ فصـــل □

○ في مَذْهبِ الاقْترانِيَّةِ ○

والفِرْقَةُ الأُخْرَى فَقَالَتْ إِنَّهُ لَفْظاً ومَعْنًى لَيْسَ يَنْفَصِلَانِ
واللَّفْظُ كالمعْنَى قَدِيمٌ قَائِمٌ بالنفْسِ لَيْسَ بقَابِلِ الحِدْثَانِ
فالسِّينُ عِنْدَ البَاءِ لَا مسْبُوقَةٌ لكنْ هُمَا حَرْفَانِ مقْترنَانِ
والقَائِلُونَ بذَا يقُولُوا إنَّمَا تَرْتِيبُهَا بالسَّمْعِ بالآذَانِ
ولهَا اقتِرَانٌ ثَابِتٌ لذَوَاتِهَا فاعْجَبْ لِذَا التَّخْلِيط والهَذَيَانِ
لكِنَّ زَاغُونيَّهُمْ قَدْ قَالَ إنَّ ذَوَاتَهَا وَوُجُودَهَا غَيْرَانِ
فترتبتْ بوجُودِهَا لَا ذَاتِهَا يا للعُقُولِ وزَيْغَةِ الأَذْهَانِ
لَيْسَ الوُجودُ سِوى حَقِيقَتِهَا لِذِي الـ أذْهَانِ بَلْ فِي هَذِهِ الأَعْيَانِ
لَكِنْ إِذَا أَخَذَ الحقيقَةَ خَارجاً ووجودَهَا ذِهْنًا فمخْتَلِفَانِ
والعكْسُ أيضًا مِثْلُ ذَا فإِذَا هُمَا اتَّـحَدا اعتبَارًا لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ
وبذا يزُولُ جَمِيعُ إشْكَالَاتِهم فِي ذَاتِهِ ووجُودِهِ الرَّحْمَنِ

* * *

□ فصل □

○ في مذاهبِ القائلينِ بأنَّهُ متعلّقٌ بالمشيئةِ والإرادةِ ○

وَالقَائِلُونَ بأنَّهُ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ أيضًا فَهُمْ صِنْفَانِ
إِحْدَاهمَا جَعَلَتْه خارجَ ذاتِه كمشيئةٍ لِلْخلق والأَكْوَانِ
قَالُوا وصارَ كَلَامُهُ بإضافةِ التَّشْرِيفِ مثلَ البيتِ ذِي الأرْكَانِ
مَا قَالَ عندَهُمُ وَلَا هُوَ قَائِلٌ والقولُ لم يُسْمَعْ من الدَّيَّانِ
فالقولُ مفعُولٌ لديْهم قائِمٌ بالغَيْر كالأعَراضِ والأَكْوَانِ
هَذِي مقالةُ كلِّ جَهْمِيٍّ وهُمْ فِيهَا الشُّيوخُ معلمِ الصِّبيانِ
لَكِنَّ أَهْلَ الإعتِزَالِ قَدِيمَهُمْ لَمْ يذهَبُوا ذَا المذهَبَ الشَّيْطَانِي
وَهم الأُلَى اعتزلوا عنِ الحسَنِ الرِّضَى الـ ـبَصْرِيِّ ذَاكَ العالم الربَّانِي
وَكَذَاكَ أَتْبَاعٌ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ مِنْ قَبْلِ جَهْمٍ صَاحِبِ الحِدْثَانِ
لكنَّمَا متأَخِّرُوهُمْ بعد ذَا لكَ وافقُوا جَهْماً عَلَى الكُفْرَانِ
فهُمُ بذَا جَهْمِيَّةٌ أَهْلُ اعتِزَا لِ ثَوبُهُمْ أضْحَى لَه عَلَمَانِ
ولقد تقلَّد كفرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرٍ مِنَ العُلَماءِ في البُلْدَانِ
واللّالكَائِيُّ الإمامُ حَكَاهُ عَنْـ ـهُمْ بَلْ حَكَاهُ قبْلَه الطَّبَرانِي

* * *

□ فصــلٌ □

○ في مذهب الكَرَّامِيَّةِ

والقَائِلـونَ بأنَّـهُ بمشيئَـــةٍ فِي ذَاتِه أيضاً فَهُمْ نَوعَانِ
إحْدَاهُمَا جَعَلتهُ مبدُوءاً بِهِ نوعاً حذَارِ تسْلسُلِ الأعْيَانِ
فَيسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمُ فِي زَعْمِهِمْ إثْبَاتُ خَالِق هَذِهِ الأَكْوَانِ
فَلِذَاكَ قَالوا إنَّـهُ ذُو أولٍ ما لِلفنَاءِ علَيْهِ منْ سُلْطَانِ
وكَلَامُهُ كفِعَالِهِ وكِلَاهُمَـا ذُو مبدأٍ بلْ ليسَ يَنتَهِيَانِ
قَالُوا وَلَمْ يُنْصِفْ خُصُومٌ جَعْجَعُوا وأَتَوْا بتَشْنِيـعٍ بِلَا بُرْهَـانِ
قلنَا كَمَا قَالُوهُ في أفعَالِهِ بَلْ بَيْنَنَا بَوْنٌ مِنَ الفُرْقَانِ
بَلْ نَحْنُ أسْعَدُ مِنْهُمُ بالحقِّ إذْ قلْنَـا هُمَـا بـاللهِ قَائِمَتَـانِ
وهُمُ فَقَالُوا لَمْ يَقُمْ باللهِ لَا فِعْـلٌ ولا قَـوْلٌ فتعْطِيـلانِ
لِفعَالِـهِ ومَقَالِـهِ شَرًّا وأبــ طَلُ مِنْ حُلُولِ حَوَادثٍ بِبيَانِ
تعْطِيلُهُ عَنْ فِعْلِهِ وَكَلَامِـهِ شَرٌّ مِنَ التشْنِيعِ بالهذَيـانِ
هَذِي مقالاتُ ابنِ كرَّامٍ ومَا رَدُّوا عَلَيْـهِ قَـطُّ بالبرهَـانِ
أنَّى وَمَا قَدْ قَالَ أقْربُ مِنْهُمُ لِلْعَقْـلِ والآثـارِ والقُـرآنِ
لَكِنَّهُمْ جَاءُوا لَهُ بجعَاجعٍ وفرَاقِـعٍ وقَعَاقِـعٍ بشنَـانِ

□ فصـــلٌ □

○ في ذكرِ مذهبِ أهلِ الحديثِ ○

والآخَرُونَ أُولُو الحدِيثِ كأَحْمدٍ ومُحَمَّـــدٍ وأئمـــةِ الإيمَـــانِ
قَالُوا بأنَّ الله حَقًّا لَمْ يَزَلْ مُتكَلِّمًـــا بمشيئَـــةٍ وَبَيَـــانِ
إن الكَلَامَ هُوَ الكَمَالُ فكيْفَ يَخْـ ـلُو عَنْهُ فِي أزلٍ بِلَا إمْكَانِ
وَيصِيرُ فِيمَا لَمْ يَزَلْ متكَلِّمًا مَاذَا اقْتَضَاهُ لَهُ مِنَ الإمْكَانِ
وَتعَاقُبُ الكَلِمَاتِ أمرٌ ثَابتٌ للذَّاتِ مثْلَ تَعَاقُبِ الأزْمَانِ
واللهُ ربُّ العرْشِ قالَ حقِيقَةً حم مَعْ طهَ بغيـرِ قِـرَانِ
بَلْ أحرُفٌ مترتِّبَاتٌ مثْلَ مَا قَدْ رُتِّبتْ فِي مَسْمَعِ الإنسَانِ
وَقْتَانِ فِي وَقْتٍ مُحَالٌ هَكَذَا حَرْفَانِ أيضاً يُوجَدَا فِي آنِ
مِنْ وَاحِدٍ متكلِّم بلْ يُوجَدَا بالرَّسْمِ أو يتَكلَّمُ الرجُلَانِ
هَذَا هُوَ المعْقُولُ أما الاِقْترا نُ فليسَ معْقُولًا لِذِي الأذهَانِ
وَكَذَا كَلَامٌ مِنْ سِوى مُتكلمٍ أيضاً مُحَالٌ ليسَ في إمكَانِ
إلَّا لِمَنْ قَامَ الكَلَامُ بِهِ فَذَا كَ كَلَامُه المعقُولُ في الأذْهَانِ
أيكونُ حيًّا سامِعاً أو مُبْصِراً من غيرِ مَا سَمْعٍ وغَيْرِ عِيَانِ
والسَّمْعُ والإبْصَارُ قَامَ بغيرِهِ هذا المحَالُ وواضحُ البُهْتَانِ
وكَذا مريدٌ والإرَادَةُ لَمْ تَكنْ وصفاً لهُ هذَا من الهَذَيَانِ

وَكذَا قدِيرٌ مالَهُ من قُدرةٍ قامتْ بِهِ منْ أوضحِ البُطْلَانِ
واللهُ جَلَّ جلالُه متكلِّمٌ بالنقلِ والمعقُولِ والبرْهَانِ
قد أجمعَتْ رُسُلُ الإلِه عَلَيْه لَمْ ينكرْه من أتْبَاعِهِمْ رَجُلَانِ
فكلامُهُ حقًا يَقُوم بِهِ وإلَّا لَمْ يَكُنْ متكلمًا بقُرانِ
واللهُ قَالَ وقَائِلٌ وكذا يقُو لُ الحَقَّ ليسَ كلَامُهُ بالفَانِي
ويكلِّمُ الثقلَيْنِ يومَ معَادِهِمْ حَقاً فيسمعُ قولهُ الثقَلَانِ
وكذا يكلِّمُ حِزْبَهُ فِي جنة الـ حَيَوانِ بالتسليمِ والرِّضوان
وَكَذَا يكلِّمُ رسْلَهُ يومَ اللِّقَا حقاً فيسألُهُمْ عن التِّبْيَانِ
ويراجعُ التكلِيمَ جلَّ جلَالُه وقتَ الجِدَالِ لَهُ من الإنسَانِ
ويكلمُ الكُفارَ في العرصَاتِ تَوْ بِيخاً وتقرِيعاً بلَا غُفْرَانِ
ويكلمُ الكُفارَ أيضاً في الجَحِيْـ ـمِ أنِ اخْسَئوا فِيهَا بكلِّ هَوَانِ
واللهُ قدْ نَادَى الكَليمَ وقَبْلَهُ سَمِعَ النِّدا في الجَنَّةِ الأَبَوَانِ
وأتَى النِّدا في تِسْعِ آياتٍ لَهُ وَصْفاً فَراجعْهَا مِنَ القُرْآنِ
وكَذَا يكلِّمُ جبرَيِيلَ بِأَمْرِهِ حَتَّى ينفِّذَهُ بكلِّ مَكَانِ
واذكرْ حدِيثاً في صَحيحِ محمَّدٍ ذَاكَ البُخَارِيِّ العظيمِ الشَّانِ
فِيهِ نِداءُ اللهِ يومَ معَادِنَا بالصَّوتِ يبلغُ قَاصياً والدَّانِي
هَبْ أنَّ هَذَا اللفظَ لَيسَ بثَابِتٍ بَلْ ذِكْرهُ مَع حَذْفِهِ سِيَّانِ
وَرَواهُ عِنْدَكُمُ البُخَارِيُّ المجَسِّمُ بَلْ رَوَاهُ مجسِّمٌ فوقَانِي

أيصِحُّ فِي عَقْلٍ وَفي نَقْلٍ نِدَا ءٌ ليسَ مَسْمُوعاً لَنَا بِأذَانِ
أَمْ أجمعَ العلمَاءُ والعُقَلاءُ مِنْ أَهلِ اللِّسَانِ وأهْلِ كُلِّ لِسَانِ
إنَّ النِّدا الصَّوتُ الرَّفِيعُ وَضِدُّهُ فَهوَ النَّجاءُ كِلاهُمَا صَوْتَانِ
واللهُ موْصُوفٌ بذَاكَ حقِيقَةً هَذَا الحَدِيثُ ومحْكمُ القُرآنِ
وَاذكُرْ حَديثاً لِابنِ مسْعودٍ صَريـ ـحاً أَنَّهُ ذُو أحْرُفٍ بِبَيَانِ
الحرفُ مِنْهُ فِي الجزا عشْرٌ مِنَ الْـ ـحَسَنَاتِ مَا فِيهنَّ مِنْ نقْصَانِ
وانظُرْ إلى السُّوَر الَّتِي افتُتِحَتْ بأحْـ ـرُفِهَا تَرى سِرًّا عَظِيمَ الشَّانِ
لَمْ يأتِ قَطٌّ بسُورةٍ إلَّا أَتَى فِي إثرِهَا خَبَرٌ عَنِ القُرْآنِ
إذْ كَانَ إخْبَاراً بِهِ عَنْهَا وَفِي هَذَا الشِّفَاءُ لطَالِبِ الإِيمَانِ
وَيَدُلُّ أَنَّ كَلامَهُ هُوَ نَفْسُهَا لَا غيرُهَا والحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
فَانْظُرْ إِلَى مَبدا الكِتَابِ وَبَعْدَهَا الـ أعْرَافُ ثمَّ كَذَا إلى لُقْمَانِ
مَعَ تِلْوِهَا أَيْضاً وَمَعْ حم مَعْ يس وافْهَمْ مُقْتَضَى القُرْآنِ

□ فصـــل □

○ في إلزامِهم القولَ بنفي الرّسالةِ إذا انتفت صفة الكلام ○

واللهُ عزَّ وجَلَّ مُوصٍ آمِرٌ نَاهٍ مُنَبٍّ مُرْسِلٌ لِبَيَــانِ
وَمُخَاطِبٌ ومُحَاسِبٌ وَمُنَبِّئٌ وَمُحَدِّثٌ ومُخَبِّرٌ بــالشَّانِ
ومُكَلِّمٌ مُتَكَلِّمٌ بَلْ قَائِلٌ ومحَـذِّرٌ ومـبَشِّرٌ بأَمَــانِ

هَادٍ يَقُولُ الحقَّ يُرْشِدُ خَلقَهُ بكَلَامِهِ لِلحَقِّ والإيمَانِ
فإذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الكَلَامِ فكُلُّ هَـ ـذَا منْتَفٍ متحقِّقُ البُطْلَانِ
وإذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الكَلَامِ كَذَلِكَ الـ إِرْسَال مَنْفِيٌّ بِلَا فُرْقَانِ
فرِسَالةُ المبعوثِ تبليغٌ كَلَا مَ المرسِلِ الداعِي بِلَا نُقْصَانِ
وحَقِيقَةُ الإرسَالِ نفْسُ خطَابِهِ للمرْسَلِينَ وأنَّهُ نَوْعَانِ
نَوْعٌ بغَيْرِ وَسَاطَةٍ ككَلَامِهِ مُوسَى وجبْرِيلَ القريبِ الدَّانِي
مِنهُ إلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ إذْ لَا تَراهُ هَا هُنَا العَيْنَانِ
وَالآخَرُ التَّكْلِيمُ مِنْهُ بالوَسَا طَةِ وَهْوَ أيْضًا عندَهُ ضَرْبَانِ
وَحْيٌ وَإرْسَالٌ إلَيْهِ وَذَاكَ فِي الشّورَى أَتَى فِي أَحْسَنِ التِّبْيَانِ

فصلٌ

في إلزامهم التَّشبيهَ للرَّبِّ بالجمادِ الناقصِ إذا انتفتْ صفةُ الكلامِ

وَإذَا انتَفَتْ صِفَةُ الكَلَامِ فَضِدُّهَا خَرَسٌ وذلكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ
فلَئِنْ زَعَمْتُمْ أنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ أُمَّةِ الحَيَوَانِ
والرَّبُّ لَيْسَ بقَابِلٍ صِفَةَ الكَلَا مِ فنَفيُهَا مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
فيُقَالُ سَلْبُ كَلَامِهِ وَقَبُولُهُ صِفَةَ الكَلامِ أتمُّ للنقْصَانِ

إذْ أخْرَسُ الإنسَانِ أكملُ حَالةً   مِنْ ذَا الجَمَادِ بأوضَحِ البُرْهَانِ
فَجَحدْتَ أوْصَافَ الكمَالِ مَخَافَةَ الـتَّـشْبِيـهِ   والتَّجْسِيـمِ بِالإنْسَـانِ
ووَقَعْتَ فِي تَشْبِيهِهِ بالنَّاقِصَا   تِ الجَامِداتِ وذَا مِنَ الخذْلَانِ
اللهُ أكبرُ هُتِّكَتْ أَسْتَارُكُمْ   حَتى غَدَوْتُمْ ضُحْكَةَ الصِّبْيَانِ

□ فصــلٌ □

○ في إلزامِهمْ بالقولِ بأنَّ كلامَ الخلقِ حقُّهُ ○
وباطِلُهُ عينُ كلامِ اللهِ سبحانَهُ

أَوَ لَيْسَ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ بأنَّ أفْـ   ـعَالَ العِبَادِ خَلِيقَةُ الرَّحْمـٰنِ
مِنْ أَلفِ وَجْهٍ أوْ قَرِيبِ الأَلفِ يُحْـ   ـصِيهَا الذي يُعْنَى بِهَذَا الشَّانِ
فيكُونُ كلُّ كلامِ هَذَا الخَلْقِ عَيْـ   ـنَ كَلَامِهِ سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ
إذْ كَانَ مَنْسُوباً إلَيْهِ كَلَامُهُ   خَلْقاً كَبَيْتِ اللهِ ذِي الأَرْكَانِ
هَذَا ولَازِمُ قَولِكُمْ قَدْ قَالَهُ   ذُو الاتِّحَادِ مصَرِّحاً بِبَيَـانِ
حَذَرَ التناقُضِ إذْ تَنَاقَضْتُمْ وَلَـ   ـكِنْ طَرْدُهُ في غَايَةِ الكُفْرَانِ
فلَئِنْ زَعمْتُمْ أنَّ تَخْصِيصَ القُرَا   نِ كَبَيتِهِ وكِلَاهُمَا خَلْقَـانِ
فيقالُ ذا التخصِيصُ لا يَنْفِي العُمو   مَ كَـرَبِّ ذِي الأَكْــوَانِ
ويقالُ ربُّ العَرْشِ أيضاً هَكَذَا   تَـخْصِيصُهُ لإضَافَـةِ القـرآنِ

لَا يَمنَعُ التَّعْميمَ في البَاقِي وذَا في غايةِ الإِيضَاحِ والتِّبيَانِ

☐ فصــلٌ ☐

○ في التَّفريقِ بين الخلقِ والأمْرِ ○

وَلَقدْ أَتى الفُرقَانُ بَيْنَ الخَلْقِ والْـ أمرِ الصَّريحِ وذَاكَ في الفُرْقَانِ
وكِلَاهُمَا عِنْدَ المنَازِعِ واحِدٌ والكلُّ خَلْقٌ مَا هُنَا شَيْئَانِ
والعَطْفُ عندَهُمُ كعَطْفِ الفَرْدِ مِنْ نَوْعٍ عَلَيْهِ وذَاكَ فِي القُرْآنِ
فيقالُ هَذَا ذُو امتِنَاعٍ ظَاهِرٍ في آيةِ التَّفْرِيقِ ذُو تبيَانِ
فالله بعدَ الخَلْقِ أخبرَ أنهَا قدْ سُخِّرَتْ بالأمْرِ للجَرَيَانِ
وأبانَ عَنْ تَسْخِيرِهَا سُبْحَانهُ بالأمْرِ بَعْدَ الخَلْقِ بالتِّبيَـانِ
وَالأَمْرُ إِمَّا مَصْدَرٌ أَوْكَانَ مَفْـ ـعُولًا هُمَا فِي ذَاكَ مُستوِيانِ
مَأْمُورُهُ هُوَ قَابلٌ لِلأَمْرِ كَالْـ ـمَصْنُوعِ قَابِلُ صَنْعةِ الرَّحْمَنِ
فإذا انتَفَى الأمرُ انتفَى المأمُورُ كالـ ـمخلُوقِ يُنْفَى لانْتفَا الحِدْثَانِ
وانظُرْ إلى نَظْم السِّيَاقِ تَجدْ بِهِ سِرًّا عَجيباً واضِحَ البرْهَانِ
ذَكَرَ الخُصُوصَ وبعْدَهُ مُتقَدِّماً والوصْفَ والتعْمِيمَ في ذا الثَّاني
فَأَتَى بنوعَي خلقِهِ وبأمْرِهِ فعْلًا ووصْفاً موجزاً بِبيَـانِ
فتَدَّبرِ القُرآنَ إنْ رُمْتَ الهُدَى فالعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ القُـرآنِ

□ فصــلٌ □

○ في التَّفريقِ بينَ مَا يضافُ إلى الرَّبِّ تعالى ○ من الأوْصَافِ والأعْيانِ

واللهُ أخْبَرَ فِي الكِتَابِ بأنَّهُ مِنْهُ وَمجْرورٌ بـ مِنْ نَوْعَانِ
عَيْنٌ وَوَصْـفٌ قَـائِـمٌ بِالْعَيْنِ فَالْـ أعيَـانُ خَلْـقُ الخَـالِـقِ الـرَّحْمَـنِ
والوَصْفُ بالمجْرورِ قَامَ لأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ فِي عُرفِ كلِّ لِسَانِ
ونظِيرُ ذَا أيْضًا سَوَاءٌ مَا يضَا فُ إِلَيْهِ منْ صِفةٍ ومنْ أَعْيَانِ
فإضَافَةُ الأَوْصَافِ ثَابِتةٌ لِمنْ قَامَتْ بِهِ كإِرَادَةِ الرَّحْمٰنِ
وإضَافَةُ الأَعيَـانِ ثَابِتَـةُ لَـهُ مِلْكاً وخَلْقاً مَا هُمَا سِيَّانِ
فانْظُرْ إِلَى بَيتِ الإِلٰـهِ وعِلْمِهِ لمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يَفْتَرِقَـانِ
وكَلامُـهُ كحَيَاتِـهِ وكعِلمِــهِ فِي ذِي الإِضَافَةِ إِذْ هُمَا وَصْفَانِ
لَكِـنَّ نَاقَتَـهُ وَبيْتَ إِلهِنَــا فكعَبْدِهِ أيضاً هُمَـا ذَاتَـانِ
فانظُرْ إِلَى الجَهْمِيِّ لَمَّا فَاتَهُ الـ ـحَقُّ المبينُ وَوَاضِحُ البرْهَانِ
كَانَ الجَمِيعُ لدَيْه باباً واحِداً والصبحُ لاَحَ لمنْ له عَيْنَانِ

□ فصــلٌ □

وأَتَى ابنُ حزمٍ بَعْدَ ذَاكَ فقَالَ مَا لِلنَّـاسِ قُـرْآنٌ ولَا إِثْنَــانِ
بَلْ أَرْبَعٌ كلٌّ يُسَمَّى بالقُرَا نِ وذَاكَ قَوْلٌ بَيِّنُ البُطْلَانِ

هَـذَا الَّذِي يُتْلَـى وآخَـرُ ثَـابِـتٌ فِي الرَّسْمِ يُدْعَى المصْحَفَ العُثْمَانِي
والثَّالِثُ المحفُوظُ بَيْنَ صُدُورِنَا هَذِي الثَّلاثُ خَلِيقَةُ الرَّحْمَـٰنِ
والرابعُ المعْنَى القَدِيمُ كعِلْمِهِ كُـلٌّ يُعَبَّـرُ عَنْـهُ بالقُــرْآنِ
وأظنُّهُ قَدْ رَامَ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ عَنْـهُ عِبَـارَةَ نَاطِـقٍ بِبَيَــانِ
إنَّ المعَيَّنَ ذُو مَرَاتِبَ أَربعٍ عُقلت فَلَا تَخْفَى عَلَى إنسَانِ
فِي العَيْنِ ثمَّ الذِّهْنِ ثمَّ اللَّفْظِ ثُمَّ الرَّسْمِ حِينَ تَخُطُّه بِبَيَانِ
وَعَلَى الجَمِيعِ الإِسْمُ يُطْلَقُ لكِنِ الْـ أَوْلَى بِهِ الموجُودُ فِي الأَعْيَانِ
بِخِلَافِ قَوْلِ ابْنِ الخَطِيبِ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ إنَّ الوَضْعَ للأَذْهَانِ
فَالشَّيْءُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَربعٌ فدَهَى ابنَ حزْمٍ قلَّةُ الفُرْقَانِ
وَاللهُ أَخْبَـرَ أَنَّـهُ سُبْحانَــهُ مُتَكَلِّـمٌ بِالْوَحْـيِ وَالْفُرْقَــانِ
وكَذَاكَ أَخْبَرَنَا بأَنَّ كِتَابَـهُ بِصُدُورِ أَهْلِ العِلْمِ والإِيمَانِ
وكَذَاكَ أخبَرَ أنهُ المكْتُوبُ فِي صُحُفٍ مطَهَّرَةٍ مِنَ الرَّحْمَـٰنِ
وكَذَاكَ أَخْبَرَ أنهُ المتْلُوُّ والْـ ـمَقْرُوءُ عِنْدَ تِلَاوةِ الإِنْسَانِ
والكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَنَّهُ هُـوَ أَرْبَـعٌ وثَلَاثَـةٌ واثْنَــانِ
وَتِلَاوَةُ القُـرْآنِ أَفعَـالٌ لَنَـا وكَذَا الكِتَابَةُ فَهْيَ خَطُّ بَنَانِ
لَكِنَّمَا المتْلُوُّ والمكْتُوبُ والْـ ـمَحْفُوظُ قَوْلُ الواحِدِ الرَّحْمَـٰنِ
والعبْدُ يقرَؤُهُ بصَوْتٍ طَيِّبٍ وبِضِدِّهِ فَهُمَا لَـهُ صَوْتَــانِ
وَكَذَاكَ يَكْتُبُهُ بخَطٍّ جَيِّـدٍ وبِضِدِّهِ فهُمَـا لَـهُ خطَّــانِ

أصْوَاتُنَا ومِدَادُنا وَأَدَاؤنَـا والرَّقُّ ثُمَّ كِتَابَةُ القُـرْآنِ
ولقدْ أتَى فِي نَظْمِهِ مَنْ قالَ قَوْ لَ الحَقِّ والإنْصَافِ غَيْرَ جَبَانِ
إنَّ الَّذي هُوَ فِي المصَاحِفِ مُثْبَتٌ بأنَامِلِ الأَشْيَاخِ والشُّبَّـانِ
هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وحُرُوفُهُ ومِدَادُنَا والـرَّقُّ مَخْلُوقَـانِ
فَشَفَى وفَرَّقَ بَيْنَ مَتْلُوٍّ ومصْـ ـنُوعٍ وذَاكَ حَقِيقَةُ العِرْفَانِ
الكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ كَلامُهُ الْـ ـمَتْلُوُّ مَخْلُوقاً هُنَا شَيْئَـانِ
فَعَلَيْكَ بالتَّفْصِيلِ والتَّمييزِ فالْـ إطْلَاقُ والإجْمَالُ دُونَ بَيَانِ
قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الوُجودَ وَخَبَّطَا الْـ أَذْهَانَ والآراءَ كُلَّ زَمَـانِ
وَتلَاوَةُ القُرْآنِ فِي تَعْرِيفهَا باللامِ قَدْ يُعْنَى بِهَا شَيْئَانِ
يُعْنَى بِهِ المتْلُوُّ فَهْوَ كَلامُهُ هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَذِي الأَكْوَانِ
ويُرادُ أفعَالُ العِبَادِ كصَوْتِهِمْ وأَدَائِهِـمْ وكِلَاهُمَـا خَلْقَـانِ
هَذَا الَّذِي نَصَّتْ عَلَيهِ أئِمَّةُ الْـ إسْلَامِ أَهْلُ العِلْمِ والعِرْفَانِ
وَهْوَ الَّذِي قَصَدَ البُخَارِيُّ الرِّضَى لَكِنْ تَقَاصرَ قَاصِرُ الأَذْهَانِ
عَنْ فَهْمِهِ كتَقَاصُرِ الأَفْهَامِ عَنْ قَولِ الإمَامِ الأَعْظَمِ الشَّيْبَانِي
فِي اللَّفْظ لمَّا أنْ نَفَى الضِّدَّيْنِ عَنْـ ـهُ واهْتَـدَى للنَّفْـي ذُو عِـرْفَـانِ
فاللَّفْظُ يَصْلُحُ مَصْدَراً هُوَ فِعْلُنَا كَتَلَفُّـظٍ بِـتلَاوَةِ القُـرآنِ
وَكَذاكَ يَصْلُحُ نَفْسَ مَلْفُوظٍ بِهِ وَهْوَ القُرانُ فذَانِ مُحْتَمَلَانِ
فلِذَاكَ أنْكَرَ أحمَدُ الإطْلَاقَ فِي نَفْـيٍ وإثْبَـاتٍ بِلَا فُرْقَـانِ

□ فصل □

○ في كلامِ الفلاسفةِ والقَرامِطَةِ فِي ○ كلامِ الرَّبِّ جلَّ جلاله

وأتَى ابنُ سِينَا القُرْمُطِيُّ مُصَانِعًا للمُسْلِمِينَ بإِفْكِ ذِي بُهْتَانِ
فَرَآهُ فَيْضًا فاضَ مِنْ عَقْلٍ هُوَ الْـ ـفَعَّالُ عِلَّةُ هَذِهِ الأَكْوَانِ
حَتَّى تلَقَّاهُ زَكيٌّ فَاضِلٌ حَسَنُ التَّخَيُّلِ جَيِّدُ التِّبْيَانِ
فأتَى بِهِ للعَالَمِينَ خَطَابَةً ومَوَاعِظاً عَرِيَتْ عنِ البُرْهَانِ
مَا صَرَّحَتْ أَخْبَارُهُ بالحَقِّ بَلْ رَمَزَتْ إِلَيْهِ إِشَارَةً لِمَعَانِ
وخِطَابُ هَذَا الخَلْقِ والجُمْهُورِ بالْـ ـحَقِّ الصَّرِيحِ فَغَيْرُ ذِي إِمْكَانِ
لَا يَقبَلونَ حَقَائِقَ المَعْقُولِ إِلَّا فِي مِثَالِ الحِسِّ والأَعْيَانِ
وَمَشَاربُ العُقَلاءِ لَا يَرِدُونَهَا إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ لَهُمْ بأَوانِ
مِنْ جِنْسِ مَا أَلِفَتْ طِبَاعُهُمُ مِنَ الْـ ـمَحْسُوسِ في ذَا العَالَمِ الجُثْمَانِي
فأتَوْا بتَشْبِيهٍ وتَمْثِيلٍ وتَجْـ ـسِيمٍ وتخْيِيلٍ إِلَى الأَذْهَانِ
ولِذَاكَ يَحْرُمُ عِنْدَهُمْ تَأْوِيلُهُ لَكِنَّهُ حِلٌّ لِذِي العِرْفَانِ
فَإِذَا تَأَوَّلْنَاهُ كَانَ جِنَايَةً مِنَّا وَخَرْقَ سِيَاجِ ذَا البُسْتَانِ

* * *

لَكِنْ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ أَنْ قَدْ أَتَوْا بالكِذْبِ عِنْدَ مَصَالِحِ الإِنْسَانِ
والفَيْلَسُوفُ وَذَا الرَّسُولُ لَدَيْهِمُ مُتَفَاوِتَانِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ
أَمَّا الرَّسُولُ فَفَيْلَسُوفُ عَوَامِّهِمْ وَالفَيْلَسُوفُ نَبِيُّ ذِي البُرْهَانِ
والْحَقُّ عِنْدَهُمُ فَفِيمَا قَالَهُ أَتْبَاعُ صَاحِبِ مَنْطِقِ اليُونَانِ
وَمَضَى عَلَى هَذِي المَقَالَةِ أُمَّةٌ خَلْفَ ابْنِ سِينَا فَاغْتَذَوْا بِلِبَانِ
مِنْهُمْ نَصِيرُ الكُفْرِ فِي أَصْحَابِهِ النَّاصِرِينَ لِمِلَّةِ الشَّيْطَانِ
فَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خِبْرَةٍ تَلْقَاهُمُ أَعْدَاءَ كُلِّ مُوَحِّدٍ رَبَّانِي
واسْأَلْ بِهِمْ ذَا خِبْرَةٍ تَلْقَاهُمُ أَعْدَاءَ رُسْلِ اللهِ والقُرْآنِ
صُوفِيُّهُمْ عَبْدُ الوُجُودِ المطْلَقِ الـ ـمَعْدُومِ عِنْدَ العَقْلِ فِي الأَعْيَانِ
أَوْ مُلْحِدٌ بالإتِّحَادِ يَدِينُ لَا الـتَّـوحِيدِ مُنْسَلِخٌ مِنَ الأَدْيَانِ
مَعْبُودُهُ مَوْطوءُهُ فِيهِ يَرَى وَصْفَ الجَمَالِ وَمَظْهَرَ الإِحْسانِ
اللهُ أَكبَرُ كَمْ عَلَى ذَا المَذْهَبِ الْـ مَلْعُونِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ شَيخَانِ
يَبْغُونَ مِنْهُمْ دَعْوَةً ويقَبِّلُو نَ أَيَادِياً مِنْهُمْ رَجا الغُفْرَانِ
وَلَوَ انَّهُمْ عَرَفُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ رَجَمُوهُمُ لَا شَكَّ بالصَّوَّانِ
فَابْذُرْ لَهُمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي كَشْفَهُمْ وَافرِشْ لَهُمْ كَفًّا مِنَ الأَتْبَانِ
وَاظْهَرْ بِمَظْهَرِ قَابِلٍ مِنْهُمْ وَلَا تَظْهَرْ بِمَظْهَرِ صَاحِبِ النُّكْرانِ
وَانْظُرْ إِلَى أَنْهار كُفْرٍ فُجِّرَتْ وَتَهِمُّ لَوْلَا السَّيْفُ بالجَرَيَانِ

* * *

□ فصــلٌ □

○ في مقالاتِ طوائفِ الاتّحاديَّةِ في كلامِ ○ الرَّبِّ جلَّ جلالُهُ

وأتَتْ طَوَائِفُ الاتِّحَادِ بمِلَّةٍ طَمَّتْ عَلَى مَا قَالَ كُلُّ لِسَانِ
قَالُوا كَلَامُ اللهِ كُلُّ كَلَامِ هَـ ـذَا الْخَلْقِ مِنْ جِنٍّ وَمِنْ إِنْسَانِ
نَظْمًا وَنَثْرًا زُورَهُ وصَحِيحَهُ صِدْقًا وَكِذْبًا وَاضِحَ البُطْلَانِ
فالسَّبُّ والشَّتْمُ القَبِيحُ وقَذْفُهُمْ لِلمُحْصَنَاتِ وَكُلُّ نَوْعِ أَغَانِ
والنَّوْحُ والتَّعْزِيمُ والسِّحْرُ المبيـ ـنُ وَسَائِرُ البُهْتَانِ والهَذَيَانِ
هُوَ عَيْنُ قَوْلِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَلامُهُ حَـقًّا بِلَا نُكْـرَانِ
هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ أَصْلُهُمْ وعَلَيْهِ قَامَ مُكَسَّحُ البُنيَـانِ
إِذْ أَصْلُهُمْ أَنَّ الإِلٰـه حَقِيقَةً عَيْنُ الوُجُودِ وَعَيْنُ ذِي الأَكْوَانِ
فَكَلَامُهَا وَصِفَاتُهَا هُوَ قَوْلُـهُ وَصِفَاتُهُ مَا هَا هُنَا قَـوْلَانِ
وَكَـذَاكَ قَـالُوا إِنَّـهُ المَوْصُـوفُ بِالـضِّـدَّيْنِ مِـنْ قُبْـحٍ وَمِـن إِحْسَـانِ
وكَذَاكَ قَدْ وَصَفُوهُ أَيْضاً بالكَمَا لِ وَضِدِّهِ مِنْ سَائِرِ النقْصَانِ
هَذِي مَقَالَاتُ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا حُمِلَتْ إِلَيْكَ رَخِيصَةَ الأَثْمَانِ
وأَظُنُّ لَوْ فَتَّشْتَ كُتْبَ النَّاسِ مَا أَلْفَيْتَهَـا أَبَـداً بِـذَا التِّبْيَـانِ
زُفَّتْ إِلَيْكَ فإِنْ يَكُنْ لَكَ نَاظِرٌ أَبْصَرْتَ ذَاتَ الحُسْنِ والإِحْسَانِ

فَاعْطِف عَلَى الْجَهْمِيَّةِ المغْلِ الأُلَى ... خَرقُوا سِيَاجَ العَقْـل والقُـرْآنِ
شَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ واكْسِرْهُمُ ... بَلْ نَادِ فِي نَادِيهِمُ بأذَانِ
أَفسَدتُمُ المعْقُولَ والمنْقُولَ والْـ ... ـمَسْمُوعَ مِنْ لُغَةٍ بِكُلِّ لِسَانِ
أَيَصِحُّ وَصْفُ الشَّيءِ بالمشْتَقِّ وَالـ ... ـمَسْلُوب مَعْنَاهُ لِذِي الأَذْهَانِ
أَيَصِحُّ صَبَّارٌ وَلَا صَبْرٌ لَهُ ... ويَصِحُّ شَكَّارٌ بِلَا شُكْرَانِ
ويصِحُّ عَلَّامٌ وَلَا عِلْمٌ لَهُ ... وَيَصِحُّ غَفَّارٌ بِلَا غُفْـرَانِ
وَيقَالُ هَذَا سَامِعٌ أَوْ مُبْصرٌ ... وَالسَّمْعُ والإِبْصَارُ مَفْقُـودَانِ
هَذَا مُحَالٌ فِي العُقُولِ وَفِي النُّقُو ... لِ وَفِي اللُّغَاتِ وَغَيْرُ ذِي إِمْكَانِ
فَلَئِنْ زَعَمْتُـمْ أَنَّـهُ مُتَكَلِّـمٌ ... لَكِنْ بِقَوْلٍ قَـامَ بـالإِنْسَانِ
أَوْ غَيْرِهِ فَيُقَالُ هَذَا بَاطِلٌ ... وَعَلَيْكُمُ فِي ذَاكَ مَحْذُورَانِ
نَفْيُ اشْتِقَاقِ اللَّفْظِ للمَوْجُودِ مَعْـ ... ـنَـاهُ بِـهِ وَثُبُوتُـهُ للثَّانِـي
أَعْنِي الَّذِي مَا قَامَ مَعْنَاهُ بِهِ ... قَلْبُ الحَقَائِقِ أَقْبَحُ البُهْتَانِ
ونَظِيرُ ذَا أَخَوَانِ هَذَا مُبْصرٌ ... وأَخُوهُ مَعْدُودٌ مِنَ العُمْيَانِ
سَمَّيْتُمُ الأَعْمَى بَصِيرًا إِذْ أَخُو ... هُ مُبْصرٌ وبِعَكْسِهِ فِي الثَّانِي
فَلَئِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ ... فِي فِعْلِهِ كالخَلْقِ للأَكْوَانِ
والفِعْلُ لَيْسَ بقَائِمٍ بإِلَهِنَا ... إِذْ لَا يَكُونُ مَحَلَّ ذِي حِدْثَانِ
وَيَصِحُّ أَنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ خَالِقٌ ... فَكَذَلِكَ المتَكَلِّـمُ الوَحْدَانِـي

* * *

هُوَ فاعِلٌ لِكَلَامِهِ وَكِتَابِـهِ لَيْسَ الكَلَامُ لَهُ بِوَصْفِ مَعَانِي
وَمُخَالِفُ المعْقُولِ والمَنْقُولِ والْـ ـفِطْرَاتِ والمسْمُوعِ للإِنْسَانِ
مَنْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ وَصْفٌ قَدِيمٌ أَحْرُفٌ وَمَعَانِي
والسِّينُ عِنْدَ البَاءِ لَيسَتْ بَعْدَهَا لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرِنَـانِ
أَوْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ مَعْنًى قَدِيمٌ قَامَ بالرَّحْمَـٰنِ
مَا أَنْ لَهُ كُلٌّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا الـ ـعَرَبِي حَقِيقَتُهُ وَلَا العِبْرَانِي
والأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ واسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ أَخْبَارٍ بِلَا فُرْقَانِ
وكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَاكَ مَقْـ ـدُورٌ لَهُ بَلْ لَازِمُ الرحْمنِ
هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ المعْقُولَ والْـ ـمَنْقُولَ والفِطْرَاتِ لـلإِنْسانِ
أَمَّا الَّذِي قَدْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ ذُو أَحْرُفٍ قَدْ رُتِّبَتْ بِبَيَانِ
وَكَلَامُـــهُ بِمَشِيئَـــةٍ وإِرَادَةٍ كالفِعْلِ مِنْهُ كِلَاهُمَا سِيَّانِ
فَهُوَ الَّذِي قَدْ قَالَ قَوْلًا يَعْلَمُ الْـ ـعُقَلَاءُ صِحَّتَهُ بِلَا نُكْـرانَ
فلأَيِّ شَيءٍ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمُ أَوْلَى وَأَقْرَبَ مِنْهُ للبُرْهَـانِ
ولأَيِّ شَيءٍ دَائِمًا كَفَّرْتُـمُ أَصْحَابَ هَذَا القَوْلِ بالعُدْوانِ
فَدَعُوا الدَّعَاوَى وابْحَثُوا مَعْنًى بِتَحْـ ـقِيقٍ وإِنْصَافٍ بِلَا عُـدْوَانِ
وَارْفُوا مَذَاهِبَكُمْ وسُدُّوا خَرْقَهَا إِنْ كَانَ ذَاكَ الرَّفْوُ فِي الإِمْكَانِ
فَاحْكُمْ هَدَاكَ اللهُ بَيْنَهُمُ فَقَدْ أَدْلَوْا إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ وَبَيَـانِ
لَا تَنْصُرَنَّ سِوَى الحَدِيثِ وَأَهْلِهِ هُمْ عَسْكَرُ الإِيمَانِ والقُرْآنِ

وتَحَيَّزَنَّ إِليهِمُ لَا غَيْرِهُـــمْ لِتَكُونَ منصُورًا لَدَى الرحْمَنِ
فَتقُولُ هَذَا القَدْرُ قَدْ أعْيَا عَلَى أَهْلِ الكَلَامِ وَقَادَةُ أصْلَانِ
إِحدَاهُمَا هَلْ فِعْلهُ مفعُولُـهُ أَوْ غَيْرُهُ فَهُمَا لَهُمْ قَوْلَانِ
والقَائِلُونَ بأنَّـهُ هُـوَ عَيْنُـهُ فَرُّوا مِنَ الأوصَافِ بالحِدْثَانِ
لَكِنْ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ وَصَرِيحُهُ تَعْطِيلُ خَالِقِ هَذِهِ الأكْوَانِ
عَنْ فِعْلِهِ إِذْ فِعْلُهُ مَفْعُولُهُ لَكِنَّـهُ مَـا قَـامَ بالرحْمَـــنِ
فَعَلَى الحَقِيقَةِ مَا لَهُ فِعْلٌ إِذِ الْـ ـمَفْعُولُ مُنْفَصِلٌ عَنِ الديَّانِ
والقَائِلُـونَ بأنَّـهُ غَيْـرٌ لَـــهُ مُتَنَازِعُـونَ وَهُـمْ فَطَائِفَتَـــانِ
إِحْداهُمَا قَالَتْ قَديمٌ قَائِـمٌ بالذَّاتِ وَهْوَ كَقُدرةِ المَنَّانِ
سَمَّوْهُ تَكْوِينًا قَديمًا قَالَـهُ أَتْبَاعُ شَيْخِ العَالِمِ النُّعْمَانِي
وَخُصُومُهُـمْ لَمْ يُنْصِفُوا فِي رَدِّهِ بَلْ كَابَرُوهُمْ مَا أَتَوْا بِبيَانِ
والآخَرُونَ رأَوْهُ أَمْرًا حَادِثًا بالذَّاتِ قَامَ وأَنَّهُمْ نَوْعَـانِ
إِحْدَاهُمَا جَعَلَتْهُ مُفْتَتَحًا بِهِ حَذَرَ التسَلْسُلِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ
هَذَا الَّـذِي قَالَتْـهُ كَرَّامِيَّـةٌ فَفِعَالُـهُ وكَلَامُـــهُ سِيَّـــانِ
والآخَرُونَ أُولُو الحَدِيثِ كأَحْمَدٍ ذَاكَ ابنُ حَنْبلِ الرِّضَا الشَّيْبَانِي
قَدْ قَالَ إِنَّ اللهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّماً إِنْ شَاءَ ذُو إِحسَانِ
جَعَلَ الكَلَامَ صِفَاتِ فِعْلٍ قَائِمٍ بالذَّاتِ لَمْ يُفْقَدْ مِنَ الرَّحْمٰنِ
وَكَذَاكَ نَصَّ عَلَى دَوَامِ الفِعْلِ بِالْـ إِحْسَانِ أَيْضاً فِي مَكَانٍ ثَانِ

وَكذَا ابْنُ عَبَّاسٍ فَراجعْ قَوْلَهُ   لمَّا أجَابَ مَسَائِلَ القُـرْآنِ
وكذَاكَ جَعْفَرُ الإِمَامُ الصَّادِقُ الْـ   ـمَقْبُولُ عِنْد الخَلْق ذُو العِرْفَانِ
قَدْ قَالَ لَمْ يَزِل المُهَيْمِنُ مُحْسِنًا   بَرًّا جَوَاداً عِنْدَ كُـلِّ أَوانِ
وكَذَا الإِمَامُ الدَّارِمِيُّ فإنَّـهُ   قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الحَيْرانِ
قَالَ الحَيَاةُ مَعَ الفِعَالِ كِلاهُمَا   مُتَلازِمَـانِ فَلَـيْسَ يَفْتَرِقَـانِ
صَدَقَ الإِمَامُ فَكُلُّ حَيٍّ فَهوَ فَـعّـالٌ وَذَا فِي غَـايَـةِ التِّبْيَـانِ
إلَّا إذَا مَا كَانَ ثَمَّ مَوانِعٌ   مِنْ آفةٍ أو قَاسِرِ الحَيَـوَانِ
والرَّبُّ لَيْسَ لِفعْلِهِ مِنْ مَانعٍ   مَا شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ الدَّيَّانِ
وَمَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ لَازِمَـةٌ لَـهُ   وَكَذَاكَ قُدْرَةُ رَبِّنَا الرحْمَـنِ
هَذَا وَقَدْ فَطَرَ الإِلهُ عِبَـادَهُ   إنَّ المهَيْمِـنَ دَائِـمُ الإحْسَانِ
أَوَ لَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوَحِّدٍ   يَا دَائِمَ المعْرُوفِ والسُّلْطَـانِ
وَقَدِيمَ الاحْسَانِ الكثِيرِ وَدَائِمَ الْـ   جُودِ العَظِيمِ وصَاحِبَ الغُفْرانِ
مِنْ غَيْر إنْكَار عَلَيْهِمْ فطْرَةً   فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا تَواصِيَ ثَانِ
أَوَ لَيْسَ فِعْلُ الرَّبِّ تَابعَ وَصْفِهِ   وَكَمَالِـهِ أَفَـذَاكَ ذُو حِدْثَـانِ
وَكَمَالُهُ سَبَبُ الفِعَالِ وَخَلْقُهُ   أَفْعَالَهُمْ سَبَبُ الكَمَالِ الثَّانِي
أَوَ مَا فِعَالُ الرَّبِّ عَيْنُ كَمَالِهِ   أَفَـذَاكَ مُمْتَنِعٌ عَلَـى المَنَّـانِ
أَزَلًا إلَى أَنْ صَارَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ   مُتَمَكِّناً والفِعْـلُ ذُو إمْكَـانِ
تَاللهِ قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ القَوْمِ إذْ   قَالُوا بِهَذَا القَوْلِ ذِي البُطْلَانِ

مَاذَا الَّذِي أَضْحَى لَهُ مُتَجَدِّدًا ... حَتَّى تمكَّنَ فانْطِقُوا بِبَيَانِ
والرَّبُّ لَيْسَ مُعَطِّلا عَنْ فِعْلِهِ ... بَلْ كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
والأَمْرُ والتَّكْوِينُ وَصْفُ كَمَالِهِ ... قِدْمًا فَذَا وَوُجُودُه سِيَّانِ
وتَخَلُّفُ التَّأْثِيرِ بَعْدَ تَمَام مُو ... جبِهِ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
وَاللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ ... وَمشِيئَةٍ وَيَلِيهِمَا وَصْفَانِ
العِلْمُ مَعْ وَصْفِ الحَيَاةِ وَهَذِهِ ... أَوْصَافُ ذَاتِ الخَالِقِ المَنَّانِ
وَبِهَا تَمَامُ الفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا ... فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَاضِحِ البُرْهَانِ
فَلأَيِّ شَيءٍ قَدْ تَأَخَّر فِعْلُهُ ... مَع مُوجِبٍ قَدْ تَمَّ بالأَرْكَانِ
مَا كَانَ مُمْتَنِعًا عَلَيه الفِعْلُ بَلْ ... مَا زَالَ فِعْلُ اللهِ ذَا إِمْكَانِ
واللهُ عَابَ المشْرِكِينَ بأَنَّهُمْ ... عَبَدُوا الحِجَارَةَ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ
وَنَعَى عَلَيْهِمْ كَوْنَهَا لَيستْ بِخَا ... لِقَةٍ وَلَيْسَتْ ذَاتَ نُطْقِ بَيَانِ
فأَبَانَ أَنَّ العقْلَ والتَّكْلِيمَ مِنْ ... أَوْثَانِهِم لَا شَكَّ مفقُودَانِ
وإِذَا هُمَا فُقِدَا فَمَا مَسْلُوبُهَا ... بإِلٰهِ حَقٍّ وَهوَ ذُو بُطْلَانِ
واللهُ فَهْوَ إِلهُ حَقٍّ دَائِمًا ... أَفَعَنْهُ ذَا الوَصْفَانِ مَسْلُوبَانِ
أَزلًا وَلَيْسَ لفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ ... هَذَا المُحَالُ وأعظَمُ البُطْلانِ
إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَرشِ حَقًّا لَمْ يَزَلْ ... أَبداً إِلـهَ الحقِّ ذَا سُلْطَانِ
فكذاكَ أَيْضاً لَمْ يَزلْ متكلِّماً ... بَلْ فَاعِلًا مَا شَاءَ ذَا إِحْسَانِ
واللهِ مَا فِي العَقْلِ مَا يَقْضِي لِذَا ... بالرَّدِّ والإِبْطَالِ والنُّكْرَانِ
بَلْ لَيْسَ فِي المعْقُولِ غَيْرُ ثُبُوتِهِ ... للخَالِقِ الأَزَلِيِّ ذِي الإِحْسَانِ

هَذَا وَمَا دُونَ المهَيْمنِ حَادِثٌ ... لَيْسَ القَدِيمُ سِوَاهُ في الأَكْوَانِ
واللهُ سَابِقُ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ ... مَا رَبُّنَا والخَلْقُ مقْتَرِنَانِ
واللهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ ... سُبْحَانَهُ جَلَّ العظِيمُ الشَّانِ
لَسْنَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ المُلْحِدُ الـ ... ـزِّنديقُ صَاحِبُ مَنْطِقِ اليُونَانِ
بِدَوامِ هَذَا العَالَمِ المشْهُودِ والـْ ... أَرْوَاحِ فِي أزلٍ وَلَيْسَ بفَانِ
هَذِي مَقَالَاتُ المَلاحِدَةِ الأُلى ... كَفَرُوا بخَالِقِ هَذِهِ الأَكْوَانِ
وَأَتَى ابنُ سِينَا بَعْدَ ذَاكَ مُصانعاً ... للمسْلِمِينَ فقَالَ بالإِمْكَانِ
لكنَّهُ الأَزَلِيُّ لَيْسَ بمُحْدَثٍ ... مَا كَانَ معْدُوماً ولَا هُوَ فَانِي
وأَتَى بِصُلْحٍ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ بَيْـ ... ـنَهُمَا الحُرُوبُ ومَا هُمَا سِلْمَان
أَنَّى يكُونُ المسْلِمُونَ وَشَيعَةُ الْـ ... ـيُونَانِ صُلْحًا قَطُّ فِي الإِيمَانِ
والسَّيْفُ بَيْنَ الأَنْبِياءِ وبَيْنَهُمْ ... والحَرْبُ بَيْنَهُمُ فحَرْبُ عَوَانِ
وكَذَا أَتَى الطُّوسِيّ بالحَرْبِ الصَّرِيـ ... ـحِ بصَارِمٍ مِنهُ وسَلِّ لِسَانِ
وأَتَى إلى الإِسْلَام يهْدِمُ أصْلَهُ ... مِنْ أُسِّهِ وقواعِدِ البُنْيَانِ
عَمَرَ المَدارِسَ للفَلَاسِفَةِ الأُلَى ... كَفَرُوا بِدِينِ اللهِ والقُرآنِ
وأَتَى إلى أَوْقَافِ أهْلِ الدِّينِ ينْـ ... ـقُلُهَا إليْهم فِعْلَ ذِي أضغانِ
وأَرَادَ تَحْوِيلَ الإِشَارَات التي ... هِيَ لابْنِ سِينَا مَوْضِعَ الفُرْقَانِ
وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الشَّرِيعَةِ بالنَّوَا ... مِيسِ التِي كانتْ لِذِي اليُونَانِ
لَكِنَّه عَلِمَ اللَّعِينُ بأنَّ هـَ ... ـذَا لَيْسَ فِي المقْدُورِ والإِمْكَانِ
إِلَّا إذَا قَتَلَ الخَلِيفَةَ والقُضَا ... ةَ وسَائِرَ الفُقَهَاءِ فِي البُلْدَانِ

فَسَعَى لِذَاكَ وَسَاعَدَ المقْدُورُ بالأمْرِ الَّذِي هُوَ حِكْمَةُ الرحْمٰنِ
فأشَارَ أنْ يَضَعَ التَّتَارُ سُيُوفَهُمْ فِي عَسْكَرِ الإيمَانِ والقُرْآنِ
لَكِنَّهُمْ يُبْقُونَ أَهْلَ مَصَانِعِ الـدُّنْيَا لأجْلِ مَصَالِحِ الأَبْدَانِ
فغَدَا عَلَى سَيْفِ التَّتَارِ الألْفُ فِي مِثْلٍ لَهَا مَضْرُوبَةً بِـوِزَانِ
وَكَذَا ثَمَانِ مِئِينِهَا فِي أَلْفِهَا مَضْرُوبَةً بالعَـدِّ والحُسْبَـانِ
حَتَّى بَكَى الإسْلامَ أعدَاهُ اليَهُو دُ كَذَا المجوسُ وَعَابِدُ الصُّلْبَانِ
فشَفَى اللَّعينُ النَّفسَ مِنْ حِزْبِ الرَّسُو لِ وَعَسْكَرِ الإيمَانِ والقُرْآنِ
وَبِوُدِّهِ لَوْ كَانَ فِي أُحُدٍ وَقَدْ شَهِدَ الوَقيعَةَ مَعْ أَبِي سُفْيَانِ
لأقَرَّ أعْيُنَهُمْ وأوْفَى نَـذْرَهُ أَوْ أَنْ يُرَى مُتمزِّقَ اللَّحْمَانِ
وَشَوَاهِدُ الأَحْدَاثِ ظَاهِرَةٌ عَلَى ذَا العَالَمِ المخْلُوقِ بالبُرْهَانِ
وأدِلَّةُ التَّوحِيدِ تَشْهَدُ كُلُّهَا بحُدُوثِ كُلِّ مَا سِوَى الرحْمَنِ
لَوْ كَانَ غيرُ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ مَعَهُ قَدِيماً كَانَ ربًّا ثَـانِ
إذْ كَانَ عَنْ رَبِّ العُلَا مُسْتَغْنياً فيكـونَ حِينَئِذٍ لَنَـا ربَّـانِ
والـرَّبُّ باسْتِقْلالِهِ متوحِّـدٌ أفممْكِنٌ أنْ يَستَقلَّ اثنَـانِ
لَوْ كَانَ ذَاكَ تَنَافَيا وتَسَاقَطا فإذَا هُمَا عَدَمَانِ مُمْتَنِعَـانِ
والقَهْرُ والتَّوحِيدُ يشْهَدُ مِنْهُمَا كُلٌّ لِصَاحِبِه هُمَا عِـدْلَانِ
ولِذَلِكَ اقْتَرنَا جَمِيعاً فِي صِفَا تِ اللهِ فانْظُرْ ذَاكَ فِي القُرْآنِ
فَالوَاحِدُ القَهَّارُ حَقًّا لَيْسَ فِي الْـ إمْكَانِ أنْ تَحْظَى بِهِ ذَاتَانِ

□ فصــل □

○ في اعتراضِهِمْ على القولِ بدوامِ فاعليّةِ الرَّبِّ ○ تعالى وكلامِهِ والانفصالِ عنْهُ

فَلَئِنْ زَعَمْتُمْ أنَّ ذَاكَ تَسَلْسُلٌ قُلْنا صَدقْتُمْ وَهْو ذو إمْكَانِ
كتسلْسلِ التَّأثيرِ في مستَقْبِلٍ هَلْ بينَ ذلكَ قطُّ مِنْ فُرْقَانِ
واللهِ مَا افترَقَا لِذِي عَقْلٍ وَلا نَقْلٍ وَلَا نَظَرٍ وَلَا بُرْهَانِ
في سَلْبِ إمكَانٍ وَلَا فِي ضِدِّه هَذِي العُقُولُ ونَحْنُ ذُو أذهانِ
فلْيَأتِ بالفُرْقَانِ مَنْ هُوَ فَارِقٌ فَرْقاً يَبِينُ لِصَالحِ الأذْهَانِ
وَكَذاكَ سَوَّى الجَهْمُ بَيْنَهُما كَذَا الْـ ـعَلَّافُ فِي الإنكَارِ والبُطْلانِ
وَلأَجْلِ ذَا حَكَمَا بحُكْمٍ باطِلٍ قَطْعاً عَلَى الجَنَّاتِ والنِّيرَانِ
فالجَهْمُ أفْنَى الذَّاتَ والعَلَّافُ للـ ـحرَكَاتِ أفنَى قَالَهُ الثَّوْرَانِ
وَأَبـو عَلِـيٍّ وابْنُـهُ والأشْعَـرِيُّ وبعْـدَهُ ابـنُ الطَّيـبِ الرَّبَّـانِـي
وَجَمِيعُ أرْبَابِ الكلامِ الباطِلِ الْـ ـمذمُومِ عندَ أئمَةِ الإيمانِ
فَرَقُوا وقَالُوا ذَاكَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ حَقٌّ وفِي أزلٍ بلَا إمْكَانِ
قَالُوا لأجْلِ تَنَاقُضِ الأزَلِيِّ والْـ أحْدَاثِ مَا هَذَانِ يَجْتَمعَانِ
لَكِنْ دَاومُ الفعلِ في مستَقْبِلٍ مَا فِيهِ مَحْذُورٌ مِن النُّكْرانِ
فَانْظُرْ إلَى التلْبيسِ فِي ذَا الفَرْقِ تَرْ وِيجًا عَلَى العُورَانِ والعُمْيانِ

مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بأنَّ الفَرْدَ ذُو أزلٍ لذِي ذِهنٍ ولا أعيَانِ
بَلْ كلُّ فردٍ فهو مسبُوقٌ بفر دٍ قبلَهُ أبداً بِلَا حُسبَانِ
وَنظِيرُ هذَا كلُّ فردٍ فهْوَ ملـ ـحوقٌ بفردٍ بعدَهُ حُكْمانِ
النَّوعُ والآحادُ مسبوقٌ وملـ ـحوقٌ وكلٌّ فهو منْهَا فَانِ
والنَّوْعُ لَا يَفْنَى أخيرًا فهوَ لَا يفنَى كذلِكَ أولًا ببيَانِ
وتعاقُبُ الآناتِ أمرٌ ثابتٌ فِي الذهنِ وهْوَ كذاكَ في الأعيَانِ
فإذَا أبيْتُمْ ذَا وقلْتُم أولُ الْـ آناتِ مُفْتَتحٌ بِلَا نُكْرَانِ
مَا كَانَ ذَاكَ الآنَ مسْبوقاً يُرَى إلَّا بسلْبِ وجُودِهِ الحقَّانِي
فيقالُ ما تعنُونَ بالآناتِ هَلْ تعنُونَ مدَّةَ هذِهِ الأزمَانِ
مِنْ حِينِ إحداثِ السَّمواتِ العُلَا والأرضِ والأفلَاكِ والقمَرَانِ
ونظُنُّكُمْ تعنُونَ ذاكَ ولم يكُنْ من قبلِهَا شيءٌ مِنَ الأكوانِ
هلْ جاءكم في ذاكَ من أثرٍ ومنْ نصٍّ ومن نظر ومن برْهَانِ
هذا الكتَابُ وهذه الآثارُ والـ ـمعقولُ في الفطْراتِ والأذْهَانِ
إنَّا نحَاكِمُكُمْ إلى ما شِئتمُو مِنهَا فكلُّ الحقِّ في تِبْيَانِ
أَوَ ليسَ خَلْقُ الكَون في الأيَّامِ كَا نَ وذاكَ مأْخُوذٌ منَ القُرْآنِ
أَوَ ليْسَ ذَلكُمُ الزَّمَانُ بمدةٍ لحدُوثِ شَيءٍ وهْوَ عَينُ زَمَانِ
فحقِيقَةُ الأزمَانِ نسْبَةُ حادِثٍ لسِوَاه تلكَ حقيقَةُ الأزْمانِ
واذكر حديثَ السَّبقِ للتقديرِ والتَّـوقيتِ قبلَ جميعِ ذِي الأعيَانِ

خَمْسينَ أَلفًا منْ سِنينٍ عدَّهَا الْـ ـمخْتَارُ سابقَةً لذِي الأَكْوانِ
هذَا وعرشُ الربِّ فوقَ الماءِ مِنْ قَبلِ السِّنِينَ بمدةٍ وزمَانِ
والنَّاسُ مختَلفُونَ في القَلَمِ الَّذِي كُتِبَ القَضَاءُ بِهِ من الدَّيَّانِ
هَلْ كَانَ قبلَ العرشِ أو هو بعدَهُ قولَانِ عندَ أَبِي العَلَا الهمدَانِي
والحقُّ أنَّ العرشَ قبلُ لأَنَّهُ قَبْلَ الكتابةِ كانَ ذَا أركَانِ
وكتَابةُ القلمِ الشريفِ تعقّبتْ إيجادهُ من غيرِ فصْلِ زَمانِ
لَمَّا بَراه اللهُ قالَ اكتبْ كَذَا فغدَا بأمرِ اللهِ ذَا جرَيانِ
فجَرَى بما هُو كائنٌ أبداً إلَى يومِ المعَادِ بقدْرةِ الرَّحْمٰنِ
أفكانَ ربُّ العرشِ جَلَّ جلالُهُ من قبْلُ ذَا عجزٍ وذَا نقْصَانِ
أمْ لمْ يزَلْ ذا قُدرةٍ والفعلُ مَقْـ ـدورٌ له أبدًا وذو إمكَانِ
فَلئِنْ سَأَلْتَ وقُلتَ ما هَذَا الَّذِي أدَّاهُـمُ لخلافِ ذَا التبيَانِ
ولأيِّ شَيءٍ لمْ يقولُوا إنَّهُ سبْحانَهُ هو دائِمُ الإحسَانِ
فاعلمْ بأنَّ القوْمَ لمَّا أسَّسُوا أصلَ الكلامِ عَمُوا عَن القُرآنِ
وعَنِ الحديثِ ومقتضَى المعقولِ بل عن فطرَةِ الرَّحْمٰنِ والبُرْهَانِ
وبنَوْا قواعدَهمْ عليهِ فقادَهُمْ قسْراً إلى التعْطِيلِ والبُطْلَانِ
نَفْيُ القيامِ لكلِّ أمرٍ حادثٍ بالربِّ خوفَ تسلسلِ الأعْيانِ
فيسُدُّ ذاكَ عليهمُ في زَعمِهِمْ إثبَاتَ صَانِعِ هذِه الأَكْوانِ
إذ أثبتُوه بكَوْنِ ذِي الأجسَادِ حا دثةً فلَا تنفَكُّ عَنْ حِدْثانِ

فإذا تسلْسَلتِ الحَوادِثُ لَمْ يكنْ لحدوثِهَا إذ ذَاكَ منْ بُرْهَانِ
فلأجْلِ ذَا قَالُوا التسلسُلُ باطِلٌ والجسمُ لَا يَخْلُو عنْ الحِدْثَانِ
فيصحُّ حينئذٍ حدوثُ الجسمِ منْ هَذَا الدليلِ بواضحِ البُرْهَانِ
هَذِي نهايَاتٌ لإِقْدَام الوَرَى فِي ذَا المقَامِ الضَّيِّقِ الأعْطَانِ
فَمَنِ الَّذِي يأتِي بِفتحٍ بيِّنٍ يُنْجِي الوَرَى مِنْ غمرَةِ الحَيْرَانِ
فالله يَجْزِيهِ الَّذِي هُو أهْلُهُ من جنَّة المأوَى مع الرِّضْوَانِ

□ فصـلٌ □

فاسْمَعْ إذًا وافْهَمْ فذَاكَ معَطِّلٌ وَمُشَبِّهٌ وهداكَ ذُو الغفْرانِ
هذا الدليلُ هو الذِي أردَاهُمُ بلْ هدَّ كلَّ قواعِدِ القرْآنِ
وَهْوَ الدلِيلُ الباطلُ المردودُ عِنْـ ـدَ أئمَّـةِ التَّحْقِـيقِ والعِـرْفَـانِ
مَا زالَ أمرُ النَّاسِ معتدِلًا إلى أنْ دَارَ في الأوْرَاقِ والأذْهَانِ
وتمكَّنَتْ أجـزَاؤُهُ بقُلُوبهــمْ فأتـتْ لوازِمُه إلى الإيمَـانِ
رُفعَتْ قواعِدُه وَتَحتَ أسَاسِهِ فهوَى البنَاءُ وخرَّ للأرْكَانِ
وَجنَوا عَلَى الإسْلَامِ كلَّ جِنَايةٍ إذْ سَلَّطُوا الأعْدَاءَ بالعُدْوانِ
حَمَلُوا بأسْلِحَةِ المحَالِ فَخَانَهُمْ ذَاكَ السِّلاحُ فما اشْتَفَوْا بطِعَانِ
وأتَى العَدُوُّ إلى سِلَاحِهِمُ فقَا تَلَهُمْ بِه فِي غَيْبَةِ الفُرْسَانِ
يَا محْنَةَ الإسْلَام والقرْآنِ منْ جَهْلِ الصَّدِيقِ وبَغْيِ ذِي طُغْيَانِ

واللهِ لَولَا اللهُ ناصِرُ دينِهِ وكتابِـهِ بـالحقِّ والبُرْهَـانِ
لتخطَّفَتْ أعداؤنَـا أرواحَنَـا ولقُطِّعَتْ منَّا عُرَى الإيمَانِ
أيكونُ حقًّا ذا الدليلُ وما اهتدَى خيرُ القرونِ لهُ محالٌ ذانِ
وُفِّقْتُمُو للحَقِّ إذ حُرِمُوهُ فِي أصْلِ اليقينِ ومقْعَدِ العرْفَانِ
وَهَديتُمُونَا للَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا أَبـداً بـهِ وَاشِدَّةَ الحِرْمَـانِ
ودخلتُمُ للحقِّ من بابٍ وما دَخلوه واعجَباً لِذَا الخُذلَانِ
وسلكْتُمُ طرقَ الهُدى والعلمِ دُو نَ القومِ واعجَباً لِذَا البُهْتَانِ
وعرفتُمُ الرَّحْمَنَ بالأجْسَامِ والْـ أَعْراضِ والحَركاتِ والألْوانِ
وَهُمُ فَمَا عَرَفُوهُ منْهَا بَلْ منَ الْـ آياتِ وهَي فغيْرُ ذِي بُرْهَانِ
اللهُ أكبرُ أنتُمُ أو هُمْ عَلَى حقٍّ وفِي غيٍّ وفي خُسْرانِ
دَعْ ذَا أَلَيْسَ اللهُ قد أبدَى لَنَا حقَّ الأدِلَّة وهْي في القُرْآنِ
متنوِّعاتٌ صُرِّفتْ وتظَاهَرتْ في كلِّ وجْهٍ فهْيَ ذُو أفنَانِ
مَعْلومَةٌ للعَقلِ أو مشْهودَةٌ لِلحسِّ أوَ فِي فطْرَة الرَّحْمنِ
أَسَمِعْتُمُ لِدَلِيلكُمْ فِي بَعْضِهَا خَبَراً أوَ احْسَسْتُمْ له بِبيَانِ
أيكونُ أصْلُ الدينِ ما تمَّ الهدَى إلَّا بِهِ وبهِ قُوَى الإيمَـانِ
وسِوَاهُ ليسَ بموجبٍ من لمْ يُحَطْ عِلْمًا بِهِ لمْ ينجُ من كفْرانِ
واللهُ ثمَّ رسُولُهُ قدْ بيَّنَـا طرقَ الهُدَى في غايةِ التِّبْيَانِ
فلأيِّ شيءٍ أعرَضَا عَنْهُ ولمْ نَسمَعْه في أثرٍ ولا قُرْآنِ

لَكنْ أتَانَا بَعْدَ خيْرِ قُرونِنَا بظهورِ أحْدَاثٍ منْ الشَّيْطَانِ
وعَلَى لِسَانِ الجَهْمِ جَاءُوا حِزْبُهُ منْ كلِّ صَاحِبِ بدْعَةٍ حَيْرَانِ
وَلِذلِكَ اشْتَدَّ النَّكيرُ عَلَيْهِمُ منْ سَائِرِ العُلمَاءِ فِي البُلْدَانِ
صَاحُوا بِهِمْ منْ كلِّ قطرٍ بَلْ رَمَوْا فِي إثْرِهِمْ بثواقِبِ الشُّهْبَانِ
عَرَفُوا الَّذِي يُفْضِي إلَيْهِ قَوْلُهُمْ ودليلُهــمْ بحقيقَــةِ العِرْفَــانِ
وأخُو الجهَالَةِ فِي خَفَارَةِ جَهْلِهِ والجهْلُ قَدْ يُنْجِي منَ الكُفْرَانِ

□ فصــلٌ □

○ في الرد على الجَهْمِيَّةِ المعطِّلةِ القائلينَ بأنَّه ليسَ على العرشِ إلهٌ يُعبدُ ولا فوقَ السمٰوات إلهٌ يصلى لهُ ويسجدُ وبيان فسادِ قولهمْ عقلًا ونقلًا ولغةً وفطرةً ○

واللهُ كَانَ وَلَيْسَ شيءٌ غَيْرَهُ وبَرى البريَّةَ وهْيَ ذُو حِدْثَانِ
فسَلِ المعطِّلَ هلْ براهَا خارجًا عنْ ذاتِهِ أم فِيهِ حلَّت ذَانِ
لابدَّ من إحدَاهُمَا أو أنَّهَــا هي عَيْنُهُ ما ثَمَّ موجُودَانِ
مَا ثَمَّ مَخْلُوقٌ وَخَالِقُهُ وَمَا شَيء مُغَايِرُ هَذهِ الأَعْيَــانِ
لَأبُدَّ مِنْ إحْدَى ثَلاثٍ مَالَهَا مِنْ رَابعٍ خِلْوًا مِنَ الرَّوغَانِ
وَلِذَاكَ قالَ محققُ القَوْمِ الَّذِي رَفَعَ القواعِدَ مُدَّعِي العِرْفَانِ

هُوَ عَيْنُ هَذَا الكَوْنِ لَيْسَ بَغَيْرِهِ أنَّى وليسَ مُبَايِنَ الأَكْوانِ
كَلَّا وَلَيْسَ مجَانِبًا أَيْضًا لَهَا فهوَ الوُجُودُ بِعَيْنِهِ وعِيَانِ
إنْ لَمْ يكنْ فَوْقَ الخَلائِقِ ربُّهَا فالقَوْلُ هَذَا القَوْل فِي الميزَانِ
إذ لَيْسَ يُعقَلُ بعَدُ إلا أَنَّهُ قَدْ حَلَّ فِيهَا وَهْيَ كالأبْدانِ
والروحُ ذاتُ الحَقِّ جَلَّ جلالُهُ حلَّتْ بِهَا كمقَالَةِ النَّصْرَانِي
فاحْكُمْ عَلَى من قَالَ لَيْسَ بخارجٍ عنْها ولا فِيهَا بحكْمِ بَيَانِ
بخِلَافِهِ الْوَحْيَيْنِ والإجْمَاعَ والْـ ـعَقْلَ الصَّريحَ وفطْرَةَ الرَّحْمَـٰنِ
فعليهِ أوقَعَ حدَّ معدُومٍ وذَا حدُّ المحالِ بغيرِ ما فُرقَانِ
يَا لَلْعقُولِ إذا نَفَيتُمْ مخْبِراً ونقيضَهُ هَلْ ذَاكَ فِي إمكَانِ
إنْ كَانَ نفيُ دخُولِه وخرُوجِهِ لا يصدُقَانِ معاً لذِي الإمْكانِ
إلا علَى عدَمٍ صريحٍ نَفْيُهُ متحقِّــقٌ ببدَاهَـــةِ الإنْسَانِ
أيصِحُّ فِي المعْقولِ يا أهْلَ النُّهَى ذاتَـانِ لا بالغَيْـر قَائمتَـــانِ
لَيْسَتْ تُبَاينُ منْهُمَا ذاتٌ لأُخْـ ـرَى أو تُحاسِيهَا فيجْتَمِعَانِ
إنْ كانَ في الدُّنْيَا محالٌ فهْوَ ذَا فارجِعْ إلى المعقُولِ والبرْهَانِ
فَلئِنْ زعمْتُم أنَّ ذلكَ في الَّذِي هو قابِلٌ منْ جِسْمٍ اوْ جِسْمَانِ
والربُّ ليسَ كذا فنَفْيُ دخولِهِ وخروجِهِ ما فيهِ منْ بُطْلَانِ
فيقَالُ هَذَا أوَّلًا من قَولِكُمْ دَعْوَى مجَردةٌ بلا بُرهَـانِ
ذاكَ اصطِلاحٌ من فريقٍ فارَقُوا الْـ ـوَحْيَ المبينَ بحكمةِ اليُونَـانِ

والشَّيءُ يصدُقُ نفْيُهُ عنْ قَابِلٍ وسوَاهُ في مَعهُودِ كلِّ لِسَانِ
أنسِيتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقولُكَ الـظُّـلْـمُ المحـالُ وليـسَ ذَا إمكـانِ
وَنسِيتَ نفْيَ النومِ والسِّنَةِ التِي لَيْسَتْ لربِّ العَرْشِ في الإمكَانِ
ونَسِيتَ نفْيَ الطُّعْمِ عنهُ وليسَ ذَا مقبولةً والنفْيُ في القُـرْآنِ
ونَسِيتَ نفْيَ ولادةٍ أو زوجَةٍ وهُمَا عَلَى الرحمٰـن ممْتَنِعَانِ
واللهُ قدْ وصَفَ الجمَادَ بأنَّهُ مَيْتٌ أصَمُّ وما لَه عيْنَانِ
وكذا نَفَى عنْه الشُّعورَ ونطقَهُ والخَلْقَ نفْياً واضحَ التِّبيانِ
هذَا وليسَ بهَا قبولٌ للذي ينفِي ولا مِنْ جملَةِ الحَيَوَانِ
ويقالُ أيضًا ثانيًا لو صحَّ هـ ـذَا الشرطُ كانَ لما هُمَا ضِدَّانِ
لا فِي النَّقِيضَيْن اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا لا يثْبُتَانِ ولَيْس يرْتَفعَـانِ
ويقالُ أيضًا نفيُكمْ لقبولِـهِ لهُمَا يُزيلُ حقيقَةَ الإمْكانِ
بلْ ذَا كنَفْيِ قِيَامِه بالنَّفْسِ أوْ بالغَيْرِ فِي الفِطْرَاتِ والأذْهَانِ
فإذَا المعطِّل قَال إنَّ قيامَهُ بالنَّفْس أو بالغَيْرِ ذُو بطْلَانِ
إذ لَيْسَ يقبَلُ واحِدًا من ذَينكَ الـ أمْرَيْنِ إلَّا وهْوَ ذُو إمْكَانَ
جِسْمٌ يقُومُ بَنفْسِهِ أيضًا كَذَا عَرضٌ يقُومُ بغيْرِهِ أخَـوَانِ
فِي حكمِ إمكانٍ وليسَ بواجبٍ ما كانَ فيهِ حقيقَةُ الإمْكَانِ
فكلَاكُمَا ينْفِي الإلهَ حَقِيقَة وكلَاكُمَا فِي نَفْيِهِ سِيَّـانِ
مَاذَا يردُّ عَلَيْهِ منْ هَو مثلُهُ في النَّفْيِ صِرْفًا إذ هُمَا عِدْلَانِ

والفرقُ ليسَ بممْكِنٍ لكَ بَعْدَمَا ضَاهَيْتَ هَذا النَّفْيَ فِي البُطْلَانِ
فوِزَانُ هَذَا النَّفْي مَا قَدْ قُلْتُمو حَرْفاً بحَرْفٍ أنتُمَا صِنْوانِ
والخَصْمُ يزعُمُ أنّ مَا هو قَابلٌ لِكِلَيْهِمَا فكقَابِلٍ لمَكَانِ
فافْرُق لنَا فرْقًا يُبِينُ مواقِعَ الْـ إثباتِ والتَّعْطِيلِ بِالبُرْهَانِ
أوْ لَا فأعْطِ القوسَ بَارِيَهَا وَخَلِّ الفشْرَ عَنْكَ وكثرةَ الهَذَيانِ

□ فصلٌ □

○ في سياقِ هذا الدَّليلِ على وجْهٍ آخرَ ○

وَسلِ المعطِّلَ عنْ مسَائِلَ خمْسَةٍ تُرْدِي قواعِدَهُ من الأرْكَانِ
قُلْ للمُعطِّلِ هَلْ تقولُ إلهُنَا الْـ ـمعْبُودُ حقًّا خارجَ الأذْهَانِ
فإذَا نَفى هَذَا فَذَاكَ معطِّلٌ للرَّبِّ حقًّا بالغُ الكُفْرانِ
وإذَا أقَرَّ بِهِ فسَلْهُ ثَانيًا أتُرَاهُ غيرَ جَمِيع ذِي الأكْوانِ
فإذا نَفى هَذَا وقَالَ بأنَّهُ هُو عَيْنُهَا ما هَا هُنَا غيْرانِ
فقدِ ارْتَدَى بالإتِّحادِ مصرِّحًا بالكُفْر جَاحِدَ ربِّه الرَّحْمٰنِ
حَاشَا النَّصَارَى أن يكُونُوا مثلَهُ وهُمُ الحَمِيرُ وعَابدُو الصُّلْبَانِ
هُمْ خصَّصُوهُ بالمسِيح وأمِّهِ وأولاءِ ما صَانُوهُ عنْ حَيَوانِ
وإذَا أقَرَّ بأنَّهُ غيرُ الوَرَى عَبْدٌ ومعْبُودٌ هُمَا شيْئَانِ
فاسأَلْهُ هلْ هَذا الوَرَى في ذَاتِهِ أم ذَاتُهُ فيهِ هُنَا أمْرَانِ

وإذَا أقَرَّ بواحدٍ مِنْ ذينكَ الـ أَمْرَينِ قبّلَ خدَّه النَّصرانِي
ويقولُ أهلًا بالذِي هوَ مثْلنَا خَشْدَاشُنَا وحَبيبُنَا الحقَّاني
وإذا نَفَى الأَمْرينِ فَاسْأَلْهُ إذًا هَلْ ذاتُهُ استَغْنَتْ عنِ الأَكْوَانِ
فَلِذَاكَ قامَ بنفْسِهِ أمْ قامَ بالـ أَعْيانِ كالأَعْرَاضِ والأَكْوانِ
فإذا أَقَرَّ وقَال بَلْ هوَ قائمٌ بالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وقلْ ذاتانِ
بالنَّفسِ قائِمتَانِ أخبِرْنِي هُمَا مَثَلانِ أو ضِدَّانِ أو غَيْرانِ
وَعَلَى التقَادِيرِ الثَّلاثِ فإنَّهُ لولَا التَّبايُنُ لَم يكنْ شَيْئَانِ
ضِدَّينِ أو مِثْلَينِ أو غَيْرينِ كَا نَا بلْ هُمَا لا شَكَّ متَّحِدَانِ
فَلِذَاكَ قلنَا إنَّكُمْ بابٌ لِمنْ بالإتحَادِ يقولُ بلْ بَابَانِ
نَقَّطْتُمْ لهُمُ وهُمْ خطُّوا عَلَى نُقَطٍ لكُمْ كمعَلِّم الصِّبيَان

□ فصــلٌ □

○ في الإشارةِ إلى الطُرقِ النَّقليَّةِ الدَّالة على أنَّ ○ اللهَ تعالى فوق سمٰواته على عرشِهِ

وَلَقَدْ أتانَا عشْرُ أنواعٍ منَ الـ ـمَنْقُولِ فِي فوقِيَّةِ الرَّحْمٰنِ
مَع مِثْلهَا أيضًا تزيدُ بواحِدٍ ها نحنُ نسرُدُهَا بلَا كِتْمانِ
مِنها اسْتواءُ الربِّ فوقَ العرْشِ فِي سبْعٍ أتتْ في مُحْكَمِ القُرْآنِ

وكذلِكَ اطَّردتْ بِلَا لَامٍ ولَوْ كانتْ بمَعنى اللام في الأذْهَانِ
لأتتْ بهَا في موضعٍ كيْ يُحْمَلَ الـ ـبَاقِي عليْهَا بالبَيَانِ الثَّانِي
ونظيرُ ذَا إضْمارُهم في مَوْضِعٍ حَمْلًا على المذكُورِ في التِّبْيَانِ
لَا يُضْمِرُونَ مَعَ اطِّرادٍ دُونِ ذِكْـ ـرِ المضْمَرِ المحذُوفِ دُونَ بَيَانِ
بَلْ في مَحَلِّ الحذْفِ يكثُرُ ذكرُهُ فإذا هُمُ ألفُوهُ إلفَ لِسَانِ
حَذَفُوهُ تخفِيفًا وإيجازًا فلَا يَخْفَى المرادُ بِهِ عَلَى الإنْسَانِ
هَذَا وَمِنْ عشْرِينَ وَجْهًا يبْطُلُ التَّـ ـفسِيرُ باستَوْلَى لِذِي العِرْفَانِ
قَدْ أفْرِدَتْ بمصنَّفٍ لإمَامِ هَـ ـذَا الشَّأنِ بحرِ العالَمِ الرَّبانِي

□ فصلٌ □

هَذَا وثَانِيهَا صَرِيحُ عُلُوِّهِ ولَهُ بحُكْمِ صَرِيحِهِ لَفْظَانِ
لَفْظُ العَلِي ولفظَةُ الأعْلَى معرَّفَةٌ لِقَصْدِ بَيَانِ
إنَّ العُلُوَّ لَهُ بمطلَقِهِ على التَّعْمِيمِ والإطْلَاقِ بالبُرهَانِ
وله العُلُوُّ مِنَ الوُجُوهِ جَميعِهَا ذَاتًا وقهْرًا مَعْ عُلُوِّ الشَّانِ
لكنْ نُفاةُ علُوِّهِ سَلَبُوهُ إكْـ ـمَالَ العُلُوِّ فصَارَ ذَا نُقْصَانِ
حَاشَاهُ مِنْ إفْكِ النُّفَاةِ وسَلْبِهِمْ فَلهُ الكمَالُ المطْلَقُ الرَّبَّانِي
وَعُلُوُّهُ فوقَ الخلِيقَةِ كلِّهَا فُطرتْ عَليهِ الخَلْقُ والثَّقَلَانِ
لا يستطيعُ معطِّلٌ تبْديلَهَا أبدًا وذلِك سُنَّةُ الرَّحمَنِ

كلٌّ إذا ما نَابهُ أمرٌ يُرى متوَجِّهًا بضرورَة الإنْسَانِ
نحوَ العُلوِّ فَليْسَ يطْلُبُ خلفَهُ وأمَامَهُ أو جَانِبَ الإنْسَانِ
ونِهَايَةُ الشُّبُهَاتِ تَشْكِيكٌ وتخْـ ـمِيشٌ وتغْبيرٌ عَلَى الإيمَانِ
لَا يستَطِيعُ تعارُضُ المعْلومِ والـ ـمعْقُولِ عندَ بدائِهِ الإنسَانِ
فمِن المحَال القدْحُ في المعْلومِ بالشُّبُهاتِ هَذَا بيِّن البُطْلانِ
وإذا البَدائِهُ قَابَلَتْهَا هَذِه الشُّبُهَاتِ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى بُطْلَانِ
شتَّانَ بَيْنَ مقَالَةٍ أوْصَى بِهَا بَعْضٌ لبَعْضٍ أولٌ للثَّانِي
ومقَالَةٍ فَطَرَ الإِلهُ عِبَادَهُ حَقًّا علَيْهَا ما هُمَا عِدْلانِ

□ فصـلٌ □

هَذَا وثَالِثُهَا صَرِيحُ الفَوْقِ مصْـ ـحُوبًا بِمِنْ وبدُونِهَا نَوْعَانِ
إحْدَاهُمَا هوَ قابِلُ التَّأويلِ والـ أصْلُ الحقِيقةُ وحدَهَا بِبَيَانِ
فإذَا ادَّعَى تأويلَ ذَلِكَ مدَّعٍ لَمْ تُقْبلِ الدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانِ
لكنَّما المجْرُورُ لَيسَ بقابلِ التَّأويلِ في لُغَةٍ وعُرْفِ لِسَانِ
وأصِخْ لفائدةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا تَهْدِيكَ للتَّحْقِيقِ والعِرْفَانِ
إن الكَلَامَ إذا أتى بسِيَاقِهِ يُبْدِي المُرادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
أضْحَى كنصٍّ قاطِعٍ لَا يقْبَلُ التَّأويلَ يَعرِفُ ذَا أُولُو الأذْهَانِ
فَسِيَاقَةُ الألْفَاظِ مثلُ شواهِد الْـ أَحْوَالِ إنهمَا لَنَا صِنْوَانِ

إِحْدَاهُمَا لِلعَيْنِ مشْهُودٌ بِهَا لَكِنَّ ذَاكَ لمسْمَعِ الإِنْسَانِ
فَإِذَا أَتَى التَّأْوِيلُ بَعْدَ سِيَاقَةٍ تُبْدِي المرادَ أَتَى عَلَى اسْتِهْجَانِ
وإذا أَتَى الكِتْمَانُ بَعْدَ شَواهِد الْـ أَحْـوَالِ كَانَ كَأَقْبَحِ الكِتْمَانِ
فتأَملِ الألفَاظَ وانْظُرْ مَا الَّذِي سِيقَتْ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
والفوقُ وَصْفٌ ثابتٌ بالذَّاتِ مِنْ كلِّ الوُجُوهِ لفَاطِرِ الأَكْوَانِ
لَكِنْ نفاةُ الفوقِ مَا وَافَوا بِهِ جَحَدُوا كمَالَ الْفَوقِ للدَّيَّانِ
بَلْ فَسَّرُوهُ بأَنَّ قَدْرَ اللهِ أَعْـ ـلَى لَا بفَوقِ الذَّاتِ للرَّحْمٰنِ
قَالُوا وَهَذَا مثْلُ قولِ النَّاسِ فِي ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ العِقْيَانِ
هُوَ فوْقَ جِنْسِ الفِضَّةِ البَيْضَاءِ لَا بالذاتِ بلْ فِي مقتضَى الأَثْمَانِ
والفوقُ أَنْواعٌ ثلاثٌ كُلُّهَا للهِ ثَابتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ
هَذَا الَّذِي قَالُوا وفوْق القَهْرِ والْـ ـفوْقيةُ العُلْيَا عَلَى الأَكْوَانِ
هَذَا ورَابعُهَا عُروجُ الرُّوح والْـ أَمْلاكِ صاعِدةً إِلَى الرَّحْمٰنِ
وَلَقَدْ أتَى فِي سورتَينِ كِلَاهُمَا اشْـ ـتَملَا عَلَى التَّقْدِير بالأَزْمَانِ
فِي سورةٍ فيها المعَارِجُ قدِّرتْ خَمْسِينَ أَلفًا كامِلَ الحُسْبَانِ
وبسَجْدةِ التنزيل أَلفًا قُدِّرتْ فلأَجْلِ ذَا قَالُوا هُمَا يَوْمَانِ
يومُ المعَادِ بذِي المعَارِجِ ذكرُهُ والْيَومُ فِي تنزيلِ فِي ذَا الآنِ
وكِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ واحِدٌ وعُرُوجُهُمْ فِيهِ إِلَى الدَّيَّانِ
فالأَلفُ فِيهِ مسافَةٌ لنزُولِهِمْ وصُعُودِهِمْ نحوَ الرَّفيعِ الدَّانِي
هَذِي السَّماءُ فإِنَّهَا قَدْ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ فِي عَشْرٍ وَذَا صِنْفَانِ

لَكِنَّما الخَمْسُونَ ألفَ مسَافَةُ السَّـبْعِ الطباقِ وبُعدُ ذِي الأكْوَانِ
مِنْ عَرْشِ رَبِّ العَالَمِينَ إلَى الثَّرى عِنْدَ الحضِيضِ الأسْفلِ التَّحْتَانِي
واخْتَارَ هَذَا القَوْلَ فِي تَفسِيرِهِ الْـ ـبغَوِيُّ ذَاكَ العَالِمُ الرَّبَّانِـي
ومُجَاهِدٌ قَدْ قَالَ هَذَا القَوْلَ لـ ـكِنَّ ابنَ إسْحَاقَ الجَلِيلَ الشَّانِ
قَالَ المسافَةُ بَيْنَنَا والعَرْشِ ذَا الـ ـمقدارُ فِي سَيْرٍ مِنَ الإِنْسَانِ
والقَوْلُ الاوَّلُ قَوْلُ عِكْرِمَةٍ وقوْ لُ قتَادَةٍ وهُمَا لَنَا عَلَمَانِ
واخْتَارَهُ الحَسَنُ الرِّضَا ورَوَاهُ عَنْ بَحْرِ العُلُومِ مُفسِّرِ القُرْآنِ
وَيُرجِّحُ القَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ سَادَاتُنَا فِي فرْقِهِـمْ أمْـرَانِ
إحْدَاهُمَا مَا فِي الصَّحِيحِ لمانِعٍ لزكَاتِه مِنْ هَـذِهِ الأَعْيَـانِ
يُكْوَى بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ ظَهْرُهُ وجَبِينُـهُ وكـذلِكَ الجَنْبَـانِ
خَمْسُونَ ألفًا قَدرُ ذَاكَ اليَوْمِ فِي هَذَا الحَدِيثِ وَذَاكَ ذُو تِبْيَانِ
فالظَّاهِرُ اليَوْمَانِ فِي الوجْهَينِ يَوْ مٌ واحدٌ مَا إنْ هُمَا يَوْمَانِ
قَالُوا وإيرَادُ السِّيَاقِ يُبيِّنُ الْـ ـمَضْمُونَ مِنْهُ بأوْضَحِ التِّبْيَانِ
فانْظُرْ إلى الإضْمَارِ ضِمْنَ يَـرَوْنَهُ ونَـرَاهُ مَـا تفسِيرُهُ بِبَيَـانِ
فالْيَوْمُ بالتفسِيرِ أوْلَى مِنْ عَذَا بٍ واقِعٍ للقُرْبِ والجِيرَانِ
ويكُونُ ذكرُ عروجِهِمْ فِي هَذِه الـدُّنْيَا ويـوْمَ قِيَامَـةِ الأبـدَانِ
فنزُولُهمْ أيْضًا هُنالِكَ ثـابتٌ كنزُولِهِمْ أيضًا هُنَـا لِـلشَّانِ
وعرُوجُهُمْ بَعْدَ القَضَا كعرُوجِهِمْ أيْضًا هُنَا فلهُمْ إذًا شَأنَـانِ
ويزولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ معَادِنَا فعرُوجُهُمْ للعَرْشِ والرَّحْمَـنِ

هَذَا وَمَا اتَّضَحَتْ لَدَيَّ وعلْمُهَا الـ ـموكُول بَعدُ لمنْزِلِ القُرْآنِ
وأعوذُ بالرَّحْمَٰنِ مِنْ جَزْمٍ بِلَا عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الإمْكَانِ
والله أعْلَمُ بالمرادِ بقوْلِهِ ورَسُولُهُ المبْعُوثُ بالفُرْقَانِ

□ فصل □

هَذَا وخَامِسُهَا صُعودُ كَلَامِنَا بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ والإِحْسَانِ
وَكَذَا صُعُودُ البَاقِيَاتِ الصَّالِحَا تِ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ ذِي الإِيمَانِ
وَكَذَا صُعُودُ تَصَدُّقٍ مِنْ طَيِّبٍ أَيْضًا إِلَيْهِ عِنْدَ كلِّ أَوَانِ
وَكَذَا عُرُوجُ مَلَائِكٍ قَدْ وُكِّلُوا مِنَّا بأَعْمَالٍ وَهُمْ بَدَلَانِ
فَإِلَيْهِ تَعْرُجُ بُكْرَةً وعَشِيَّةً والصُّبْحُ يجْمَعُهُمْ عَلَى القُرْآنِ
كَيْ يشْهَدُونَ ويعْرُجُونَ إِلَيْهِ بالـ أَعْمَالِ سُبْحَانَ العَظِيمِ الشَّانِ
وَكَذَاكَ سَعْيُ اللَّيْلِ يَرْفَعُهُ إِلَى الـرَّحْمَٰنِ مِنْ قَبْلِ النَّهَارِ الثَّانِي
وَكَذَاكَ سَعْيُ اليَوْمِ يَرْفَعُهُ لَهُ مِنْ قبْلِ لَيْلٍ حَافِظُ الإِنْسَانِ
وَكَذَاكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقٌّ ثَابتٌ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
بَلْ جَاوزَ السَّبْعَ الطِّبَاقَ وقَدْ دَنَا مِنْهُ إِلَى أَنْ قُدِّرتْ قَوْسَانِ
بَلْ عَادَ مِنْ مُوسَى إِلَيْهِ صَاعِدًا خَمْسًا عِدَادَ الفَرْضِ فِي الحُسْبَانِ
وَكَذَاكَ رَفْعُ الرُّوحِ عِيسَى المرْتَضَى حقًّا إِلَيْهِ جَاءَ فِي القُرْآنِ
وَكَذَاكَ تَصعَدُ روحُ كلِّ مُصَدِّقٍ لمَّا تَفوزُ بفُرْقَةِ الأَبْدَانِ

حقًّا إِلَيْهِ كَيْ تَفُوزَ بقُرْبِهِ وتعُودَ يَوْمَ العَرْضِ للجُثْمَانِ
وَكَذَا دُعَا المضْطَرِّ أَيْضًا صَاعِدٌ أبدًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُـلِّ أَوَانِ
وَكَذَا دُعَا المظلُومِ أَيْضًا صَاعِدٌ حَقًّا إِلَيْـهِ قَاطِعَ الأَكْـوَانِ

▫ فصــلٌ ▫

هَذَا وسَادِسُهَا وَسَابِعُهَا النُزو لُ كَذلكَ التَّنْزِيلُ للْقُــرْآنِ
واللهُ أَخْبَرَنَـا بـأَنَّ كِتَابَــهُ تَنْزِيلُــهُ بالحَــقِّ والبُرْهَـــانِ
أيكُونُ تنزيلًا ولَيْسَ كَلَامَ مَنْ فوْقَ العِبَادِ أَذَاك ذُو إِمْكَانِ
أيكُونُ تنْزيلًا مِنَ الرَّحمنِ والــرَّحْمَنُ لَيْسَ مُبَـاينَ الأَكْـوانِ
وَكذَا نُزولُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي النِّصْفِ مِنْ لَيْلٍ وذَاكَ الثَّانِي
فيقُولُ لَسْتُ بسَائِلٍ غَيرِي بأَحْـ ـوَالِ العِبَادِ أَنَا العَظِيمُ الشَّانِ
مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فيُعْطَى سُؤْلَهُ مَنْ ذَا يَتُوبُ إِلَيَّ مِنْ عِصْيَانِ
مَنْ ذاكَ يسْأَلُنِي فَأَغْفِرَ ذَنْبَهُ فَأَنَا الوَدُودُ الوَاسِعُ الغُفْرانِ
مَنْ ذَا يُرِيدُ شِفَاءَهُ مِنْ سُقْمِهِ فَأَنَا القَرِيبُ مُجِيبُ مَنْ نَادَانِي
ذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وبحَمْـدِهِ حَتَّى يكُونَ الفجْرُ فجرًا ثَانِي
يَا قَوْمُ لَيْسَ نزُولُهُ وعُلُوُّهُ حقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمانِ
وَكذَا يقُولُ لَيْسَ شيئًا عنْدَكُمْ لَا ذَا ولَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي
كُلٌّ مَجَازٌ لا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ أَوِّلْ وَزِدْ وانقُصْ بِلَا بُرْهَانِ

□ فصــلٌ □

هَـذَا وثَامِنُهَا بسُورَةِ غَافِـرٍ هُوَ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ للرَّحْمـٰنِ
دَرَجَاتُـهُ مرْفُوعَـةٌ كمَعَـارِجٍ أيضًا لَهُ وكِلاهُمَا رَفْعَـانِ
وَفَعِيلُ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ وسِيَاقُهَا يأبَـاهُ ذُو التِّبْيَـانِ
لَكِنَّهَـا مَرْفُوعَـةٌ دَرجَاتُـــهُ لكَمَالِ رِفْعَتِهِ عَلَى الأَكْوَانِ
هَذَا هُوَ القَوْلُ الصَّحِيحُ فَلَا تَحِدْ عَنْهُ وخُذْ مَعْنَاهُ فِي القُرآنِ
فَنَظِيرُهَا المبْدِي لَنَا تَفْسِيرُهَا فِي ذِي المعَارِجِ لَيْسَ يفترِقَانِ
والرُّوحُ والأَمْلَاكُ تصْعَدُ في مَعَا رِجِهِ إِلَيْهِ جَلَّ ذو السُّلْطَانِ
ذَا رِفْعَةُ الدَّرجَاتِ حقًّا مَا هُمَا إِلَّا سَواءً أَوْ هُمَا شِبْهَانِ
فَخُذِ الكِتَابَ بِبَعْضِهِ بَعْضًا كَذَا تَفسِيرُ أَهْلِ العِلْمِ للقُـرْآنِ

□ فصــلٌ □

هَذَا وتَاسِعُهَا النُّصُوصُ بأَنَّهُ فَوْقَ السَّماءِ وذَا بِلَا حُسْبَانِ
فاسْتَحْضِرِ الوَحْيَينِ وانظُرْ ذَاكَ تَلْـ ـقَـاهُ مُبينًـا وَاضِـحَ التِّبْيَـانِ
ولسَوْفَ نذكُرُ بَعْضَ ذَلكَ عَنْ قَرِيـ ـبٍ كَيْ تَقُومَ شَوَاهِدُ الإيمَانِ
وإذا أَتَتْكَ فَلَا تَكُنْ مُسْتَوْحِشًا مِنْهَا وَلَا تَكُ عِنْدَهَا بِجَبَانِ
لَيسَتْ تَدُلُّ عَلَى انْحِصَارِ إِلهِنَا عَقْلًا وَلَا عُرْفًا ولَا بِلِسَانِ

إذ أجْمَعَ السَّلَفُ الكِرَامُ بأنَّ مَعْـ ـنـاهَا كمَعْنَى الفَوْقِ بالبُرْهَانِ
أوْ أنَّ لفْظَ سَمَائِهِ يُعنَى بِهِ نَفْسُ العُلُوِّ المطْلَقِ الحقَّانِي
والرَّبُّ فِيهِ وَلَيْسَ يَحْصرُهُ مِنَ الـ ـمَخْلُوقِ شَيءٌ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ
كُلُّ الجِهَاتِ بأسْرِهَا عَدَمِيَّةٌ فِي حَقِّهِ هُوَ فَوْقَهَا بِبَيَـانِ
قَدْ بَانَ عَنْهَا كلِّهَا فَهْوَ المحِيـ ـطُ ولا يُحَاطُ بخالِقِ الأكْوانِ
مَا ذَاكَ يَنْقِمُ بعدُ ذُو التعْطِيلِ مِنْ وَصْفِ العُلُوِّ لربِّنَا الرَّحمـٰنِ
أيرُدُّ ذُو عقْلٍ سَلِيمٍ قطُّ ذا بَعْدَ التَّصَوُّرِ يَا أولِي الأذْهَانِ
واللهِ مَا رَدَّ امرُؤٌ هَذَا بِغَيْـ ـرِ الجَهْلِ أَوْ بحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ

□ فصـــلٌ □

هَذَا وَعَاشِرُهَا اخْتِصَاصُ البَعْضِ مِنْ أمْـلَاكِـهِ بالعِنْـدِ للرَّحْمـٰـنِ
وَكذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بعِنْـ ـدَ اللهِ فَوْقَ العَرْشِ ذُو تِبْيَانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الوَرَى كَانُوا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ
وَيكُونُ عِنْدَ اللهِ إبليسٌ وجِبْـ ـرِيلٌ هُمَا فِي العِنْد مُسْتَوِيَانِ
وَتمَـامُ ذَاكَ القَـوْلِ أنَّ مَحَبَّـةَ الـرَّحْـمـٰـنِ عَـيْنُ إرَادةِ الأكْـوانِ
وَكِلَاهُمَـا مَحْبُوبُـهُ ومُـرَادُهُ وَكِلَاهُمَـا هُـوَ عِنْـدَهُ سِيَّـانِ
إنْ قُلْتُـمُ عِنْـدِيةُ التَّكْـوِينِ فَـالـذَّاتَـانِ عِنْـدَ اللهِ مَخْلُـوقَـانِ
أوْ قُلْتُمُ عِنْدِيَّةُ التَّقْرِيبِ تَقْـ ـرِيبِ الحَبِيبِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ

فَالحُبُّ عِنْدَكُمُ المشِيئَةُ نَفْسُهَا ... وَكِلَاهُمَا فِي حُكْمِهَا مِثْلَانِ
لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ يَقُولُ بِأَنَّهَا ... عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِلَا رَوَغَـانِ
جَمعَتْ لَهُ حُبَّ الإلهِ وَقُرْبَهُ ... مِنْ ذَاتِهِ وَكَرَامَةَ الإِحْسَانِ
وَالحُبُّ وَصفٌ وَهْوَ غَيْرُ مشِيئَةٍ ... والعِنْدُ قُرْبٌ ظَاهِرُ التِّبْيَـانِ

□ فصـــل □

هَذَا وحَادِي عَشْرَهُنَّ إشَارَةٌ ... نَحْوَ الْعُلُوِّ بإصْبعٍ وَبنَـانِ
للهِ جَلَّ جَلَالُهُ لَا غَيْـرِهِ ... إِذْ ذَاكَ إشرَاكٌ مِنَ الإِنْسَانِ
وَلَقَدْ أَشَارَ رَسُولُهُ فِي مَجْمَعِ الْـ ... ـحَجِّ العَظِيمِ بِمَوْقِفِ الغُفْرَانِ
نَحْوَ السَّمَاءِ بأُصْبُعٍ قَدْ كُرِّمَتْ ... مُسْتَشْهِدًا للوَاحِدِ الرَّحمٰـنِ
يارَبُّ فاشْهَدْ أَنَّنِي بَلَّغْتُهُـمْ ... وَيُشِيرُ نَحْوَهُمُ لِقَصْدِ بَيَانِ
فَغَدَا البَنَانُ مُرَفَّعًا وَمُصَوَّبًـا ... صَلَّى عَلَيْك اللهُ ذُو الغُفْرَانِ
أَدَّيتَ ثُمَّ نَصَحْتَ إذْ بَلَّغْتَنَا ... حَقَّ البَلَاغِ الوَاجِبِ الشُّكْرَانِ

□ فصـــل □

هَذَا وَثَانِي عَشْرَهَا وَصْفُ الظُّهُو ... رِ لَـهُ كَمَـا قَـدْ جَـاءَ فِي القُـرْآنِ
والظَّاهِرُ العَالِي الَّذِي مَا فَوْقَهُ ... شَيءٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو البُرْهَانِ
حَقًّا رَسُولُ اللهِ ذَا تَفْسِيرُهُ ... وَلَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِضَمَـانِ

فَاقْبَلْهُ لَا تَقْبَلْ سِوَاهُ مِنَ التَّفا   سِيرِ الَّتى قِيلَتْ بِلَا بُرْهَانِ
والشَّيءُ حِينَ يَتمُّ مِنْه عُلُوُّهُ   فَظُهُورُهُ فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ
أَوَ مَا تَرَى هَذِي السَّمَا وَعُلُوَّهَا   وَظُهُورَهَا وَكَذلِكَ القَمَرَانِ
وَالعَكْسُ أَيْضًا ثَابِتٌ فَسُفُولُهُ   وَخَفَاؤُهُ إذ ذَاكَ مُصْطَحِبَانِ
فَانْظُرْ إِلَى عُلْوِ المحِيطِ وأخْذِهِ   صِفَةَ الظُّهُورِ وذَاكَ ذُو تبْيَانِ
وَانْظُر خَفَاءَ المركَزِ الأَدْنَى وَوَصْـ   ـفَ السُّفْل فِيهِ وَكَوْنَهُ تَحْتَانِي
وَظُهُورُهُ سُبْحَانَهُ بِالذَّاتِ مِثْـ   ـلُ عُلُوِّهِ فَهُمَا لَهُ صِفَتَانِ
لَا تَجْحَدَنْهُمَا جُحُودَ الجَهْمِ أَوْ   صَافَ الكَمَالِ تكُونُ ذَا بُهْتَانِ
وَظُهُورُهُ هُوَ مُقْتَضٍ لِعُلُوِّهِ   وَعُلُوُّهُ لِظُهُورِهِ بِبَيَانِ
وَكذَاكَ قَدْ دَخلَتْ هُنَاكَ الفَاءُ للتَّسْبِيبِ   مُؤْذِنَةً بِهَذَا الشَّانِ
فَتَأَمَّلنْ تَفْسِيرَ أَعْلَمِ خَلْقِهِ   بصِفَاتِهِ من جاء بالقرآنِ
إذْ قَالَ أَنْتَ كَذَا فَلَيْس لِضِدِّهِ   أَبَدًا إِلَيْكَ تَطَرُّق الإِتْيَانِ

□ فصـل □

هَذَا وَثَالِثَ عَشْرَهَا إِخْبَارُهُ   أَنَّا نَرَاهُ بِجَنَّةِ الحَيَوَانِ
فَسَلِ المعَطِّلَ هَلْ نَرَى مَنْ تَحْتَنَا   أَمْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيمَانِ
أَمْ خَلْفَنَا وَأَمَامَنَا سُبْحَانَهُ   أَمْ هَلْ نَرَى مِنْ فَوْقِنَا بِبَيَانِ
يَا قَوْمُ مَا فِي الأَمرِ شَيء غَيْر ذَا   أَوْ أَنَّ رُؤْيَتَهُ بِلَا إِمْكَانِ

إِذْ رُؤْيَةٌ لَا فِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الـرَّائِي مُحَالٌ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا سِوَى ذَا كَانَ دَعْـ ـوَاهُ مُكَابَرَةً عَلَى الأَذْهَانِ
وَلِذَاكَ قَالَ مُحَقِّقٌ مِنْكُمْ لأَهْـ ـلِ الإِعْتِزَالِ مَقَالَةً بِأَمَانِ
مَا بَيْنَنَا خُلْفٌ وَبَيْنَكُمُ لِذِي الـتَّـحْقِيقِ فِي مَعْنَى فَيَا إِخْوَانِي
شُدُّوا بِأَجْمَعِنَا لِنَحمِلَ حَمْلَةً نَذَرُ المجَسِّمَ فِي أَذَلِّ هَوَانِ
إِذْ قَالَ إِنَّ إِلهَنَا حَقًّا يُرَى يَوْمَ المعَادِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
وتَصِيرُ أَبْصَارُ العِبَادِ نَوَاظِراً حَقًّا إِلَيْهِ رُؤْيَةً بِعِيَانِ
لَا رَيْبَ أَنَّهُمُ إِذَا قَالُوا بِذَا لَزِمَ العُلُوُّ لِفَاطِرِ الأَكْوَانِ
وَيكُونُ فَوْقَ العَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ فَلِذَاكَ نَحْنُ وَحِزْبُهُمْ خَصْمَانِ
لَكِنَّنَا سِلْمٌ وأَنتُمْ إِذْ تَسَا عَدْنَا عَلَى نَفْيِ العُلُوِّ لِربِّنَا الرَّحْمنِ
فَعُلُوُّهُ عَيْنُ المحَالِ وَلَيْسَ فَوْ قَ العَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلاَ دَيَّانِ
لَا تَنْصِبُوا مَعَنَا الخِلَافَ فَمَا لَهُ طَعْمٌ فَنَحْنُ وأَنْتُمُ سِلْمَانِ
هَذَا الَّذِي واللهِ مُودَعُ كُتْبِهِمْ فانْظُرْ تَرَى يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

□ فصـــل □

هَذَا وَرَابِعَ عَشْرَهَا إِقْرَارُ سَا ئِلَةٍ بِلَفْظِ الأَيْنِ لِلرَّحْمنِ
وَلَقَدْ رَوَاهُ أَبُو رُزَيْنٍ بَعْدَمَا سَأَلَ الرَّسُولَ بِلَفْظَةٍ بِوِزَانِ
وَرَوَاهُ تَبْلِيغًا لَهُ ومُقَرِّرًا لَمَّا أَقَرَّ بِهِ بِلَا نُكْرَانِ

هَذَا وَمَا كَانَ الجَوَابُ جوابَ مَنْ … لَكِنْ جَوَابُ اللَّفْظِ بالمِيزَانِ
كَلا وَلَيْسَ لمَنْ دُخُولٌ قَطُّ فِي … هَذَا السِّيَاقِ لمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
دَعْ ذَا فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ بِنَفْسِهِ … أَيْـنَ الإلـهُ لِعَالِـمٍ بِـلِسَانِ
واللهِ ما قَصَدَ المخَاطِبُ غيرَ مَعْـ … ـنَاهَا الذِي وُضِعَتْ لهُ الحقَّانِي
واللهِ مَا فَهِمَ المخَاطَبُ غَيْرَهُ … واللَّفظُ موضُوعٌ لقَصْدِ بَيَانِ
يَا قَوْمُ لَفظُ الأَيْنَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الـ … ـرَّحْمَـٰنِ عِنْدَكُمُ وذُو بُطْـلَانِ
وَيَكَادُ قَائِلُكُمْ يُكفِّرُنَا بِـهِ … بَلْ قَدْ وهَذَا غَايَةُ العُدْوَانِ
لَفْظٌ صَرِيحٌ جَاءَ عَنْ خَيْرِ الوَرَى … قَوْلًا وإقْرَارًا هُمَـا نَوْعَـانِ
واللهِ مَا كَانَ الرَّسُولُ بعَاجِزٍ … عنْ لَفْظِ مَنْ مَع أَنَّهَا حَرْفَانِ
والأَينَ أحرُفُهَا ثَلَاثٌ وَهْيَ ذُو … لَبْسٍ ومَنْ هِيَ غَايَةُ التِّبْيَانِ
واللهِ مَا المَلَكَان أَفْصَحُ مِنْهُ إذْ … فِي القَبْرِ مَنْ رَبُّ السَّمَا يَسَلَانِ
ويَقُولُ أَيْنَ اللهُ يَعْنِي مَنْ فَلَا … واللهِ مَا اللَّفظَانِ متَّحِـدَانِ
كَلّا وَلَا مَعْنَاهُمَا أيضًا لِذِي … لغةٍ وَلَا شَـرْعٍ وَلَا إنْسَـانِ

□ فصـل □

هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا الإِجْمَاعُ مِنْ … رُسُلِ الإله الواحِدِ المنَّـانِ
فالمرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَعَ كُتْبِهِمْ … قَدْ صَرَّحُوا بالفَوْقِ للرَّحمٰنِ
وَحَكَى لَنَا إجْمَاعَهُمْ شَيْخُ الوَرَى … والدِّينِ عَبْدُ القَادِرِ الجِيلَانِي
وأبو الوَلِيدِ المالِكِي أيْضاً حَكَى … إجْمَاعَهُمْ أعني ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي

وَكَذَا أَبو العباسِ أيْضاً قَدْ حَكَى   إجْمَاعَهُمْ عَلَمُ الهُدَى الحَرَّانِي
ولهُ اطِّلاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ   لِسِوَاه مِنْ مُتَكَلِّمٍ ولِسَانِ
هَذَا ونَقْطَعُ نَحنُ أيضًا أنَّهُ   إجْمَاعُهُمْ قَطعًا عَلَى البُرهَانِ
وَكَذَاكَ نَقْطعُ أنَّهُمْ جَاءُوا بإِثْـ   ـبَاتِ الصِّفَاتِ لخَالِقِ الأكْوَانِ
وَكَذَاكَ نقطَعُ أنهُمْ جَاءُوا بإثْـ   ـبَاتِ الكَلَامِ لِرَبِّنَا الرحْمنِ
وَكذَاكَ نقْطَعُ أنَّهُمْ جَاءُوا بإثْـ   ـبَاتِ المعَادِ لهَذِهِ الأبـدَانِ
وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أنَّهُمْ جاءُوا بتَوْ   حِيدِ الإلٰـهِ ومَا لَهُ مِنْ ثَانِي
وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أنَّهُمْ جَاءُوا بإثْـ   ـباتِ القَضَاءِ وَمَا لَهُمْ قَوْلَانِ
فالرُّسلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أصُو   لِ الدِّين دُونَ شَرَائِعِ الإيمَانِ
كُلٌّ لَهُ شَرْعٌ ومِنْهَاجٌ وَذَا   فِي الأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فافْهَمْ ذَانِ
فالدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ   لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
دِينُ الإِلـه اخْتَـارَهُ لِعبـادِهِ   ولِنَفْسِهِ هُوَ قَيِّمُ الأَدْيَـانِ
فمِنَ المحَالِ بأنْ يَكُونَ لرُسْلِهِ   فِي وَصْفِهِ خَبَرَانِ مُخْتَلِفَانِ
وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أنَّهُمْ جَاءُوا بِعَدْ   لِ اللهِ بَيْنَ طَوَائِفِ الإنْسَانِ
وَكَذَاكَ نَقْطَعُ أنَّهُمْ أَيْضًا دَعَوْا   للخَمْسِ وَهْيَ قَوَاعِدُ الإِيمَانِ
إيمَانُنَا باللهِ ثُـمَّ بِرُسْلِـهِ   وبكتْبِـهِ وقِيَامَـةِ الأبـدَانِ
وبجُنْدِهِ وَهُمُ الملائِكَةُ الأُلَى   هُمْ رُسْلُهُ لمصَالِحِ الأكْوَانِ
هَذِي أصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أصُو   لُ الخَمْسِ لِلْقَاضِي هوَ الهَمَذَانِي

تِلْكَ الأُصُولُ للاعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا فَرْعٌ فمِنْهُ الخَلْقُ للقُـرْآنِ
وجُحُودُ أَوْصَافِ الإِلَه ونَفْيُهُمْ لِعُلُـوِّهِ والفَـوْقِ للرَّحْمَـٰنِ
وَكَذَاكَ نَفْيُهُمُ لرؤيتنَـا لَـهُ يَومَ اللّقَاءِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
وَنَفَوْا قَضَاءَ الرَّبِّ والقَدَرَ الَّذِي سَبَقَ الكِتَابُ بِهِ هُمَا شَيْئَانِ
مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الأُصُولِ وخَلَّدُوا أَهْلَ الكَبَائِرِ فِي لظى النِّيرَانِ
ولأَجْلِهَا نَفَوا الشَّفَاعَةَ فِيهِمُ وَرَمَوْا رُوَاةَ حَدِيثهَا بِطِعَانِ
ولأَجْلِهَا قَالُوا بأَنَّ الله لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِيمَانِ ذِي الكُفْرانِ
ولأَجْلِهَا حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمَـٰنِ بالـشَّـرْعِ المحَـالِ شـريعَـةِ البُهْتَـانِ
ولأَجْلهَا هُمْ يوجِبُونَ رِعَايَةً للأَصْلَحِ الموجُودِ في الإِمْكَانِ
حَقًّا عَلَى رَبِّ الوَرَى بعقُولِهِمْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذي السُّبْحَانِ

□ فصـــلٌ □

هَذَا وَسَادِسَ عَشْرَهَا إجْمَاعُ أَهْـ ـلِ العِلْمِ أَعْنِي حُجَّةَ الأَزْمَانِ
مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لَهُ أَهْلُ الحَدِيث وعَسْكَرُ القُرْآنِ
لَا عِبْرَةً بمخَالِفٍ لَهُمُ وَلَوْ كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ والبُعْرانِ
إِنَّ الَّذي فَوْقَ السَّموَاتِ الْعُلَا والعَرْشِ وَهْوَ مُبَايِنُ الأَكْوَانِ
هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وبحَمْـدِهِ حَقًّا عَلَى العَرْشِ اسْتَوى الرَّحمن
فاسْمَعْ إِذًا أَقْوالهمْ واشْهَدْ عَلَيْـ ـهِمْ بعْدَهَا بالكُفرِ والإِيمَانِ

وَاقْرَأْ تَفَاسِيرَ الأَئِمَّةِ ذَاكِرِي الـ إِسْنَادِ فَهْيَ هِدَايَةُ الحَيْرَانِ
وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِتَفْـ ـسِيرِ اسْتَوَى إِنْ كُنتَ ذَا عِرْفَانِ
وَانْظُرْ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَمُجَاهِدٍ وَمُقَاتِلٍ حَبْرَانِ
وَانْظُرْ إِلَى الكَلْبِيِّ أَيْضاً وَالَّذِي قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرَانِ
وَكَذَا رُفَيْعُ التَّابِعِيُّ أَجَلُّهُمْ ذَاكَ الرِّيَاحِيُّ العَظِيمُ الشَّانِ
كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ فَلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
فَلْيَهْنَ مَنْ قَدْ سَبَّهُ إِذْ لَمْ يُوَا فِقْ قَوْلَهُ تَحْرِيفُ ذِي البُهْتَانِ
فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ أَرْبَعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
يَخْتَارُ هَذَا القَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الجَهْمِيِّ بِالقُرْآنِ
وَالأَشْعَرِيُّ يَقُولُ تَفْسِيرُ اسْتَوَى بِحَقِيقَةِ اسْتَوْلَى مِنَ البُهْتَانِ
هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الإِعْتِزَالِ وَقَوْلُ أَتْـ ـبَاعٍ لِجَهْمٍ وَهْوَ ذُو بُطْلَانِ
فِي كُتْبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ مُوجَزٍ وَإِبَانَةٍ وَمَقَالَةٍ بِبَيَانِ
وَكَذَلِكَ البَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَا هُ عَنْهُمُ بِمَعَالِمِ القُرْآنِ
وَانْظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ قَدْ صَحَّ عَنْ قَوْلٍ لِذِي إِتْقَانِ
فِي الاسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ المَعْلُومُ لَـ ـكِنْ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الأَذْهَانِ
وَرَوَى ابنُ نَافِعٍ الصَّدُوقُ سَمَاعَهُ مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالإِتْقَانِ

اللهُ حَقًّا فِي السَّمَاءِ وعِلْمُهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَـانِ
فانْظُرْ إلَى التفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ والـ ـمَعْلُوم مِنْ ذَا العَالِمِ الربَّانِي
فالذَّاتُ خُصَّتْ بالسَّمَاءِ وإنَّما الْـ ـمَعْلُومُ عَمَّ جَمِيعَ ذِي الأَكْوَانِ
ذَا ثَابتٌ عَنْ مَالِكٍ مَنْ رَدَّهُ فَلسوفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهَوَانِ
وَكَذاكَ قَالَ التِّرمِذِيُّ بجَامِعٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العْلمِ والإيمَانِ
اللهُ فوقَ العَرْشِ لَكِنْ عِلْمُهُ مَعَ خَلْقِهِ تَفْسِيرَ ذِي إيمَانِ
وَكَذاكَ أَوْزَاعِيُّهُمْ أيضاً حَكَى عَنْ سَائِرِ العُلَمَاءِ فِي البُلْدَانِ
مِنْ قَرْنِهِ والتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ مُتَوافِرِينَ وَهُمْ أولُو العِرْفَانِ
إيمانُهُـمْ بعُلُـوِّهِ سُبْحَانَـهُ فَوْقَ العِبَادِ وفوْقَ ذِي الأَكْوَانِ
وَكَذاكَ قَالَ الشَّافِعيُّ حَكَاهُ عَنْـ ـهُ البَيْهَقِيُّ وشَيْخُهُ الرَّبَّانِي
حَقًّا قَضَى اللهُ الخِلَافَةَ رَبُّنَا فوقَ السَّمَاءِ لأَصْدَقِ العِبْدَانِ
حِبُّ الرَّسُولِ وقائِمٌ مِنْ بعْدِهِ بالحَقِّ لَا فَشَلٌ ولَا مُتَوانِ
فانظُرْ إلَى المَقْضِيِّ فِي ذِي الأَرضِ لـ ـكِنْ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي السُّلطَانِ
وَقَضَاؤهُ وَصْفٌ لَهُ لَمْ يَنْفَصِلْ عَنْهُ وَهَذَا وَاضِحُ البُرْهَـانِ
وَكذَلكَ النُّعْمَانُ قَالَ وَبَعْدهُ يَعْقُـوبُ والأَلْفَـاظُ للنُّعْمَـانِ
مَنْ لَمْ يُقِرَّ بعَرْشِهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ وفوْقَ كلِّ مَكَانِ
ويُقِرَّ أنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ هَوَاجِسُ الأَذْهَانِ
فَهْوَ الَّذي لَا شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِ للهِ دَرُّكَ مِنْ إمَامِ زَمَـانِ

هَذَا الَّذِي فِي الفِقْهِ الَاكْبَرِ عِنْدَهُمْ وَلَـهُ شُرُوحٌ عِـدَّةٌ لِبَيَـانِ
وانظُرْ مَقَالَةَ أحْمَدٍ ونُصُوصَهُ في ذَاكَ تَلْقَاهَا بلَا حُسْبَانِ
فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بعُلُوِّهِ وبالِاسْتِوَا والفَوْقِ للرَّحمٰـنِ
ولهُ نَصُوصٌ وَارِدَاتٌ لَمْ تَقَعْ لِسِوَاهُ مِنْ فُرْسَانِ هَذَا الشَّانِ
إذْ كَانَ مُمْتَحَنًا بأَعْدَاءِ الحَدِيـ ـثِ وَشِيعَةِ التَّعْطِيلِ والكُفْرَانِ
وإذا أرَدْتَ نُصُوصَهُ فانْظُرْ إلَى مَا قَدْ حَكَى الخَلَّالُ ذُو الإتْقَانِ
وَكذاكَ إسْحَاقُ الإمَامُ فإنَّهُ قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الحَيْرَانِ
وابْنُ المبَارَكِ قَالَ قَوْلًا شَافِيًا إنْكَارُهُ عَلَمٌ عَلَى البُهْتَـانِ
قَالُوا لَهُ مَا ذَاكَ نَعْرِفُ رَبَّنَا حَقًّا بِهِ لنَكُونَ ذَا إيمَـانِ
فأَجَابَ نَعْرِفُهُ بوَصْفِ عُلُوِّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنَ الأكْوَانِ
وبِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقًّـا عَلَى الْـ ـعَرْشِ الرَّفِيعِ فَجَلَّ ذو السُّلْطَانِ
وَهوَ الَّذِي قَدْ شَجَّعَ ابْنَ خُزَيْمَةٍ إذْ سَلَّ سَيْفَ الحَقِّ والعِرْفَانِ
وَقَضَى بِقَتْلِ المُنْكِرينَ عُلُوَّهُ بَعْدَ اسْتِتَابَتِهِمْ مِنَ الكُفْرَانِ
وبأَنَّهُمْ يُلْقَوْنَ بَعْدَ القَتْلِ فَوْ قَ مَزَابِلِ المِيتَاتِ والأنْتَانِ
فشَفَى الإمَامُ العَالِمُ الحَبْرُ الَّذِي يُدْعَى إمَام أئِمَّـةِ الأَزْمَـانِ
وَلَقَدْ حَكَاهُ الحَاكِمُ العَدْلُ الرِّضَا فِي كُتْبِهِ عَنْهُ بِلَا نُكْرَانِ
وَحَكَى ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي تَمْهِيدِهِ وَكِتَابِ الاسْتِذْكَارِ غَيْرَ جَبَانِ
إجْمَاعَ أَهْلِ العِلْمِ أنَّ اللهَ فَوْ قَ العَرْشِ بالإيضَاحِ والبُرْهَانِ

وأَتَى هُنَاكَ بِمَا شَفَى أَهْلَ الهُدَى   لَكِنَّهُ مَرَضٌ عَلَى العُمْيَانِ
وَكَذَا عَلِيُّ الأَشْعَرِيُّ فإنَّـهُ   في كُتْبِهِ قَدْ جَاءَ بالتِّبْيَانِ
مِنْ مُوجَزٍ وإبَانَـةٍ ومَقَالَـةٍ   ورَسَائِلٍ للثَّغْرِ ذَاتِ بَيَـانِ
وأَتَى بِتَقْرِيرِ اسْتِواءِ الرَّبِّ فَوْ   قَ العَرْشِ بالإيضَاحِ والبُرْهَانِ
وأَتَى بتقْرِيرِ العُلُوِّ بأَحْسَنِ الـتَّـقْـرِيـرِ   فانْظُرْ كُتْبَهُ بعِيَـانِ
واللهِ مَا قَالَ المجسِّمُ مِثْلَ مَا   قَدْ قَالَهُ ذَا العَالِمُ الرَّبَّانِي
فارْمُوهُ ويحكُمُ بِمَا تَرْمُوا بِهِ   هَذَا المجسِّمَ يا أُولِي العُدْوانِ
أو لَا فَقُولُوا إنَّ ثَمَّ حَزَازَةً   وَتَنَفُّسَ الصُّعَدَاءِ مِنْ حَرَّانِ
فسَلُوا الإلَهَ شِفَاءَ ذَا الدَّاءِ العُضَا   لِ مُجَانِبِ الإِسْلَامِ وَالإيمَانِ
وانظُرْ إلَى حَرْبٍ وإجْمَاعٍ حَكَى   للهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى كَرْمَانِي
وانظُرْ إلَى قَوْل ابنِ وَهْبٍ أوحَد الـ   ـعُلَماءِ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي المِيزَانِ
وانظُرْ إلَى مَا قَالَ عَبْدُ اللهِ فِي   تِلْكَ الرِّسَالةِ مُفْصِحًا بِبيَانِ
مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْـدِهِ   بالذَّاتِ فَوْقَ العَرْشِ والأَكْوَانِ
وانظُرْ إلَى مَا قَالَهُ الكَرْخِيُّ فِي   شَرْحٍ لتَصْنِيفِ امرِئٍ ربَّانِي
وانظُرْ إلَى الأَصْلِ الَّذِي هُوَ شَرْحهُ   فَهُمَا الهُدَى لِمُلَدَّدٍ حَيْرَانِ
وانْظُرْ إلَى تَفْسِيرِ عَبْدٍ مَا الَّذِي   فِيهِ مِنَ الآثَارِ فِي ذَا الشَّانِ
وانْظُرْ إلَى تَفْسِيرِ ذَاكَ الفَاضِلِ الـثَّـبْتِ   الرِّضَا المَتَضَلِّعِ الرَّبَّانِي
ذَاكَ الإِمَامُ ابنُ الإِمَامِ وَشَيْخُهُ   وَأَبُـوهُ سُفْيَـانٌ فَرَازِيَّـانِ

وانظُرْ إلَى النَّسَائِي فِي تَفْسِيرِهِ هُوَ عِنْدَنَا سِفرٌ جليلُ مَعَانِي
واقْرأْ كِتَابَ العَرْشِ للعَبْسِيِّ وهْـ ـوَ مُحَمَّدُ المَوْلُودُ مِنْ عُثْمَانِ
واقْرأْ لِمُسْنَدِ عَمِّهِ وَمُصَنَّفٍ أَتَرَاهُمَا نجمَينِ أَوْ شَمْسَانِ
واقْرأْ كتَابَ الإسْتِقَامَةِ للرِّضَا ذَاكَ ابنُ أصْرَمَ حَافِظٌ رَبَّانِي
واقْرَأْ كِتَابَ الحَافِظِ الثِّقَةِ الرِّضَا فِي السُّنَّةِ العَلْيَا فَتَى الشَّيْبَانِي
ذَاكَ ابْنُ أحْمَد أَوْحَد الحُفَّاظِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ الحُفَّاظُ بالإتْقَانِ
واقرأْ كِتَابَ الأثْرمِ العَدْلِ الرِّضَا فِي السُّنَّةِ الأولَى إمَامَ زَمَانِ
وَكَذَا الإمَامُ ابْنُ الإمَامِ المرْتَضَى حَقًّا أَبِي دَاوُدَ ذِي العِرْفَانِ
تَصْنيفُهُ نَظْمًا وَنَثْرًا وَاضِحٌ فِي السُّنَّةِ المُثْلَى هُمَا نَجْمَانِ
واقْرأْ كِتَابَ السُّنة الأولَى الَّتي أَبْدَاهُ مضْطَلِعٌ مِنَ الإيمَانِ
ذَاكَ النَّبيلُ ابْنُ النَّبيل كِتَابُهُ أَيْضًا نَبِيلٌ وَاضِحُ البُرْهَانِ
وانظُرْ إلَى قَوْلِ ابن أَسْبَاطَ الرِّضَا وانْظُرْ إلَى قَوْلِ الرِّضَا سُفْيانِ
وَانظُرْ إلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ ذَاكَ حَمَّادٌ وَحَمَّادُ الإمَامُ الثَّانِي
وَانْظُرْ إلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الهُدَى عُثْمَان ذَاكَ الدَّارِمِي الرَّبَّانِي
فِي نَقْضِهِ والرَّدِّ يَالَهُمَا كِتَا بَا سُنَّةٍ وَهُمَا لَنَا عَلَمَانِ
هُدِمَتْ قَوَاعِدُ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ خرَّت سُقُوفُهُمُ عَلَى الحِيطَانِ
وانظُرْ إلى مَا فِي صَحيحِ مُحَمَّدٍ ذَاكَ البُخَارِيُّ العَظِيمُ الشَّانِ
مِنْ رَدِّهِ مَا قَالَهُ الجَهْمِيُّ بالنَّقْلِ الصَّحيحِ الواضِحِ البُرْهَانِ

وانظُرْ إِلَى تِلْكَ التَّرَاجِمِ مَا الَّذِي فِي ضِمْنِهَا إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبَرِيُّ فِي الـــشَّـــرْحِ الَّذِي هُوَ عِنْدَكُمْ سِفْرَانِ
أَعْنِي الفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ اللَّالَكَا ئِيَّ المسَدَّدَ نَاصِرَ الإِيمَــانِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الهُدَى التَّـــيْمِيُّ فِـي إِيضَاحِــهِ وبَيَـــانِ
ذَاكَ الذِي هُوَ صَاحِبُ التَّرغِيبِ والتَّـــرْهِيبِ مَمْدُوحٌ بِكُــلِّ لِسَانِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ فِي السُّنَّة الـ ـكُبْرَى سُلَيْمَانٌ هُوَ الطَّبرانِي
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ شَيْخُ الهُدَى يُدْعَى بِطَلْمَنْكِيهِمُ ذُو شانِ
وانظُرْ إِلَى قَولِ الطَّحاوِيِّ الرِّضَا وأَجِرْهُ مِنْ تَحْرِيف ذِي بُهْتَانِ
وَكذلكَ القَاضِي أَبُو بَكْرٍ هُوَ ابـ ـنُ البَاقِلانِي قَائِدُ الفُرسَانِ
قَدْ قَالَ فِي تَمْهِيدِهِ وَرَسَائِلٍ وَالشَّرحِ ما فِيهِ جَلِيُّ بَيَانِ
فِي بَعْضِهَا حَقًّا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى لَكِنَّه اسْتَوْلَى عَلَى الأَكْوَانِ
وأَتَى بِتَقْرِيرِ العُلُوِّ وأَبطَلَ الـــلَّام الَّتــي زِيدَتْ عَلَى القُرْآنِ
مِنْ أَوْجُهٍ شَتَّى وَذَا فِي كُتْبِه بَادٍ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَـانِ
وانظُرْ إِلَى قَوْل ابْنِ كُلَّاب وَمَا يَقْضِي بِهِ لِمعَطِّلِ الرَّحْمَـــنِ
أَخرِجْ مِنَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ وعَقْلِهِ مَنْ قَالَ قَوْلَ الزُّورِ والبُهْتَانِ
لَيْسَ الإِلَهُ بِدَاخِلٍ فِي خَلْقِهِ أَوْ خَارِجٍ عَنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ
وانظُرْ إِلَى ما قَالَهُ الطَّبرِيُّ فِي الــتَّــفْسِــير والتَّهْذِيبِ قَوْلَ مَعَانِ
وانْظُرْ إِلَى ما قَالَهُ فِي سُورَةِ الا أَعْرَافِ مَعْ طَهَ وَمَعْ سُبْحَانِ

وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ البغوِيُّ فِي تَفْسيرِه والشَّرحِ بالإِحْسَانِ
فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ عِنْدَ الإِسْتِوَى فِيهَا وَفِي الأولَى مِنَ القُرْآنِ
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ ذو سُنَّةٍ وَقِرَاءةٍ ذَاكَ الإِمَامُ الدَّانِـي
وكذَاكَ سُنَّةُ الاصْبَهَانِيِّ أَبِي الـشَّـيْخِ الرِّضَا المسْتَلِّ مِنْ حِبَّانِ
وانظُرْ إِلَى ما قَالَهُ ابنُ سُرَيجٍ الـ ـبَحْرُ الخِضَمُّ الشَافِعِيُّ الثَّانِي
وانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الهُدَى أَعْنِي أَبَا الخَيْرِ الرِّضَا النعْمَانِ
وَكِتَابُهُ فِي الْفِقْهِ وَهْوَ بَيانُهُ يُبْدِي مَكَانَتَهُ مِنَ الإِيمَـانِ
وانظُرْ إِلَى السُّنَنِ الَّتِي قَدْ صَنَّفَ الـ ـعُـلَمَـاءُ بـالآثـارِ والقُـرْآنِ
زَادَتْ عَلَى المِائَتَينِ مِنْهَا مُفْرَدٌ أَوْفَى مِنَ الخَمْسِينَ فِي الحُسْبَانِ
مِنْهَا لأَحْمَدَ عِدَّةٌ مَوْجُودَةٌ فِينَا رَسَائِلُهُ إِلَى الإِخْـوَانِ
واللاءِ فِي ضِمْنِ التَّصَانِيفِ الَّتِي شُهِرَتْ وَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى حُسْبَانِ
فَكثِيرَةٌ جِدًّا فَمَنْ يَكُ رَاغِبًا فِيهَا يَجِدْ فِيهَا هُدَى الحيْرانِ
أَصْحَابُهَا هُمْ حَافِظُو الإِسْلَامِ لَا أَصْحَابُ جَهْمٍ حَافِظُو الكُفْرَانِ
وَهُمُ النُّجُومُ لكُلِّ عَبْدٍ سَائِرٍ يَبْغِي الإِلَهَ وجنَّةَ الحيَـوانِ
وَسِوَاهُمُ واللهِ قُطَّاعُ الطَّرِيـ قِ أَئِمَّةٌ تَدْعُو إِلى النِّيرَانِ
مَا فِي الَّذِينَ حَكَيْتُ عَنْهُمْ آنفًا مِنْ حَنْبَلِيٍّ وَاحِدٍ بِضَمَـانِ
بَلْ كُلُّهُمْ واللهِ شِيعَةُ أَحْمَدٍ فَأُصُولُـهُ وأُصُولُهُـم سِيَّـانِ
وبذَاكَ فِي كُتُبٍ لَهُمْ قَدْ صَرَّحُوا وأَخُو العَمَايَةِ مَا لَهُ عَيْنَانِ

أَتَظنّهُـــمْ لَفظِيَّـــةً جهْلِيَّـــةً مِثْلَ الحَمِيرِ تُقَادُ بالأَرْسَانِ
حَاشَاهُمُ مِنْ ذَاكَ بَلْ واللهِ هُمْ أهلُ العُقولِ وَصِحَّةِ الأَذْهَانِ
فانظُرْ إلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ بالنَّقْـلِ والمعْقُـولِ والبُرْهَـانِ
عَقْلانِ عَقْلٌ بالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ وَمُؤَيَّـدٌ بِالمنْطِـقِ اليُونَانِـي
واللهَ مَا اسْتَوَيَا ولَنْ يَتَلاقَيَا حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الغِرْبَانِ
أَفَتَقْـذِفُـونَ أولاءِ بَـل أَضْعَـافَهُـمْ مِـنْ سَـادَةِ العُلَمَـاءِ كُـلَّ زَمَـانِ
بِالجَهْلِ والتَّشْبِيهِ والتَّجْسِيمِ والـتَّـبْـدِيـعِ والتَّضْلِيـلِ والبُهْتَـانِ
يَا قَوْمَنَا أللهَ فِي إسْلَامِكُمْ لَا تُفْسِدُوهُ لِنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ
يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَصْرَعِ مَنْ خَلَا مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ
لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِذْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ وَقِتَالُهُـمْ بالـزُّورِ والبُهْتَـانِ
كَلَّا وَلَا التَّدْلِيسُ والتَّلْبِيسُ عِنْـ ـدَ النَّاسِ والحُكَّامِ والسُّلْطَانِ
وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انكِشَافِ غِطَائِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ لِلقَوْمِ فِي حُسْبَانِ
وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انكِشَافِ حَقَائِقِ الْـ إيـمَانِ أَنَّهُـمُ عَلَـى البُطْـلَانِ
مَا عِنْدَهُمْ واللهِ غَيْرُ شِكَايَةٍ فَأْتُوا بِعِلْمٍ وانْطِقُوا بِبيَـانِ
مَا يَشْتَكِي إلَّا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ فَاشْكُوا لِنَعْذُرَكُمْ إلى القُرْآنِ
ثُمَّ اسْمَعُوا مَاذَا الَّذِي يقْضِي لَكُمْ وعَليكُمُ فالحَقُّ فِي الفُرقَانِ
لَبَّسْتُمُ مَعْنَى النُّصُوصِ وَقولَنَا فَغَدَا لَكُمْ لِلحقِّ تَلْبِـيسَانِ
مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا يَأْتِي بِتَحْرِيفٍ عَلَى إنسَانِ

يَا قَوْمُ واللهِ العَظِيمِ أسَأْتُم بأَئِمَّةِ الإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِي
مَا ذَنْبُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ قَدْ قَالَ مَا قَالُوا كَذَلِكَ مُنْزِلُ الفُرْقَانِ
مَا الذَّنبُ إلا للنصُوصِ لَديكمُ إذْ جَسَّمَتْ بَلْ شَبَّهتْ صِنْفَانِ
مَا ذَنْبُ مَنْ قَدْ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُدْوانِ
هَذَا كَمَا قَالَ الخَبِيثُ لصَحْبِهِ كَلْبُ الروافِضِ أخبثُ الحَيَوانِ
لَمَّا أَفَاضُوا فِي حديثِ الرَّفْضِ عِنْـ ـدَ القَبْرِ لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إنْسَانِ
يا قَومُ أصْلُ بلائِكُمْ ومُصَابِكُمْ مِنْ صاحِبِ القبرِ الذي تَريَانِ
كَمْ قدَّم ابنُ أبِي قُحافةَ بَلْ غَدَا يُثني عَليهِ ثَنَاءَ ذِي شُكرَانِ
وَيقُولُ فِي مرضِ الوفاءِ يؤُمُّكُمْ عَنِّي أَبُو بكرٍ بلَا رَوَغَانِ
ويظَلُّ يمنعُ مِنْ إمامَةِ غَيْرِهِ حَتَّى يُرَى فِي صُورَةٍ مَيَلَانِ
ويقولُ لو كنتُ الخليلَ لواحدٍ في الناسِ كانَ هو الخَلِيلَ الدَّانِي
لكنَّه الأَخُ والرفيقُ وصاحِبِي ولـه عَلَيْنَا مِنَّـةُ الإِحْسَانِ
ويقولُ للصِّدِّيقِ يوَمَ الغَارِ لَا تحزَنْ فنحنُ ثَلَاثةٌ لَا اثْنَانِ
اللهُ ثالِثُنَا وتـلكَ فَضِيلَـةٌ مَا حازَهَا إلَّا فَتَى عُثْمانِ
يَا قومُ ما ذنبُ النَّواصِبِ بعْدَ ذَا لَمْ يُذْهِكُمْ إلَّا كبيرُ الشَّانِ
فتفَرَّقَتْ تلكَ الروافضُ كلُّهُمْ قَدْ أطبقَتْ أَسنانَهُ الشَّفَتَانِ
وكَذلِكَ الجَهْمِيُّ ذَاكَ رَضِيعُهُمْ فَهُمَا رَضِيعَا كُفْرِهِمْ بلبَانِ
ثوبَانِ قدْ نُسِجَا عَلَى المِنْوالِ يَا عُريانُ لا تلبسْ فَمَا ثَوْبَانِ

والله شرٌّ مِنْهُمَا فَهُمَا عَلَى أهلِ الضَّلالَةِ والشَّقَا عَلَمانِ

□ فصــلٌ □

هَذَا وسَابعَ عَشْرَهَا إخْبَارُهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ القُرْآنِ
عَنْ عَبْدِهِ مُوسَى الكليمِ وحَرْبِهِ فِرْعَونَ ذِي التكذيبِ والطُّغْيَانِ
تَكذِيبِهِ مُوسى الكَلِيمِ بِقَوْلِهِ اللهُ ربِّي في السَّمَا نَبَّانِي
وَمِنَ المصَائِب قولُهُمْ إنَّ اعتِقَا د الفوْقِ مِنْ فِرْعَونَ ذِي الكُفْرَانِ
فإذَا اعتقَدْتُمْ ذَا فأشْيَاعٌ لَهُ أنتُمْ وَذَا مِنْ أعظَمِ البُهتَانِ
فاسْمعْ إذًا مَنْ ذا الذِي أوْلَى بِفِرْ عَوْنَ المعَطِّلِ جَاحِد الرحْمنِ
فانظُرْ إلَى مَا جَاءَ في القصَصِ التي تَحْكِي مَقَالَ إمَامِهِمْ بِبَيَانِ
واللهُ قدْ جَعَلَ الضَّلاَلَةَ قُدْوَةً بأئمَّةٍ تَدْعُو إلَى النِّيرانِ
فإمَامُ كلِّ معطِّلٍ فِي نَفْسِهِ فِرْعَونُ معْ نَمْرودَ مَعْ هَامَانِ
طَلَبَ الصُّعُودَ إلَى السَّماءِ مُكذِّبًا مُوسَى ورَامَ الصَّرحَ بالبُنْيَانِ
بَلْ قَالَ مُوسَى كَاذِبٌ في زَعْمِهِ فَوْقَ السَّماءِ الربُّ ذُو السُّلْطَانِ
فابْنوا لِي الصَّرحَ الرفيعَ لعلَّنِي أرْقَى إلَيْهِ بحِيلَةِ الإنسَانِ
وأظنُّ مُوسَى كاذِباً في قَوْلِهِ الله فوقَ العرْشِ ذُو السُّلْطَانِ
وَكَذَاكَ كذَّبَهُ بأنَّ إلهَهُ نَادَاهُ بالتَّكْلِيم دُونَ عِيَانِ
هُوَ أنكَرَ التَّكْلِيم والفَوْقِيَّةَ الْـ ـعُلْيَا كَقَوْلِ الجهْم ذِي صَفْوانِ

فَمَنِ الذِي أَوْلَى بِفرْعَونٍ إذاً مِنَّا ومنْكُمْ بَعْدَ ذَا التِّبْيَانِ
يَا قَوْمَنَا واللهِ إنَّ لِقَوْلِنَا أَلْفًا تَدلُّ عَلَيْهِ بَلْ أَلْفَانِ
عَقْلًا ونَقْلًا مَعْ صَرِيحِ الفِطْرَةِ الـ أُولَى وَذَوْقِ حَلَاوَةِ القُرْآنِ
كُلٌّ يَدُلُّ بأَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَاينُ الأَكْوَانِ
أَتَرَوْنَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ لِجَعَاجِعِ التَّعْطِيلِ والهَذَيَانِ
يَا قَوْمُ ما أَنْتُمْ عَلَى شَيءٍ إلَى أَنْ تَرجِعُوا لِلوَحْيِ بالإِذْعَانِ
وتُحَكِّمُوهُ فِي الجَلِيلِ ودِقِّهِ تَحْكِيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرضْوَانِ
قَدْ أَقْسَمَ اللهُ العَظِيمُ بِنَفْسِهِ قَسَمًا يُبِينُ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ
أَنْ لَيْسَ يؤمِنُ مَنْ يكُونُ مُحَكِّمًا غَيْرَ الرَّسُولِ الوَاضِحِ البُرْهَانِ
بَلْ لَيْسَ يؤمِنُ غَيْرُ مَنْ قَدْ حَكَّمَ الـ ـوَحْيَيْنِ حَسْبُ فذاكَ ذُو إيمَانِ
هَذَا وَمَا ذَاكَ المُحَكِّمُ مُؤْمِنًا إِنْ كَانَ ذَا حَرَجٍ وَضِيقِ بِطَانِ
هَذَا وَلَيسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُسَلِّمَ لِلَّذي يَقْضِي بِهِ الوَحْيَانِ
يَا قَوْمُ باللهِ العَظِيمِ نَشَدْتُكُمْ وَبِحُرْمَةِ الإِيمَانِ والقُرْآنِ
هَلْ حَدَّثَتْكُمْ قَطّ أَنفُسُكُمْ بِذَا فَسَلُوا نُفُوسَكُمُ عَنِ الإِيمَانِ
لَكِنَّ رَبَّ العَالَمِينَ وجُنْدَهُ وَرَسُولَهُ المبعُوثَ بالقُرْآنِ
هُمْ يَشْهَدُونَ بأنكُم أعدَاءُ مَنْ ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا بكُلِّ زَمَانِ
وَلأَيِّ شَيءٍ كَانَ أحمَدُ خَصْمَكُمْ أَعْنِي ابْنَ حَنبلٍ الرِّضَا الشَّيْبَانِي
ولأَيِّ شَيءٍ كَانَ بَعْدُ خُصُومَكُمْ أَهْلُ الحَدِيثِ وعَسْكَرُ القُرْآنِ

وَلأَيِّ شَيْءٍ كَانَ أَيْضًا خَصْمَكُمْ شَيْخُ الوجودِ العالمُ الحَرَّانِي
أَعْنِي أَبَا العبَّاسِ نَاصِرَ سُنَّةِ الْـ ـمختار قَامِعَ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ
واللهِ لَمْ يَكُ ذَنْبُهُ شَيْئًا سِوَى تَجْرِيدِهِ لحَقِيقَةِ الإِيمَانِ
إِذْ جَرَّدَ التَّوحِيدَ عَنْ شِرْكٍ كَذَا تَجْرِيدُهُ للوَحْيِ عَنْ بهتَانِ
فَتَجرَّدَ المقْصُودُ عَنْ قَصْدٍ لَهُ فَلِذَاكَ لَمْ يُنْصِفْ إِلَى إِنْسانِ
مَا مِنْهُمُ أَحَدٌ دَعَا لِمقَالَةٍ غَيْرِ الحَدِيثِ ومقْتَضَى الفُرْقَانِ
فَالقَومُ لَمْ يدْعُوا إِلَى غيرِ الهُدَى ودَعَوْتُمُ أَنتُمْ لِرأْيِ فُلَانِ
شَتَّانَ بَيْنَ الدَّعْوَتَينِ فَحَسْبُكُمْ يَا قَوْمُ مَا بكُمُ مِنَ الخِذْلَانِ
قَالُوا لَنَا لمَّا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى هَذَا مَقَالَةَ ذِي هَوًى مَلْآنِ
ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيوخِ وحُرْمَةُ الْـ ـعُلمَاءِ بَلْ عَبَرَتْهُمُ العَيْنَانِ
وتَرَكتُمُ أَقوَالَهُمْ هَدَرًا وَمَا أَصْغَتْ إِلَيْهَا مِنْكُمُ أذنَانِ
لَكِنْ حَفِظْنَا نَحنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ نَعْدُ الذِي قَالُوه قَدْرَ بَنَانِ
يَا قَوْمُ واللهِ العَظِيمِ كَذَبتُمُ وَأَتَيْتُمُ بِالزُّورِ والبُهْتَانِ
وَنَسبْتُمُ العُلَمَاءَ لِلأَمْرِ الَّذِي هُمْ مِنْهُ أَهْلُ بَراءَةٍ وَأَمَانِ
واللهُ مَا أَوصَاكُمُ أَنْ تَترُكُوا قَوْلَ الرسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلسَانِ
كَلَّا وَلَا فِي كُتْبِهِمْ هَذَا بَلَى بِالعَكْسِ أَوْصَاكُمْ بِلَا كِتْمَانِ
إِذْ قَدْ أَحَاطَ العِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بمَعْصُومِينَ بالبُرْهَانِ
كَلَّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بكلِّ مَا قَدْ قَالَهُ المبْعُوثُ بالقُرْآنِ

فَلِذاكَ أوْصَاكُمْ بأنْ لَا تَجْعَلُوا أَقْوالَهُمْ كالنَّصِّ في الميـزَانِ
لَكِنْ زِنُوهَا بالنصُوصِ فإنْ تُوا فِقْهَا فَتِلْكَ صَحِيحَةُ الأَوْزَانِ
لَكِنَّكُـمْ قَدَّمْتُـمُ أَقْوالهُـمْ أَبَدًا عَلَى النَّصِّ العَظِيمِ الشَّانِ
واللهِ لَا لِوَصِيَّةِ العُلَمَاءِ نَفَّذْتُمْ وَلَا لِوَصِيَّةِ الرَّحمَـٰنِ
وَركبتُمُ الجَهْلَينِ ثُمَّ تركتُمُ النَّصَّيْنِ مَعْ ظُلْمٍ وَمَعْ عُدْوَانِ
قُلنَا لَكُم فتعلَّمُوا قُلْتمْ أَمَا نَحنُ الأئمَّةُ فاضِلُو الأَزْمَانِ
مِنْ أينَ والعُلَمَاءُ أنتُم فاسْتَحُوا أينَ النُّجُومُ مِنَ الثَّرى التَّحْتَاني
لَمْ يُشْبِهِ العُلَمَاءَ إلَّا أَنْتُمُ أَشْبَهْتُمُ العُلَمَاء فِي الأَذْقَانِ
واللهِ لَا عِلْمٌ وَلَا دِينٌ وَلَا عَقْلٌ ولَا بِمُرُوءَةِ الإِنْسَانِ
عَامَلْتُمُ العُلَمَاءَ حِينَ دَعَوْكُمُ لِلْحَقِّ بَلْ بالبَغْيِ والعُدْوَانِ
إنْ أنتُمُ إلَّا الذُّبَابُ إذَا رَأَى طُعْمًا فَيَا لَمَسَاقِطِ الذِّبَّانِ
وإذَا رَأَى فَزَعًا تَطَايَرَ قَلْبُهُ مِثْلَ البُغَاثِ يُسَاقُ بالعِقْبَانِ
وإذا دَعَوْنَاكُمْ إلَى البُرهَانِ كَا نَ جَوَابُكُمْ جَهْلًا بِلَا بُرْهَانِ
نَحْنُ المقَلِّدَةُ الأُلَى أَلْفَوْا كَذَا آباءَهُمْ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
قُلنَا فكيفَ تُكَفِّرُونَ وما لكُمْ عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إيمَـانِ
إذْ أجمَعَ العُلمَاءُ أنَّ مُقَلِّدًا للنَّاسِ والأَعْمَى هُمَا أَخَوَانِ
والعِلمُ مَعْرِفَةُ الهُدَى بِدَلِيلِهِ مَا ذَاكَ والتَّقلِيدُ مُسْتَوِيَانِ
حِرْنَا بِكُمْ واللهِ لَا أَنْتُمْ مَعَ الـ ـعُلَمَاءِ تَنْقَـادُونَ لِلْبُرهَـانِ

كَلَّا وَلَا متعلِّمُونَ فَمَنْ تُرَى تُدْعَونَ نَحسبُكُمْ مِنَ الثِّيرانِ
نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا ونَالَتْ مِنْكُمُ الـ ـمَعْهُودَ مِنْ بَغْيٍ وَمِنْ عُدْوَانِ
فَمنِ الَّذِي خيرٌ وأنْفَعُ لِلْوَرَى أَنْتُمْ أَمِ الثِّيرانُ بالبُرْهَانِ

فصل

هَذَا وثَامِنَ عَشْرَهَا تَنْزِيهُهُ سُبْحَانَهُ عَنْ مُوجِبِ النُّقْصَانِ
وَعَنِ العُيُوبِ ومُوجِبِ التَّمْثِيلِ والتَّـ ـشْبِيهِ جَلَّ اللهُ ذُو السُّلْطَانِ
وَلذاكَ نَزَّه نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَنْ أنْ يكُونَ لَهُ شَرِيكٌ ثَانِ
أَوْ أنْ يكونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الوَرَى سُبْحَانَهُ عَنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ
أَوْ أنْ يُوَلِّي خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حَاجَةٍ أَوْ ذِلَّةٍ وَهَوَانِ
أَوْ أنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَصْلًا شَافِعٌ إِلَّا بِإِذْنِ الوَاحِدِ المنَّانِ
وَكَذاكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ وَالِدٍ وكَذَاكَ عَنْ وَلَدٍ هُمَا نَسَبَانِ
وَكَذاكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ زَوْجَةٍ وَكَذَاكَ عَنْ كُفُؤٍ يكُونُ مُدَانِي
ولَقَدْ أَتَى التَّنزِيهُ عَمَّا لَمْ يَقُمْ كَيْ لَا يَزُورَ بِخَاطِرِ الإِنْسانِ
فانظُرْ إِلَى التنْزِيهِ عَنْ طُعْمٍ وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنسَانِ
وَكَذلِكَ التنْزِيهُ عَنْ مَوْتٍ وعَنْ نَوْمٍ وَعَنْ سِنَةٍ وَعَنْ غِشْيَانِ
وَكَذَلِكَ التنزِيهُ عَنْ نِسْيَانِهِ والربُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نِسْيَانِ
وكَذلِكَ التنْزِيهُ عَنْ ظُلْمٍ وَفِي الـ أَفْعَالِ عَنْ عَبَثٍ وَعَنْ بُطْلَانِ

وَكذلِكَ التنْزِيهُ عَنْ تَعَبٍ وَعَنْ عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرحْمٰنِ
وَلقدْ حَكَى الرحْمنُ قَوْلًا قَالهُ فِنْحَاصُ ذُو البُهْتَانِ والكُفْرانِ
إنَّ الإِلَهَ هُو الفَقيرُ وَنَحنُ أَصْـ ـحَابُ الغِنَى ذُو الوُجْدِ والإِمْكَانِ
وَكذَاكَ أَضْحَى رَبُنَا مُسْتَقْرِضًا أَمْوَالَنَا سُبحَانَ ذِي الإِحسَانِ
وحَكَى مَقَالَةَ قائلٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ العُزَيْر ابنٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ
هَذَا وَمَا القَوْلَانِ قَطُّ مقَالَةٌ مَنْصُورَةٌ فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانِ
لَكِنْ مَقَالةُ كَونِهِ فَوْقَ الوَرَى والعَرشِ وَهْوَ مُبَايِنُ الأَكْوَانِ
قَدْ طَبَّقتْ شَرْقَ البِلَاد وَغَرْبَهَا وَغَدَتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الأَذهَانِ
فَلأَيِّ شَيءٍ لَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ القُرْآنِ
عَنْ ذِي المَقَالَةِ مَعْ تَفَاقُمِ أمرِهَا وَظُهُورِها فِي سَائِر الأديَانِ
بَلْ دَائِماً يُبْدِي لَنَا إثبَاتَهَا ويُعِيــدُهُ بأدِلَّــةِ التِّبْيَـــانِ
لَا سِيَّمَا تِلْكَ المَقَالَةِ عِنْدَكُمْ مَقْرُونَــةٌ بِعبَــادَةِ الأَوْثَـــانِ
أَوْ أنهَـا كَمَقَالَــةٍ لمثــلِّثٍ عَبَدَ الصَّلِيبَ المشرِكِ النَّصْرَانِي
إذ كَانَ جِسْمًا كلُّ موْصُوفٍ بِهَا لَيْسَ الإِلَهُ مُنَـزِّلُ الفُرْقَـانِ
فالعَابِدُونَ لمنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى بالذَّاتِ لَيْسُوا عَابِدِي الدَّيانِ
لَكِنَّهُمْ عُبَّـادُ أَوْثَـانٍ لَـدَى هَذَا المعَطِّلِ جَاحِدِ الرَّحمٰنِ
ولذَاكَ قَدْ جَعَلَ المعَطِّلُ كُفرَهُمْ هُوَ مُقْتَضَى المعْقُولِ والبُرْهَانِ
هَذَا رَأينَـاهُ بكُتْبِكُـمُ وَلَـمْ نَكْذِبْ عَلَيْكُمْ فِعْلَ ذِي البُهْتَانِ

وَلأَيِّ شيءٍ لَمْ يُحَذِّرْ خلقَهُ عَنْهَا وَهَـذَا شَأْنُهَـا بِبَيَـانِ
هَذَا وَلَيْسَ فَسَادُهَا بِمُبَيَّـنٍ حَتَّى يُحَالَ لَنَا عَلَى الأَذْهَانِ
وَلِذَاكَ قَدْ شَهِدَتْ أَفَاضِلُكُمْ لَهَا بِظُهُورِهَا لِلوَهْمِ فِي الإِنْسَانِ
وَخَفَاءِ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيٍ عَلَى الـ أَذْهَـانِ بَلْ تَحْتَاجُ للبُرهَـانِ

□ فصـل □

هَذَا وتَاسِعَ عَشْرَهَا إِلزَامُ ذِي الـتَّـعْـطِيلِ أَفْسَدَ لَازمٍ بِبَيَـانِ
وَفَسَادُ لَازِمِ قَوْلِهِ هُوَ مُقْتَضىً لِفَسادِ ذَاكَ القَوْلِ بالبُرهَانِ
فَسَلِ المعُطِّلَ عَنْ ثَلاثِ مَسَائِلٍ تَقْضي عَلَى التعْطِيلِ بالبُطْلانِ
مَاذَا تقُولُ أَكَانَ يَعْرِفُ ربَّهُ هَذَا الرسُولُ حَقِيقَةَ العِرْفَانِ
أَمْ لَا وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا كُلَّ النصِيحَةِ لَيْسَ بالخَوَّانِ
أَمْ لَا وَهَلْ حَازَ البلاغَةَ كلَّهَا فاللفْظُ والمعْنَى لَهُ طَوْعَانِ
فإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثلاثَةُ فِيهِ كَا مِلَةً مبرَّأَةً مِـنَ النـقْصَانِ
فَلأَيِّ شَيْءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِمًا لِلنفْيِ والتعْطِيلِ في الأَزْمَانِ
بَلْ مُفْصِحًا بالضِّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةَ الْـ إِفْصَاحِ مُوضِحَةً بكلِّ بَيَانِ
ولأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يصَرِّحْ بالَّذِي صَرَّحْتُمُ فِي رَبِّنَا الرَّحْمنِ
أَلِعَجْزِهِ عَنْ ذَاكَ أَمْ تَقْصِيرِهِ فِي النصْحِ أَمْ لِخَفَاءِ هَذَا الشَّانِ
حَاشَاهُ بَلْ ذَا وَصْفُكُمْ يا أُمَّةَ الـتَّـعْطِيـلِ لَا المبْعُوثِ بالقُرآنِ

وَلأيِّ شَيْءٍ كَانَ يَذْكُر ضِدَّ ذا ... فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وكُلِّ زَمَانِ

أَتَراهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنْ قَوْلِهِ اسْـ ... ـتَوْلَى وينزِلُ أَمْـرُهُ وَفُلانِ

وَيَقُولُ أَيْنَ اللهُ يَعْنِي مَنْ بِلَفْـ ... ـظِ الأَيْنِ هَلْ هَذَا مِنَ التِّبْيَانِ

واللهِ مَا قَالَ الأَئِمَّةُ غَيْرَ مَا ... قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانِ

لكِنْ لأَنَّ عُقُولَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ ... ضَاقَتْ بِحَمْلِ دَقَائِقِ الإِيمَانِ

وَغَدَتْ بَصَائِرُهُمْ كَخُفَّاشٍ أَتَى ... ضَوْءُ النَّهَارِ فكفَّ عَنْ طَيَرَانِ

حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلامُهُ ... أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانِ

وَكَذا عُقُولُكُمْ لَوِ اسْتَشْعَرْتُمُ ... يَا قَوْمُ كالحَشْراتِ والفِيرَانِ

أَنِسَتْ بإِيحَاشِ الظَّلامِ وَمَا لَهَا ... بِمَطَالِعِ الأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ

لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ معَطِّلٌ ... لِعُلُـوِّهِ وَصِفَاتِـهِ الرَّحْمـٰـنِ

لَزِمَتْكُمُ شِنَعٌ ثَلاثٌ فَارْتَئُوا ... أَوْ خُلَّةٌ مِنْهُنَّ أَوْ ثِنْتَـانِ

تَقْدِيمُهُمْ فِي العِلْمِ أَوْ فِي نُصْحِهِمْ ... أَوْ فِي البَيَانِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانِ

إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمُ حَقًّا فَقَدْ ... ضَلَّ الوَرَى بالوَحْيِ والقُرآنِ

إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الذِي قُلْتُمْ وَمَا ... ضِدَّانِ فِي المَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ

بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعَطَّلَ مِنْهُمَا ... ويُحَالَ فِي عِلْمٍ وفِي عِرْفَانِ

إِمَّا عَلَى جَهْمٍ وَجَعْدٍ أَوْ عَلَى الـنّـظَّـامِ أَوْ ذِي المذهَبِ اليُونَانِي

وَكَذَاكَ أَتْبَاعٌ لَهُمْ فَقْعُ الفَلا ... صُمٌّ وبكْمٌ تَابعو العُمْيَـانِ

وَكَذاكَ أَفْرَاخُ القَرامِطَةِ الأُلَى ... قَدْ جَاهَرُوا بِعَداوَةِ الرَّحْمـٰنِ

كالحَاكِمِيَّةِ والأُلَى وَالوهُـمُ كَأَبِي سَعِيدٍ ثمَّ آلِ سِنَانِ
وَكَذا ابنُ سِينَا والنَّصيرُ نَصِيرُ أَهْـ ـلِ الشِّرْكِ والتّكذِيبِ والكُفْرانِ
وَكذاكَ أَفراخُ المجُوسِ وشِبْههمْ والصَّابِئِينَ وكلّ ذِي بُهْتَانِ
إِخْوانُ إِبلِيس اللعِينِ وجُنْدهُ لَا مرْحَبًا بعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
أَفمَنْ حِوَالَتُهُ عَلَى التَّنْزِيلِ والـ ـوَحْيِ المبِينِ ومُحْكَمِ القُرْآنِ
كمخَيَّرٍ أضحَتْ حِوَالَتُهُ عَلَى أمثَالِهِ أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ
أَمْ كيفَ يشْعُرُ تَائِهٌ بمُصَابِهِ والقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ
قُفْلٌ مِنَ الجَهْلِ المركَّبِ فَوْقَهُ قُفْلُ التعصُّبِ كَيْفَ يَنْفَتِحَانِ
وَمَفَاتِحُ الأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ الـتَّصْرِيفُ سُبْحَانَ العَظِيمِ الشَّانِ
فاسْأَلْهُ فَتْحَ القُفْلِ مجْتَهِدًا عَلَى الـ أَسْنَانِ إِنَّ الفَتْحَ بالأَسْنَانِ

فصل

هَذَا وخَاتَمُ العِشْرِينَ وَجْهًا وَهْوَ أَقْرَبُهَا إِلَى الأَذْهَانِ
سَرْدُ النُّصُوصِ فإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ طُرقَ الأدِلَّةِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ
والنَّظْمُ يَمنَعُنِي مِنَ اسْتِيفَائِهَا وَسِيَاقَةُ الأَلْفَاظِ بالمِيزَانِ
فَأُشِيرُ بَعْضَ إِشَارَةٍ لِمَوَاضعٍ مِنْهَا وَأَيْنَ البَحْرُ مِنْ خُلجَانِ
فاذكُرْ نُصُوصَ الإِسْتِواءِ فإِنَّها فِي سَبْعِ آياتٍ مِنَ القُرْآنِ
واذكُرْ نُصُوصَ الفوقِ أَيضًا فِي ثَلا ثٍ قَدْ غَدَتْ معلومَةَ التِّبيَانِ

واذكُرْ نُصُوصَ عُلُوِّهِ فِي خَمْسَةٍ مَعْلُومةٍ بَرِئَتْ مِنَ النقْصَانِ
واذكُرْ نُصُوصًا في الكِتَابِ تَضَمَّنَتْ تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبِّنَا الرَّحمٰنِ
فتضَمَّنتْ أَصْلَيْنِ قَامَ عَلَيهِمَا الْـ إسْلَامُ والإِيمَانُ كالبُنْيَانِ
كَوْنُ الكِتَابِ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
وعِدَادُهَا سَبْعُونَ حِينَ تُعَدُّ أَوْ زَادَتْ عَلَى السَّبِعِينَ فِي الحُسْبَانِ
واذكُرْ نُصُوصًا ضُمِّنَتْ رَفْعًا ومِعْـ ـرَاجًا وإِصْعَادًا إلَى الدَّيَّانِ
هِيَ خَمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بالعَدِّ والْـ ـحُسْبَانِ فاطْلُبْهَا مِنَ القُرْآنِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ المُلْكِ الَّتِي تُنْجِي لِقَارِئِهَا مِنَ النِّيرَانِ
نَصَّانِ أَنَّ اللهَ فَوْقَ سَمَائِهِ عِنْدَ المحرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانِ
ولقَدْ أَتَى التَّخْصِيصُ بالْعِنْدِ الَّذِي قُلنَا بِسَبْعٍ بَلْ أَتَى بِثَمَانِ
مِنْهَا صَرِيحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الـ أَعْرافِ ثُمَّ الأَنبِيَاءِ الثَّانِي
فَتَدَبَّرِ التَّعْيِينَ وانظُرْ مَا الذِي لِسواهُ لَيْسَتْ تقتَضِي النَّصَّانِ
وبِسُورة التحْرِيمِ أَيْضًا ثَالثٌ بَادِي الظُّهور لمنْ لَهُ أُذنَانِ
وَلَدَيْهِ في مُزَّمِّلٍ قَدْ بَيَّنَتْ نَفْسَ المَرَادِ وَقُيِّدَتْ بِبَيَانِ
لَا تَنْقُضِ البَاقِي فَمَا لمعَطِّلٍ مِنْ رَاحَةٍ فِيهَا ولَا تِبْيَانِ
وبسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزَّمِّلٍ سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ذُو شَانِ
فِي ذِكْرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدْ عِلماً بِهِ فَهُوَ القَرِيبُ الدَّانِي
لَمْ يَسْمَحِ المتَأخِّرون بنَقْلِهِ جُبْنًا وَضَعْفًا عَنْهُ فِي الإِيمَانِ

بَلْ قَالَهُ المتقدِّمونَ فَوَارِسُ الـ   إِسْلَامِ هُمْ أُمَراءُ هَذَا الشَّانِ
وَمحمَّدُ بنُ جَرِيرٍ الطبرِيُّ فِي   تَفْسِيرِهِ حُكِيتْ بِهِ القَوْلَانِ

□ فصـــلٌ □

هَذَا وَحَادِيهَا وَعِشرونَ الَّذِي   قدْ جَاءَ فِي الأَخْبَارِ والقُرْآنِ
إتيانُ ربِّ العرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ   ومَجِيئُـهُ لِلـفَصْلِ بالمِيـــزَانِ
فانظُرْ إِلَى التقْسيمِ والتنْويعِ فِي الـ   ـقرْآنِ تُلفيهِ صَرِيـحَ بَيَــانِ
إنَّ المـجـيءَ لِـذَاتِـهِ لَا أمـــرِه   كَلَّا وَلَا مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ
إذْ ذَانِكَ الأَمْرَانِ قَدْ ذُكِرَا وَبَيْـ   ـنَهُمَا مَجيءُ الربِّ ذِي الغُفْرَانِ
واللهِ مَا احْتَمَلَ المجيءُ سِوَى مَجي   ءِ الـذَّاتِ بَعْـدَ تَبيُّنِ البُرْهَانِ
مِنْ أينَ يأتِي يا أُولِي المعْقُولِ إنْ   كُنتُمْ ذَوِي عَقْلٍ مَعَ العِرْفَانِ
مِنْ فَوْقِنَا أَوْ تَحْتِنَا أَوْ عَنْ شَمَا   ئِلِنَا وَمِنْ خَلْفٍ وعنْ أيْمَانِ
واللهِ لَا يَأتِيهُمُ مِنْ تَحْتِهِمْ   أَبَدًا تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلطَانِ
كَلَّا وَلَا مِنْ خَلْفِهِمْ وأَمَامِهِمْ   وَعَنِ الشَّمَائِلِ أَوْ عَنِ الأيْمانِ
واللهِ لَا يأتِيهُمُ إلَّا مِنَ الـ   ـعُلوِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

* * *

□ فصــلٌ □

○ فِي الإشارة إلى ذلك من السنة ○

وَاذْكُرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنتْ كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي البُهْتَانِ
لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلِيقَةَ رَبُّنَا كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الإِحْسَانِ
وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضْعٌ عَلَى الـ ـعَرْشِ المجيدِ الثَّابتِ الأَرْكَانِ
إنِّي أَنَا الرحمنُ تَسْبِقُ رَحْمتِي غَضَبِي وَذَاكَ لرأفَتِي وَحَنَانِي
وَلقدْ أَشَارَ نبيُّنا في خُطْبَةٍ نَحْوَ السَّمَاءِ بأصْبُعٍ وبَنَانِ
مُسْتَشْهِدًا ربَّ السَّمواتِ العُلَا ليَرى ويسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقلانِ
أتراهُ أمْسَى للسَّمَا مُسْتَشْهِدًا أمْ للَّذي هُوْ فَوْقَ ذِي الأَكْوانِ
ولقَدْ أتَى فِي رُقْيَةِ المرْضَى عَنِ الـ ـهَادِي المُبينِ أتمُّ مَا تِبْيَانِ
نَصٌّ بأنَّ اللهَ فوْقَ سَمَائِهِ فاسْمَعْهُ إنْ سَمِعَتْ لَكَ الأُذُنَانِ
وَلَقَدْ أَتَى خَبَرٌ رَواهُ عَمُّهُ الـ ـعَبَّاسُ صِنْوُ أَبيهِ ذُو الإِحْسَانِ
أن السَّمواتِ العُلَا مِنْ فَوْقِهَا الـ ـكرسِيّ عَلَيهِ العَرْشُ للرَّحْمَنِ
واللهُ فوْقَ العَرْشِ ينظُرُ خَلْقَهُ فانظُرْهُ إنْ سَمَحَتْ لَكَ العَيْنَانِ
واذْكُرْ حَدِيثَ حُصَيْنٍ بنِ المنْذِرِ الـثِّـقَـةِ الرِّضَا أَعْنِي أَبَا عِمْرَانِ
إذ قَالَ رَبِّي فِي السَّماءِ لرغبَتِي ولرهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانِ
فأقَرَّهُ الهَادِي البشِيرُ ولمْ يَقُلْ أَنْتَ المجَسِّمُ قَائِلٌ بِمَكَانِ

حَيّزت بَلْ جَيَّهْتَ بَلْ شَبَّهْتَ بَلْ جَسَّمْتَ لَسْتَ بعَارِفِ الرَّحْمنِ
هَذِي مَقَالَتُهُمْ لمنْ قَدْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ حقًّا أَبو عمْرَانِ
فالله يأخُذُ حَقَّهُ مِنهُمْ وَمِنْ أَتْبَاعِهِمْ فالحَقُّ للرحْمنِ
وَاذْكُرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبِّي فِي السَّما بِحقِيقَةِ الإِيمَانِ
وشَهَادَةَ العَدْلِ المعطِّلِ لِلَّذِي قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الكُفْرانِ
واحكُمْ بأيِهِمَا تَشَاءُ وإِنَّنِي لأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ البُطْلَانِ
إِنْ كُنتَ مِنْ أَتبَاعِ جَهْمٍ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ والعُدْوانِ والبُهْتَان
واذكُرْ حَديثًا لابن إسْحَاقَ الرِّضَا ذَاكَ الصَّدوق الحَافِظُ الرَّبَّاني
فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهِمْ يَسْتَشْفِعُو نَ إِلَى الرَّسُولِ بربِّهِ المَنَّانِ
فَاسْتَعْظَمَ المُختَارُ ذاكَ وَقَالَ شأ نُ اللهِ ربِّ العَرْشِ أعظَمُ شَانِ
اللهُ فوقَ العَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ سُبْحَانَ ذِي الملكُوتِ والسُّلطَانِ
ولعَرْشِهِ مِنْهُ أَطِيطٌ مِثْلَ مَا قَدْ أطَّ رَحْلُ الراكِبِ العَجْلانِ
للهِ مَا لَقِيَ ابن إسْحَاقٍ مِنَ الـ ـجهْمِيِّ إِذْ يرْمِيهِ بالعُدْوَانِ
وَيَظَلُ يَمْدحُهُ إِذَا كَانَ الَّذِي يَرْوِي يوافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّانِ
كَمْ قَدْ رأَينَا مِنْهُمُ أمثَالَ ذَا فالحُكْم للهِ العَلِيِّ الشَّانِ
هَذَا هُوَ التَّطْفِيفُ لا التَّطْفِيفُ فِي ذَرْعٍ وَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ
واذكُرْ حَدِيثَ نزُولِهِ نِصْفَ الدُّجَى فِي ثلْثِ لَيْلٍ آخرٍ أَوْ ثَانِ
فنزُولُ ربٍّ ليسَ فَوْقَ سَمَائِهِ فِي العَقْل مُمتَنِعٌ وفِي القُرْآنِ

وَاذْكُرْ حديثَ الصَّادِقِ ابنِ رَوَاحَةٍ فِي شَأْنِ جَارِيةٍ لدَى الغَشَيَانِ
فِيهِ الشَّهادَةُ أنَّ عرْشَ اللهِ فَوْ قَ الماءِ خَارجَ هَذِهِ الأَكْوَانِ
واللهُ فوقَ العَرشِ جلَّ جلالُهُ سُبْحَانَهُ عَنْ نَفْي ذِي البُهْتَانِ
ذَكَرَ ابنُ عبدِ البَرِّ فِي اسْتِيعَابِهِ هَذَا وَصَحَّحَهُ بِلا نُكْرَانِ
وَحديثُ مِعْراجِ الرسُولِ فَثَابِتٌ وَهْوَ الصَّرِيحُ بغَايَةِ التِّبْيَانِ
وإلَى إلهِ العَرْشِ كَانَ عُروجُهُ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ صَحْبِهِ رَجُلانِ
واذكُرْ بقصَّةِ خَنْدقٍ حُكْمًا جَرَى لقريظَةٍ مِنْ سَعْدٍ الرَّبَّانِي
شَهِدَ الرسُولُ بأنَّ حُكْمَ إلهِنَا مِنْ فَوْقِ سَبْعٍ وِفْقَهُ بوزانِ
واذكُرْ حَديثًا للبَرَاءِ رَوَاهُ أصْـ ـحَابُ المسَانِدِ مِنْهُمُ الشَّيْبَانِي
وَأبو عَوانَةَ ثم حَاكِمُنَا الرِّضَا وأبو نعيمٍ الحَافِظِ الربَّانِي
قد صَحَّحُوهُ وَفِيهِ نَصٌّ ظَاهِرٌ مَا لَمْ يحرِّفْهُ أولو العُدْوَانِ
فِي شَأْنِ رُوحِ العَبْدِ عِنْد وَدَاعِهَا وفِراقِهَا لمسَاكِنِ الأبدَانِ
فتظَلُّ تَصْعَدُ فِي سَمَاءٍ فَوْقَهَا أخْرَى إلَى خَلَّاقِهَا الرَّحْمَنِ
حَتَّى تَصِيرَ إلَى سَمَاءٍ رَبُّهَا فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بأمَانِ
وَاذْكُر حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ وَفِيـ ـهِ تَحْذِيرٌ لِذَاتِ البَعْلِ مِنْ هِجْرَانِ
مِنْ سُخْطِ ربٍّ فِي السَّمَاءِ عَلَى التي هَجَرَتْ بِلَا ذَنْبٍ وَلَا عُدْوَانِ

* * *

وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ ... فِيهِ الشِّفَاءُ لِطَالِبِ الإِيمَانِ
فِي شَأْنِ أَهْلِ الجَنَّةِ العُلْيَا وَمَا ... يَلْقَوْنَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
بَيْنَاهُمُ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ ... وَإِذَا بِنُورٍ سَاطِعِ الغَشَيَانِ
لكِنهُمْ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُءوسَهُمْ ... فَإِذَا هُوَ الرحمنُ ذُو الغُفْرَانِ
فَيُسَلِّمُ الجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ ... حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهْوَ ذُو الإِحسَانِ
وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ ... طَرِيقُهُ فِيهِ أَبُو اليَقْظَانِ
فِي فَضْلِ يَوْمِ الجُمْعَةِ اليَوْمِ الَّذِي ... بِالفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ النَّصَّانِ
يَوْمُ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... حَقًّا عَلَى العَرْشِ العَظِيمِ الشَّانِ
وَاذْكُرْ مَقَالَتَهُ أَلَسْتُ أَمِينَ مَنْ ... فَوْقَ السَّمَاءِ الوَاحِدِ الرحمنِ
وَاذْكُرْ حَدِيثَ أَبِي رُزَيْنٍ ثُمَّ سُقْـ ... ـهُ بِطُولِهِ كَمْ فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ
واللهِ مَا لِمُعَطِّلٍ بِسَمَاعِهِ ... أَبَدًا قُوَى إِلَّا عَلَى النُّكْرَانِ
فَأُصُولُ دِينِ نَبِيِّنَا فِيهِ أَتَتْ ... فِي غَايَةِ الإِيضَاحِ والتِّبْيَانِ
وَبِطُولِهِ قَدْ سَاقَهُ ابنُ إِمَامِنَا ... فِي سُنَّةٍ والحَافِظُ الطَّبَرَانِي
وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ بِتَارِيخٍ لَهُ ... وَأَبُوهُ ذَاكَ زُهَيْرٌ الرَّبَّانِي
وَاذْكُرْ كَلَامَ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ ... أَقِمِ الصَّلَاةَ وَتِلْكَ فِي سُبْحَانِ
فِي ذِكْرِ تَفْسِيرِ المَقَامِ لِأَحْمَدٍ ... مَا قِيلَ ذَا بِالرَّأْيِ وَالحُسْبَانِ
إِنْ كَانَ تَجْسِيمًا فَإِنَّ مُجَاهِدًا ... هُوَ شَيْخُهُمْ بَلْ شَيْخُهُ الفَوْقَانِي
وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ الجُلُوسِ بِهِ وَفِي ... أَثَرٍ رَوَاهُ جَعْفَرُ الرَّبَّانِي

أَعْنِي ابنَ عَمٍّ نَبِيِّنَا وبِغَيْرِهِ أَيْضًا أَتَى والحَقُّ ذُو التِّبيَانِ
وَالدَارَقُطْنِيُّ الإِمَامُ يُثَبِّتُ الـ آثَارَ فِي ذَا البَابِ غَيْرَ جَبَانِ
ولَهُ قَصِيد ضُمِّنَتْ هَذَا وَفِيـ ـهَا لَسْتُ لِلْمَرْوِيِّ ذَا نُكْرَانِ
وَجَرَتْ لِذَلِكَ فِتْنَةٌ فِي وَقْتِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ والعُدْوَانِ
واللهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ
لَكِنْ بِمِحْنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حَرْبِه ذَا حِكْمَةٍ مُذْ كَانَتِ الفِئَتَانِ
وَقَدِ اقْتَصرتُ عَلَى يَسِيرٍ مِنْ كَثِيـ ـرٍ فَائِتٍ للعَدِّ وَالحُسْبَانِ
مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بالتَّـ ـحْرِيف فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَـٰنِ

□ فصـــل □

○ فِي جناية التَّأويل على مَا جَاء به الرسُول ○
والفرق بين المردود منه والمقبول

هَذَا وَأصْلُ بَلِيَّةِ الإِسْلَامِ مِنْ تَأوِيلِ ذِي التَّحْرِيفِ والبُطْلَانِ
وَهُوَ الَّذِى قَدْ فَرَّقَ السَّبْعِينَ بَلْ زَادَتْ ثَلَاثًا قَوْلَ ذِي البُرْهَانِ
وَهُوَ الَّذِي قَتَل الخَلِيفَةَ جَامِعَ الـ ـقُرْآنِ ذَا النُّورَينِ والإِحْسَانِ
وَهُوَ الَّذِي قَتَل الخَلِيفَةَ بَعْدَهُ أَعْنِي عَلِيًّا قاتِلَ الأَقْرَانِ
وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الحُسَيْنَ وأَهْلَهُ فَغَدَوْا عَلَيْهِ ممزَّقِي اللُّحْمَانِ

وَهوَ الَّذي فِي يَوْمِ حَرْبِهِمُ أَبا ... حَ حِمَى المدِينَةِ مَعْقِلِ الإِيمَانِ
حَتَّى جَرَتْ تِلكَ الدِمَاءُ كأَنها ... فِي يَوْمِ عِيدٍ سُنَّةُ القُرْبَانِ
وَغَدَا لَهُ الحَجَّاجُ يَسْفِكُهَا ويَقْـ ... ـتُلُ صَاحِبَ الإِيمَانِ والقُرْآنِ
وَجَرَى بمكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أجْلِه ... مِنْ عَسْكَرِ الحَجَّاجِ ذِي العُدْوانِ
وَهُوَ الَّذِي أَنْشَا الخَوارِجَ مِثْلَ إنـ ... ـشاءِ الرَّوافِضِ أَخْبَثِ الحَيَوانِ
ولأجْلِهِ شَتَمُوا خِيارَ الخَلْقِ بَعْـ ... ـدَ الرُّسْلِ بالعُدْوَانِ والبُهْتَانِ
ولأجْلِهِ سَلَّ البُغَاةُ سُيُوفَهُمْ ... ظَنًّا بأنهُمُ ذَوُو إحْسَانِ
ولأجْلِهِ قَدْ قَالَ أَهْلُ الإعْتَزِا ... لِ مَقَالَةً هَدَّتْ قُوى الإِيمَانِ
ولأجْلِهِ قَالَوا بأنَّ كَلامَهُ ... سُبْحَانَهُ خَلْقٌ مِنَ الأكْوَانِ
ولأجْلِهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِه ... شِبْهُ المجُوسِ العَابِدِي النِّيرَانِ
ولأجْلِهِ قَدْ خَلّدُوا أهْلَ الكَبَا ... ئِرِ فِي الْجَحِيمِ كَعَابِدِي الأَوْثَانِ
ولأجْلِهِ قَدْ أنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْـ ... ـمُخْتَارِ فِيهِمْ غَايَةَ النُّكْرَانِ
ولأجْلِهِ ضُرِبَ الإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ ... صِدِّيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ الشَّيْبَانِي
ولأجْلِهِ قَدْ قَالَ جَهْمٌ لَيسَ رَبُّ العَرْشِ ... خَارِجَ هَذِهِ الأكْوَانِ
كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّموَاتِ العُلَا ... والعَرْشِ مِنْ رَبٍّ وَلَا رحْمٰنِ
مَا فَوْقَهَا رَبٌّ يُطَاعُ جِبَاهُنَا ... تَهْوِي لَهُ بِسُجُودِ ذِي خُضْعَانِ
وَلأجْلِهِ جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ ... والعَرْشَ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمٰنِ
ولأجْلِهِ أَفْنَى الجَحِيمَ وجنَّةَ الْـ ... ـمَأْوَى مَقَالَةَ كَاذِبٍ فَتَّانِ
وَلأجْلِهِ قَالُوا الإِلهُ مُعَطَّلٌ ... أَزَلًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ وَزَمَانِ

ولأجْلِهِ قَدْ قَالَ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ غَايَةٍ هِيَ حِكْمَةُ الدَّيَّانِ
ولأجْلِهِ قَدْ كَذَّبُوا بِنُزُولِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بِنِصْفِ لَيْلٍ ثَانِ
ولأجْلِهِ زَعَمُوا الكِتَابَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً عَنْ ذَلِكَ القُرْآنِ
مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى المخْلُوقِ والْـ ـقُرْآنُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرّحْمنِ
مَا ذَا كَلَامُ اللهِ قَطُّ حَقِيقَةً لِكَنْ مَجَازٌ وَيحَ ذَا البُهْتَانِ
ولأجْلِهِ قُتِلَ ابنُ نَصْرٍ أحْمَدٌ ذَاكَ الخُزَاعِيُّ العَظِيمُ الشَّانِ
إذْ قَالَ ذَا القُرْآنُ نفسُ كَلامِهِ مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الأكْوَانِ
وَهوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سِينَا والأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الكُفْرانِ
فَتَأَوَّلُوا خلْقَ السَّمواتِ العُلَا وَحُدُوثَهَا بَحَقِيقَةِ الإمْكَانِ
وتأوَّلُوا عِلْمَ الإلهِ وَقَوْلَهُ وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ وَالبُطْلَانِ
وتأَوَّلُوا البَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ الإلهِ لِهَذِهِ الأبْدَانِ
بِفَراقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِبتْ حَتَّى تَعُود بَسِيطَةَ الأرْكَانِ
وَهوَ الذِي جَرّ القَرَامِطَةَ الأُلَى يَتأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الإيمَانِ
فَتَأَوَّلُوا العَمَلِيَّ مِثْلَ تَأَوُّلِ الْـ ـعِلْمِيِّ عِنْدَكُمْ بِلَا فُرْقَانِ
وَهوَ الذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ حَتَّى أَتَوْا بعَسَاكِرِ الكُفْرَانِ
فَجَرَى عَلَى الإسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ وَخُمَارُهَا فِينَا إلَى ذَا الآنِ
وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بِدعٍ وأحْـ ـدَاثٍ تُخَالِفُ مُوجَبَ القُرآنِ
فَأَسَاسُهَا التأوِيلُ ذُو البُطلَانِ لاَ تأوِيلُ أَهْلِ العِلْمِ والإيمَانِ

إِذْ ذَاكَ تَفْسِيرُ المُرَادِ وكشْفُهُ وَبَيَانُ مَعْنَاهُ إلى الأَذْهَانِ
قَدْ كَانَ أَعْلَمُ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ كُلَّ أَوَانِ
يتأَوَّلُ القُرْآنَ عِنْدَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانِ
هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ أُمُّ المؤْمِنِيـ ـنَ حِكَايَةً عَنْهُ لَهَا بِلِسَانِ
فَانظُرْ إِلَى التأْوِيلِ مَا تَعْنِي بِهِ خَيْرُ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسْوَانِ
أَتَظُنُّهَا تَعْنِي بِهِ صَرْفًا عَنِ الْـ ـمَعْنَى الْقَوِيِّ لِغَيْرِ ذِي الرُّجْحَانِ
وانظر إِلَى التَّأْوِيلِ حين يقول علَّمهُ لعبد الله فِي القُرْآنِ
ماذا أراد به سوى تفسيره وظهور معناه لَهُ ببيان
قَوْلُ ابنِ عبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ لَا تَأْوِيلُ جَهْمِيٍّ أَخِي بُهتَانِ
وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرُّجُو عُ إِلَى الحَقِيقَةِ لَا إِلَى البُطْلَانِ
وَكَذَاكَ تَأْوِيلُ المَنَامِ حَقِيقَةُ الْـ ـمَرْئِيِّ لَا التَّحريفُ بالبُهْتَانِ
وَكَذاكَ تأوِيلُ الَّذِي قَدْ أَخْبَرَتْ رُسْلُ الإله بِهِ مِنَ الإِيمَانِ
لَا خُلْفَ بَيْنَ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ فِي هَذَا وَذَلِكَ وَاضِحُ البُرْهَانِ
نَفْسُ الحَقِيقَةِ إِذْ تُشَاهِدُهَا لَدَى يَوْمِ المَعَادِ بِرُؤْيَةٍ وَعِيَانِ
هَذَا كَلَامُ اللهِ ثُمَّ رسُولِهِ وأئمةِ التفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ
تَأْويلُهُ هُوَ عِنْدَهُمْ تَفسِيرُهُ بالظَّاهِرِ المفْهُومِ للأَذْهَانِ
مَا قَالَ مِنْهُم قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ تَأْويلُهُ صَرْفٌ عَنِ الرُّجْحَانِ
كَلَّا وَلَا نَفْيُ الحَقِيقَةِ لَا وَلَا عَزْلُ النُّصُوصِ عَنِ اليَقِينِ فَذَانِ

تَأْوِيلُ أَهْلِ البَاطِلِ المردُودِ عِنْـ ـدَ أئمةِ العِرْفَانِ والإيمَـانِ
وَهُوَ الَّذي لَا شَكَّ فِي بُطْلَانِهِ واللهُ يَقْضِي فِيهِ بالبُـطْلَانِ
فَجَعَلْتُمُ لِلَّفظِ مَعْنًى غَيْرَ مَعْـ ـنَاهُ لَديهِمْ بـاصْطِلَاحٍ ثَـانِ
وَحَمَلْتُمُ لَفْظَ الكِتَابِ عَلَيْهِ حَـتَّـى جَاءكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْـذورَانِ
كَذِبٌ عَلَى الأَلفَاظِ مَعْ كَذِبٍ عَلَى مَـنْ قَالَهَـا كَـذِبَان مقْبُوحَـانِ
وتَلاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ منهُمَا جَحْدُ الهُدَى وَشَهَادَةُ البُهْتَانِ
إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّور أَنَّ مُرَادَهُ غَيْرُ الحَقِيقَةِ وَهْيَ ذُو بُطْلَانِ

□ فصــلٌ □

○ فيمَا يلزم مدعي التَّأويل لتصحيح دعواه ○

وَعليكُمُ فِي ذَا وَظَائِفُ أربَعٌ واللهِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِنَّ يَدَانِ
مِنْهَا دَلِيلٌ صَارِفٌ للفظِ عَنْ مَوْضُوعِهِ الأَصْلِيِّ بِالبُرْهَـانِ
إِذْ مُدَّعِي نَفْسِ الحَقِيقَةِ مُدَّعٍ للأَصْلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بُرْهَانِ
فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرفِ يَا هَيْهَاتَ طُولبْتُم بأَمْرٍ ثَـانِ
وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ هُوَ المقْصُودُ بالتِّبْيَانِ
فَإِذَا أَتَيْتُم ذَاكَ طُولِبْتُمْ بأَمْـ ـرٍ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي
إِذْ قُلتُمُ أَنَّ المرَادَ كَذَا فَمَا ذَا دَلَّكُمْ أَتَخَرُّصُ الكُهَّـانِ

* * *

هَبْ أنهُ لَمْ يَقْصِدِ المَوْضُوعَ لَـ ـكِنْ قَدْ يكُونُ القَصْدُ مَعْنًى ثانِ
غَيْرَ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُو نُ اللَّفْظُ مقْصُودًا بِدُونِ مَعَانِ
كَتَعَبُّدٍ وتِلاوةٍ وَيَكُوُن ذَا كَ القَصْدُ أنفعَ وَهْوَ ذُو إمْكَانِ
مِنْ قَصْدِ تحْرِيفٍ لَهَا يُسْمَى بتأ ويلٍ مَعَ الإتْعَابِ للأَذْهَانِ
واللهِ مَا القَصْدَانِ فِي حَدٍّ سَوَا فِي حِكْمَةِ المَتَكَلِّمِ المَنَّانِ
بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ التَّحْرِيفَ حَاشَا حِكمَةَ الرَّحمنِ
وَكَذَاكَ تُبْطِلُ قَصْدَهُ إنزالَهَا مِنْ غَيْرِ مَعْنًى وَاضِحِ التِّبْيَانِ
وَهُمَا طَرِيقَا فِرْقَتَيْنِ كِلاهُمَا عَنْ مَقْصِدِ القُرْآنِ مُنْحرِفَانِ

◻ فصلٌ ◻

○ في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل ○

وَأَتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَا بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى وَلَم يأْنَفْ مِنَ الكُفْرَانِ
قَالَ المرادُ حَقَائِقُ الألفَاظِ تَخْـ ـيِيلًا وتَقْرِيبًا إلَى الأذْهَانِ
عَجزَتْ عَنِ الإدْرَاكِ للمعْقُولِ إلَّا فِي مِثَالِ الحِسِّ كالصِّبْيَانِ
كَيْ يبرزَ المعْقُولَ فِي صورٍ مِنِ الْـ ـمحْسُوسِ مَقْبُولًا لَدَى الأذْهَانِ
فَتسَلُّطُ التَّأوِيلِ إبْطَالٌ لِهَـ ـذَا القَصْد وَهْوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِ
هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَع نَفْيِهِ لِحَقَائِقِ الألْفَاظِ فِي الأذْهَانِ

وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ مُشْتَقَّةً مِنْ هَذِهِ الخُلْجَانِ
وَكِلاهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الحَقِيـ ـقَـةَ مُنْتَفٍ مَضْمُونُهَا بِبَيَانِ
لَكِنْ قَدِ اخْتَلَفَا فَعِنْدَ فَرِيقِكُمْ مَا إِنْ أُرِيدَتْ قَطُّ بِالتِّبْيَانِ
لَكِنَّ عِنْدَهُمُ أُرِيدَ ثُبُوتُهَا فِي الذِّهْنِ إِذْ عُدِمَتْ مِنَ الإِحْسَانِ
إِذْ ذَاكَ مَصْلَحَةُ المخَاطَبِ عِنْدَهُمْ وَطَرِيقَةُ البُرْهَانِ أَمْرٌ ثَانِ
فَكِلَاهُمَا ارتكبَا أَشَدَّ جِنَايَةٍ جُنِيَتْ عَلَى القُرْآنِ والإِيمَانِ
جَعَلُوا النُّصُوصَ لأَجْلِهَا غَرَضًا لَهُمْ قَدْ خَرَّقُوهُ بِأَسْهُمِ الهَذَيَانِ
وَتَسَلَّطِ الأَوْغَادِ والأَوْقَاحِ وَالْـ أَرذَالِ بِالتَّحْرِيـفِ والبُهْتَانِ
كُلٌّ إِذَا قَابَلْتَهُ بِالنَّصِّ قَا بَلَـهُ بِتَأْوِيـلٍ بِلا بُرْهَـانِ
وَيَقُولُ تَأْوِيلِي كَتَأْوِيلِ الَّذِيـ ـنَ تَأَوَّلُوا فَوقِيَّةَ الرحْمنِ
بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُهَا فِي الوحي بالنَّـ ـصَّيْنِ مِثْلُ الشَّمسِ فِي التِّبْيَانِ
أَيَسُوغُ تَأْوِيلُ العُلُوِّ لَكُمْ ولَا تَتَأَوَّلُوا البَاقِي بِلَا فُرقَانِ
وَكذاكَ تَأْوِيلُ الصِّفَاتِ مَع انَّهَا مِلءُ الحَدِيثِ وَمِلءُ ذَا القُرْآنِ
واللهِ تَأْوِيلُ العُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِقِيَامَـةِ الأَبْـدَانِ
وَأَشَدُّ مِنْ تأوِيلِنَا لِحَيَاتِـهِ ولِعِلْمِـهِ وَمَشِيئَـةِ الأَكْـوَانِ
وأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحُدُوثِ هَـ ـذَا العَالَمِ المحْسُوسِ بِالإِمْكَانِ
وأَشَدُّ مِنْ تأويلنَا بَعْضَ الشَّرَا ئِعِ عِنْدَ ذِي الإِنْصَافِ والمِيزَانِ
وأَشَدُّ مِنْ تأويلنَا لِكَلَامِـهِ بالفَيْضِ مِنْ فَعَّالِ ذِي الأَكْوَانِ

وَأشدُّ منْ تأويلِ أهْلِ الرَّفْضِ أخْـ ـبَـارَ الفَضَـائِلِ حازَهَا الشّيْخَانِ
وَأشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مؤَولٍ نَصًّا بأَن مـرادَهُ الوَحْيَـانِ
إذ صرَّحَ الوحْيَانِ مَعْ كُتُبِ الإلٰـ ـه جَمِيعِهَـا بالفَوْقِ للرَّحْمـٰنِ
فلأيّ شَيءٍ نَحْنُ كُفّار بِذَا التَّـأوِيلِ بَلْ أنتُـمْ عَلَى الإيمَانِ
إنَّا تَأولْنَا وأنتُمْ قَدْ تـأَوَّلْـتُمْ فَهَاتُوا وَاضِحَ الفُرْقَـانِ
أَلَكُمْ عَلَى تَأوِيلِكُمْ أجْرَانِ حيْـ ـثُ لَنَا عَلَـى تَأوِيلنَا وِزْرَانِ
هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتْبِهِمْ مِنْهَـا نَقَلْنَاهَا بِلَا عُـدْوَانِ
رُدُّوا عَلَيْهِمْ إنْ قَدَرْتُمْ أوْ فَـتَـنَـحُّـوا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الإيمَانِ
لَا تَحْطِمَنَّكُمُ جُنُودُهُمُ كَحَطْـ ـمِ السَّيْلِ مَا لَاقَى مِنَ الدِّيدَانِ
وَكَذَا نُطَالِبُكُمْ بِأَمْرٍ رَابعٍ وَاللهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إمكَانِ
وَهُوَ الجَوَابُ عَنِ المعَارِضِ إذْ بِهِ الدَّعْـوَى تَتِـمُّ سَليمَـةَ الأرْكَانِ
لَكِنَّ ذَا عَيْنُ المحَالِ وَلَوْ يُسَا عِدُكمْ عَلَيْهِ رَبُّ كلِّ لِسَانِ
فأدِلَّةُ الإثْبَاتِ حَقًّا لَا يَقُو مُ لَهَا الجِبَالُ وسَائِرُ الأكْوانِ
تَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ وَوَحْيُهُ مَعْ فِطْرَةِ الرَّحمـٰنِ والبُرْهَانِ
أنَّى يُعَارِضُهَا كُنَاسَةُ هَذِهِ الْـ أذْهَـانِ بالشُّبُهَاتِ والهَذَيَانِ
وجَعَاجِعٌ وَفَرَاقِعٌ مَا تَحْتَهَا إلَّا السَّرَاب لِوَارِدٍ ظَمْـآنِ
فَلْتَهْنِكُمْ هَذِي العُلُومُ اللاءِ قَدْ ذُخِرَتْ لَكُمْ عَنْ تَابعِ الإحْسَانِ

* * *

بَلْ عَنْ مَشَايِخِهِم جَمِيعًا ثُمَّ وُفِّقْتُمْ لَهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانِ
واللهِ مَا ذُخِرَتْ لَكُمْ لِفَضِيلَةٍ لَكُمُ عَلَيْهِمْ يَا أولِي النُّقْصَانِ
لَكِنْ عُقُولُ القَوْمِ كَانَتْ فَوْقَ ذَا قَدْرًا وَشَأْنُهُمُ فَأَعظَمُ شَانِ
وَهمُ أَجَلُّ وَعِلْمُهُمْ أَعْلَى وَأَشْـ ـرَفُ أنْ يُشَابَ بِزُخْرِفِ الهَذَيَانِ
فَلِذَاكَ صَانَهُمُ الإِلَهُ عَنِ الَّذِي فِيهِ وَقَعْتُمْ صَونَ ذِي إحْسَانِ
سَمَّيْتُمُ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا التَّعْطِيلَ تَنْزِيهًا هُمَا لَقَبَانِ
وَأَضَفْتُمُ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا شَرًّا وأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا بُهْتَانِ
فَجَعَلْتُمُ الإِثْبَاتَ تَجْسِيمًا وتَشْـ ـبِيهًا وَذَا مِنْ أَقْبحِ العُدْوَانِ
فَقَلَبْتُمُ تِلكَ الحَقَائِقَ مِثْلَ مَا قُلِبَتْ قُلُوبُكُمُ عَنِ الإِيمَان
وَجَعَلْتُمُ المَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَذَا بِالعَكْسِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ اللَّبْسَانِ
وَأَرَدْتُمُ أَنْ تُحْمَدُوا بِالإِتِّبَا عِ نَعَمْ لَكِنْ لِمَنْ يَا فِرْقَةَ البُهْتَانِ
وَبَغَيْتُمُ أَنْ تَنْسِبُوا لِلإِبتِـدَا عِ عَسَاكِرَ الآثَارِ والقُرْآنِ
وَجَعَلْتُمُ الوَحْيَيْنِ غَيْرَ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ والتَّحْقِيـقِ والبُرْهَـانِ
لَكِنْ عُقُولُ النَّاكِبِينَ عَنِ الهُدَى لَهُمَا تُفِيدُ وَمَنْطِقُ اليُونَـانِ
وَجَعَلْتُمُ الإِيمَانَ كُفْرًا والهُدَى عَيْنَ الضَّلَالِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ
ثُمَّ اسْتَحَقَّيْتُمْ عُقُولًا مَا أرا دَ اللهُ أَنْ تَزْكُو عَلَى القُرْآن
حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهطِعينَ لِدَعْوَةِ التَّعْطِيلِ قَدْ هَرَبُوا مِنَ الإِيمَانِ
يَا وَيْحَهُمْ لَو يَشْعُرُون بِمَنْ دَعَا وَلِمَا دَعَا قَعَدُوا قُعودَ جَبَانِ

□ فصلٌ □

○ في شُبَهِ المحرِّفينَ للنصوصِ باليهودِ وإرثهم التَّحريفَ منهم وبراءةِ أهلِ الإثباتِ مما رموهم به من هذا الشَّبه ○

هَذَا وَثَمَّ بَلِيَّةٌ مَسْتُورَةٌ فِيهِمْ سَأُبْدِيهَا لَكُمْ بِبَيَانِ
وَرِثَ المحَرِّفُ مِنْ يَهُودَ وَهُمْ أُولُو التَّحْرِيف والتَّبدِيلِ والكِتْمَانِ
فأَرادَ مِيرَاثَ الثَّلاثَةِ مِنْهُمُ فَعَصَتْ عَلَيْهِ غَايَةَ العِصْيَانِ
إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مَحْفُوظًا فَمَا التَّبْديلُ والكِتْمَانُ فِي الإِمْكَانِ
فأَرَادَ تَبْديلَ المعَانِي إذْ هِيَ الْـ ـمقْصُودُ مِنْ تَعْبِير كُلِّ لِسَانِ
فأتَى إليهَا وَهْي بَارِزَة مِنَ الـ أَلْفَاظِ ظَاهِرَةٌ بِلَا كِتْمَانِ
فَنَفَى حَقَائِقَهَا وَأعْطَى لَفْظَهَا مَعْنًى سِوَى مَوْضُوعِهِ الحَقَّانِي
فَجَنَى عَلَى المعْنَى جِنَايَةَ جَاحِدٍ وَجَنَى عَلَى الأَلْفَاظِ بالعُدْوَانِ
وَأتَى إلَى حِزْبِ الهُدَى أَعْطَاهُمُ شِبْهَ اليَهُودِ وَذَا مِنَ البُهْتَانِ
إذْ قَالَ أنهُمُ مُشَبِّهَةٌ وَأَنْـ ـتُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنِ الَّذِي يَلْحَانِي
فِي هَتْكِ أَسْتَارِ اليَهُودِ وَشِبهِهِمْ مِنْ فِرْقَةِ التحْرِيفِ لِلقُرْآنِ
يَا مُسْلِمُونَ بِحَقِّ رَبِّكُمُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوهُ وَعْيَ ذِي عِرْفَانِ
ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدُ مَنْ هَذَا الَّذِي أَوْلَى بِهَذَا الشِّبْهِ بِالبُرْهَانِ

أُمِرَ اليهودُ بأنْ يَقُولُوا حِطَّةٌ فَأَبَوْا وَقَالُوا حِنْطَةٌ لِهَوَانِ
وَكَذَلِكَ الجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ استْوَى فأَبَى وَزَادَ الحَرْفَ للنقْصَانِ
قَالَ استَوَى استَوَلَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ لُغَةً وعَقْلًا مَا هُمَا سِيَّانِ
عِشْرُونَ وَجْهًا تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ باسْـ ـتَوْلَى فَلَا تَخْرُج عَنِ القُرْآنِ
قَدْ أفرِدَتْ بمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا تَصْنِيفُ حَبْرٍ عَالِمٍ رَبَّانِي
وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً قَدْ أبطَلَتْ هَذَا بِحُسْنِ بَيَانِ
هِيَ فِي الصَّواعِقِ إنْ تُرِدْ تَحْقِيقَهَا لَا تَخْتَفِي إلَّا عَلَى العُمْيَانِ
نُونُ اليَهُودِ وَلَامُ جَهْمي هُمَا فِي وَحْي رَبِّ العَرْشِ زَائِدَتَانِ
وكَذلِكَ الجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصْفَهُ وَيَهُودُ قَدْ وَصَفُوهُ بالنقْصَانِ
فَهُمَا إذًا فِي نَفْيِهِمْ لِصِفَاتِهِ الْـ ـعُلْيَا كَمَا بَيَّنْتُهُ أخَوَانِ

□ فصـــلٌ □

○ في بيان بهتانهم في تشبيهِ أهلِ الإثباتِ بفرعون وقولهم ○ إنَّ مقالةَ العلوِّ عنه أخذوها وأنهم أولى بفرعون وهم أشباهه

وَمِنَ العَجَائِبِ قَوْلُهُمْ فِرْعَوْنُ مَذْ هَبُهُ العُلُوُّ وَذَاكَ فِي القُرْآنِ

وَلِذَاكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَيْهِ بالـصَّــرْحِ الَّذِي قَدْ رَامَ مِنْ هَامَانِ
هَذَا رَأَيْنَاهُ بِكُتْبِهِـمْ وَمِــنْ أَفْوَاهِهِمْ سَمْعًا إِلَى الآذَانِ
فاسْمَعْ إِذًا مَنْ ذَا الذِي أَوْلَى بِفِرْ عَوْنَ المعَطِّلِ جَاحِدِ الرَّحْمَـٰنِ
وانْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ مُوسَى كَاذِبٌ حِينَ ادَّعَى فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَـٰنِ
فَمِنَ المصَائِبِ أَنَّ فِرْعَوْنِيَّكُمْ أَضْحَى يكفِّرُ صَاحِبَ الإِيمَانِ
ويقُولُ ذَاكَ مُبَدِّلٌ لِلدِّينِ سَا عٍ بالفَسَادِ وَذَا مِن البُهْتَانِ
إِنَّ الموَرِّثَ ذَا لَهُمْ فِرعَونُ حِيـ ـنَ رَمَى بِهِ المَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانِ
فَهْوَ الإِمَامُ لَهُمْ وَمَا فِيهِمْ بمتْـ ـبُوعٍ يَقُودُهُمُ إِلَى النِّيرانِ
هُوَ أَنْكَرَ الوَصْفَيْنِ وَصْفَ الفَوْقِ والتَّــكليمِ إِنْكَارًا عَلَى البُهْتَـانِ
إِذْ قَصْدُهُ إِنكَارُ ذَاتِ الربِّ فَالـتَّــعْطِيـلُ مِرْقَـاةٌ لِــذَا النُّكْـرَانِ
وَسِوَاهُ جَـاءَ بِسُلَّمٍ وبآلَــةٍ وَأَتَـى بِقَانُـونٍ عَلَـى بُنْيَــانِ
وَأَتَى بِذَاكَ مُفَكِّرًا ومُقَـدِّرًا وِرْثَ الوليدِ لعَابِـدِ الأَوْثَـانِ
وأَتَى إِلَى التَّعْطِيل مِنْ أَبْـوَابِـهِ لَا مِنْ ظُهُورِ الدَّارِ والجُدْرَانِ
وَأَتَى بِهِ فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ والـتَّــعْظِيمِ تَلْبِيسًا عَلَى العُمْيَـانِ
وَأَتَى إِلَى وَصْفِ العُلُوِّ فَقَالَ ذَا الـتَّــجْسِيمُ لَيْسَ يَلِيقُ بالرَّحْمَـٰنِ
فَاللَّفظُ قَدْ أَنْشَاهُ مِنْ تِلْقَائِهِ وَكَسَاهُ وَصْفَ الوَاحِدِ المنَّانِ
والنَّاسُ كُلُّهمُ صَبِيُّ العَقْلِ لَمْ يَبْلُغْ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الشِّيخَانِ
إِلَّا أُنَاسًا سَلَّمُوا لِلوحْيِ هُمْ أَهْلُ البُلُوغِ وأَعْقَلُ الإِنْسَانِ

فأَتَى إلَى الصِّبْيَانِ فانْقَادُوا لَهُ ... كالشَّاءِ إذْ تَنْقَادُ للجَوْبَانِ
فانْظُرْ إلَى عَقْلِ صَغِيرٍ فَي يَدَيْ ... شَيْطَانَ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّيْطَانِ

□ فصــلٌ □

○ في بيان تدليسهم وتَلْبِيسهم الحقَّ بالباطِل ○

قَالُوا إذا قَالَ المُجَسِّمُ رَبُّنَا ... حَقًّا عَلَى العَرْشِ استوَى بِلسَانِ
فَسَلوهُ كَمْ للعْرشِ مَعنًى واسْتَوَى ... أَيضًا لَهُ فِي الوَضْعِ خَمْس مَعَانِ
وَعَلَى فَكَمْ مَعْنًى لَهَا أَيْضًا لَدَى ... عَمْرٍو فَذَاكَ إمَامُ هَذَا الشَّانِ
بَيِّنْ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِي وَالَّذِي ... مِنْهَا أُريـدَ بِوَاضِحِ التِّبْيَـانِ
فاسْمَعْ فَذَاكَ مُعَطِّلٌ هَذِي الجَعَا ... جعُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الهَذَيَانِ
قُلْ للمُجَعْجعِ وَيحَكَ اعْقَلْ ذَا الَّذِي ... قَـدْ قُلْتَـهُ إنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
العَرْشُ عَرشُ الربِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... واللامُ للمَعْهُودِ فِي الأَذْهَانِ
مَا فِيهِ إجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوهِمٌ ... نَقْلَ المجَازِ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ
وَمُحَمَّدٌ والأنبيَـاءُ جَمِيعُهُـمْ ... شَهِدُوا بِهِ للخالِقِ الرحْمٰنِ
مِنْهُم عَرِفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ ... رَبٍّ عَلَيه قَدِ اسْتَوَى دَيَّانِ
لَمْ تفهمِ الأَذْهَانُ مِنْهُ سرِيرَ بَلْـ ... ـقِيسٍ وَلَا بَيْتًـا عَلَى الأَرْكَانِ
كَلَّا وَلَا عرشًا على بحرٍ وَلَا ... عـرْشًا لجبرِيـلٍ بِلَا بُنْيَـانِ
كَلَّا وَلَا العرْشَ الَّذِي إنْ ثُلَّ مِنْ ... عَبْدٍ هَوَى تَحتَ الحضِيضِ الدَّانِي

كَلَّا وَلَا عَرْشَ الكُرومِ وَهَذِه الْـ أَعْنَابِ فِي حَرْثٍ وَفِي بُسْتَانِ
لِكَنَّهَا فهِمَتْ بِحمدِ اللهِ عَرْ شَ الرَّبُّ فَوْق جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ
وَعَليه رَبُّ العَالمِينَ قَدِ اسْتَوَى حَقًّا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ
وَكَذَا اسْتَوَى المَوْصُولُ بالحَرْفِ الَّذِي ظَهَـرَ المـرَادُ بِـهِ ظُهُورَ بَيَانِ
لَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُفْهِمٌ للإِشْتِـرَاكَ وَلَا مَجَـازٌ ثَـانِ
تَرْكِيبُـهُ مَعْ حَـرْفِ الاسْتِعْلاءِ نَـصٌّ فِي العُلُـوِّ بَـوضْـعِ كُـلِّ لِسَـانِ
فَإِذَا تَركَّبَ مَعْ إِلَى فَالقَصْدُ مَعْ مَعْنَى العُلُـوِّ لوضْعِـهِ بِبَيَـانِ
وإِلَى السَّماءِ قَدِ استوَى فمقَيَّدٌ بتَمَامِ صَنْعَتِهَا مَعَ الإِتقَـانِ
لَكِنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى هُوْ مُطَلَقٌ مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تَمَّ بالأَرْكَانِ
لَكِنَّمَا الجَهْمِيُّ يَقْصُرُ فَهْمُهُ عَنْ ذَا فَتِلْكَ مَوَاهِبُ المَنَّانِ
فإِذَا اقْتَضى وَاوَ المعِيَّةِ كَانَ مَعْـ ـنَاهُ اسْتَوَى متَقَدِّمٌ والثَّانِي
فإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعْـ ـنَاهُ الكَمَالَ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانِ
لَا تَلْبِسُوا بِالبَاطِلِ الحَقَّ الذِي قَدْ بَيَّنَ الرَّحْمـٰنُ فِي الفُرْقَانِ
وعلى لِلاسْتِعْلَاءِ فَهْي حَقِيقَةٌ فِيهِ لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ
وَكَذَلِكَ الرَّحْمـٰنُ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَحْتَمِلْ مَعْنًى سِوَى الرَّحْمـٰنِ
يَاوَيْحَهُ بعَمَاهُ لَوْ وَجَدَ اسْمَهُ الـرَّحْـمَنَ مُحْتَمِلًا لِخَمْس مَعَانِ
لَقَضَى بأَنَّ اللَّفْظ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا التِّلَاوةَ عِنْدَنَـا بِـلِسَانِ
فَلِذَاكَ قَالَ أَئِمةُ الإِسْلامِ فِي مَعْنَاهُ مَا قَدْ سَاءَكُمْ بِبَيَان

وَلَقَدْ أَحَلْنَاكُمْ عَلَى كُتُبٍ لَهُمْ هِي عِنْدَنَا واللهِ بالْكِيمَانَ

□ فصــلٌ □

○ في بيانِ سببِ غلطـهم في الألفاظ والحكم عليها ○ باحتمالِ عدة معانٍ حتى أسقطوا الاستدلال بها

وَاللَّفظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمركَّبٌ فِي الإعْتِبَار فَمَا هُمَا سِيَّانِ
واللَّفظ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذي قَصَدَ المخَاطبَ مِنْهُ فِي التِّبْيَانِ
أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نِسْـ ـبَتُهُ إِلَى الأَفْهَامِ والأَذْهَانِ
فيكُونُ نصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْـ ـدَ سِوَاهُمُ هُوَ ظَاهِر التِّبْيَانِ
وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّضِحْ لَهُمُ المرَادُ بِهِ اتِّضَاحَ بَيَانِ
فالأُولُونَ لإِلْفِهِمْ ذَاكَ الخطَا بَ وإِلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طُولَ زَمَانِ
طَالَ المَراسُ لَهُمْ لمعْنَاهُ كَمَا اشْـ ـتَدَّتْ عِنَايَتُهُمْ بِذَاكَ الشَّانِ
والعِلْمُ مِنهُمْ بالمخَاطَبِ إذْ هُمُ أَوْلَى بِهِ مِنْ سَائِرِ الإِنْسَانِ
ولهــمْ أتــمُّ عِنَايـةٍ بِكَـلامِهِ وَقُصُودِهِ مَعَ صِحَّـةِ العِرْفَـانِ
فَخِطَابُهُ نَصٌّ لَدَيهمْ قَاطِعٌ فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التِّبْيَـانِ
لَكِنَّ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي ذَاكَ لَمْ يَقْطَعْ بِقَطْعِهِمُ عَلَى البُرْهَانِ
ويَقُولُ يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقاطِعٍ فِي ذِهْنِهِ لَا سَائِرِ الأَذْهَانِ

وَلإلْفِهِ بِكَلَامِ مَنْ هُوَ مُقْتَدٍ بِكَلَامِهِ مِنْ عَالِمِ الأَزْمَانِ
هُو قَاطِعٌ بمرادِهِ وَكَلَامُـهُ نَصٌ لَدَيْـهِ وَاضِحُ التبيَـانِ
والْفتنَةُ العُظْمَى مِنَ المتَسلِّق الْـ ـمخْدُوعِ ذي الدَّعْوى أَخِي الهَذَيَانِ
لَمْ يَعْرف العِلْمَ الذِى فِيهِ الكَلَا مُ وَلَا لهُ إلْفٌ بهَذَا الشَّانِ
لكِنَّـهُ مِنْهُ غَرِيـبٌ لَيْـس مِنْ سُكَّانِـهِ كَلَّا وَلَا الْجِيـرَانِ
فَهُوَ الزَّنِيمُ دَعِيُّ قَوْم لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ وَلَمْ يَصْحَبْهُمُ بِمَكَـانِ
وَكَلَامُهُمْ أبدًا لَدَيْهِ مُجْمَـلٌ وبمعْزِلٍ عَـنْ إمْـرةِ الإِيقَـانِ
نَشَدَ التِّجَارَةَ بالزيُوفِ يَخَالهَا نَقْدًا صَحِيحًا وَهْوَ ذُو بُطْلَانِ
حَتَّـى إذَا رُدَّتْ إلَيْـهِ نَالَـهُ مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وَسُوءُ هَوَانِ
فأرادَ تَصْحِيحًا لَهَا إذْ لَمْ يَكُنْ نَقدُ الزيُوفِ يَرُوجُ فِي الأَثْمَانِ
وَرَأى اسْتِحَالَةَ ذَا بِدُونِ الطَّعْنِ فِي بَاقِي النقُودِ فجَاءَ بالعُدْوانِ
واستعْوضَ الثَّمنَ الصَّحِيح بَجهلِهِ وبظُلمِـهِ يَبْغِيـهِ بالبُهْتَـانِ
عِوَجًا لِيَسْلَمَ نَقْدُهُ بَيْنَ الوَرَى وَيَرُوجُ فِيهِمْ كَامِلَ الأوْزَانِ
والنَّاسُ لَيْسُوا أَهْلَ نَقْدٍ للذِي قَدْ قِيلَ إلا الفَرْدَ فِي الأَزْمَانِ
والزَّيفُ بَيْنَهُمُ هُوَ النَّقْدُ الَّذِي قَدْ رَاجَ فِي الأَسْفَار والبُلْدَانِ
إذْ هُمْ قَدِ اصْطَلحوا عَلَيْهِ وارْتَضَوْا بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ
فَإِذَا أَتَاهُمْ غَيْرُهُ وَلَو انَّـهُ ذَهَبٌ مُصَفًّى خَالِصُ العِقْيَانِ
رَدُّوه واعْتَذَرُوا بأنَّ نُقُودَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ بِمَرَاسِمِ السُّلْطَانِ

فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِنَقْدٍ غَيْرِهِ قُطِعْتَ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيوَانِ
واللهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ وَيْحَ ذِي البُهْتَانِ
يَا مَنْ تُرِيدُ تِجَارَةً تُنْجِيهِ مِنْ غضبِ الإِلهِ ومُوقدِ النِّيرانِ
وتُفِيدُهُ الأَرْبَاحَ بالجَنَّاتِ والْـ ـحورِ الحِسَانِ ورؤْية الرحمٰنِ
فِي جَنَّة طَابتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
هَيِّئْ لَهَا ثَمَنًا يُبَاعُ بِمِثْلِهَا لَا تُشْتَرَى بالزَّيف مِنْ أَثْمَانِ
نَقْدًا عَلَيْهِ سِكَّةٌ نبويـةٌ ضَرْب المَدينَةِ أشَرفِ البُلْدَانِ
أَظَنَنْتَ يَا مَغْرُورُ بَائِعَهَا الَّذِي يَرْضَى بِنَقْدٍ ضَرْبِ جَنْكِيزْ خَانِ
مَنَّتْكَ واللهِ المُحَالَ النفْسُ أنْ طَمِعَتْ بِذَا وَخُدِعْتَ بالشَّيْطَانِ
فَاسْمَعْ إِذًا سَبَبَ الضَّلَالِ ومَنْشأَ الـتَّـخليطِ إذْ يَتَنَاظر الخَصْمَانِ
يَحْتَجُّ باللَّفْظِ المَركَّبِ عَارِفٌ مَضْمُونَـهُ بِسِيَاقِـهِ لبَيَـانِ
واللَّفظُ حِينَ يُسَاقُ بالتَّرْكِيبِ مَحْـ ـفُوفٌ بِهِ لِلفهْمِ والتِّبْيَانِ
جُنْدٌ يُنَادَى بالبَيَانِ عَلَيْهِ مِثْـ ـلَ نِدَائِنَـا بإِقَامَةٍ وأَذَانِ
كَيْ يَحْصُلَ الإِعْلامُ بالمَقْصُود مِنْ إيرادِهِ وَيَصِيرُ فِي الأَذْهَانِ
فيفُكُّ تركيبَ الكَلامِ مُعَانِدٌ حَتَّى يُقَلْقِلَهُ مِنَ الأَرْكَـانِ
وَيَرُومُ مِنْهُ لَفْظَةً قَدْ حُمِّلَتْ مَعْنَى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِ
فَيكُونُ دَبُّوسَ الشِّقَاقِ وَعُدَّةً لِلدَّفعِ فِعْلَ الجَاهِلِ الفَتَّانِ
فيقُولُ هَذَا مُجْمَلٌ واللَّفْظُ مُحْـ ـتَمَلٌ وَذَا مِنْ أعظَمِ البُهْتَانِ

وَبذاكَ يَفسُدُ كُلُّ عِلْمٍ فِي الوَرَى ... وَالفَهْمُ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
إذْ أكثر الألْفَاظِ تَقْبَلُ ذَاكَ فِي الْـ ... إفرَادِ قَبْلَ العَقْدِ والتِّبيَانِ
لَكِنْ إذَا مَا رُكِّبَتْ زَالَ الَّذِي ... قَدْ كَانَ مُحْتَمَلًا لَدَى الوِحْدَانِ
فَإذَا تَجَرَّدَ كَانَ مُحْتَمِلًا لِغَيْـ ... ـرِ مُرَادِهِ أو فِي كَلَامٍ ثَانِ
لَكِنَّ ذَا التَّجْرِيدَ مُمْتَنِعٌ فإنْ ... يُفْرَضْ يَكُنْ لا شَكَّ فِي الأذْهَانِ
والمفرَدَاتُ بِغَيْرِ تَركِيبٍ كَمِثْـ ... ـلِ الصَّوْتِ تَنْعَقُهُ بِتلكَ الضَّانِ
وَهُنَالِكَ الإجْمَالُ والتشْكيكُ والتَّـ ... ـجْهِيلُ والتَحْرِيفُ والإتْيَانُ بالبُطْلانِ
فإذَا هُمُ فَعَلُوهُ رَامُوا نَقْلَهُ ... لمركَّبٍ قَدْ حُفَّ بالتِّبيَانِ
وَقَضوْا عَلَى التَّرْكِيبِ بالحُكْمِ الَّذِي ... حَكَمُوا بِهِ للمفرَدِ الوَحْدَانِي
جَهْلًا وَتَجْهِيلًا وَتدلِيسًا وَتَلْـ ... ـبِيسًا وترْوِيجًا عَلَى العُمْيانِ

□ فصـــلٌ □

○ في بيانِ شُبه غلطهم في تجريدِ اللفظِ بغلطِ الفلاسفةِ في تجريدِ المعاني ○

هَذَا هَدَاكَ اللهُ مِنْ إضْلَالِهِمْ ... وَضَلَالِهِمْ فِي مَنْطِقِ الإنْسَانِ
كمجرَدَاتٍ فِي الخَيَالِ وَقَدْ بَنَى ... قَوْمٌ عَلَيْهَا أوْهَنَ البُنْيَانِ
ظَنُّوا بأنَّ لَهَا وَجُودًا خَارِجًا ... وَوُجُودُهَا لَوْ صَحَّ فِي الأذْهَانِ

أَنَّى وتلكَ مُشخَّصَاتٌ حُصّلَتْ فِـي صُورةٍ جُزْئِيَّـةٍ بعِيَـانِ
لَكِنَّهـا كُليَّـةٌ إنْ طَابَـقَتْ أَفْرَادَهَا كاللفْظِ فِي الميزَانِ
يَدْعُونَهُ الكُلّيّ وَهْوَ مُعَيَّـنٌ فَرْدٌ كَذَا المعْنَى هُمَا سِيَّانِ
مُتَجرِّدًا فِي الذهْنِ أَوْ فِي خَارِجٍ عَنْ كُلِّ قَيْدٍ لَيْسَ فِي الإمْكَانِ
لَا الذِّهْنُ يَعْقلهُ وَلَا هُوَ خَارِجٌ هُوَ كالخَيَالِ لَطِيفِهِ السَّكْرانِ
لَكِنْ تَجرُّدُهَا المقيَّدُ ثَـابِتٌ وَسِواه مُمْتَنِعٌ بِلَا إمْكَـانِ
فتجرُّدُ الأعْيانِ عَنْ وَصْفٍ وَعَنْ وَضْعٍ وَعَنْ وَقْتٍ لها وَمكَانِ
فَرْضٌ مِنَ الأذهَانِ يَفْرضُه كَفَرْ ضِ المسْتَحِيلِ هُمَا لَهَا فَرْضَانِ
اللهُ أكبرُ كَمْ دَهَى مِنْ فَاضِلٍ هَذَا التَّجَرُّدُ مِنْ قَديمِ زَمَانِ
تَجْرِيدُ ذِي الألفَاظِ عَنْ تَركيبِهَا وَكَذَاكَ تَجْرِيدُ المعَانِي الثَّانِي
والحَقُّ أنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذهْنِ مَفْـ ـرُوضٌ فَلَا تَحْكُمْ عَلَيْهِ وَهْوَ فِي الأذْهَانِ
فَيقُودُكَ الخَصْمُ المعَانِدُ بالذِي سَلَّمتَهُ للحُكْمِ فِي الأعْيَانِ
فَعلَيْكَ بالتَّفْصِيل إنْ هُمْ أطلقُوا أَوْ أجْملُوا فَعلَيْكَ بالتِّبيَـانِ

□ فصــلٌ □

○ فِي بيانِ تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب ○

وَتمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ المنْقُولِ عَنْ أَشْيَاخِهِـمْ كَتَمَسُّكِ العُميـان

وَأَبَوْا بأَنْ يتمسَّكُوا بظَواهِرِ الـنَّـــصَّيْنِ وَا عَجَبًا مِـنَ الخُـذْلَانِ
قَوْلُ الشّيوخِ مُحَـرَّمٌ تَأويلُـهُ إِذ قَصْدُهُـمْ لِـلشَّرحِ والتِّبيـانِ
فَإِذَا تَأَوَّلنَا عَلَيهِمْ كَـانَ إِبْــ ـطَـالًا لِمَـا رَامُـوا بِلَا بُرْهَـانِ
فَعَلَى ظَوَاهِرِهَا تَمُرُّ نُصُوصُهُمْ وَعَلَـى الحَقِيقَـةِ حَمْلُهَـا لِبيَـانِ
يَا لَيْتَهُمْ أجْرَوْا نُصوصَ الوَحْيِ ذَا الـ ـمَجْرَى مِـنَ الآثَـارِ والقُـرْآنِ
بَلْ عِنْدهُمْ تِلكَ النُّصُوصُ ظَواهِرٌ لَفظِيَّـةٌ عُـزِلَتْ عَـنِ الإِيقَـانِ
لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الحقِّ الذِي يَبْغِي الدَّلِيلَ ومُقتَضَى البُرْهَانِ
فَانْظُرْ إِلَى الأَعْرافِ ثُمَّ لِيُوسُفٍ والكَهْفِ وافْهَمْ مُقْتَضَى القُرْآن
وَسَطَوْا عَلَى الوَحْيَينِ بالتحْريفِ إِذْ سَمَّـوْهُ تَـأوِيلًا بَـوضْعٍ ثَـانِ
فإِذا مَرَرْتَ بآلِ عِمْرانٍ فَهِمْـ ـتَ القَصْدَ فَهْمَ مُوفَّقٍ ربَّانِي
وَعَلِمْتَ أنَّ حَقِيقَةَ التَّأويل تَبْـ ـيِينُ الحَقِيقَةِ لَا المجازُ الثَّانِي
وَرَأيتَ تأويلَ النُّفَاةِ مُخَالِفًا لِجَمِيـع هَـذَا لَـيْس يَجْتَمِعَـانِ
اللَّفْظُ هُمْ أنشَوْا لَهُ مَعْنًى بِذَا كَ الإِصْطِلَاحِ وَذاكَ أمْرٌ دَانِ
وَأتَوْا إلَى الإلْحَاد فِي الأَسْمَاء والـتَّـحْـرِيفِ للألفَـاظِ بالبُهْتَـانِ
فَكَسَوْهُ هَذَا اللَّفْظَ تَلبِيسًا وَتَدْ لِيْسًا عَلَى العُميانِ والعُـورَانِ
فَاسْتَنَّ كُلُّ مُنَافِقٍ ومكَذّبٍ مِـنْ بَاطِنِـيٍّ قُرْمُطِـيٍّ جَـانِ
فِي ذَا بِسنَّتِهِمْ وَسَمَّى جَحْدَهُ لِلْحَـقّ تَـأويلًا بِلَا فُرقَـانِ
وأتَـى بِتَأوِيـلٍ كتأويلاَتِهِـمْ شِبْرًا بِشبْـرٍ صَارخًا بـأذَانِ

إنَّا تأوَّلْنَا كَمَا أوَّلْتُمُ فَأْتُوا نُحاكِمْكُمْ إلى الوَزَّانِ
فِي الكِفَّتَيْنِ نَحُطُّ تأوِيلاتنَا وَكَذَاكَ تَأْوِيلاتِكُمْ بِوِزَانِ
هَذَا وَقَدْ أقْرَرتُمُ أنَّا بأيْـ ـدِينَا صَرِيحُ العَدْلِ والْمِيزَانِ
وَغَدَوْتُمْ فِيهِ تَلامِيذًا لَنَا أَوَ لَيْسَ ذَلكَ مَنْطقَ اليُونَانِ
مِنَّا تَعلَّمتُمْ وَنَحْنُ شُيُوخُكُمْ لَا تَجْحَدُونَا مِنَّةَ الإحْسَانِ
فَسَلُوا مَبَاحِثَكُم سُؤَالَ تَفَهُّمٍ وَسَلُوا القَواعِدَ ربَّةَ الأرْكَانِ
مِنْ أيْنَ جَاءتْكُمُ وأيْنَ أُصُولُهَا وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يا أولِي النُّكْرانِ
فَلأيِّ شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ وَأنـ ـتُمْ مُؤمِنُونَ وَنَحن مُتَّفِقَانِ
إنَّ النُّصُوصَ أدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ لَمْ تُقْضِ قَطُّ بِنَا إلَى إيقَانِ
فَلِذَاكَ حَكَّمْنَا العُقُولَ وأنْتُمُ أَيْضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ
فلأيِّ شَيْءٍ قَدْ رَمَيتُمْ بَيْنَنَا حَرْبَ الحُرُوب ونَحْنُ كالأخَوَانِ
الأصْلُ مَعْقُولٌ وَلَفْظُ الوَحْيِ مَعْـ ـزُولٌ ونَحْنُ وأنْتُمُ صِنْوَانِ
لَا بِالنُّصُوصِ نَقُولُ نَحنُ وأنْتُمُ أَيْضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَان
فَذَرُوا عَدَاوَتَنَا فإنَّ وَرَاءَنَا ذَاكَ العَدُوُّ الثقل ذِي الأضْغَانِ
فهُمُ عَدُوُّكُمُ وَهُمْ أعْداؤنَا فَجَمِيعُنَا فِي حَرْبِهِمْ سِيَّانِ
تِلْكَ المجسِّمَةُ الأُلَى قَالُوا بأنَّ اللهَ فَوقَ جَمِيعِ ذِي الأكْوَانِ
وَإلَيْهِ يَصْعَدُ قَوْلُنَا وَفِعَالُنَا وإلَيْهِ تَرْقَى رُوحُ ذِي الإيمَانِ
وَإلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً وَكَذَا ابْنُ مَرْيمَ مُصْعَدَ الأبْدَانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا إنه بالذَّاتِ فَوْ قَ العَرْشِ قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانِ

وَكَذَاكَ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ نَحْوَ السَّمَاءِ فَهَاهُنَا جِهَتَانِ
لِلإِبْتِدَاءِ وَالانْتِهَاءِ وَذَان لِلْـ أَجْسَامِ أَيْنَ اللهُ مِن هَذَانِ
وكَذَاكَ قَالُوا إنـه مُتَكَلِّـمٌ قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَيَا إخوَانِ
أَيكُونُ ذَاكَ بغَيرِ حَرْفٍ أَمْ بِلَا صَوْتٍ فَهَذَا لَيْسَ فِي الْإمكَانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا مَا حَكَيْنَا عَنْهُمُ مِنْ قَبْلُ قَوْلَ مُشَبِّهِ الرَّحْمنِ
فَذَرُوا الحِرَابَ لَنَا وَشُدُّوا كُلُّنَا جَمْعًا عَلَيْهِمْ حَمْلَةَ الفُرْسَانِ
حَتَّى نَسُوقَهُمُ بأَجْمَعِنَا إلَى وَسْطِ العَرِينِ مُمزَّقِي اللُّحْمَانِ
فَلقَدْ كَوَوْنَا بالنُّصُوصِ ومَا لَنَا بِلقَائِهَا أَبَـدَ الزَّمَـانِ يَـدَانِ
كَمْ ذَا يُقَالُ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ مِنْ فَوق أعناقٍ لَنَا وَبنَانِ
إِذْ نَحْنُ قُلْنَا قَالَ آرسْطُو المـعَـلّـمُ أولًا أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي
وَكَذاكَ إنْ قُلْنَا ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التِّبيانِ
قَالُوا لَنَا قَالَ الرَّسُولُ وَقَالَ فِي الـ ـقُرْآنِ كَيْفَ الدَّفْعُ لِلقُرْآنِ
وَكَذَاكَ أَنْتُمْ مِنْهُمُ أَيْضًا بِهـ ـذَا المنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرَيَانِ
إنْ جِئْتُمُوهُمْ بالعُقُولِ أَتَوْكُمُ بِالنَّصِّ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
فَتَحَالَفُوا إنَّا عَلَيْهِمْ كُلَّنَـا حَرْبٌ وَنَحْنُ وأَنْتُمُ سِلْمانِ
فَإذا فَرَغْنَا مِنْهُمُ فَخِلَافُنَـا سَهْلٌ فَنَحْنُ وأَنْتُمُ أَخـوَانِ
فَالعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقنَا وَفَرِيقكُمْ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ بِلَا كِتْمَانِ
مَا فَوْقَهُ شَيءٌ سِوَى الْعَدَمِ الَّذِي لَا شَيءَ فِي الأعْيَانِ والأَذْهَانِ

مَا اللهُ مَوْجُودٌ هُنَاكَ وإنمَا الـ ـعدَمُ المُحَقَّقُ فَوْقَ ذِي الأَكْوَانِ
واللهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَـةً بِالذَّاتِ عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيصَانِ
هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ وَحَقِيقَـةُ العِرْفَـانِ
وكَذَا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي الـتَّـوراةِ والإنْجِيـلِ والفُرْقَـانِ
لَيسَتْ كَلَام الله بَلْ فَيْضٌ مِنَ الـ ـفَعَّالِ أَوْ خَلْقٌ مِنَ الأَكْوَانِ
فالأَرْضُ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ وَلَا فَوْقَ السَّمَا لِلْخَلْقِ مِنْ دَيَّانِ
بَشَرٌ أَتَى بالوَحْيِ وَهْوَ كَلَامُهُ فِي ذَاكَ نَحْنُ وأَنتُمُ مِثْلَانِ
وَلِذَاكَ قُلْنَا إنَّ رُؤيَتَنَا لَـهُ عَيْنُ المحالِ وَلَيْسَ فِي الإمْكَانِ
وَزَعَمْتُـمُ أَنَّـا نَرَاهُ رُؤْيَـةَ الـ ـمَعْدُومِ لَا المَوْجُودِ فِي البُرْهَانِ
إذْ كُلُّ مَرْئِيٍّ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ لَا بُدَّ فِي البُرْهَانِ
مِنْ أَنْ يُقَابِلَ مَنْ يَرَاهُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مُفْرِطٍ وَتَدَانِ
وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَى إبْطَالِ ذَا أَنتمْ وَنَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلَانِ
أَمَّا البَلِيَّةُ فَهْيَ قَوْلُ مُجَسِّمٍ قَالَ القُرانُ بَدَا مِنَ الرَّحْمٰنِ
هُوَ قَوْلُهُ وكَلَامُهُ مِنْهُ بَدَا لَفْظًا وَمَعْنًى لَيْسَ يَفْتَرِقَـانِ
سَمِعَ الأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ وأَدَّاهُ إِلَى المُخْتَارِ مِنْ إنْسَانِ
فَلَهُ الأَدَاءُ كَما الأدَا لِرسُولِهِ وَالْقَولُ قولُ اللهِ ذِي السُّلْطَانِ
هَذَا الَّذِي قُلْنَا وَأَنْتُمْ إنَّـهُ عَيْنُ المحَالِ وَذَاكَ ذُو بُطْلَانِ
فَإِذَا تَسَاعَدْنَا جَمِيعًا أَنَّـهُ مَـا بَيْنَنَـا للهِ مِـنْ قُـرْآن

إِلَّا كَبَيْتِ اللهِ تِلْكَ إِضَافَةُ الْـ ... مَخْلُوقِ لَا الأَوْصَافُ لِلدَّيَّانِ
فَعَلَامَ هَذَا الحَرْبُ فِيمَا بَيْنَنا ... مَعَ ذَا الوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ
فَإِذَا أَبَيْتُمْ سِلْمَنَا فَتَحَيَّـزوا ... لِمَقَالَةِ التَّجْسِيمِ بِالإِذْعَـانِ
عُودوا مُجسِّمَةً وقُولُوا دِينُنَا الْـ ... إِثْبَاتُ دِينُ مُشَبِّـهِ الدَّيَّـانِ
أَوْ لَا فَلَا مِنَّا وَلَا مِنْهُمْ وَذَا ... شَأْنُ المُنَافِقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ
هَذَا يَقُولُ مُجَسِّمٌ وَخُصُومُهُ ... تَرْمِيـهِ بِالتَّعْطِيـلِ وَالكُفْـرَانِ
هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ هُوَ جَاحِدٌ ... هُوَ مُثْبِتٌ تَلْقَاهُ ذَا أَلْوَانِ
يَوْمًا بِتَأْوِيلٍ يَقُـولُ وتَـارَةً ... يَسْطُو عَلَى التَّأْوِيلِ بِالنُّكْرَانِ

□ فصـــل □

○ في المطالبةِ بالفرقِ بينَ ما يُتأوَّل ومَا لا يُتأوَّل ○

فَنَقُولُ فَرْقٌ بَيْنَ مَا أَوَّلْتَهُ ... وَمَنَعْتَهُ تَفْرِيقَ ذِي بُرْهَـانِ
فيقُولُ مَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوَّلْـنَاهُ ... مِـنْ خَبَرٍ ومِنْ قُـرْآنِ
كَالإِسْتِوَاءِ مَعَ التَّكَلُّمِ هَكَذَا ... لَفْظُ النُّزُولِ كَذَاكَ لَفْظُ يَدَانِ
إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحْدَثٍ ... لَا يَنْبَغِـي لِلْوَاحِـدِ المَنَّـانِ
فَنَقُولُ أَنْتَ وَصَفْتَهُ أَيْضًا بِمَا ... يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ والحِدْثَانِ
فَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالإِبْصَارِ مَعْ ... نَفْسِ الحَيَاةِ وَعِلْمِ ذِي الأَكْوَانِ

وَوَصَفْتَهُ بِمَشيئَةٍ مَعَ قُدْرَةٍ وَكَلامِهِ النَّفْسِيِّ وَهْوَ مَعَانِ
أَوْ وَاحِدٌ والجِسْمُ حَامِلُ هَذِهِ الـ أَوْصَافِ حَقًّا فَأْتِ بالفُرْقَانِ
بَيْنَ الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ لَا يَقْتَضِيهِ بِوَاضِحِ البُرْهَانِ
واللهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوخُكَ كُلُّهُمْ لَمْ يَقْدِروا أبدًا على الْفُرْقَانِ

□ فصـــلٌ □

○ في ذكرِ فرق لهمْ آخرَ وبيانِ بطلَانِهِ ○

فَلِذَاكَ قَالَ زَعِيمُهُمْ فِي نَفْسِهِ فَرْقًا سِوَى هَذَا الَّذِي تَرَيَانِ
هَذِي الصِّفَاتُ عُقُولُنَا دَلَّتْ عَلَى إثْباتِهَا مَعْ ظَاهِرِ القُرآنِ
فَلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ فَاعْـ ـجَبْ يَا أَخَا التَّحْقِيقِ والعِرْفَانِ
كَيْفَ اعْتِرافُ القَومِ أَنَّ عُقُولَهُمْ دَلَّتْ عَلَى التَّجْسِيمِ بالبُرْهَانِ
فَيُقَالُ هَلْ فِي العَقْلِ تَجْسِيمٌ أَمِ الـ ـمعقُولُ نَنْفِيهِ كَذَا النُّقْصَانِ
إِنْ قُلْتُمُ نَنْفِيهِ فَانْفُوا هَذِهِ الـ أَوْصَافَ وانْسَلِخُوا مِنَ القُرْآنِ
أَمْ قُلْتُمُ نَقْضِي بِإِثْبَاتٍ لَهُ فَفِرارُكُمْ مِنْهَا لأَيِّ مَعَانِ
أو قُلْتُمُ نَنْفِيه فِي وصْفٍ وَلَا نَنفيهِ فِي وَصْفٍ بِلَا بُرْهَانِ
فَيُقَالُ مَا الفُرْقَانُ بَيْنَهُمَا وَمَا الـ ـبُرْهَانُ فأْتُوا الآنَ بالفرقَانِ
وَيُقَالُ قَدْ شَهِدَ العِيَانُ بأنَّه ذُو حِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ وَحَنَانِ

مَعْ رَأفَةٍ وَمَحبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الوَفَاءِ وتَابِعي القُرْآنِ
وَلِذَاكَ خُصُّوا بالكَرامَةِ دونَ أَعْـ ـدَاءِ الإِلَهِ وَشِيعَةِ الكُفْرانِ
وَهْوَ الدَّلِيلُ لَنَا عَلَى غَضَبٍ وبُغْـ ـضٍ مِنْه مَعْ مَقْتٍ لِذِي العِصْيَانِ
والنَّصُّ جَاءَ بِهَذِهِ الأَوْصَافِ مَعْ مِثْلِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ فِي القُرْآنِ
وَيُقَالُ سَلَّمْنَا بأَنَّ العَقْلَ لَا يُفْضِي إِلَيْهَا فَهْيَ فِي الفُرْقَانِ
أَفَنَفْيُ آحَادِ الدَّلِيلِ يَكُونُ للـ ـمَدْلُولِ نَفْيًا يَا أولِي العِرْفَانِ
أَوْ نَفْيُ مُطْلَقِهِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَا الـ ـمَدْلُولِ فِي عَقْلٍ وَفِي قُرْآنِ
أفبعْدَ ذَا الإِنْصَافِ وَيْحَكُمُو سِوَى مَحْضِ العِنادِ ونَخوةِ الشَّيْطَانِ
وتحَيُّزٍ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ لَا إِلَى الـ ـقُرْآنِ والآثَارِ والإِيمَانِ

□ فصــل □

○ في بيان مخالفةِ طريقهمْ لطريقِ أهلِ ○ الاستقامةِ عقلًا ونقلًا

وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ عَكْسُ الطَّرِيـ ـقِ المسْتَقِيمِ لمنْ لَهُ عَيْنَانِ
جَعَلُوا كَلَامَ شُيُوخِهِمْ نَصًّا لَهُ الـ إِحْكَامُ مَوْزُونًا بِهِ النَّصَّانِ
وَكَلَامَ بَارِيهِمْ وَقَوْلَ رَسُولِهِمْ مُتَشَابِهًا مُتَحَمِّلًا لمعَانِ
فَتولَّدَتْ مِنْ ذَيْنِكَ الأَصْلَيْنِ أَوْ لادٌ أَتتْ لِلغَيِّ والبُهْتَانِ
إِذْ مِنْ سِفَاحٍ لَا نِكَاحٍ كَوْنُهَا بِئْسَ الوَلِيدُ وَبِئْسَتِ الأَبَوَانِ

عَرَضُوا النُّصُوصَ عَلَى كَلَامِ شُيُوخِهِمْ فكأنَّهَا جَيْشٌ لِذِي سُلْطَانِ
والعَزْلُ والإبْقَاءُ مَرْجعُهُ إلى الـسُّلْطَـانِ دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ
وَكَذَاكَ أقوالُ الشُّيوخِ فإنَّهَا الـ ـمِيزَانُ دُونَ النصِّ والقُرْآنِ
إنْ وَافقَا قَوْلَ الشّيوخِ فمَرْحَبًا أَوْ خَالَفتْ فالدَّفْعُ بالإحْسَانِ
إمَّا بِتَأْويلٍ فإنْ أعْيَا فَتَفْـ ـويضٌ ونَتْرُكُهَا لِقَوْلِ فُلَانِ
إذْ قَوْلُهُ نَصٌّ لَدَيْنَا مُحْكَمٌ فَظَوَاهِرُ المنقُولِ ذَاتُ مَعَانِ
وَالنَّصُّ فَهْوَ بِهِ عَلِيمٌ دُونَنَا وَبحَالِهِ مَا حِيلَةُ العُمْيَانِ
إلَّا تَمَسُّكهُمْ بأَيْدِي مُبْصِرٍ حَتَّى يَقُودَهُمُ كَذِي الأَرْسَانِ
فاعْجَبْ لِعُمْيَانِ البَصَائِر أبْصَرُوا كَوْنَ المقَلِّدِ صَاحِبَ البُرْهَانِ
وَرَأَوْهُ بالتَّقْلِيد أوْلَى مِنْ سِوَا هُ بِغَيْرِ مَا بَصَرٍ وَلَا بُرْهَانِ
وَعَمُوا عَنِ الوَحْيَيْنِ إذْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُمَا عَجَبًا لِذِي الحِرْمَانِ
قَوْلُ الشُّيوخِ أتَمُّ تِبْيَانًا مِنَ الـ ـوَحْيَيْنِ لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمٰنِ
النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ والقَوْلُ مِنْ ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ
وَسِواهُ إمَّا كَاذِبٌ أَوْ صَحَّ لَمْ يَكُ قَوْلَ مَعْصُومٍ وَذِي تِبْيَانِ
أَفَيَسْتَوِي النَّقْلَانِ يَا أَهْلَ النُّهَى واللهِ لَا يَتَمَاثَـلُ النَّـقْلَانِ
هَذَا الَّذِي أَلْقَى العَدَاوَةَ بَيْنَنَا فِي اللهِ نَحْنُ لأجْلِهِ خَصْمَانِ
نَصَرُوا الضَّلَالَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأيِهِمْ لَكِنْ نَصَرْنَا مُوجَبَ القُرْآنِ
وَلَنَا سُلُوكٌ ضِدَّ مَسْلَكِهِمْ فَمَا رَجُلَانِ مِنَّـا قَـطُّ يَلتَقِيَـانِ

إِنَّا أَبَيْنَا أَنْ نَدِينَ بِمَا بِهِ دَانُوا مِنَ الآرَاءِ وَالبُهْتَانِ
إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا يَكْفِي الرَّسُولُ وَمُحْكَمُ الفُرْقَانِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ فَلاَ كَفَا هُ اللهُ شَرَّ حَوَادِثِ الأَزْمَانِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ ذَانِ فَلاَ شَفَا هُ اللهُ فِي قَلْبٍ وَلَا أَبْدَانِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ يُغْنِيهِ ذَانِ رَمَاهُ رَبُّ العَرْشِ بالإِعْدَامِ والحِرْمَانِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهْدِيهِ ذَانِ فَلاَ هَدَا هُ اللهُ سُبْلَ الحَقِّ والإِيمَانِ
إِنَّ الكَلاَمَ مَعَ الكِبارِ وَلَيْسَ مَعْ تِلْكَ الأَرَاذِلِ سِفْلَةِ الحَيَوانِ
أَوْسَاخِ هَذَا الخَلْقِ بَلْ أَنْتَانِهِ جِيَفِ الوُجُودِ وَأَخْبَثِ الإِنسَانِ
الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ العِلْمِ بالـ ـكُفْرَانِ والعُدْوَانِ والبُهْتَانِ
الشَّاتِمِي أَهْلِ الحَدِيثِ عَدَاوَةً لِلسُّنَّةِ العُلْيَا مَعَ القُرْآنِ
جَعَلُوا مَسَبَّتَهُمْ طَعَامَ حُلُوقِهِمْ فاللهُ يَقْطَعُهَا مِنَ الأَذْقَانِ
كِبرًا وإِعْجَابًا وَتِيهًا زَائِدًا وتَجَاوُزًا لِمَرَاتِبِ الإِنْسَانِ
لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةٍ كُنَّا حَمَلْنَا رَايَةَ الشُّكْرَانِ
لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تَخَلُّفٍ عَنْ رُتْبَةِ الإِيمَانِ والإِحْسَانِ
مَنْ لِي بِشِبْهِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَّرُوا بالذَّنْبِ تَأْوِيلًا بِلَا إِحسَانِ
وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّرُوا فِي فَهْمِهَا فَأَتَوْا مِنَ التَقْصِيرِ فِي العِرْفَانِ
وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَّرُونَا بالَّذِي هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ والإِيمَانِ

* * *

□ فصل □

○ في بيانِ كذبِهم ورمْيهم أهلَ الحقِّ بأنَّهم أشباهُ الخوَارجِ وبيانِ شبهِهمْ المحقَّق بالخوارجِ ○

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمَنْ قَدْ دَانَ بالآثَارِ وَالقرْآنِ
أنتُمْ بِذَا مِثْلُ الخَوارِجِ إِنَّهُمْ أَخذُوا الظَّوَاهِرَ مَا اهْتَدَوْا لمعَانِ
فَانْظُرْ إِلى ذا البُهْتِ هَذَا وَصْفُهُمْ نَسبُوا إِلَيْهِ شِيعَةَ الإِيمَانِ
سَلُّوا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَحِزْبهِ سَيْفَيْنِ سَيْفَ يَدٍ وَسَيْفَ لِسَانِ
خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا خَرَجَ الأُلَى مِنْ قَبْلِهِمْ بالبَغْيِ والعُدْوَانِ
واللهِ مَا كَانَ الخَوارِجُ هَكَذَا وَهُمُ البُغَاةُ أَئمَّةُ الطُّغْيَانِ
كَفَّرْتُمُ أَصْحَابَ سُنَّته وَهُمْ فُسَّاقُ مِلَّتِهِ فَمَنْ يلْحَانِي
إِنْ قُلْتُ هُمْ خَيْرٌ وأَهْدَى مِنْكُمُ واللهِ مَا الفِئَتَانِ مُسْتَوِيَانِ
شَتَّانَ بَيْنَ مُكَفِّرٍ بالسُّنَّةِ الـ ـعُلْيَا وَبَيْنَ مُكَفِّرِ العِصْيَانِ
قُلْتُمْ تَأَوَّلْنَا كَذَاكَ تَأَوَّلُوا وَكِلاكُمَا فِئَتَانِ بَاغِيَتَانِ
وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التعْطِيل والتَّحْرِيفِ والتبْدِيلِ والبُهتَانِ
وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ مِيزَةُ الإِثْبَاتِ والتَّصْدِيقِ مَعْ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ
أَلَكُمْ عَلَى تأوِيلِكمْ أجْرَانِ إِذْ لَهُمُ عَلَى تَأوِيلِهِمْ وِزْرَانِ
حَاشَا رَسُولَ اللهِ مِنْ ذَا الحُكْمِ بَلْ أَنتُمْ وَهُمْ فِي حُكْمِهِ سِيَّانِ

وَكِلَاكُمَا لِلنَّصِّ فَهْوَ مُخَالِفٌ هَذَا وَبيْنَكُمَا مِنَ الفُرْقَـانِ
هُمْ خَالَفُوا نَصًّا لِنَصٍّ مِثْلِهِ لَمْ يَفْهَمُوا التَّوْفِيقَ بِالإِحْسَانِ
لَكِنَّكُمْ خَالَفْتُمُ المنْصُوصَ لِلــشُّـبَــهِ الَّتي هِيَ فِكْرَةُ الأَذْهَانِ
فِلأَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمُ خَيْرٌ وأَقْـ ـرَبُ مِنْهُمُ لِلحَقِّ وَالإِيمَانِ
هُمْ قَدَّمُوا المفْهُومَ مِنْ لَفْظِ الكِتَا بِ عَلَى الحَدِيثِ الموجِبِ التِّبْيَانِ
لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمو رَأْيَ الرِّجَا لِ عَلَيْهِمَا أفأَنْتُمَا عِــدْلَانِ
أَمْ هُمْ إِلَى الإِسْلَام أقْربُ مِنْكُمُ لَاحَ الصَّبَاحُ لمنْ لَهُ عَيْنَانِ
واللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الجَزَا بِالعَدْلِ والإِنصَافِ والميــزَانِ
هَذَا وَنَحْنُ فمِنْهُمُ بَلْ مِنْكُمُ بُرَآءُ إِلَّا مِنْ هُدًى وَبيَانِ
فَاسْمَعْ إِذًا قَوْلَ الخَوَارِجِ ثُمَّ قَوْ لَ خُصُومِنَا واحْكُمْ بِلَا مَيلَانِ
مَنْ ذَا الذِي مِنَّا إِذًا أَشْبَاهُهُمْ إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانِ
قَالَ الخَوَارِجُ للرسُولِ اعْدِلْ فَلَمْ تَعْدِل وما ذِي قِسْمَـةُ الدَّيَّـانِ
وَكَذَلِكَ الجَهْمِيُّ قَالَ نَظِيرَ ذَا لكِنَّه قَدْ زَادَ فِي الطُّغْيَانِ
قَالَ الصَّوَابُ بأَنَّهُ اسْتَوْلَى فَلِمْ قُلْتَ اسْتَوَى وَعَدَلْت عَنْ تِبْيَانِ
وَكَذَاكَ يَنْزِلُ أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ لِمَ قُلْتَ يَنْزِلُ صَاحِبُ الغُفْرَانِ
مَاذَا بِعَدْلٍ فِي العِبَارَةِ وَهْيَ مُو هِمَةُ التَّحَرُّكِ وانْتِقَالِ مَكَانِ
وَكَذَاكَ قلتَ بأَنَّ رَبَّكَ فِي السَّمَا أَوْهَمْتَ حَيِّزَ خَالِقِ الأَكْوَانِ
كَانَ الصَّوَابُ بأَنْ يُقَالَ بأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَا سُلْطَانُ ذِي السُّلْطَانِ

وَكَذَاكَ قُلْتَ إِلَيْهِ يَعْرُجُ والصَّوَا ... بُ إِلَى كَرَامَة رَبِّنَا المَنَّانِ
وَكَذَاكَ قُلتَ بأَنَّ مِنْه يَنْزِلُ الـ ... ـقُرْآنُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمٰـنِ
كَانَ الصَّوَابُ بأَنْ يُقَالَ نزولُهُ ... مِنْ لَوْحِهِ أَوْ مِنْ محَلٍّ ثَانِ
وَتَقُولُ أَيْنَ اللهُ ذَاكَ الأَيْنُ مُمـ ... ـتَنعٌ عَلَيْه وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
لَوْ قلتَ مَنْ كَانَ الصَّوابَ كَمَا تَرى ... فِي القَبْرِ يَسْأَل ذَلكَ الملَكَانِ
وَتَقُولُ أَللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ الـ ... أَعْلَى تُشِيرُ بِأُصْبُعٍ وَبنَانِ
نَحْوَ السَّمَاءِ وَمَا إِشَارَتُنَا لَهُ ... حِسِّيَّةٌ بَلْ تِلْكَ فِي الأَذْهَانِ
وَاللهِ مَا نَدْرِي الَّذِي نُبْدِيه فِي ... هَذَا مِنَ التَّأْوِيل للإِخْـوَانِ
قُلْنَا لَهُم إنَّ السَّما هِي قِبْلَةُ الـدَّاعِـي ... كَبَيْتِ اللهِ ذِي الأَرْكَانِ
قَالوا لَنَا هَـذَا دَلِيـلٌ أَنَّــهُ ... فَوْقَ السَّما بأَوْضَحِ البُرْهَانِ
فالنَّاسُ طُرًّا إنَّمَـا يَدْعُونَــهُ ... مِنْ فَوْق هَذِي فِطْرَةُ الرَّحْمٰـنِ
لَا يَسْأَلونَ القِبْلَةَ العُلْيَا وَلَـ ... ـكِنْ يَسْأَلُونَ الربَّ ذَا الإِحْسَانِ
قَالُوا وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى ... غَيْرِ الشَّهِيدِ مُنَزِّلِ الفُرقَـانِ
أَتُرَاهُ أَمْسَى للسَّمَا مُسْتَشْهِدًا ... حَاشَاهُ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي البُهْتَانِ
وَكَذَاكَ قُلْتَ بأَنَّهُ مُتَكَلِّـمٌ ... وَكَلَامُهُ المسْمُـوعُ بـالآذانِ
نَادَى الكَلِيمَ بِنفسهِ وَكَذَاكَ قَدْ ... سَمِعَ النِّدَا فِي الجَنَّةِ الأَبَوَانِ
وَكَذَا يُنَادِي الخَلْقَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ ... بِالصَّوْتِ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلانِ
إِنِي أَنَا الدَّيَّانُ آخُذُ حَقَّ مَظْـ ... ـلُومٍ مِنَ العَبْدِ الظَّلُومِ الجَانِي

وتقولُ إنَّ اللهَ قالَ وَقائِلٌ وَكَذا يَقولُ وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
قَوْلٌ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ يُرَى مِن غَيْرِ مَا شَفَةٍ وَغَيْرِ لِسَانِ
أَوْقَعْتَ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمٰنِ
لَوْ لَمْ تَقُلْ فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشِرْ بِإِشَـارَةٍ حِسِّيَّـةٍ بِبَنَـانِ
وَسَكَتَّ عَنْ تِلْكَ الأَحَادِيثِ الَّتِي قَدْ صَرَّحَتْ بِالفَوْقِ لِلدَّيَّانِ
وَذَكَرْتَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الأَكْوَانِ
كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ بَلْ كَانُوا لَنَا أَسْرَى عَبِيدَ هَوَانِ
لَكِنْ مَنَحْتَهُمُ سِلاحًا كُلَّمَا شَاءُوا لَنَا مِنْهُمْ أَشَدَّ طِعَانِ
وَغَدَوْا بِأَسْهُمِكَ الَّتِي أَعْطَيْتَهُمْ يَرْمُونَنَا غَرَضًا بِكُلِّ مَكَانِ
لَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ فِي العِبَارَةِ بَيْنَنَا مَا كَانَ يُوجَدُ بَيْنَنَا رَجَفَانِ
هَذَا لِسَانُ الحَالِ مِنْهُمْ وَهْوَ فِي ذَاتِ الصُّدُورِ يَغِلُّ بِالْكِتْمَانِ
يَبْدُو عَلَى فَلَتَاتِ أَنفُسِهِمْ وَفِي صَفَحَاتِ أَوجُهِهِمْ يُرَى بِعِيَانِ
سِيمَا إِذَا قُرِىءَ الحَدِيثُ عَلَيْهِمُ وَتَلَوْتَ شَاهِدَهُ مِنَ القُرْآنِ
فَهُنَاكَ بَيْنَ النَّازِعَاتِ وَكُوِّرَتْ تِلْكَ الوُجُوه كَثِيرَةُ الأَلْوَانِ
وَيَكَادُ قَائِلُهُمْ يُصَرِّحُ لَوْ يُرَى مِنْ قَابِلٍ فَتَراهُ ذَا كِتْمَانِ
يَا قَوْمُ شَاهَدْنَا رُءُوسَكُمْ عَلَى هَذا وَلَمْ نَشْهَدْهُ مِنْ إِنسَانِ
وَهْوَ الَّذِي فِي كُتْبِهِمْ لَكِنْ بِلطْـ ـفِ عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانِ
وَأَخُو الجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِلفظ والـ ـمَعْنَى فَنَسْبُ العَالِمِ الرَّبَّانِي

يَا مَنْ يَظُنُّ بَأنَنا حِفْنَا عَلَيْـ ـهِمْ كُتْبُهُمْ تُنْبِيكَ عَنْ ذا الشَّانِ
فَانْظُرْ تَرَى لَكِنْ نَرَى لَكَ تَرْكَهَا حَذَرًا عَلَيْكَ مَصَايِدَ الشَّيْطَانِ
فَشِبَاكُهَا واللهِ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيَرَانِ
إِلَّا رَأيتَ الطَّيرَ فِي قَفَصِ الرَّدَى يَبْكِي لَهُ نَوْحٌ عَلَى الأَغْصَانِ
وَيَظَلُّ يَخْبِطُ طَالِبًا لِخَلَاصِهِ فَيَضِيقُ عَنْهُ فُرْجَةُ العِيدَانِ
والذَّنبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ أَخْلَى طَيِّبَ الـثَّـمَـرَاتِ فِي عَالٍ مِنَ الأَفْنَانِ
وَأَتَى إِلَى تِلْكَ المَزَابِلِ يَبْتَغِي الـ ـفَضَلَاتِ كالحَشَرَاتِ والدِّيدَانِ
يَا قَوْمُ واللهِ العَظِيمِ نَصِيحَةٌ مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانِ
جَرَّبْتُ هَذَا كُلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي تِلْكَ الشِّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيرانِ
حَتَّى أَتَاحَ لِيَ الإِلَهُ بِفَضْلِهِ مَنْ لَيْسَ تَجْزِيه يَدِي وَلِسَانِي
حَبْرٌ أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَيَا أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَّانِ
فَاللهُ يَجْزِيه الذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ المَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ
أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعَ الإِيمَانِ
وَرَأَيْتُ أعلَامَ المَدِينَةِ حَوْلَهَا نُزُلُ الهُدَى وَعَسَاكِرُ القُرآنِ
وَرَأَيْتُ آثَارًا عَظِيمًا شَأْنُهَا مَحْجُوبَةً عَنْ زُمْرَةِ العِمْيَانِ
وَرَأيتُ أَكْوَازًا هُنَاكَ كَثِيرَةً مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدٍ ظَمْآنِ
وَوَرَدْتُ رَأْسَ المَاءِ أَبْيَضَ صَافِيًا حَصْبَاؤُهُ كَلَآلِئِ التِّيجَانِ
وَرَأَيْتُ حَوْضَ الكَوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي لَا زَالَ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ

مِيزابُ سُنَّتِهِ وَقَوْلُ إلهِهِ ... وَهُمَا مَدَى الأَيَّامِ لَا يَنِيَانِ
والنَّاسُ لَا يَرِدُونَهُ إلَّا مِنَ الـ ... آلافِ أفرَادًا ذَوِي إيمَانِ
وَرَدُوا عِذَابَ مَنَاهِلٍ أَكْرِمْ بِهَا ... وَوَرَدْتُمُ أَنْتُمْ عَذَابَ هَوَانِ
فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمُ ذَا العَدْلَ والْـ ... إِنْصَافَ والتَّخْصِيصَ بالعِرفَانِ
مَنْ ذَا عَلَى دِينِ الخَوَارِجِ بَعْدَ ذَا ... أَنتُمْ أمِ الحَشْوِيُّ مَا تَرَيَانِ
واللهِ مَا أَنْتُمْ لَدَى الحَشْوِيِّ أَهْـ ... ـلًا أَنْ يُقَدِّمَكُمْ عَلَى عُثْمان
فَضْلًا عَنِ الْفَارُوقِ والصِّدِّيقِ فَضْـ ... ـلًا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَالْقُرْآنِ
واللهِ لَوْ أَبْصَرْتُمُ لَرَأَيْتُمُ الْـ ... ـحَشْوِيَّ حَامِلَ رَايَةِ الْإِيمَانِ
وكَلَامُ رَبِّ العَالَمِينَ وعَبْدِه ... فِي قَلْبِهِ أعْلَى وأَكْبَرُ شَانِ
مِنْ أَنْ يُحَرَّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وأنْ ... يُقْضَى لَهُ بالعَزْلِ عَنْ إيقَانِ
وَيَرَى الوَلَايَة لابْنِ سِينَا أَوْ أَبِي ... نَصْرٍ أَوِ المَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانِ
أَوْ مَنْ يُتَابِعُهُمْ عَلَى كُفْرَانِهِمْ ... أَوْ مَنْ يُقَلِّدُهُمْ مِنَ العُمْيَانِ
يا قَوْمَنَا باللهِ قُومُوا وَانْظُرُوا ... وَتفكَّرُوا فِي السِّرِّ والإعْلَانِ
نَظَرًا وإنْ شِئْتُمْ مُنَاظَرَةً فَمِنْ ... مَثْنَى عَلَى هَذَا وَمِنْ وُحْدَانِ
أَيُّ الطَّوائِفِ بَعْد ذَا أَدْنَى إِلَى ... قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ
فَإِذَا تَبَيَّنَ ذَا فَإِمَّا تَتْبَعُوا ... أَوْ تَعْذُرُوا أَوْ تُؤْذِنُوا بِطِعَان

* * *

▫ فصــلٌ ▫

○ في تلقيبهِمْ أهلَ السُّنَّةِ بالحشْويةِ وبيانِ منْ ○ أوْلَى بالوصفِ المذمومِ منْ هَذا اللَّقبِ مِنَ الطَّائفتينِ وذكرِ أوَّلِ من لقَّبَ بهِ أهلَ السُّنَّةِ أمْ أهلِ البدعةِ

وَمِنَ العَجَائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنْ اقْتَدَى بالوَحْيِ مِنْ أثرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
حَشْوِيةٌ يَعْنُونَ حَشْوًا فِي الوُجُو دِ وَفَضْلَةً فِي أمَّةِ الإِنْسَانِ
وَيَظُنُّ جَاهِلُهُمْ بأَنَّهُمُ حَشَوْا رَبَّ العِبَادِ بِدَاخِلِ الأَكْوَانِ
إِذْ قَوْلُهُمْ فَوْقَ العِبَاد وَفِي السَّمَا ءِ الرَّبُّ ذُو المَلَكُوتِ والسُّلْطَانِ
ظَنَّ الحَمِيرُ بأنَّ فِي لِلظَّرْفِ والـ ـرَّحْمَنَ مَحْوِيٌّ بظَرْفِ مَكَانِ
وَاللهُ لَمْ يَسْمَعْ بِذَا مِنْ فِرْقَةٍ قَالَتْهُ فِي زَمَنٍ مِنَ الأَزْمَانِ
لَا تَبْهَتُوا أَهْلَ الحَديثِ بِهِ فَمَا ذَا قَوْلُهُمْ تَبًّا لِذِي البُهْتَانِ
بَلِ قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّمواتِ العُلَا فِي كَفِّ خَالِقِ هَذِهِ الأَكْوَانِ
حَقًّا كَخَرْدَلَةٍ تُرَى فِي كَفِّ مُمْـ ـسِكِهَا تَعَالَى اللهُ ذو السُّلْطَانِ
أَتَرَوْنَهُ المَحْصُورَ بَعْدُ أمِ السَّمَا يَا قَوْمَنَا ارْتَدِعُوا عَنِ العُدْوَانِ
كَمْ ذَا مُشَبِّهَةٌ وَكَمْ حَشْوِيَّةٌ فَالبَهْتُ لَا يَخْفَى عَلَى الرحمـٰنِ
يَا قَوْمُ إِن كَانَ الكِتَابُ وَسُنَّةُ الـ ـمخْتَارِ حَشْوًا فَاشْهَدُوا بِبَيَانِ
أَنَّا بِحَمْدِ إلهنَا حَشْوِيـةٌ صِرْفٌ بِلَا جَحْدٍ وَلَا كِتْمَانِ
تَدْرُونَ مَنْ سَمَّتْ شُيُوخُكُمُ بِهَـ ـذَا الإِسْمِ فِي المَاضِي مِنَ الأَزْمَانِ

سَمَّى بِهِ ابنُ عبيدِ عَبْدَ اللهِ ذَا ... كَ ابنُ الخَلِيفَةِ طَارِدِ الشَّيْطَانِ
فَوَرِثْتُمُ عُمَرًا كَمَا وَرِثُوا لِعَبْـ ... ـدِ اللهِ أنَّى يَسْتَوِي الإِرْثَانِ
تَدْرُونَ مَنْ أوْلَى بِهَذَا الإِسْمِ وَهْـ ... ـوَ مُنَاسِبٌ أَحْوَالَهُ بِـوِزَانِ
مَنْ قَدْ حَشَا الأَوراقَ والأَذْهَانَ مِنْ ... بِدَعٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ القُرْآنِ
هَذَا هُوَ الحَشْوِيُّ لَا أَهْلُ الحَـدِيـــثِ أئِمَّةُ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ
وَرَدُوا عِذَابَ مَنَاهِلِ السُّنَنِ الَّتِي ... لَيْسَتْ زِبَالَةَ هَذِهِ الأَذْهَـانِ
وَوَرَدْتُمُ القَلُّوطَ مَجْرَى كُلِّ ذِي الـ ... أوْسَاخِ والأَقْـذَارِ وَالأَنْتَـانِ
وَكسَلْتُمُ أنْ تَصْعَدُوا لِلْوِردِ مِنْ ... رَأسِ الشرِيعةِ خَيْبَةَ الكَسْلَانِ

□ فصـــلٌ □

○ في بيانِ عُدْوانِهِمْ في تلقيبِ أهلِ القرآنِ ○ والحديثِ بالمجسِّمَةِ وبيانِ أنَّهمْ أوْلى بكلِّ لقبٍ خبيثٍ

كَمْ ذَا مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ نَوَا ... بِتَـةٌ مَسَبَّـةُ جَاهِـلٍ فَتَّـانِ
أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَهْلَ الحَدِيـ ... ـثِ وَنَاصِرِي القُرْآنِ والإِيمَانِ
سَمَّيْتُمُوهُمْ أَنْتُمُ وَشُيُوخُكُـمْ ... بَهْتًا بِهَا مِنْ غَيْرِ مَا سُلْطَانِ
وَجَعَلْتُمُوهَـا سُبَّـةً لِتُنَفِّـرُوا ... عَنْهُمْ كَفِعْلِ السَّاحِرِ الشَّيْطَانِ
مَا ذَنْبُهُمْ وَاللهِ إِلَّا أَنَّهُـمْ ... أخَذُوا بِوَحْيِ اللهِ والفُرْقَانِ
وَأَبَوْا بِأنْ يَتَحَيَّزُوا لمقَالَـةٍ ... غَيْرِ الحَدِيثِ وَمُقْتَضَى القُرْآنِ

وَأَبَوْا يَدِينُوا بالَّذِي دِنْتُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الآرَاءِ والهَذَيَانِ
وَصَفُوهُ بالأَوْصَافِ فِي النَّصَّيْنِ مِنْ خَبَرٍ صَحِيحٍ ثُمَّ مِنْ قُرْآنِ
إنْ كَانَ ذَا التَّجْسِيمُ عِنْدَكُمُ فَيَا أَهْلًا بِهِ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
إنَّا مُجَسِّمَةٌ بِحَمْدِ اللهِ لَمْ نَجْحَدْ صِفَاتِ الخَالِقِ الدَّيَّانِ
وَاللهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مِنَّا بأنَّ اللهَ جِسْمٌ يَا أولِي البُهْتَانِ
وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّنا فِي وَصْفِهِ لَمْ نَعْدُ مَا قَدْ قَالَ فِي القُرْآنِ
أَوْ قَالَهُ أَيْضًا رَسُولُ اللهِ فَهْـ ـوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ بالبُرْهَانِ
أَوْ قَالَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَهُمُ النُّجُومُ مَطَالِعُ الإِيمَانِ
سَمُّوهُ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا فَلَسْـ ـنَا جَاحِدِيهِ لِذَلِكَ الهَذَيَانِ
بَلْ بَيْنَنَا فَرْقٌ لَطِيفٌ بَلْ هُوَ الْـ ـفَرْقُ العَظِيمُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
إنَّ الحَقِيقَةَ عِنْدَنَا مَقْصُودَةٌ بالنَّصِّ وَهْوَ مُرَادَةُ التِّبْيَانِ
لَكِنْ لَدَيْكُمْ فَهْيَ غَيْرُ مُرَادَةٍ أَنَّى يُرَادُ مُحَقَّقُ البُطْلانِ
فَكَلَامُهُ فِيمَا لَدَيْكُمْ لَا حَقِيـ ـقَةَ تَحْتَهُ تَبْدُو إلى الأَذْهَانِ
فِي ذِكْرِ آياتِ العُلُوِّ وَسَائِرِ الْـ أَوْصَافِ وَهْيَ القَلْبُ للقُرْآنِ
بَلْ قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ لَيْسَ حَقِيقَةً فِيمَا لَدَيْكُمْ يا أولِي العِرْفَانِ
وَإذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازًا صَحَّ أَنْ يُنْفَى عَلَى الإِطْلَاقِ والإِمْكَانِ
وَحَقَائِقُ الأَلْفَاظِ بالعَقْلِ انْتَفَتْ فِيمَا زَعَمْتُمْ فاسْتَوى النفْيَانِ
نَفْيُ الحَقِيقَةِ وانْتِفَاءُ اللَّفْظِ إنْ دَلَّتْ عَلَيْهِ فَحَظُّكُمْ نَفْيَانِ

وَنَصِيبُنَا إِثْبَاتُ ذَاكَ جَمِيعِهِ لَفْظًا وَمَعْنًى ذَاكَ إِثْبَاتَانِ
فَمَنِ المعَطِّلُ فِي الحَقِيقةِ غيْرُكُمْ لَقَبٌ بِلَا كَذِبٍ وَلا عُدْوَانِ
وَإِذَا سَبَبْتُمْ بالمحَالِ فَسَبُّنَا بأَدِلَّةٍ وَحجَاجٍ ذِي بُرْهَانِ
تُبْدِي فَضَائِحَكُمْ وَتَهْتِكُ سِتْرَكُمْ وَتُبِينُ جَهْلَكُمُ مَعَ العُدْوَانِ
يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ السِّبَابِ بِذَاكُمُ وَسِبَابُكُمْ بِالكِذْبِ والطُّغْيانِ
مَنْ سَبَّ بِالبرهانِ لَيْسَ بِظَالِمٍ والظُّلْمُ سَبُّ العَبْدِ بالبُهْتَانِ
فَحَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ أنْ تَكُ عِنْدَكُمْ وَصْفَ الإلهِ الخَالِقِ الدَّيَّانِ
بِصِفَاتِهِ العُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ العَدْلَانِ
فَتَحَمَّلُوا عَنَّا الشَّهَادَةَ وَاشْهَدُوا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ مَكَانِ
أَنَّا مُجَسِّمَةٌ بِفَضْلِ اللهِ وَلْـ ـيَشْهَدْ بِذَلِكَ مَعْكُمُ الثَّقَلَانِ
اللهُ أَكْبَرُ كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا الْـ ـحَرْبُ العَوَانُ وَصِيحَ بِالأَقْرَانِ
وَتَقَابَلَ الصَّفَّانِ وَانْقَسَمَ الوَرَى قِسْمَيْنِ واتَّضَحَتْ لَنَا القِسْمَانِ

□ فصــلٌ □

○ في بيانِ موردِ أهلِ التَّعطيلِ وأنَّهمْ تعوَّضُوا بالقَلُوطِ عن السَلْسَبِيلِ ○

يَا وَارِدَ القَلُّوطِ وَيْحَكَ لَوْ تَرَى مَاذَا عَلَى شَفَتَيْكَ والأَسْنَانِ

أوَمَا تَرى آثارَهَا فِي القَلْبِ والـنِّـيَّاتِ والأعْمَالِ والأرْكَانِ
لَوْ طَابَ مِنْكَ الوِرْدُ طابَتْ كُلُّها أنَّى تَطِيبُ مَوارِدُ الأنْتَانِ
يَا وَارِدَ القَلُّوطِ طَهِّرْ فَاكَ مِنْ خَبَثٍ بِهِ واغْسِلْهُ مِنْ أنْتَانِ
ثمَّ اشْتُم الْحَشْوِيَّ حَشْوَ الدِّينِ والـ ـقُرْآنِ والآثَارِ والإيمَانِ
أهْلًا بِهِمْ حَشْوَ اليَقِينِ وَغَيْرُهُمْ حَشْوُ الشُّكُوكِ فَمَا هُمَا صِنْوَانِ
أهْلًا بِهِمْ حَشْوَ المسَاجِدِ والسِّوَى حَشْوُ الكَنِيفِ فمَا هُمَا عِدْلَانِ
أهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الجِنَانِ وَغَيْرُهُمْ حَشْوُ الجَحِيمِ أيَسْتَوِي الحشْوَانِ
يَا وَارِدَ القَلُّوط وَيْحَكَ لَو تَرَى الـ ـحَشْوِيَّ وَارِدَ مَنْهَلِ الفُرْقَانِ
وَتَرَاهُ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ شَارِبًا مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالفُرْقَانِ
وَتَراهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كأسِهِ وَختَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رَيْحَانِ
لَعَذَرتَهُ إنْ بَالَ فِي القَلُّوطِ لَمْ يَشْرِبْ بِهِ مَعْ جُمْلَةِ العُمْيَانِ
يَا وَارِدَ القَلُّوطِ لَا تَكْسَلْ فَرَأْ سُ المَاءِ فَاقْصِدْهُ قَرِيبٌ دَانِ
هُوَ مَنْهَلٌ سَهْلٌ قَرِيبٌ وَاسِعٌ كَافٍ إذَا نَزَلَتْ بِهِ الثَّقَلَانِ
واللهِ لَيْسَ بأصْعَبِ الْوِرْدَيْنِ بَلْ هُوَ أسْهَلُ الوِرْدَينِ للظَّمْآنِ

* * *

□ فصــلٌ □

○ في بيانِ هدْمِهِمْ لقواعدِ الإسلامِ والإيمانِ ○ بعزْلهمْ نصوصَ السُّنَّةِ والقُرْآنِ

يَا قَوْمُ واللهِ انْظُرُوا وَتَفَكَّرُوا ... فِي هَذِهِ الأَخْبَارِ والقُـرْآنِ
مِثْلَ التَّدَبُّرِ والتَّفكُّرِ لِلَّـذِي ... قَدْ قَالَهُ ذُو الرَّأْيِ والْحُسْبَانِ
فَأَقَلُّ شَيءٍ أَنْ يَكونَا عِنْدَكُمْ ... حَدًّا سَوَاءً يا أُولِي العُدْوَانِ
واللهِ مَا اسْتَوِيَا لَدَى زُعَمَائِكُمْ ... فِي العِلْمِ والتَّحْقِيق والعِرْفَانِ
عَزَلُوهُمَا بَلْ صَرَّحُوا بالعَزْلِ عَنْ ... نَيْلِ الْيَقِينِ ورُتْبَةِ البُرْهَـانِ
قَالُـوا وَتِـلكَ أَدِلّـةٌ لفظِيَّـةٌ ... لَسْنَا نُحَكِّمُهَا عَلَى الإِيقَانِ
مَا أُنْزِلَتْ لِيَنَالَ مِنْهَا الْعِلْمُ بالْـ ... إثْبَاتِ للأَوْصَاف للرَّحْمٰـــنِ
بَلْ بِالعُقُولِ يُنَال ذَاكَ وَهَذِهِ ... عَنْهُ بِمعْزِل غَيْر ذِي السُّلْطانِ
فَبِجَهْدِنَا تَأْوِيلُهَا والدَّفعُ فِي ... أَكْنَافِهَا دَفْعًا لِذِي الصَّوَلَانِ
كَكَبِيرِ قَوْمٍ جَاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِي ... حَكَمٍ يُرِيدُ دفاعَـهُ بِليَـانِ
فَيَقُولُ قَدْرُكَ فَوْقَ ذَا وَشَهَادَةٌ ... لِسِوَاكَ تَصْلُحُ فاذْهَبَنْ بأَمَانِ
وَبِوُدِّهِ لَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا ... لَكِنْ مَخَافَةَ صَاحِبِ السُّلْطَانِ
فَلَقَدْ أَتَانَا عَنْ كَبِيرٍ فِيهِمُ ... وَهْوَ الحَقِيرُ مقَالة الكُفْرَانِ
لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي وَلَيْسَ بِمُمْكِنٍ ... لحَكَكْتُ مِنْ ذَا المصْحَفِ العُثْمَانِي
ذِكْرَ اسْتِواءِ الرَّبِّ فَوْقَ العَرْشِ لَـ ... ـكِنْ ذَاكَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الإِنْسَانِ

وَاللهِ لَوْلَا هَيْبَةُ الإِسْلَامِ والـ ـقُرْآنِ والأُمَراءِ والسُّلْطَانِ
لأَتَوْا بِكُلِّ مُصِيبةٍ وَلَدَكْدَكُوا الـ إسْلَامَ فَوْقَ قَوَاعِدِ الأَرْكَانِ
فَلقَدْ رَأَيْتُمْ مَا جَرَى لأَئِمَّةِ الـ إسْلَامِ مِنْ مِحَنٍ عَلَى الأَزْمَانِ
لَا سِيَّمَا لَمَّا اسْتَمالُوا جَاهِلًا ذَا قُدْرَةٍ فِي النَّاسِ مَعْ سُلْطَانِ
وَسَعَوْا إِلَيْهِ بِكلِّ إفْكٍ بَيِّنٍ بَلْ قَاسَمُوه بأَغلَظِ الأَيْمَانِ
أَنَّ النَّصيحَةَ قَصْدُهُمْ كَنصيحَةِ الشَّـيْطَانِ حينَ خَلَا بِهِ الأَبَوانِ
فَيرى عَمَائِمَ ذَاتَ أَذْنَابٍ عَلَى تِلْكَ القُشُورِ طَويلَةِ الأَردَانِ
وَيَرى هَيُولَى لَا تَهُولُ لمُبْصِرٍ وَتَهُولُ أَعْمَى فِي ثِيَابِ جَبَانِ
فَإِذَا أَصَاخَ بِسَمْعِهِ ملئُوه مِنْ كَذِبٍ وَتَلْبِيسٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
فَيَرى وَيَسْمعُ فَشْرَهُمْ وَفُشَارَهُمْ يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ والأُذُنَانِ
فَتَحُوا جِرَابَ الجَهْلِ مَعْ كَذِبٍ فَخُذْ وَاحْمِلْ بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ
وَأَتَوا إِلَى قَلْبِ المُطَاعِ فَفَتَّشُوا عَمَّا هُنَاكَ لِيَدْخُلُوا بأَمَانِ
فَإِذَا بَدَا غَرَضٌ لَهُم دَخَلُوا بِهِ مِنْه إِلَيْهِ كَحِيلَةِ الشَّيْطَانِ
فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ ظَفِروا وَقَالُوا وَيحَ آلِ فُلَانِ

* * *

هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَعُوقُ مَوْلَانَا عن الـ ـمقْصُودِ وَهْوَ عَدُوٌّ هَذَا الشَّانِ
فَإِذَا هُمُ غَرَسُوا العَدَاوَةَ واظَبُوا سَقْيَ الغِرَاسِ كَفِعْلِ ذِي البُسْتَانِ
حَتَّى إِذَا مَا أَثْمَرَتْ وَدَنَا لَهُمْ وَقْتُ الجُذَاذِ وَصَارَ ذَا إِمكَانِ
رَكِبُوا عَلَى حَرَدٍ لَهُمْ وَحَمِيَّةٍ وَاسْتَنْجَدُوا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فَهُنَالِكَ ابْتُلِيَتْ جُنُودُ اللهِ مِنْ جُنْدِ اللَّعِينِ بِسَائِرِ الأَلْوَانِ
ضَرْبًا وَحَبْسًا ثُمَّ تَكْفِيرًا وَتَبْـ ـدِيعًا وَشَتْمًا ظَاهِرَ البُهْتَانِ
فَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمُ أَمْرًا تُهَدُّ لَهُ قُوَى الإِيمَانِ
مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الحَدِيثِ وَدِينُهُمْ أَخْذُ الحَدِيثِ وَتَرْكُ قَوْلِ فُلَانِ
يَا أُمَّةً غَضِبَ الإِلَهُ عَلَيْهِمُ أَلِأَجْلِ هَذَا تَشْتُمُوا بِهَوَانِ
تَبًّا لَكُمْ إِذْ تَشْتُمُونَ زَوَامِلَ الـ إِسْلَامِ حِزْبَ اللهِ وَالقُرْآنِ
وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفْأَهُمْ فَرَأَوْا مَسَبَّتَكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ
هَذَا وَهُمْ قَبِلُوا وَصِيَّةَ رَبِّهِمْ فِي تَرْكِهِمْ لِمَسَبَّةِ الأَوْثَانِ
حَذَرَ المُقَابَلَةِ القَبِيحَةِ مِنْهُمُ بِمَسَبَّةِ القُرْآنِ وَالرَّحْمَٰنِ
وَكَذَاكَ أَصْحَابُ الحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ضُرِبَتْ لَهُمْ وَلَكُمْ بِذَا مَثَلَانِ
سَبُّوكُمُ جُهَّالُهُمْ فَسَبَبْتُمُ سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الإِيمَانِ
وَصَدَدْتُمُ سُفَهَاءَكُمْ عَنْهُمْ وَعَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ
وَدَعَوْتُمُوهُمْ لِلَّذِي قَالَتْهُ أَشْـ ـيَاخٌ لَكُمْ بِالخَرْصِ وَالحُسْبَانِ
فَأَبَوْا إِجَابَتَكُمْ وَلَمْ يَتَحَيَّزُوا إِلَّا إِلَى الآثَارِ وَالقُرْآنِ

وإلى أولِي العِرْفَانِ مِنْ أهْل الحَدِيـ ـثِ خُلاصَةِ الإنْسَانِ والأَكْوانِ
قَوْمٌ أقَامَهُـمُ الإلَهُ لِحِفْظِ هَـ ـذَا الدِّين مِنْ ذِي بِدْعَةٍ شَيْطَانِ
وَأَقَامَهُمْ حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ والتَّـحْرِيفِ والتتْمِيمِ والنقْصَانِ
يَزَكٌ عَلَى الإِسْلَامِ بَلْ حِصْنٌ لَهُ يَأْوِي إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الفُرْقَانِ
فَهُمُ المحَكُّ فمنْ يُرَى مُتَنَقِّصًا لَهُمُ فَزِنْدِيقٌ خَبِيثُ جَنَانِ
إِنْ تَتَّهِمْهُ فقبلَكَ السَّلَفُ الأُلَى كَانُوا عَلَى الإِيمَانِ والإِحْسَانِ
أيضًا قد اتَّهَمُوا الخَبِيثَ عَلَى الهُدَى وَالعِلْمِ والآثَارِ والقُرْآنِ
وَهْوَ الحَقِيقُ بِذَاكَ إذْ عَادى رُوَا ةَ الدّينِ وَهْيَ عَدَاوَةُ الدَّيَّانِ
فَإِذَا ذَكَرْتَ النَّاصِحِينَ لِربِّهِمْ وَكِتَابِـهِ وَرسُولِـهِ بِـلسَانِ
فَاغْسِلْهُ ويْلَكَ مِنْ دَمِ التَّعْطِيلِ والتَّكْذِيبِ والكُفرانِ والبُهتَانِ
أَتسبُّهُمْ عَدْوًا وَلَسْتَ بِكُفْئِهِمْ فاللهُ يَفْدِي حِزْبَهُ بالجَانِـي
قَوْمٌ هُمُ باللهِ ثُمَّ رَسُولِـهِ أوْلَى وأقْرَبُ مِنْكَ للإِيمَانِ
شَتَّانَ بَيْنَ التَّارِكِينَ نُصُوصَهُ حَقًّا لأَجْلِ زِبالَةِ الأَذْهَـانِ
والتَّارِكِينَ لأَجْلِهَا آرَاء مَنْ آرَاؤُهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيَانِ
لَمَّا فَسَا الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ ثَقُلَتْ رُءُوسُهُمُ عن القُرآنِ
فَلِذَاكَ نَامُوا عَنْهُ حَتَّى أصْبَحُوا يتلاعَبُونَ تَلاعُبَ الصِّبْيَانِ
والرَّكْبُ قَدْ وَصَلُوا العُلَى وَتيمَّمُوا مِنْ أَرْضِ طِيبَةَ مَطْلَعِ الإيمَانِ
وَأَتَوْا إلى رَوْضَاتِهَا وَتَيَمَّمُوا مِنْ أرْضِ مكَّةَ مَطْلَعِ القُرْآنِ

قَوْمٌ إذَا مَا نَاجِذُ النَّصِّ بَدَا طَارُوا لَهُ بالجَمْعِ والوُحْدَانِ
وإذَا بَدَا عَلَمُ الهُدَى استَبَقُوا لَهُ كَتَسَابُقِ الفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ
وإذَا هُمُ سَمِعُوا بِمُبْتَدِعٍ هَذَى صَاحُوا بِهِ طُرًّا بِكلِّ مَكَانِ
وَرِثُوا رَسُولَ اللهِ لَكِنْ غَيْرُهُمْ قَدْ رَاحَ بالنُّقْصَانِ والحِرْمَانِ
وإذَا اسْتَهانَ سواهُمُ بالنصِّ لَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا مِنَ الخُسْرَانِ
عَضُّوا عَلَيْهِ بالنَّواجِذِ رَغْبَةً فِيهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِمُ بِمُهَانِ
لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الكِتَابَ حَقِيقَةً وَتِلَاوةً قَصْدًا بِتَرْكِ فُلَانِ
عَزَلُوهُ فِي المَعْنَى وَوَلَّوا غَيْرَه كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةِ السُّلْطَانِ
ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ وَبِسكَّةٍ رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الأَثْمَانِ
والأَمْرُ والنَّهْيُ المطَاعُ لِغَيْرِهِ ولمهْتَدٍ ضُرِبَتْ بِذَا مَثَلَانِ
يَا لَلْعُقُولِ أَيَسْتَوِي مَنْ قَالَ بالـ ـقُرْآنِ والآثَارِ والبُرْهَانِ
ومُخَالِفٌ هَذَا وَفِطْرَةَ رَبِّهِ اللهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ
بَلْ فِطْرَةُ اللهِ الَّتِي فُطِرُوا عَلَى مَضْمُونِها وَالعَقْلُ مَقْبُولَانِ
والوَحْيُ جَاءَ مُصَدِّقًا لَهُمَا فَلَا تُلْقِ العَداوَةَ مَا هُمَا حَرْبَانِ
سِلْمانِ عِنْدَ مُوفَّقٍ ومُصَدِّقٍ واللهُ يَشْهَدُ أَنْ هُمَا سِلْمَانِ
فإذَا تَعَارَضَ نَصُّ لَفْظٍ وَارِدٍ والعَقْل حَتَّى لَيسَ يَلْتَقِيَانِ
فَالعَقْلُ إمَّا فَاسِدٌ وَيَظُنُّهُ الرَّائِي صَحِيحًا وَهْو ذُو بُطْلَانِ
أَوْ أنَّ ذَاكَ النصَّ لَيسَ بثَابتٍ مَا قَالَهُ المعْصُومُ بالبُرْهَانِ

وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ تُعَارِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَسَلْ عَنْهَا عَلِيمَ زَمَانِ
وإذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا مِن آفَةِ الأفْهَامِ وَالأذْهَانِ
أو أنْ يَكُونَ البَعْضُ لَيس بثَابِتٍ مَا قَالَهُ المَبْعُوثُ بالقُرْآنِ
لَكِنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ والجَهْمِ فِي قَلْبِ الموحِّدِ لَيس يَجْتَمِعَانِ
إلا وَيَطْرُدُ كُلُّ قَوْلٍ ضِدَّهُ فإذَا هُمَا اجْتَمَعَا فمُقْتَتِلانِ
والنَّاسُ بَعْدُ عَلَى ثَلاثٍ حِزْبِهِ أَوْ حَرْبِهِ أَوْ فَارِغٍ مُتَوَانِ
فاخْتَرْ لِنَفسِك أَيْنَ تَجْعَلُهَا فَلَا والله لَسْتَ بِرَابِعِ الأعْيَانِ
مَنْ قَالَ بالتَّعْطِيلِ فَهْوَ مُكَذِّبٌ بِجَمِيعِ رُسْلِ اللهِ والفُرْقَانِ
إنَّ المعَطِّلَ لَا إِلَهَ لهُ سِوَى الـ ـمَنْحوتِ بالأفْكَارِ فِي الأذْهَانِ
وَكَذَا إِلَهُ المشْرِكينَ فَنَحْتَةُ الْـ أَيْدِي هُمَا فِي نَحْتِهِمْ سِيَّانِ
لكِنْ إلهُ المرْسَلِينَ هُوَ الذِي فَوْقَ السَّمَاءِ مُكَوِّنُ الأكْوَانِ
تاللهِ قَدْ نَسَبَ المعَطِّلُ كُلَّ مَنْ بالبَيِّنَاتِ أَتَى إِلَى الكِتْمَانِ
واللهِ مَا فِي المرْسَلِينَ مُعَطِّلٌ نافِي صِفَاتِ الوَاحِدِ الرَّحمٰنِ
كَلَّا وَلَا فِي المرْسَلِينَ مُشَبِّهٌ حَاشَاهُمُ مِنْ إفكِ ذِي بُهْتَانِ
فَخُذِ الهُدَى مِنْ عَبْدِهِ وَكِتَابِهِ فَهُمَا إلَى سُبُلِ الهُدَى سَبَبَانِ

* * *

□ فصـــل □

○ في بطلانِ قولِ الملحدينَ أنَّ الاستدلالَ بكلامِ الله ورسولِهِ لا يفيدُ العلمَ واليقينَ ○

واحْذرْ مَقَالَاتِ الَّذِينَ تَفرَّقُوا شِيَعًا وَكَانُوا شِيعَةَ الشيطَانِ
واسأَلْ خَبِيرًا عَنْهُمُ يُنْبِيكَ عَنْ أَسْرَارِهِـمْ بنَصِيحَـةٍ وَبَيَـــانِ
قَالوا الهُدَى لَا يُسْتَفَادُ بِسُنَّةٍ كَلَّا وَلَا أثَـرٍ ولَا قُـرْآنِ
إذْ كُلُّ ذَاكَ أَدِلَّةٌ لفظِيَّـةٌ لَمْ تُبْدِ عَنْ عِلْمٍ ولَا إيقَانِ
فيهَا اشْتِرَاكٌ ثُمَّ إجْمَالٌ يُرَى وَتَجُوزُ بالتَّزْييـدِ وَالنُّـقْصَانِ
وكَذَلكَ الإِضْمَارُ والتحْقِيقُ والـ ـحَذفُ الَّذِي لَمْ يُبْدِ عَنْ تِبْيانِ
والنقْلُ آحادٌ فمَوقُوفٌ عَلَى صِدْقِ الرواةِ وَلَيْس ذَا بُرْهَانِ
إذ بَعْضُهُمْ فِي البَعْض يَقْدَحُ دَائِمًا وَالقَدْحُ فِيهِمْ فَهْوَ ذُو إمْكَانِ
وَتَواتُرٌ وَهْوَ القلِيلُ وَنَـادِرٌ جدًّا فأينَ القطْعُ بالبُرْهَـانِ
هَذَا ويَحْتَاجُ السَّلَامَةَ بَعْدُ مِنْ ذَاكَ المُعَارِضِ صَاحِبِ السُّلطَانِ
وَهْوَ الذِي بالعَقل يَفرِضُ صِدْقَهُ والنَّفْيُ مَظْنُونٌ لَدَى الإنْسَانِ
فَلأجْلِ هَذَا قَدْ عَزَلْنَاهَا وَولَّــيْنَا العُقُولَ ومنْطِق الْيُونَانِ
فَانظُرْ إِلَى الإسْلَامِ كَيْفَ بقَاؤهُ مِنْ بَعْدِ هَذَا القَوْلِ ذِي البُطْلَانِ
وانظُرْ إِلَى القُرْآنِ مَعْزُولًا لَدَيْـ ـهِمْ عَنْ نُفُوذِ ولَاية الإِيقَانِ

وانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ كَذَاكَ مَعْـ ـزُولًا لَدَيْهِمْ لَيْسَ ذَا سُلْطَانِ
واللهِ مَا عَزَلُوهُ تَعْظِيمًا لَهُ أيظُنُّ ذلكَ قَطُّ ذُو عِرْفَانِ
يَالَيْتَهُمْ إذْ يَحْكُمُونَ بِعَزْلِهِ لَمْ يَرْفعُوا رَايَاتِ جَنْكِسخَانِ
يَا وَيْلهُمْ وَلَّوا نَتَائِجَ فِكْرِهِمْ وَقَضَوْا بِهَا قَطْعًا عَلَى القُرآنِ
وَرِذَالُهُمْ وَلَّوا إشَارَاتِ ابنِ سِيـ ـنَا حِينَ وَلَّوا مَنْطِقَ اليُونَانِ
وانظُرْ إلَى نَصِّ الكِتَابِ مُجَنْدَلًا وَسْط العَرِينِ مُمزَّقَ اللُّحْمانِ
بالطَّعْنِ بالإجْمَالِ والإضْمَارِ والتَّـخْصِيصِ والتَّأوِيلِ بالبُهْتَانِ
والإشْتِرَاك وبالمجَازِ وَحَذْفِ مَا شَاءُوا بِدَعْوَاهُمْ بِلَا بُرْهَانِ
وانظُرْ إلَيْهِ لَيْسَ ينفُذ حُكْمُهُ بَيْنَ الخُصُومِ وَمَا لَهُ مِنْ شَانِ
وانْظُرْ إلَيْه لَيْسَ يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِي العِلْمِ بالأَوْصَافِ للرَّحْمٰنِ
لَكِنَّمَا المقْبُولُ حُكْمُ العَقْلِ لَا أحْكَامُهُ لَا يَسْتَوِي الحُكْمَانِ
يَبْكِي عَلَيْه أهْلُهُ وجُنُودُهُ بدِمَائِهِمْ ومَدَامِعِ الأجْفَانِ
عَهِدُوهُ قِدْمًا لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ وَسِوَاهُ مَعْزُولٌ عَنِ السُّلْطَانِ
إنْ غَابَ نَابَتْ عَنْهُ أقْوالُ الرَّسُو لِ هُمَا لَهُمْ دُونَ الوَرَى حَكَمانِ
فأتَاهُمُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ فِي حُكْمِ جَنْكِسْخَانَ ذِي الطُّغْيَانِ
بِجُنُودِ تَعْطِيلٍ وكُفْرانٍ مِنَ الْـ ـمفْعُولِ ثمَّ اللاصِ والعِلَّانِ
فَعَلُوا بِملَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا فَعَلُوا بأمَّتِهِ مِنَ العُدْوَانِ
واللهِ مَا انْقَادُوا لِجَنْكِسْخَانِ حَتَّى أعْرَضُوا عَنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ

واللهِ مَا وَلَّوهُ إلَّا بَعْد عزْ ... لِ الوَحْيِ عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ إيقَانِ
عَزَلوهُ عَنْ سُلْطَانِهِ وهُوَ اليَقِيـ ... ـنُ المسْتَفَادُ لَنا مِنَ السُّلْطَانِ
هَذَا وَلَمْ يَكْفِ الَّذِي فَعَلُوهُ حَتَّـ ... ـى تَمَّمُوا الكُفْرَانَ بالبُهْتَانِ
جَعَلُوا القُرانَ عِضِينَ إذْ عَضَهُوهُ أنْـ ... ـواعًا معَدَّدَةً مِنَ النُّقْصَانِ
مِنْهَا انتِفَاءُ خُرُوجِهِ مِنْ رَبِّنَا ... لَمْ يَبْدُ مِنْ رَبٍّ وَلَا رَحْمَنِ
لَكِنَّهُ خَلْقٌ مِنَ اللَّوْحِ ابْتَدَا ... أَوْ جِبْرَئِيلَ أوِ الرَّسُولِ الثَّانِي
مَا قَالَهُ ربُّ السَّمَواتِ العُلَا ... لَيْسَ الكَلَامُ بِوصْفِ ذِي الغُفْرَانِ
تَبًّا لَهُمْ سَلَبُوهُ أكْمَلَ وَصْفِهِ ... عَضَهُوهُ عَضْهَ الرَّيْبِ والكُفْرَانِ
هَلْ يَسْتَوِي باللهِ نِسْبَتُهُ إلَى ... بَشَرٍ وَنِسْبَتُهُ إلَى الرحْمَٰنِ
مِنْ أيْنَ للمخْلُوقِ عَيْنُ صِفَاتِه ... اللهُ أكبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
بَيْنَ الصِّفَاتِ وبَيْنَ مَخْلُوقٍ كَمَا ... بَيْنَ الإلَٰه وَهَذِهِ الأكْوَانِ
هَذَا وَقَدْ عَضَهُوهُ أنَّ نُصُوصَهُ ... مَعْزُولَةٌ عَنْ إمْرَةِ الإيقَانِ
لَكِنَّ غَايَتَهَا الظُّنُونُ وَلَيْتَهُ ... ظَنًّا يَكُونُ مُطَابِقًا بِبَيَانِ
لَكِنْ ظَوَاهِرُ مَا يُطَابِقُ ظَنَّهَا ... مَا فِي الحَقِيقَةِ عِنْدنَا بِوِزَانِ
إلَّا إذَا مَا أُوِّلَتْ فَمَجَازُهَا ... بِزيَادَةٍ فِيهَا أَوِ النُّقْصَانِ
أَوْ بِالْكِنَايَةِ وَاسْتِعَارَاتٍ وَتَشْـ ... ـبِيهٍ وأنْوَاعِ المجَازِ الثَّانِي
فَالقَطْعُ لَيْس يُفِيدُهُ والظَّنُّ مَنْـ ... ـفِيٌّ كذلِكَ فَانْتَفَى الأمْرَانِ
فَلِمَ المَلَامَةُ إذْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَّـ ... ـيْنَا العُقُولَ وفِكْرَةَ الأذْهَانِ

فالله يُعْظِمُ فِي النصوص أجُورَكُمْ يَا أُمَّةَ الآثَارِ والقُرْآنِ
مَاتَتْ لَدَى الأَقْوَامِ لَا يُحْيُونَهَا أَبَدًا وَلَا تُحْيِيهُمُ لِهَوَانِ
هَذَا وَقَوْلُهُمُ خِلافُ الحِسِّ والـ ـمعْقُولِ والمنْقُولِ والبُرْهَانِ
مَعْ كَوْنِهِ أَيْضًا خِلَافَ الفِطْرَةِ الـ أُولَى وَسُنَّةِ رَبِّنا الرحمٰنِ
فاللهُ قَدْ فَطَرَ العبَادَ عَلَى التَّفَا هُمِ بالخطَابِ لمقْصِدِ التِّبْيَانِ
كُلٌّ يَدلُّ عَلَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ بِكَلَامِهِ مِنْ أَهلِ كُلِّ لِسَانِ
فَتَرَى المخَاطِبَ قَاطِعًا بمرَادِهِ هَذَا مَعَ التقْصِير فِي الإنسَانِ
إذْ كلُّ لَفْظٍ غَيْرِ لَفْظِ نَبِيِّنَا هُوَ دُونَهُ فِي ذَا بِلَا نُكْرَانِ
حَاشَا كَلَامَ اللهِ فَهْوَ الغَايَةُ الـ ـقُصْوى لَهُ أَعْلَى ذُرَى التِّبْيَانِ
لَمْ يَفْهَمِ الثَّقَلَانِ مِنْ لَفْظٍ كَمَا فَهِمُوا مِنَ الأَخْبَارِ والقُرآنِ
فَهوَ الذِي اسْتَولَى عَلَى التِّبيانِ كاسْـ ـتِيلائِهِ حَقًّا عَلَى الإِحْسَانِ
مَا بَعْدَ تِبْيَانِ الرسُولِ لنَاظِرٍ إلَّا العَمَى والعَيْبُ فِي العُميانِ
فَانْظُرْ إلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لسَائِلٍ مِنْ صَحْبِهِ عَنْ رؤْيةِ الرَّحْمٰنِ
حَقًّا تَرَوْنَ إلَهكُمْ يَوْمَ اللِّقَا رُؤْيَا العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرانِ
كَالبَدْرِ لَيْلَ تَمَامِهِ والشَّمْسِ فِي نَحْرِ الظَّهِيرةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ
بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رؤيتنا لَهُ فأَتَى بأَظْهَرِ مَا يُرَى بِعِيَانِ
وَنفَى السَّحَابَ وذَاكَ أَمْرٌ مَانِعٌ مِنْ رؤيةِ القَمَرينِ فِي ذَا الآنِ
فَأتَى إذًا بالمقْتَضَى وَنَفَى الموَا نِعَ خَشْيَةَ التقْصِيرِ فِي التِّبيَانِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْد ذَا بِبَيَانِ
مَاذَا يَقُولُ القَاصِدُ التبيَانَ يَا أَهْلَ العَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التبيَانِ
فَبِأَيِّ لَفْظٍ جَاءكُمْ قُلتُمْ لَهُ ذَا اللَّفظُ مَعْزُولٌ عَن الإيقَانِ
وَضَرَبْتُمُ فِي وَجْهِهِ بِعَسَاكِر التَّأويل دَفْعًا مِنْكُمُ بِليَانِ
لَو أَنَّكُمْ واللهِ عَامَلْتُم بذَا أَهْلَ العُلُوم وكُتْبِهِمْ بِوِزَانِ
فَسَدَتْ تَصَانِيفُ الوُجُودِ بأَسْرِهَا وغَدَتْ عُلومُ الناسِ ذَاتَ هَوانِ
هَذَا وَلَيْسُوا فِي بَيَانِ عُلُومِهِمْ مِثْلَ الرَّسُولِ ومُنْزِلِ القُرْآنِ
واللهِ لَوْ صَحَّ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُ قُطِعَتْ سَبِيلُ العِلْمِ والإيمَانِ
فالعَقْلُ لَا يَهْدِي إِلَى تَفْصِيلهَا لَكِنّ ما جَاءتْ بِهِ الوَحْيَانِ
فَإِذَا غَدَا التفْصِيلُ لَفْظِيًّا وَمَعْـ ـزُولًا عَنِ الإيقَانِ والرجْحَانِ
فهُنَاكَ لَا عِلمًا أفَادَتْ لَا وَلَا ظَنًّا وَهَذَا غَايَةُ الحِرْمَانِ
لَوْ صَحَّ ذَاكَ القَوْلُ لَمْ يَحْصُلْ لَنَا قَطْعٌ بِقَوْلِ قَطُّ مِنْ إنسَانِ
وَغَدَا التَّخَاطُبُ فَاسِدًا وفَسَادُهُ أَصْلُ الفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الإِنْسَانِ
مَا كَانَ يَحْصُلُ عِلْمُنَا بِشَهَادَةٍ وَوَصِيَّةٍ كَلَّا وَلَا إيمَانِ
وَكَذَلِكَ الإقرارُ يُصبحُ فَاسِدًا إِذْ كَانَ مُحْتَمِلًا لِسَبْعِ مَعَانِ
وَكَذَا عُقُودُ العَالَمِينَ بِأَسْرِهَا باللَّفظِ إِذْ يتَخَاطَبُ الرَّجُلَانِ
أَيسُوغُ للشُّهَدَا شَهَادَتُهُمْ بِهَا مِنْ غَيْرِ عِلْمِ مِنْهُمُ بِبَيَان
إِذْ تِلْكُمُ الأَلْفَاظُ غَيْرُ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ بَلْ لِلظَّنِّ ذِي الرُّجحَانِ

بَلْ لَا يَسُوغُ لِشَاهِدٍ أبدًا شَهَا   دَتُهُ عَلَى مَدْلُولِ نُطْقِ لِسَانِ
بَلْ لَا يُرَاقُ دَمٌ بَلفظِ الكُفْرِ مِنْ   مُتَكَلِّمٍ بالظَّنِّ والحُسْبَانِ
بَلْ لَا يُبَاحُ الفَرْجُ بالإذْنِ الَّذِي   هُوَ شَرْطُ صِحَّتِهِ مِنَ النِّسْوَانِ
أَيَسُوغُ للشُّهَداءِ جَزْمُهُمُ بِأَنْ   رَضِيَتْ بِلَفْظٍ قَابِلٍ لمعَانِ
هَذَا وَجُمْلَةُ مَا يُقَالُ بَأَنَّهُ   فِي ذَا فَسَادُ العَقلِ وَالأَدْيَانِ
هَذا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ أَنَّ اللُّغَا   تِ أَتَتْ بِنَقْلِ الفَرْدِ وَالوحْدَانِ
فَانْظُرْ إلى الأَلْفَاظِ فِي جرَيَانِهَا   فِي هذِهِ الأَخْبارِ والقُـرْآنِ
أَتَظُنُّهَا تَحْتَاجُ نَقْلًا مُسْنَدًا   مُتَوَاتِرًا أَوْ نَقْلَ ذِي وِحْدَانِ
أَمْ قَدْ جَرَتْ مَجْرَى الضَّرُورِيَّاتِ لَا   تَحْتَاجُ نَقْلًا وَهْيَ ذَاتُ بَيَانِ
إِلَّا الأَقَلَّ فإنَّهُ يَحْتَاجُ لِلنَّـــقْلِ الصَّحِيحِ وَذَاكَ ذُو تِبْيَانِ
وَمِنَ المصَائِبِ قَوْلُ قَائِلِهِمْ بأَنَّ اللهَ   أُظْهَـرُ لَفْظَـةٍ بِـلِسَانِ
وَخِلَافُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِـرٌ   عَرَبِيٌّ وَضْعٍ ذَاكَ أَمْ سِرْيَانِي
وَكَذَا اخْتِلَافُهُمُ أَمُشْتَقًّا يُرَى   أَمْ جَامِدًا قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ
والأَصْلُ مَاذَا فِيهِ خُلْفٌ ثَابِتٌ   عِنْدَ النُّحَاةِ وَذَاكَ ذُو أَلْوَانِ
هَذَا وَلَفْظُ اللهِ أَظْهَرُ لَفْظَةٍ   نَطَقَ اللّسانُ بِهَا مَدَى الأَزْمَانِ
فَانْظُرْ بحَقِّ اللهِ مَاذَا فِي الَّذِي   قَالُوهُ مِنْ لَبْسٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
هَلْ خَالَفَ العُقَلَاءُ أَنَّ اللهَ رَبُّ   الْعَالَمِينَ مُدَبِّرُ الأَكْوَانِ
مَا فيهِ إجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوهِمٌ   نَقْلَ المجَازِ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ

وَالْخُلْفُ فِي أَحْوَالِ ذاكَ اللَّفظِ لَا ... فِي وَضْعِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلانِ
وَإِذَا هُمُ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ مَكَّةٍ ... فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَعْرُوفَانِ
أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ ... حَرَمُ الإِلَهِ وَقِبْلَةُ البُلْدَانِ
وَإِذَا هُمُ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ أَحْمدٍ ... فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَذْكُورَانِ
أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ ... مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ذُو البُرْهَانِ
وَنَظِيرُ هَذَا لَيْسَ يُحْصَرُ كَثْرَةً ... يَا قَوْمُ فاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمٰنِ
أَبِمثْلِ ذَا الهَذَيَانِ قَدْ عُزِلَتْ نُصُو ... صُ الوَحْيِ عَنْ عِلمٍ وَعَنْ إِيقَانِ
فالحَمْدُ للهِ المعَافِي عَبْدَهُ ... مِمَّا بَلَاكُمْ يَا ذَوِي العِرْفَانِ
فَلأَجْلِ ذَا نَبَذُوا الكِتَابَ وَرَاءَهُمْ ... وَمَضَوْا عَلَى آثارِ كُلِّ مُهَانِ
وَلأَجْلِ ذَاكَ غَدَوْا عَلَى السُّنَنِ الَّتِي ... جَاءَتْ وأَهْلِيهَا ذَوِي أَضْغَانِ
يَرْمُونَهُمْ كَذِبًا بِكُلِّ عَظِيمَةٍ ... حَاشَاهُمُ مِنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ

□ فصــل □

○ في تنزيهِ أهلِ الحديثِ والشَّريعةِ عَنِ ○ الألْقابِ القَبيحَةِ الشَّنيعَةِ

فَرَمَوْهُمُ بَغْيًا بِمَا الرَّامِي بِهِ ... أَوْلَى لِيدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الجَانِي
يَرْمِي البَرِيءَ بِمَا جَنَاهُ مُبَاهِتًا ... وَلِذَاكَ عِنْدَ الغِرِّ يَشْتَبِهَانِ

سَمُّوهُمُ حَشْوِيَّةً وَنَوَابِتًا ومُجَسِّمِينَ وَعَابِدِي أَوْثَانِ
وَكَذَاكَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ وَهُمُ الرَّوافِضُ أَخْبَثُ الحَيَوَانِ
نَصَبُوا العَدَاوَةَ للصَّحَابَةِ ثُمَّ سَمَّوا بالنَّواصِب شِيعَةَ الرَّحْمنِ
وَكَذَا المعَطِّلُ شَبَّهَ الرَّحْمنَ بالـ ـمَعْدُومِ فاجْتَمعَتْ لَهُ الوَصْفَانِ
وَكَذَاكَ شَبَّهَ قَوْلَهُ بِكَلامِنَا حَتَّى نفَاهُ وذَانِ تَشْبِيهَانِ
وكَذَاكَ شَبَّهَ وَصْفَهُ بِصِفَاتِنَا حَتَّى نَفَاهُ عَنْه بالبُهْتَانِ
وَأتى إلَى وَصْفِ الرَّسُولِ لربِّهِ سَمَّاهُ تَشْبِيهًا فَيَا إِخْوَانِي
بِاللهِ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الاسْم مِنْ هَذَا الخَبِيثِ المخْبِثِ الشَّيْطَانِي
إنْ كَانَ تَشْبِيهًا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ أَكْمِلْ به ذِي شَانِ
لَكنَّ نَفْيَ صِفَاتِهِ تَشْبِيهُهُ بالجَامِدَاتِ وكلِّ ذِي نُقْصَانِ
بَلْ بِالذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ وَهْوَ مَعْـ ـدُومٌ وإِنْ يُفْرضْ فَفِي الأَذْهَانِ
فَمَنِ المشَبِّهُ بالحَقِيقة أَنْتُمُ أَمْ مُثْبِتُ الأَوصَافِ للرَّحْمنِ

□ فصـــلٌ □

○ في نُكْتةٍ بديعةٍ تبينُ ميراثَ الملقِّبينَ ○ والملقَّبينَ من المشركينَ والموحدينَ

هَذَا وَثَمَّ لَطِيفَةٌ عَجَبٌ سَأُبْـ ـدِيها لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الإِخْوَانِ

فَاسْمَعْ فَذَاكَ مُعَطِّلٌ وَمُشَبِّهٌ ... وَاعْقِلْ فَذَاكَ حقِيقَةُ الإِنْسَانِ
لَابُدَّ أَنْ يَرِثَ الرَّسُولَ وَضِدَّهُ ... فِي النَّاسِ طَائِفَتَانِ مُخْتَلِفَانِ
فالوَارِثُون لَهُ عَلَى مِنْهَاجِهِ ... والوَارِثُونَ لِضِدِّه فِئَتَانِ
إِحْدَاهُمَا حَرْبٌ لَهُ ولحِزْبِه ... مَا عِنْدَهُمْ فِي ذَاكَ مِنْ كِتْمَانِ
فَرَمَوْهُ مِنْ أَلْقَابِهِمْ بِعَظَائِمٍ ... هُمْ أَهْلُهَا لَا خِيرَةُ الرَّحْمٰنِ
فأَتَى الأُلَى وَرِثُوهُمُ فَرَمَوْا بِهَا ... وُرَّاثَهُ بالبَغْيِ والعُدْوَان
هَذَا يُحَقِّقُ إِرْثَ كُلٍّ مِنْهُمَا ... فاسْمَعْ وعِهْ يَا مَنْ لَهُ أُذُنَانِ
وَالآخَرُونَ أُولُو النِّفَاق فأَضْمَرُوا ... شَيْئًا وَقَالُوا غَيْرَهُ بِلِسَانِ
وَكَذَا المعَطِّلُ مُضْمِرٌ تَعْطِيلَهُ ... قَدْ أَظْهَرَ التَّنْزِيهَ للرَّحْمٰنِ
هَذِي مَوَارِيثُ العِبَادِ تَقَسَّمَتْ ... بَيْنَ الطَّوَائِفِ قِسْمَةَ المَنَّانِ
هَذَا وَثَمَّ لَطِيفَةٌ أخْرَى بِهَا ... سُلْوانُ مَنْ قَدْ سُبَّ بالبُهْتَانِ
تَجِدُ المعَطِّلَ لَاعِنًا لمجَسِّمٍ ... وَمُشَبِّهٍ للهِ بِالإِنْسَانِ
واللهُ يَصْرِفُ ذَاكَ عَنْ أَهْلِ الهُدَى ... كمُحَمَّدٍ ومُذَمَّمٍ إِسْمَانِ
هُمْ يشْتُمُونَ مُذَمَّمًا وَمُحَمَّدٌ ... عَنْ شَتْمِهِمْ فِي مَعْزِلٍ وَصِيَانِ
صَانَ الإِلَهُ مُحَمَّدًا عَنْ شَتْمِهِمْ ... فِي اللَّفْظِ والمعْنَى هُمَا صِنْوَانِ
كَصِيَانَةِ الأَتْبَاعِ عَنْ شَتْمِ المعَطِّلِ ... للمُشَبِّهِ هكَذَا الإِرْثَانِ
والسَّبُّ مَرْجِعُهُ إِلَيْهِمْ إِذْ هُمُ ... أَهْلٌ لِكُلِّ مذَمَّةٍ وَهَوَانِ
وَكَذَا المعَطِّلُ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبِّهٍ ... واسْمُ الْمُوحِّدِ فِي حِمَى الرَّحْمٰنِ

هَذِي حِسَانُ عَرَائِسٍ زُفَّتْ لَكُمْ وَلَدَى المعَطِّلِ هُنَّ غَيْرُ حِسَانِ
وَالعِلْمُ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ مُوَفَّقٍ مِنْ غَيْرِ أَبْوَابٍ وَلَا اسْتِئْذَانِ
وَيَرُدُّهُ المحْرُومُ مِنْ خِذْلَانِهِ لَا تُشْقِنَا اللَّهُمَّ بالحِرْمَانِ
يَا فِرْقَةً نَفَتِ الإِلَهَ وَقَوْلَهُ وَعُلُوَّهُ بالجَحْدِ والكُفْرَانِ
مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ فَرَبِّي عَالِمٌ بِسَرَائِرٍ مِنْكُمْ وَخُبْثِ جَنَانِ
فَاللهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ بالعِلْمِ والسُّلْطَانِ
والحَقُّ رُكْنٌ لَا يَقُومُ لِهَدِّهِ أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ
تُوبُوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعْطِيلكُمْ فَالرَّبُّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ النَّدْمَانِ
مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فالجِنَانُ مَصِيرُهُ أَوْ مَاتَ جَهْمِيًّا فَفِي النِّيرانِ

□ فصــل □

○ في بيانِ اقتضاءِ التَّجهُّمِ والجبرِ والإرجاءِ ○
للخروجِ عنْ جميعِ دياناتِ الأنبياءِ

وَاسْمَعْ وعِهْ سِرًّا عَجِيبًا كَانَ مَكْـ ـتُومًا مِنَ الأَقْوَامِ مُنْذُ زَمَانِ
فَأَذَعْتُهُ بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتِي نُصْحًا وَخَوْفَ مَعَرَّةِ الكِتْمَانِ
جِيمٌ وَجِيمٌ ثُمَّ جِيمٌ مَعْهُمَا مَقْرُونَةً مَعْ أَحْرُفٍ بِوِزَانِ
فِيها لدَى الأَقْوَامِ طِلَّسْمٌ مَتَى تَحْلُلْهُ تَحْلُلْ ذِرْوَةَ الْعِرْفَانِ

فَإِذَا رَأَيْتَ الثَّوْرَ فِيهِ تَقَارَنَ الـ ـجِيمَاتُ بِالتَّثْلِيثِ شَرَّ قِرَانِ
دَلَّتْ عَلَى أَنَّ النُّحُوسَ جَمِيعَهَا سَهْمُ الَّذِي قَدْ فَازَ بِالخِذْلَانِ
جَبْرٌ وإرْجَاءٌ وجِيمُ تَجَهُّمٍ فَتَأَمَّل المجْمُوعَ فِي المِيزَانِ
فاحْكُمْ بِطَالِعِهَا لِمَنْ حَصُلَتْ لَهُ بِخَلَاصِهِ مِنْ رِبْقَةِ الإِيمَانِ
فَاحْمِل عَلَى الأَقْدَارِ ذَنْبَكَ كُلَّهُ حَمْلَ الجُذُوعِ عَلَى قُوَى الجُدْرَانِ
وافْتَحْ لِنَفْسِكَ بَابَ عُذْرٍ إِذْ تَرَى الـ أَفْعَالَ فِعْلَ الخَالِقِ الدَّيَّـانِ
فَالجَبْرُ يُشْهِدُكَ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا مِثْلَ ارْتِعَاشِ الشَّيْخِ ذِي الرَّجَفَانِ
لَا فَاعِلٌ أَبَدًا وَلَا هُوَ قَادِرٌ كَالمَيْتِ أُدْرِجَ دَاخِلَ الأَكْفَانِ
والأَمْرُ والنَّهْيُ اللَّذَانِ تَوَجَّهَا فَهُمَا كَأَمْرِ العَبْدِ بِالطَّيَرَانِ
وَكَأَمْرِهِ الأَعْمَى بِنَقْطِ مَصَاحِفٍ أَوْ شَكْلِهَا حَذَرًا مِنَ الأَلْحَانِ
وَإِذَا ارْتَفَعْتَ دُرَيْجَةً أُخْرَى رَأَيْـ ـتَ الكُلَّ طَاعَاتٍ بِلَا عِصْيَـانِ
إِنْ قِيلَ قَدْ خَالَفْتَ أَمْرَ الشَّرْعِ قُلْ لَكِنْ أَطَعْتُ إِرَادَةَ الرَّحْمَـٰنِ
وَمُطِيعُ أَمْرِ اللهِ مِثْلُ مُطِيعِ مَا يَقْضِي بِهِ وَكِلَاهُمَا عَبْدَانِ
عَبْدُ الأَوَامِرِ مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ عِنْدَ المحَقِّقِ لَيْسَ يَفْتَرِقَـانِ
فانْظُرْ إِلَى مَا قَادَتِ الجِيمُ الَّذِي لِلجَبْرِ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
وَكَذَلِكَ الإِرْجَاءُ حِينَ تُقِرُّ بِالـ ـمَعْبُودِ تُصْبِحُ كَامِلَ الإِيمَانِ
فَارْمِ المصَاحِفَ فِي الحُشُوشِ وَخَرِّبِ الْـ ـبَيْتَ العَتِيقَ وَجِدَّ فِي العِصْيَانِ
واقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعْتَ كُلَّ مُوَحِّدٍ وَتَمَسَّحَنْ بِالقَسِّ وَالصُّلْبَـانِ

واشْتُمْ جَمِيعَ المُرسَلِينَ وَمَنْ أَتَوْا مِنْ عِنْدِهِ جَهْرًا بلَا كِتْمَانِ
وَإِذَا رَأيتَ حِجَارَةً فاسْجُدْ لَهَا بَلْ خُرَّ للأَصْنَامِ والأَوْثانِ
وأقِرَّ أنَّ الله جَلَّ جَلَالُـهُ هُوَ وَحْدهُ البَارِي لِذِي الأَكْوَانِ
وأقِرَّ أَنَّ رَسُولَهُ حَقًّا أَتَى مِنْ عِنْدِهِ بالوَحْيِ والقُرْآنِ
فَتَكُونَ حَقًّا مُؤْمِنًا وَجَمِيعُ ذَا وِزْرٌ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بالكُفْرَانِ
هَذَا هُوَ الإِرْجَاءُ عِنْدَ غُلَاتِهِمْ مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي الشَّيْطَانِ
فَأَضِفْ إِلَى الجِيمَيْنِ جِيمَ تَجَهُّمٍ وَانْفِ الصِّفَاتِ وأَلْقِ بالأَرْسَانِ
قُلْ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ رَبٌّ عَالِمٌ بسَرَائِـرٍ مِنَّـا وَلَا إِعْلَانِ
بَلْ لَيسَ فَوْقَ العَرْشِ ذُو سَمْعٍ ولَا بَصَرٍ وَلَا عَدْلٍ وَلَا إِحْسَانِ
بَلْ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ مَعْبودٌ سِوى الـ ـعدمِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الأَعْيَانِ
بَلْ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِأَوَامِـرٍ وَزَوَاجِـرٍ وَقُـرَانِ
كَلَّا ولَا كَلِمٌ إِلَيْهِ صَاعِدٌ أَبَدًا وَلَا عَمَلٌ لِذِي شُكْرَانِ
أَنَّى وَحَظُّ العَرْشِ مِنْهُ كَحظٌ مَا تَحْتَ الثَّرى عِنْدَ الحَضِيضِ الدَّانِي
بَلْ نِسْبَةُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ لِلْعَرْشِ نِسْبَتُهُ إِلَى البُنْيَـانِ
فَعَلَيْهِمَا اسْتَوْلَى جَمِيعًا قُدْرَة وَكِلَاهُمَا مِنْ ذَاتِهِ خِلْوَانِ
هَذَا الَّذِي أَعْطَتْه جِيمُ تَجَهُّمٍ حَشْوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ
تَاللهِ مَا اسْتَجْمَعْنَ عِنْدَ مُعَطِّلٍ جِيمَاتُهَا وَلَدَيْهِ مِنْ إِيمَـانِ
والْجَهْمُ أَصَّلَهَا جَمِيعًا فَاغْتَدَتْ مَقْسُومَةً فِي النَّاسِ بِالمِيزَانِ

وَالوَارِثُونَ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُمْ أَصْحَابُهَا لَا شِيعَةَ الإِيمَانِ
لَكِنْ تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ ذُو السَّهْمِ والسَّهْمَيْنِ والسُّهْمَانِ
لَكِنْ نَجا أَهْلُ الحَدِيثِ المحْضِ أتْـ ـبَاعُ الرَّسُولِ وَتَابِعُوا القُرْآنِ
عَرفُوا الَّذِي قَدْ قَالَ مَعْ عِلمٍ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ فَهُمْ أُولُو العِرْفَانِ
وَسِوَاهُمُ فِي الجَهْلِ والدَّعْوى مَعَ الـ ـكِبْرِ العَظِيمِ وكَثْرةِ الهَذَيانِ
مَدُّوا يَدًا نَحْوَ العُلَا بتكلُّفٍ وتخلُّفٍ وتكبُّرٍ وتَوَانِ
أتُرَى يَنَالُوهَا وَهَذَا شَأْنُهُمْ حَاشَا العُلَا مِنْ ذَا الزَّبُونِ الفَانِي

□ فصــل □

○ في جوابِ الرَّبِّ تباركَ وتعالَى يومَ القيامة إذا سألَ المعطِّلَ والمشبِّهَ عن قولِ كلٍّ منهما ○

وَسَلِ المعطِّلَ مَا تَقُولُ إذا أَتَى فِئَتَانِ عِنْدَ اللهِ يَختَصِمَـانِ
إحْدَاهُمَا حَكَمَتْ عَلَى مَعْبُودِهَا بِعُقُولِهَـا وَبِفكْـرةِ الأَذْهَـانِ
سَمّتهُ مَعْقُولًا وَقَالَتْ إِنَّـهُ أَوْلى مِنَ المَنْصُوصِ بالبُرْهانِ
والنَّصُّ قَطْعًا لَا يُفِيدُ فَنَحْـنُ أَوَّلْـنَا وَفَوَّضْنَـا لَنَـا قَـوْلَانِ
قَالَتْ وقُلنَا فِيكَ لَسْتَ بدَاخِلٍ فِينَا وَلسْتَ بِخَارِجِ الأَكْوَانِ
والعَرْشَ أَخْلَيْنَاهُ مِنْكَ فَلَسْتَ فَو قَ العَرْشِ لَسْتَ بقابِلٍ لِمكَانِ
وَكَذَاكَ لَسْتَ بقَائِلِ القُرْآنِ بَلْ قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشانِ

وَنَسَبْتَهُ حَقًّا إليكَ بِنِسْبَةِ التَّـشْرِيـفِ تَعْظِيمًا لِذِي القُرْآنِ
وكَذَاكَ قُلنا لَسْتَ تنزِلُ فِي الدُّجى إنَّ النُّزولَ صِفَاتُ ذِي الجُثْمَانِ
وَكذَاكَ قلْنَا لَسْتَ ذَا وَجهٍ وَلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ فَكَيْفَ يَدَانِ
وَكَذَاكَ قُلْنَا لَا تُرَى فِي هَـذِهِ الـدُّنْيَـا وَلَا يَوْمَ المعَادِ الثَّانِي
وَكَذَاكَ قُلْنَا مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ مِنْ أَجْلِهَا خَصَّصْتَهُ بِزمَانِ
مَا ثَمَّ غيرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَّحَتْ مَثَلًا عَلَى مَثَلٍ بِلَا رُجْحَانِ
لَكِنَّ مِنَّا مَنْ يَقُولُ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ بِوَصْفٍ قَامَ بالرَّحْمـٰنِ
هَذَا وَقُلْنَا مَا اقْتَضتهُ عُقولُنا وَعُقُولُ أَشْيَاخٍ ذوي عِرْفَانِ
قَالُوا لَنَا لَا تَأْخُذُوا بِظَواهِرِ الـ ـوَحْيَيْنِ تَنْسَلِخُوا مِنَ الإِيمَانِ
بَلْ فَكِّروا بِعُقُولِكُمْ إنْ شِئْتُمُ أَوْ فَاقْبَلُوا آراءَ عَقْلِ فُلَانِ
فَلأَجْلِ هَذَا لَمْ نُحَكِّمْ لَفْظَ آ ثَارٍ وَلَا خَبَرٍ وَلَا قُـرْآنِ
إذْ كُلُّ تِلكَ أدِلَّةٌ لَفْظِيَّـةٌ مَعْزُولَةٌ عَنْ مقْتضَى البُرْهَانِ

□ فصـــلٌ □

والآخَرُونَ أَتَوْا بِمَا قَدْ قَالَه مِنْ غَيْرِ تَحرِيفٍ وَلَا كِتْمَانِ
قَالُوا تَلَقَّيْنَا عَقِيدَتَنَا عَنِ الـ ـوَحْيَيْـنِ بَالأَخْبَـارِ والقُـرْآنِ
فالحُكْمُ مَا حَكَمَا بِهِ لَا رَأْيُ أَهْـ ـلِ الإخْتِلَافِ وَظَنُّ ذِي الحُسْبَانِ
آرَاؤُهُمْ أَحْداثُ هَذَا الدِّينِ نَا قِضَةٌ لأَصْلِ طَهَارَةِ الإِيمَانِ

آرَاؤُهُمْ رِيحُ المَقَاعِدِ أَيْنَ تِلْـ ـكَ الرِّيحُ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رَيحَانِ
قَالوا وأنتَ رَقيبُنَا وَشَهِيدُنَا مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
إنَّا أَبَيْنَـا أنْ نَديـنَ بِبِدْعَـةٍ وَضَلَالةٍ أَوْ إفْكِ ذِي بُهْتَانِ
لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ أَوْ قَالَهُ مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بالفُرْقَانِ
وَكَذَاكَ فارقْنَاهُمُ حينَ احْتِيَا جِ النَّاسِ للأَنْصَارِ والأَعْوَانِ
كَيْلَا نَصِيرَ مَصِيرَهُمْ فِي يَوْمِنَا هَذَا وَنَطْمَعُ مِنْكَ بالغُفْـرَانِ
فَمَنِ الَّذِي مِنَّا أَحَقُّ بأَمْنِهِ فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا العِرْفَانِ
لَابُدَّ أنْ نَلْقَاهُ نَحْنُ وأَنْتُـمُ فِي مَوْقِفِ العَرْضِ العَظِيمِ الشَّانِ
وهُنَاكَ يَسْأَلُنَا جَمِيعًا رَبُّنَـا وَلَدَيهِ قَطْعًا نَحْنُ مُخْتَصِمَانِ
فَنَقُولُ قُلْتَ كَذَا وَقَالَ نَبِيُّنَا أَيْضًا كَذَا فإمامُنَا الوَحْيَانِ
فافعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلٌ بَعْدَ ذَا نَحْنُ العَبِيدُ وأَنْتَ ذُو الإِحْسَانِ
أَفَتَقْدِرُونَ عَلَى جَوَابٍ مِثْلَ ذَا أَمْ تَعْدِلُونَ عَلَى جَوَابٍ ثَانِ
ما فِيهِ قَالَ اللهُ قَالَ رسولُه بَلْ فيهِ قُلْنَا مثلَ قولِ فُلَانِ
وَهْوَ الَّذِي أَدَّتْ إِلَيْهِ عُقُولُنَا لَمَّا وَزَنَّا الوَحْيَ بالمِيـزَانِ
إنْ كَانَ ذَلِكُمُ الجَوَابُ مُخلِّصًا فَامضُوا عَلَيْهِ يَا ذَوِي العِرْفَانِ
تاللهِ مَا بَعْدَ البَيَانِ لمُنصِفٍ إلَّا العِنَادُ ومرْكَبُ الخِذْلَانِ

* * *

□ فصل □

○ في تحميلِ أهلِ الإثْبَاتِ للمعطِّلِينَ شهادَةَ ○ تؤدى عندَ رَبِّ العَالَمينَ

يَا أَيُّهَا البَاغِي عَلَى أَتْبَاعِهِ بالظُّلْمِ والبُهْتَانِ والعُدْوَانِ
قَدْ حَمَّلُوكَ شَهَادَةً فاشْهَدْ بِهَا إنْ كُنْتَ مقبُولًا لَدَى الرَّحْمٰنِ
وَاشْهَدْ عَلَيهِمْ إنْ سُئِلْتَ بأَنَّهُمْ قَالُوا إلهُ العَرْشِ والأَكْوَانِ
فَوْقَ السَّمٰواتِ العُلَا حَقًّا عَلَى الْـ ـعَرْشِ اسْتَوَى سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ
والأَمْرُ ينْزِلُ مِنْهُ ثُمَّ يَسِيرُ فِي الـ أَقْطَارِ سُبْحَانَ العَظِيم الشَّانِ
وإلَيْهِ يَصْعَدُ مَا يَشاء بأَمْرِهِ مِنْ طيِّباتِ القَوْلِ والشُّكرانِ
وإلَيْه قَدْ صَعد الرَّسُولُ وَقبلَهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ
وَكَذَلِكَ الأَمْلَاكُ تَصْعَدُ دَائِمًا مِنْ هَا هُنَا حَقًّا عَلَى الدَّيَّانِ
وَكَذَاكَ رُوحُ العَبْدِ بَعْدَ مَمَاتِهَا تَرْقَى إلَيْهِ وَهْوَ ذُو إيمَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بالوَحْيِ وَالقُرْآن
سَمِعَ الأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ وأَدَّاهُ إلَى المبْعُوثِ بِالفُرْقَانِ
هُوَ قَوْلُ ربِّ العَالَمِين حَقِيقَةً لَفْظًا ومَعْنًى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ كَلَّمَ المَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانِ
سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولُ كَلَامَهُ مِنهُ إلَيْهِ مَسْمَعَ الآذَانِ

وَاشْهَد عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللهَ نَادَاهُ بِلَا كِتْمَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيهِمْ أنهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللهَ نَادَى قَبْلَهُ الأَبَوانِ
وَاشْهَدْ عَلَيهِمْ أنهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللهَ يَسْمَعُ صَوْتَه الثَّقَلانِ
واللهُ قَالَ بِنَفسِهِ لِرَسُولِهِ إنِّي أَنَا اللهُ العَظِيمُ الشَّانِ
واللهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرسُولِهِ اذْهَبْ إلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ
واللهُ قَالَ بِنَفْسِهِ حَم مَعْ طَهَ ومَعْ يَس قَوْلَ بَيَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنهُمْ وَصَفُوا الإلَـ ـهَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ
وَبِكلِّ مَا قَالَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً مِنْ غَيرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُدْوَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيهِمْ أنَّ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ وَكَلَامَ رَبِّ العَرْشِ ذَا التِّبْيَانِ
نَصٌّ يُفِيدُ لَدَيْهِمُ عِلْمَ اليَقِيـ ـنِ إِفَادَةَ المعلُومِ بالبُرْهَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنهُمْ قَدْ قَابَلُوا التَّعْطِيلَ والتَّمثِيلَ بالنُّكْرَانِ
إنَّ المعَطِّلَ وَالممثِّلَ مَا هُمَا مُتَيَقِّنينَ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ
ذَا عَابِدُ المعْدُومِ لَا سُبْحَانَهُ أَبَدًا وَهَذَا عَابِدُ الأَوْثَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيهِمْ أنهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا الـ أَسْمَاءَ والأَوْصَافَ للدَّيَّانِ
وَكَذَلِكَ الأَحْكَامُ أَحكَامُ الصِّفَا تِ وهَذِهِ الأَرْكَانُ للإيمَانِ
قَالَوا عَلِيمٌ وَهْوَ ذُو عِلْمٍ وَيعْـ ـلَمُ غَايَةَ الإِسْرَارِ والإِعْلَانِ
وَكَذَا بَصِيرٌ وَهْوَ ذُو بَصَرٍ وَيُبْـ ـصِر كُلَّ مَرْئِيٍّ وَذِي الأَكْوَانِ
وَكَذَا سَمِيعٌ وهو ذو سمع ويَسْـ ـمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ مِنَ الأَكْوَانِ

مُتَكَلِّمٌ وَلَـهُ كَلَامٌ وَصْفُـهُ   وَيكلِّمُ المَخْصُوصَ بالرِّضْـوانِ
وَهْوَ القَوِيُّ بقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ   وَمَلِيكُ يَقْدِرُ يا أخا السُّلْطَانِ
وَهوَ المرِيدُ لَهُ الإِرَادَةُ هَكَذَا   أَبَدًا يُرِيدُ صَنَائِعَ الإِحْسَانِ
والوَصْفُ مَعْنًى قَائِمٌ بالذَّاتِ وَالْـ   أَسْمَـاءُ أَعْلَامٌ لَـهُ بِـوِزَانِ
أَسْمَاؤُهُ دَلَّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ   مُشْتَقَّةً مِنْهَا اشْتِقَاقَ مَعَـانِ
وَصِفَاتُهُ دَلَّتْ عَلَى أَسْمَائِهِ   والفِعْلُ مرْتَبِطٌ بِهِ الأَمْـرَانِ
والحُكْمُ نِسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلَّقَا   تٍ تَقْتَضِي آثَارُهَـا بِبَيَـانِ
وَلَرُبَّمَا يُعْنَى بِهِ الإِخْبَارُ عَنْ   آثَارِهـا يُعْنَـى بِـهِ أَمْـرَانِ
والفِعْلُ إِعْطَاءُ الإِرَادَةِ حُكْمَهَا   مَع قُدْرَةِ الفَعَّالِ والإِمْكَانِ
فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ سُبْحَانَهُ   فَجَمِيعُ هَذَا بَيِّنُ البُـطْلَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِهَـ   ـذَا كُلِّهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنهُمْ بُرَآءُ مِنْ   تأوِيلِ كُلِّ مُحَرِّفٍ شَيْطَانِ
وَاشْهَدْ عَليهِمْ أَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُو   نَ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ فِي القُرْآنِ
هُمْ فِي الحَقِيقَةِ أَهْلُ تَأْوِيلِ الَّذِي   يُعْنَى بِهِ لَا قَائِلِ الهَذَيَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ تأْوِيلَاتِهِمْ   صَرْفٌ عَنِ المَرْجُوحِ لِلرُّجْحَانِ
واشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنهُمْ حَمَلُوا النُّصُو   صَ عَلَى الحَقِيقَةِ لَا المَجَازِ الثَّانِي
إِلَّا إِذَا ما اضْطَرَّهُمْ لمجَازِهَا الـ   ـمضْطَرُّ مِنْ حِسٍّ وَمِنْ بُرْهَانِ
فَهُنَاكَ عِصْمَتُهَا إِبَاحَتُهُ بِغَيْـ   ـرِ تَجَانُفٍ لِلإِثْمِ والعُدْوَانِ
واشْهَدْ عَلَيهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَكْفُرُو   نَكُمُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الكُفْرَانِ

إذْ أَنْتُمُ أَهْلُ الجَهَالَةِ عِنْدَهُمْ لَسْتُمْ أُولِي كُفْرٍ وَلَا إِيمَانِ
لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الكُفْرَانِ بَلْ لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الإِيمَـانِ
إِلَّا إِذَا عَانَدْتُـمُ وَرَدَدْتُـمُ قَوْلَ الرَّسُولِ لأَجْلِ قَوْلِ فُلَانِ
فَهُنَاكَ أَنْتم أَكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ إنسٍ وَجِنٍّ سَاكِنِي النِّيرانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا الـ أَقْدَارَ وَارِدَةً مِنَ الرَّحْمٰـنِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهم أَنَّ حُجَّةَ ربِّهِمْ قَامَتْ عَلَيهِمْ وَهْوَ ذُو غُفْرَانِ
واشْهَدْ عَلَيهِمْ أنهُمْ هُمْ فَاعِلُو نَ حَقِيقَةَ الطَّاعَاتِ والعِصْيَانِ
والجَبْرُ عِنْدَهُمُ مُحَالٌ هَكَذَا نَفْيُ القَضَاءِ فَبِئْسَتِ الرَّأْيَانِ
واشْهَدْ عليهِمْ أَنَّ إيمَانَ الوَرَى قَوْلٌ وَفِعْلٌ ثم عَقْدُ جنَانِ
وَيَزِيدُ بالطَّاعَاتِ قَطْعًا هَكَذَا بالضِّدِّ يُمْسِي وَهْوَ ذُو نُقْصَانِ
واللهِ مَا إيمَانُ عَاصِينَا كإيـ ـمَانِ الأَمِينِ مُنَزِّلِ القُـرْآنِ
كَلَّا وَلَا إيمَانُ مُؤْمِننا كإيـ ـمَانِ الرَّسُولِ مُعَلِّمِ الإِيمَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنهُمْ لَمْ يُخْلِدُوا أَهْلَ الكَبَائِرِ فِي حَمِيمٍ آنِ
بَلْ يَخْرُجُونَ بإذْنِهِ بِشَفَاعَةٍ وَبِدُونِهَـا لمسَاكِـنِ بِجِنَـانِ
وَاشْهَدْ عَلَيهِمْ أَنَّ رَبَّهُمُ يُرَى يَوْمَ المَعَادِ كَمَا يُرَى القَمَرانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أنَّ أَصْحَابَ الرَّسُو لِ خِيَارُ خَلْقِ اللهِ مِنْ إنسَانِ
حَاشَا النبيِّينَ الكرامَ فإنَّهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ خِيرَةُ الرَّحْمٰـنِ
وخِيَارُهُمْ خُلَفاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَخِيَارُهُمْ حَقًّا هُمَا العُمَرَانِ

وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ أَحَقُّ بِالتَّقْدِيمِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ بِبَيَانِ
كُلٌّ بِحَسْبِ السَّبْقِ أَفْضَلُ رُتبَةً مِنْ لَاحِقٍ وَالفَضْلُ لِلمَنَّانِ

◻ فصـل ◻

○ في عهودِ المثبتينَ معَ ربِّ العالمينَ ○

يَا نَاصِرَ الإِسْلَامِ وَالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ
يَا مَنْ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ وَقَولُهُ وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بِبَيَانِ
اشْرَحْ لِدِينِكَ صَدْرَ كُلِّ مُوَحِّدٍ شَرْحًا يَنَالُ بِهِ ذُرَا الإِيمَانِ
وَاجْعَلْهُ مُؤْتَمًّا بِوَحْيِكَ لَا بِمَا قَدْ قَالَهُ ذُو الإِفْكِ وَالبُهْتَانِ
وَانْصُرْ بِهِ حِزْبَ الهُدَى وَاكْبِت بِهِ حِزْبَ الضَّلَالِ وَشِيعَةَ الشَّيْطَانِ
وَانْعِشْ بِهِ مَنْ قَصْدُهُ إِحْيَاؤُه وَاعْصِمْهُ مِنْ كَيْدِ امْرِئٍ فَتَّانِ
وَاضْرِبْ بِحَقِّكَ عُنُقَ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ
فَوَحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيتَنِي وَجَعَلتَ قَلْبِي وَاعِيَ القُرْآنِ
وَكَتَبْتَ فِي قَلْبِي مُتَابَعَةَ الهُدَى فَقَرَأْتُ فِيهِ أَسْطُرَ الإِيمَانِ
وَنَشَلْتَنِي مِنْ حُبِّ أَصْحَابِ الهَوَى بِحَبَائِلٍ مِنْ مُحْكَمِ الفُرْقَانِ
وَجَعَلْتَ شِرْبِي المَنْهَلَ العَذْبَ الَّذِي هُوَ رَأْسُ مَاءِ الوَارِدِ الظَّمْآنِ
وَعَصَمْتَنِي مِنْ شِرْبِ سِفْلِ المَاءِ تَحْـ ـتَ نَجَاسَةِ الآرَاءِ وَالأَذْهَانِ
وَحَفِظْتَنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ الأُلَى حَكَمُوا عَلَيْكَ بِشِرْعَةِ البُهْتَانِ

نَبَذُوا كِتَابَكَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ وَتمَسَّكُوا بزَخَارِفِ الهَذَيَانِ
وأَرَيْتَنِي البِدَعَ المضِلَّةَ كَيْفَ يُلْـ ـقِيهَا مُزْخرَفَةً إِلَى الإِنْسَانِ
شَيْطَانُهُ فَيظَلُّ يَنْقُشُهَا لَـهُ نَقْشَ المشَبِّهِ صورَةً بدِهَانِ
فَيظُنُّهَا المغْرورُ حَقًّا وَهْيَ فِـي التَّـحْقِيـق مِثْلُ اللَّالِ فِي القِيعَانِ
لأجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي وَلأَجْعَلَنَّ قِتَالَهُـمْ دَيْدانِـي
ولأَفْضَحَنَّهُمُ عَلَى رُوسِ المَلَا ولأَفْرِيَـنَّ أَدِيمَهُـمْ بِلِسَانِـي
ولأَكْشِفَنَّ سَرَائِرًا خَفِيتْ عَلَى ضُعَفَاءِ خَلقِكَ مِنْهُمُ بِبَيَانِ
ولأتبعَنَّهُمُ إلَى حَيثُ انْتَهَوْا حَتَّى يُقَـالَ أَبَعْـدُ عبَّـادَانِ
ولَأَرْجُمَنَّهُمُ بأَعْلَامِ الهُـدَى رَجْمَ المرِيدِ بثَاقِبِ الشُّهْبَانِ
ولأقْعُدَنَّ لَهُمْ مَرَاصِدَ كَيْدِهِمْ وَلأَحْصُرَنَّهُـمُ بِكـلِّ مَكَـانِ
ولأَجْعَلَنَّ لُحُومَهُمْ ودِمَاءَهُمْ فِي يَوْمِ نَصْرِكَ أعْظَمَ القُرْبَانِ
ولأَحْمِلَـنَّ عليْهِـمُ بعساكـر لَيْسَتْ تَفرُّ إذَا التَقَى الزَّحْفَانِ
بِعَسَاكِرِ الوَحْيَيْنِ والفِطْرَاتِ بالـ ـمعْقُولِ والمنْقُولِ بالإِحْسَانِ
حَتَّى يَبِينَ لمنْ لَهُ عَقْلٌ مَنِ الـ أَوْلَى بِحُكْمِ العَقْلِ والبرْهَانِ
ولأَنْصحَنَّ اللهَ ثُمَّ رَسُولَـهُ وكِتَابَـهُ وشَرَائِـعَ الإِيمَـانِ
إنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكونُ بحَوْلِهِ إنْ لَمْ يَشَا فالأَمْرُ للرَّحْمَنِ

* * *

□ فصل □

○ في شهادةِ أهلِ الإثباتِ على أهلِ التعطيل أنَّه ليسَ ○ في السَّماءِ إلهٌ يعبدُ ولَا لله بيننا كلامٌ ولَا في القبرِ رَسولُ اللهِ

إنَّا تَحمَّلْنَا الشَّهَادَةَ بالَّذِي قُلْتُمْ نُؤَدِّيهَا لَدَى الرَّحْمَٰنِ
مَا عِنْدَكُمْ فِي الأَرْض قُرْآنٌ كَلَا مُ اللهِ حَقًّا يَا أُولِي العُدوَانِ
كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمواتِ العُلَا رَبٌّ يُطَاعُ بِواجِبِ الشُّكْرَانِ
كَلَّا وَلَا فِي القَبْرِ أَيْضًا عِنْدَكُمْ مِنْ مُرْسَلٍ واللهِ عِنْد لِسَانِ
هَاتِيكَ عَوْرَاتٌ ثَلاثٌ قَدْ بَدَتْ مِنْكُمْ فَغَطُّوهَا بِلَا رَوَغَانِ
فَالرُّوحُ عِنْدَكُمُ مِنَ الأَعْرَاضِ قَا ئِمَةٌ بِجِسْمِ الحَيِّ كالأَلْوَانِ
وَكَذَا صِفَاتُ الحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ مَشْرُوطَةٌ بِحَيَاةِ ذِي الجُثْمَانِ
فَإِذَا انْتَفَتْ تِلْكَ الحَيَاةُ فَيَنْتَفِي مَشْرُوطُهَا بِالعَقْلِ وَالبُرْهَانِ
وَرِسَالَةُ المبْعُوثِ مَشْرُوطٌ بِهَا كَصِفَاتِهِ بِالْعِلْم والإِيمَانِ
فَإِذَا انْتَفَتْ تِلْكَ الحَيَاةُ فَكُلُّ مَشْـ ـرُوطٍ بِهَا عَدَمٌ لِذِي الأَذْهَان

* * *

□ فصــلٌ □

○ في الكلامِ في حياةِ الأنبياءِ في قبورِهمْ ○

وَلأَجْلِ هَذَا رَامَ نَاصِرُ قَوْلِكُم   تَرقِيعَهُ يَا كَثْـرَةَ الخُلْقَـانِ
قَالَ الرَّسُولُ بِقَبْرِهِ حَيٌّ كَمَا   قَدْ كَانَ فَوْقَ الأَرْضِ والرَّجْمَانِ
مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذَاكَ التُّـرْبِ   واللَّبِنَـاتُ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الجُدْرَانِ
لَوْ كَان حَيًّا فِي الضَّرِيحِ حَيَاتَهُ   قَبْلَ المماتِ بِغَيْرِ مَا فُرْقَانِ
مَا كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ بَلْ مِنْ فَوْقِهَا   واللهِ هَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَـٰـنِ
أَتُرَاهُ تَحْتَ الأَرْضِ حَيًّا ثُمَّ لَا   يُفْتِيهُـمُ بِشَرَائِـعِ الإِيمَـانِ
وَيُرِيحُ أُمَّتَهُ مِنَ الآراءِ وَالـ   ـخُلْفِ العَظِيمِ وَسَائِرِ البُهْتَانِ
أَمْ كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنْ نُطْقِهِ   وَعَنِ الْجَوابِ لِسَائِلٍ لَهْفَانِ
وَعَنِ الْحِرَاكِ فَمَا الحَيَاةُ اللَّاتِ قَدْ   أَثْبَتُّمُوهَا أَوْضِحُـوا بِبَيَـانِ
هَذَا ولِمْ لا جَاءَهُ أَصْحَابُهُ   يَشْكُونَ بَأْسَ الفَاجِرِ الفَتَّانِ
إِذْ كَانَ ذَلكَ دَأْبُهُمْ وَنَبِيُّهُمْ   حَيٌّ يُشَاهِدُهُمْ شُهُودَ عِيَـانِ
هَلْ جَاءَكُمْ أَثَرٌ بأَنَّ صِحَابَهُ   سَأَلُوهُ فُتْيَا وَهْوَ فِي الأَكْفَانِ
فَأَجَابَهُمْ بِجَوَابِ حَيٍّ نَاطِقٍ   فَأْتُوا إِذًا بالحَقِّ والبُرْهَـانِ
هَلَّا أَجَابَهُمُ جَوَابًا شَافِيًـا   إِنْ كَانَ حَيًّا نَاطِقًا بِلِسَانِ
هَذَا وَمَا شُدَّتْ رَكَائِبُهُ عَنِ الـ   ـحُجرَاتِ لِلْقَاصِي مِنَ الْبُلْدَانِ

مَعَ شِدَّةِ الحِرْصِ العَظِيمِ لَهُ عَلَى ... إِرْشَادِهِـمْ بِطَرَائِقِ التِّبْيَـانِ
أَتُرَاهُ يَشْهَدُ رَأْيَهُمْ وَخِلافَهُمْ ... وَيَكُونُ لِلتِّبْيَانِ ذَا كِتْمَـانِ
إِنْ قُلْتُمُ سَبَقَ البَيَانُ صَدَقْتُمُ ... قَدْ كَانَ بِالتِّكْرَارِ ذَا إِحْسَانِ
هَذَا وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ اشْكِلَ بَعْدَهُ ... أَعْنِي عَلَى عُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانِ
أَوَ مَا تَرَى الفَارُوقَ وَدَّ بِأَنَّهُ ... قَدْ كَانَ مِنْهُ العَهْدُ ذَا تِبْيَانِ
بِالجَدِّ فِي مِيرَاثِهِ وَكَلالَـةٍ ... وَبِبَعْضِ أَبْوَابِ الرِّبَا الفَتَّانِ
قَدْ قَصَّرَ الفَارُوقُ عِنْدَ فَرِيقِكُمْ ... إِذْ لَمْ يَسَلْهُ وَهْوَ فِي الأَكْفَانِ
أَتَرَاهُمُ يَأْتُونَ حَوْلَ ضَرِيحِهِ ... لِسُؤَالِ أُمِّهِم أَعَـزِّ حَصَانِ
وَنَبِيُّهُمْ حَيٌّ يُشَاهِدُهُـمْ وَيَسْـ ... ـمَعُهُمْ وَلَا يَأْتِي لَهُمْ بِبَيَانِ
أَفَكَانَ يَعْجِزُ أَنْ يُجِيبَ بِقَوْلِهِ ... إِنْ كَانَ حَيًّا دَاخِلَ البُنْيَانِ
يَا قَوْمَنَا اسْتَحْيُوا مِنَ العُقَلَاءِ والـ ... ـمَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ وَالرَّحْمَٰـنِ
واللهِ لَا قَدْرَ الرَّسُولِ عَرَفْتُمُ ... كَلَّا وَلَا لِلنَّفْسِ والإِنْسَانِ
مَنْ كَانَ هَذَا القَدْرُ مبْلغَ علمِهِ ... فَلْيَسْتَتِرْ بِالصَّمْتِ وَالكِتْمَـانِ
وَلَقَدْ أَبَانَ اللهُ أَنَّ رَسُولَهُ ... مَيْتٌ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ
أَفَجَـاءَ أَنَّ اللهَ بَاعِثُـهُ لَنَـا ... فِي القَبْرِ قَبْلَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
أَثَلَاثُ مَوْتَاتٍ تَكُونُ لِرُسْلِهِ ... وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ مَوْتَـانِ
إِذْ عِنْدَ نَفْخِ الصُّورِ لَا يَبْقَى امْرُؤٌ ... فِي الأَرْضِ حَيًّا قَطُّ بِالبُرْهَانِ
أَفَهَلْ يَمُوتُ الرُّسْلُ أَمْ يَبْقُوا إِذَا ... مَاتَ الوَرَى أَمْ هَلْ لَكُمْ قَوْلَانِ

فَتَكَلَّمُوا بِالعِلْمِ لَا الدَّعْوى وَجِيـ ـئُوا بالدَّلِيلِ فَنحْنُ ذُو أذْهَانِ
أَوَ لَمْ يَقُلْ مِنْ قَبْلِكُمْ للرَّافِعِي الـ أَصْوَاتِ حَوْلَ القَبْرِ بالنُّكْرَانِ
لَا تَرْفعُوا الأصْوَاتَ حُرْمَةُ عَبْدِهِ مَيْتًا كَحُرْمَتِهِ لَدَى الحَيَوانِ
قَدْ كَان يُمْكِنُهُمْ يَقُولُوا إنَّهُ حَيٌّ فَغُضُّوا الصَّوْتَ بالإحْسَانِ
لَكِنَّهُمْ باللهِ أَعْلَمُ مِنْكُمُ وَرَسُولِهِ وَحَقَائِقِ الإيمَانِ
وَلَقَدْ أَتَوْا يَوْمًا إلَى العَبَّاسِ يَسْـ ـتَسْقونَ مِنْ قَحْطٍ وَجَدْبِ زَمَانِ
هَذَا وَبَيْنَهُمُ وَبَيْنَ نَبِيِّهِمْ عَرْضُ الجِدَارِ وَحُجْرَةُ النِّسْوانِ
فَنَبِيُّهُمْ حَيٌّ وَيَسْتَسْقُونَ غَيْـ ـرَ نَبِيِّهِمْ حَاشَا أولِي الإيمَانِ

□ فصل □

○ فيما احتجُّوا بهِ على حياةِ الرُّسُلِ في القبورِ ○

فَإنِ احْتَجَجْتُمْ بالشَّهِيدِ بأنَّه حَيٌّ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ
وَالرُّسْلُ أَكْمَلُ حَالَةً مِنْهُ بِلَا شَكٍّ وَهَذَا ظَاهِرُ التِّبْيَانِ
فَلِذَاكَ كَانُوا بِالحَيَاةِ أحَقَّ مِنْ شُهَدَائِنَا بِالعَقْلِ وَالبُرْهَانِ
وبِأَنَّ عَقْدَ نِكَاحِه لَمْ يَنْفَسِخْ فَنِسَاؤُهُ فِي عِصْمَةٍ وَصِيَانِ
ولأَجْلِ هَذَا لَمْ يَحِلَّ لِغَيرِهِ مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ مَدَى الأَزْمَانِ
أَفَلَيْسَ فِي هَذا دَلِيلٌ أَنَّهُ حَيٌّ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
أَوَ لَمْ يَر المخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا فِي قَبْرِهِ لِصلَاةِ ذِي القُرْبَانِ

أَفَمَيِّتٌ يَأْتِي الصَّلَاةَ وَإِنَّ ذَا عينُ المُحَالِ وواضِحُ البُطْلَانِ
أَوَ لَمْ يَقُلْ إنّي أَرُدُّ عَلَى الذِي يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ
أَيُرُدُّ مَيتٌ السَّلَامَ عَلَى الَّذِي يَأْتِي بِهِ هَذَا مِنَ البُهْتَانِ
هَذَا وَقَدْ جَاءَ الحَدِيثُ بِأَنَّهُمْ أَحْيَاءُ فِي الأَجْدَاثِ ذَا تِبْيَانِ
وبأَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ عَلَيْهِ تُعْـ ـرَضُ دَائِمًا فِي جُمْعَةٍ يَوْمَانِ
يَوْمَ الخَمِيسِ وَيَومَ الاِثْنَينِ الَّذِي قَدْ خُصَّ بالفَضْلِ العَظِيمِ الشَّانِ

□ فصـلٌ □

○ في الجوابِ عمَّا احتجُّوا بهِ في هذهِ المسألةِ ○

فَيُقَالُ أَصْلُ دَلِيلِكُمْ فِي ذَاكَ حُجَّـتُنَـا عَلَيْكُم وَهْيَ ذَاتُ بَيَانِ
إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ لَا بِالْقِيَاسِ القَائِمِ الأَرْكَانِ
هَذَا مَعَ النَّهْيِ المؤَكَّدِ أَنَّنَا نَدْعُوهُ مَيْتًا ذَاكَ فِي القُرْآنِ
وَنِسَاؤهُ حِلٌّ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ وَالمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى السّهْمَانِ
هَذَا وَأَنَّ الأَرْضَ تأْكُلُ لَحْمَهُ وَسِبَاعُهَا مَعْ أُمَّةِ الدِّيـدَانِ
لَكِنَّهُ مَعَ ذَاكَ حَيٌّ فَارِحٌ مُسْتَبْشِرٌ بِكَرَامَـةِ الرَّحْمـٰـنِ
فَالرُّسْلُ أَوْلَى بِالحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعْ مَوْتِ الجُسُومِ وَهَذِهِ الأَبْدَانِ
وَهِيَ الطَّرِيَّةُ فِي التُّرَابِ وَأَكْلُهَا فَهْوَ الحَرَامُ عَلَيْه بِالبُرْهَـانِ
وَلِبعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا أَيْضًا وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ

فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِمُ حَرْفًا بِحَرْفٍ ظَاهِرِ التِّبْيَانِ
لَكِنْ رَسُولُ اللهِ خُصَّ نِسَاؤُهُ بِخَصِيصَةٍ عَنْ سَائِرِ النِّسْوَانِ
خُيِّرْنَ بَيْنَ رَسُولِهِ وَسِوَاهُ فَاخْـ ـتَرْنَ الرَّسُولَ لِصِحَّةِ الإِيمَانِ
شَكَرَ الإِلَهُ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبُّنَا سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانِ
قَصْرُ الرَّسُولِ عَلَى أُولَئِكَ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِنَّ وَشُكْرَ ذِي الإِحْسَانِ
وَكَذَاكَ أَيْضًا قَصْرُهُنَّ عَلَيْهِ مَعْـ ـلُومٌ بِلَا شَكٍّ وَلَا حُسْبَانِ
زَوْجَاتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الـ أُخْرَى يَقِينًا وَاضِحَ البُرْهَانِ
فَلِذَا حَرُمْنَ عَلَى سِوَاهُ بَعْدَهُ إِذْ ذَاكَ صَوْنًا عَنْ فِرَاشٍ ثَانِ
لَكِنْ أَتَيْنَ بِعِدَّةٍ شَرْعِيَّةٍ فِيهَا الحِدَادُ وَمُلْزَمُ الأَوْطَانِ
هَذَا وَرُؤْيَتُهُ الْكَلِيمَ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ أَثَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
فِي القَلْبِ مِنْهُ حَسِيكَةٌ هَلْ قَالَهُ فَالحَقُّ مَا قَدْ قَالَ ذُو البُرْهَانِ
وَلِذَاكَ أَعْرَضَ فِي الصَّحِيحِ مُحَمَّدٌ عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ بِلَا نِسْيَانِ
وَالدَّارَقُطْنِيُّ الإِمَامُ أَعَلَّهُ بِرِوَايَةٍ مَعْلُومَةِ التِّبْيَانِ
أَنَسٌ يَقُولُ رَأَى الكَلِيمَ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ فَاعْجَبْ لِذَا الفُرْقَانِ
فَرَوَاهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِالـ ـمَرْفُوعِ وَاشَوْقًا إِلَى العِرْفَانِ
بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ لَا تَطْرَحَنْهُ فَمَا هُمَا سِيَّانِ
لَكِنْ تُقَلِّدُ مُسْلِمًا وَسِوَاهُ مِمَّـنْ صَحَّ هَذَا عِنْدَهُ بِبَيَانِ
فَرُوَاتُهُ الأَثْبَاتُ أَعْلَامُ الهُدَى حُفَّاظُ هَذَا الدِّينِ فِي الأَزْمَانِ

لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ والله ذُو فَضْلٍ وَذُو إحْسَانِ
فَروى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ خَبَرًا صَحِيحًا عِنْدَهُ ذَا شَانِ
فِيهِ صَلَاةُ العَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي قَدْ مَاتَ وَهْوَ مُحَقَّقُ الإِيمَانِ
فَتمثَّلَ الشَّمْسَ الَّذِي قَدْ كَانَ يَرْ عَاهَا لأجْلِ صَلَاةِ ذِي القُرْبَانِ
عِنْدَ الغُرُوبِ يَخَافُ فَوْتَ صَلَاتِهِ فَيقُولُ للمَلَكَيْنِ هَلْ تَدَعَانِي
حَتَّى أُصَلِّي العَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا قَالَا سَتَفْعَل ذَاكَ بَعْدَ الآنِ
هَذَا مَعَ الموتِ المحَقَّقِ لَا الَّذِي حُكِيتْ لَنَا بِثُبُوتِهِ الْقَولانِ
هَذَا وثابتٌ البُنانِي قَدْ دَعَا الرَّحْمَٰنَ دَعْوَةَ صادِقِ الإِيقَانِ
أنْ لَا يَزَالَ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ إنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَاكَ مِنْ إنْسَانِ
لَكِنَّ رُؤْيَتَهُ لِمُوسَى لَيْلَةَ الـ ـمِعْرَاجِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ
يَرْوِيهِ أَصْحَابُ الصِّحَاحِ جَمِيعُهُمْ وَالقَطْعُ مَوجِبُهُ بِلَا نُكْرَانِ
وَلِذَاكَ ظُنَّ مُعَارِضًا لِصَلَاتِهِ فِي قَبْرِهِ إذْ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
وَأُجِيبَ عَنْهُ بأَنَّهُ أُسْرِي بِهِ لِيَراهُ ثَمَّ مُشَاهِدًا بِعِيَانِ
فَرَآهُ ثَمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا بِتَنَاقُضٍ إذْ أَمْكَنَ الوَقْتَانِ
هَذَا وَرَدُّ نَبِيِّنَا التَّسْلِيمَ مَنْ يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الإِحْسَانِ
مَا ذَاكَ مُخْتَصًّا بِهِ أَيْضًا كَمَا قَدْ قَالَهُ المبعُوثُ بالقُرْآنِ
مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخٍ لَهُ فَأَتَى بِتَسْـ ـلِيمٍ عَلَيْهِ وَهْوَ ذُو إيمَانِ
رَدَّ الإِلٰهُ عَلَيْهِ حَقًّا رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ رَدَّ بَيَانِ

وحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ ... لَمَّا يَصِحَّ وَظَاهِرُ النُّكْرانِ
فَانظُرْ إِلَى الإِسْنَادِ تَعْرِفْ حَالَهُ ... إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ
هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ هُمْ أَحْيَاءُ لَـ ... ـكِنْ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الأَبْدَانِ
وَالتُّرْبُ تَحْتَهُمُ وَفَوْقَ رُؤوسِهِمْ ... وَعَنِ الشَّمَائِلِ ثُمَّ عَنْ أَيْمَانِ
مِثْلَ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُوهُ مَعَاذُنَا ... بِاللهِ مِنْ إِفْكٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمُ تَعَالَى مِثْلَ مَا ... قَدْ قَالَ فِي الشُّهَدَاءِ فِي القُرْآنِ
لَكِنْ حَيَاتُهُمُ أَجَلُّ وَحَالُهُمْ ... أَعْلَى وَأَكْمَلُ عِنْدَ ذِي الإِحْسَانِ
هَذَا وَأَمَّا عَرْضُ أَعْمَالِ العِبَا ... دِ عَلَيْهِ فَهْوَ الحَقُّ ذُو إِمْكَانِ
وَأَتَى بِهِ أَثَرٌ فَإِنْ صَحَّ الحَدِيـ ... ـثُ بِهِ فَحَقٌّ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ ... أَيْضًا بِآثَارٍ رُوِيـنَ حِسَانِ
فَعَلَى أَبِي الإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ ... وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الإِخْـوَانِ
إِنْ كَانَ سَعْيًا صَالِحًا فَرِحُوا بِهِ ... وَاسْتَبْشَرُوا يَا لَـذَّةَ الفَرْحَـانِ
أَوْ كَانَ سَعْيًا سَيِّئًا حَزِنُوا وَقَا ... لُوا رَبِّ رَاجِعْهُ إِلَى الإِحْسَانِ
وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى ... هَذَا الحَدِيثَ عَقِيبَهُ بِلِسَانِ
يَا رَبِّ إِنِّي عَائِذٌ مِنْ خِزْيَةٍ ... أُخْزَى بِهَا عِنْدَ القَرِيبِ الدَّانِي
ذَاكَ الشَّهِيدُ المُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ الـ ... ـمَحْبُوُّ بِالغُفْرَانِ والـرِّضْوَانِ
لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ والَّذِي ... لِلْمُصْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلَانِ
هَذِي نِهَايَاتٌ لِأَقْدَامِ الوَرَى ... فِي ذَا المَقَامِ الضَّنْكِ صَعْبِ الشَّانِ

وَالحَقُّ فِيهِ لَيْسَ تَحْمِلُهُ عُقُو ... لُ بَنِي الزَّمَانِ لِغِلْظَةِ الأَذْهَانِ
وَلجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَعْ أَحْكَامِهَا ... وَصِفَاتِهَا لِلإِلْفِ بالأَبْدَانِ
فَارْضَ الَّذِي رَضِيَ الإلهُ لَهُمْ بِهِ ... أَتُرِيدُ تَنْقُضُ حِكْمَةَ الدَّيَّانِ
هَلْ فِي عُقُولِهِمُ بأَنَّ الرُّوحَ فِي ... أَعْلَى الرَّفِيقِ مُقِيمَةٌ بِجِنَانِ
وَتُرَدُّ أَوْقَاتَ السَّلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ... أَتْبَاعِهِ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ
وَكَذَاكَ إِنْ زُرْتَ القُبُورَ مُسَلِّمًا ... رُدَّتْ لَهُمْ أَرْوَاحُهُمْ لِلآنِ
فَهُمُ يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَيْكَ لَـ ... ـكِنْ لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِذِي الأُذْنَانِ
هَذَا وَأَجْوَافُ الطُّيُورِ الخُضْرِ مَسْـ ... ـكَنُهَا لَدَى الجَنَّاتِ والرِّضْوَانِ
مَنْ لَيْسَ يَحْمِلُ عَقْلُهُ هَذَا فَلَا ... تَظْلِمْهُ واعْذُرْهُ عَلَى النُّكْرَانِ
لِلرُّوحِ شَأْنٌ غَيرُ ذِي الأَجْسَامِ لَا ... تُهمِلْهُ شَأْنُ الرُّوحِ أَعْجَبُ شانِ
وَهْوَ الَّذِي حَارَ الوَرَى فِيهِ فَلَمْ ... يَعْرِفْهُ غَيْرُ الفَرْدِ فِي الأَزْمَانِ
هَذَا وَأَمرٌ فَوْقَ ذَا لَوْ قُلْتُه ... بَادرْتَ بالإِنْكَارِ والعُدْوَانِ
فَلِذَاكَ أَمْسَكْتُ العِنَانَ وَلَوْ أَرَى ... ذَاكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتُ فِي المَيْدَانِ
هَذَا وَقَوْلِي إِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ ... وَحُدُوثُهَا المَعْلُومُ بالبُرْهَانِ
هَذَا وَقَوْلِي إِنَّهَا لَيْسَتْ كَمَا ... قَدْ قَالَ أَهْلُ الإِفْكِ والبُهْتَانِ
لَا دَاخِلٌ فِينَا وَلَا هِيَ خَارِجٌ ... عَنَّا كَمَا قَالُوهُ فِي الدَّيَّانِ
واللهِ لَا الرَّحمنَ أَثْبَتُّم وَلَا ... أَرْواحَكُمْ يَا مُدَّعِي العِرْفَانِ
عطَّلْتُمُ الأَبْدَانَ مِنْ أَرْوَاحِهَا ... وَالعَرْشَ عَطَّلْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

□ فصـــل □

○ في كسرِ المنْجَنِيق الذي نصَبهُ أهلُ التَّعطيلِ ○ على معاقلِ الإيمَانِ وحصونِهِ جِيلًا بعد جيلِ

لَا يُفْزِعَنْكَ قَعَاقِعٌ وَفَرَاقِـعٌ وَجَعَاجِعٌ عَرِيَتْ عَنِ البُرْهَانِ
مَا عِنْدَهُمْ شَيءٌ يَهُولُكَ غَيْرُ ذَا كَ المَنْجَنِيقِ مقَطِّعِ الأَفْخَاذِ والأَرْكَانِ
وَهُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ التَّرْكِيبَ مَنْـ ـصُوبًا عَلَى الإِثْبَاتِ مُنْذُ زَمَانِ
أَرَأَيْتَ هَذَا المنْجَنِيقَ فإِنَّهُمْ نَصَبُوهُ تَحْتَ مَعَاقِلِ الإِيمَانِ
بَلَغَتْ حِجَارَتُهُ الحُصُونَ فَهَدَّتِ الشُّـرُفَاتِ واستَولَتْ عَلَى الجُدْرَانِ
للهِ كَمْ حِصْنٍ عَلَيْهِ استَولَتِ الـ ـكفَّارُ مِنْ ذَا المنْجنيقِ الجَانِي
واللهِ مَا نَصَبُوه حَتَّى عَبَّرُوا قَصْدًا عَلَى الحِصْنِ العَظِيمِ الشانِ
وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنَّ قَوْمًا بَيْنَ أهـ ـلِ الحِصْنِ وَاطُوهُمْ عَلَى العُدْوانِ
وَرَمَوْا بِهِ مَعَهُمْ وَكَانَ مُصَابُ أهْـ ـلِ الحِصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الكُفْرَانِ
فَتركَّبتْ مِن كُفْرِهِمْ وَوِفَاقِ مَنْ فِي الحِصْنِ أَنْوَاعٌ مِنَ الطُّغْيانِ
وَجرتْ عَلَى الإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ مِنْ ذَيْنِ تَقْدِيرًا مِنَ الرَّحْمنِ
وَاللهِ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ دِينَهُ الـرَّحْمَنُ كَانَ كَسَائِرِ الأَدْيَانِ
لَكِنْ أَقَامَ لَهُ الإِلَهُ بِفَضْلِهِ يَزَكًا مِنَ الأَنْصَارِ والأَعْوَانِ
فَرَمَوْا عَلَى ذَا المنْجَنِيقِ صَوَاعِقًا وَحِجَـارَةً هَدَّتْـهُ لِلأَرْكَـانِ

فَاسْأَلْهُمْ مَاذَا الَّذِي يَعْنُونَ بالتَّـــرْكِيبِ فالتَّرْكِيبُ سِتُّ مَعَانِ
إِحدَى مَعَانِيهِ هُوَ التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَبَايِـنٍ كَتـركُّبِ الحَيَـــوَانِ
مِنْ هَذِهِ الأَعْضَا كَذَا أَعْضَاؤُهُ قَدْ رُكِّبَتْ مِنْ أَرْبَعِ الأَرْكَانِ
أَفَلازِمٌ ذَا لِلصِّفَـاتِ لربِّنَـا وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
وَلعَلَّ جَاهِلَكُمْ يَقُولُ مُبَاهِتًا ذَا لَازِمُ الإِثْبَاتِ بالبُرْهَـانِ
فَالبَهْتُ عِنْدَكُمُ رَخِيصٌ سِعْرُهُ حَثْوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ
هَذَا وَثَانِيهَا فتَرْكِيبُ الجِوا رِ وَذَاكَ بَيْنَ اثْنَينِ يَفْتَرِقَانِ
كَالجِسْرِ والبَابِ الذِي تركيبهُ بِجِوَارِهِ لمحلةٍ مِنْ بَـانِ
والأَوَّلُ المدعُوُّ تَرْكِيبُ امتِزَا جٍ واختِلَاطٍ وَهْوَ ذُو تِبْيَانِ
أَفَلَازِمٌ ذَا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ أيضًا تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ
والثَّالِثُ التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَمَاثِلٍ يُدْعَى الجَوَاهِرَ فَرْدَةَ الأَكْوَانِ
والرَّابعُ الجِسْمُ المركَّبُ مِنْ هَيُو لَاهُ وَصُورَتِهِ لِذِي اليُونَانِ
والجِسْمُ فَهْوَ مركَّبٌ مِنْ ذَينِ عِنْـ ـدَ الفَيْلَسُوفِ وَذَاكَ ذُو بُطْلَانِ
وَمِنَ الجَواهِرِ عِنْدَ أربَابِ الكَلَا مِ وَذَاكَ أيضًا وَاضِحُ البُطْلَانِ
فالمثْبِتُونَ الجَوْهَرَ الفَرْدَ الَّذِي زَعَموهُ أصْلَ الدِّينِ والإِيمَانِ
قَالوا بِأَنَّ الجِسْمَ مِنْهُ مُرَكَّبٌ وَلَهُمْ خِلَافٌ وَهْوَ ذُو أَلْوَانِ
هَلْ يُمكِنُ التَّرْكِيبُ مِنْ جُزْأَينِ أَوْ مِنْ أَرْبَعٍ أَوْ سِتَّةٍ وثَمَانِ
أَوْ سِتَّ عَشْرَةَ قَدْ حَكَاهُ الأَشْعَرِيُّ لِـذِي مقـالَاتٍ على التِّبْيَـانِ

أَفَلازِمٌ ذَا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ سُبْحَانَ ذِي السُّبْحَانِ
وَالحَقُّ أَنَّ الجِسْمَ لَيسَ مُرَكَّبًا مِنْ ذَا وَلَا هَذَا هُمَا عَدَمَانِ
وَالجَوْهَرُ الفَرْدُ الَّذِي قَدْ أَثْبَتُو هُ فِي الحَقِيقَةِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ
لَوْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا لَزِمَ المحَا لُ لِوَاضِحِ البُطْلَانِ والبُهْتَانِ
مِنْ أَوْجُهٍ شَتَّى وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا جِدًّا لأَجْلِ صُعُوبَةِ الأَوْزَانِ
أَتكُونُ خَرْدَلَةٌ تُسَاوِي الطَّودَ فِي الـ أَجْزَاءِ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَذْهَانِ
إِذْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَجْزَاؤُهُ لَا تَنْتَهِي بِالعَدِّ والحُسْبَانِ
وَإِذَا وَضَعْتَ الجَوْهَرَيْنِ وَثَالِثًا فِي الوَسْطِ وَهْوَ الحَاجِزُ الوسْطَانِي
فَلأَجْلِهِ افْتَرَقَا فَلَا يَتَلَاقَيَا حَتَّى يَزُولَ إِذًا فَيلْتَقِيَانِ
مَا مَسَّهُ إِحْدَاهُمَا مِنْهُ هُوَ الـ ـمَمْسُوسُ لِلثَّانِي بِلَا فُرْقَانِ
هَذا مُحَالٌ أَوْ تَقُولُ بِغَيْرِهِ فَهوَ انْقِسَامٌ وَاضِحُ التِّبْيَانِ
وَالخَامِسُ التَّركِيبُ مِنْ ذَاتٍ مَعَ الـ أَوْصَافِ هَذَا بِاصْطِلَاحٍ ثَانِ
سَمَّوهُ تَرْكِيبًا وَذَلِكَ وَضعُهُمْ مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا قُرْآنِ
لَسْنَا نُقِرُّ بِلَفْظَةٍ مَوْضُوعَةٍ فِي الاصْطِلَاحِ لِشِيعَةِ اليُونَانِ
أَوْ مَنْ تَلَقَّى عَنْهُمُ مِنْ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ لَيسَتْ بِذِي عِرْفَانِ
مِنْ وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الـ ـعُلْيَا وَيتْرُكُ مُقْتَضَى القُرْآنِ
وَالعَقْلُ والفِطْرَاتُ أَيْضًا كُلُّهَا قَبْلَ الفَسَادِ وَمُقْتَضَى البُرْهَانِ
سَمُّوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الـ أَسْمَاءِ بِالأَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ

هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا التَّـــرْكِيبِ مِنْ عَقْلٍ وَمِنْ فُرْقَانِ
واللهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوخُكُمْ لَمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ لَوْ أَتَى الثَّقَلانِ
وَالسَّادِسُ التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ وَوُجُودُهَا مَا هَا هُنَا شَيْئَانِ
إِلَّا إِذَا اخْتَلَفَ اعْتِبَارُهُمَا فَذَا فِي الذِّهْنِ والثَّانِي فَفِي الأَعْيَانِ
فَهُنَاكَ يَعْقِلُ كَوْنُ ذَا غَيْرًا لِذَا فَعَلَى اعْتِبَارِهِمَا هُمَا غَيْرَانِ
أَمَّا إِذَا اتَّحَدَا اعْتِبَارًا كَانَ نَفْـ ـسُ وُجُودِهَا هُوَ ذَاتُهَا لَا ثَانِ
مَنْ قَالَ شَيْئًا غَيرَ ذَا كَانَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ ضَرْبًا مِنَ الفَعَلَانِ
هَذَا وَكَمْ خَبْطٍ هُنَا قَدْ زَالَ بالتَّـــفْصِيلِ وَهْوَ الْأَصْلُ فِي العِرْفَانِ
وَابْنُ الخَطِيبِ وَحِزْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَهْتَدُوا لمَوَاقِعِ الفُرْقَـانِ
بَلْ خَبَّطُوا نَقْلًا وَبَحْثًا أَوْجَبَا شَكًّا لِكُـلِّ مُلَـدِّدٍ حَيْـرَانِ
هَلْ ذَاتُ رَبِّ العَالَمِينَ وُجُودُهُ أَمْ غَيْرُهُ فَهُمَا إِذًا شَيْئَـانِ
فَيَكُونُ تَرْكِيبًا مُحَالًا ذَاكَ إِنْ قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَـانِ
وَإِذَا نَفَيْنَا ذَاكَ صَارَ وُجُودُهُ كَالمطْلَقِ المَوْجُودِ فِي الأَذْهَانِ
وَحَكَوْا أَقَاوِيلًا ثَلَاثًا ذَيْنِكَ الْـ ـقَوْلَيْنِ إِطْلَاقًـا بِلَا فُرْقَـانِ
الثَّالِثُ التَّفْرِيقُ بَينَ الوَاجِبِ الْـ أَعْلَى وَبَيْنَ وُجُودِ ذِي الإِمْكَانِ
وَسَطَوْا عَلَيْهَا كُلِّهَا بِالنَّقْضِ والْـ إِبْطَالِ والتَّشْكِيكِ لِـلإِنسَانِ
حَتَّى أَتَى مِنْ أَرْضِ آمَدَ آخِرًا ثَوْرٌ كَبِيرٌ بَلْ حَقِيرُ الشَّانِ
قَالَ الصَّوَابُ الوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ والشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التِّبْيَـانِ

هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ أنْ شَكَّ فِي اللهِ العَظِيمِ الشَّانِ

□ فصلٌ □

○ في أحكام هذِهِ التَّراكيبِ السِّتةِ ○

فَالأوَّلَانِ حَقِيقَةُ التَّرْكِيبِ لَا تَعْدُوهُمَا فِي اللَّفْظِ والأذْهَانِ
وَكَذَلِكَ الأَعْيَانُ أَيْضًا إنمَا التَّرْكِيبُ فِيهَا ذَانِكَ النَّوْعَانِ
والأَوْسَطَانِ هُمَا اللَّذَانِ تَنَازَعَا الـ ـعُقَلَاءَ فِي تَرْكِيبِ ذِي الجُثْمَانِ
وَلَهُمْ أَقَاوِيلٌ ثَلَاثٌ قَدْ حَكَيْـ ـنَاهَا وَبيَّنَّا أَتَمَّ بَيَانِ
وَالآخَرَانِ هُمَا اللذَانِ عَلَيْهِمَا دَارَتْ رَحَى الحَرْبِ الَّتِي تَرَيَانِ
أَنْتُمْ جَعَلْتُمْ وَصْلَهُ سُبْحَانَهُ بِعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الأَكْوَانِ
وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي ثبتَتْ لَهُ بِالعَقْلِ وَالمنقُولِ ذِي البُرْهَانِ
مِنْ جُمْلَةِ التَّرْكِيبِ ثُمَّ نَفَيْتُمُ مَضْمُونَهَا مِنْ غَيرِ مَا بُرْهَانِ
لَكِنْ إذَا قِيلَ اصْطِلَاحٌ حَادِثٌ لَا حَجْرَ فِي هَذَا عَلَى إنسَانِ
فَنقُولُ نَفْيُكُمُ بِهَذَا الاصْطِلَا حِ صِفَاتِهِ هُوَ أَبْطَلُ البُطْلَانِ
وَكَذَاكَ نَفْيُكُمُ بِهِ لِعُلُوِّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
وَكَذَاكَ نَفْيُكُمُ بِهِ لِكَلَامِهِ بِالوَحْيِ كالتَّورَاةِ والقُرْآنِ
وَكَذَاكَ نَفْيُكُمُ لرؤْيتِنا لَـهُ يَوْمَ المعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
وكَذَاكَ نَفيُكُمُ لِسَائِرِ مَا أَتَى فِي النَّقْلِ مِنْ وَصْفٍ بِغَيْرِ مَعَانِ

كَالوَجْهِ والْيَدِ والأصَابعِ والَّذي أبدًا يسُوءُكُم بِلَا كِتْمَانِ
وَبِوُدِّكُمْ لَوْ لَمْ يَقُلْهُ ربُّنا وَرَسُولُهُ المَبْعُوثُ بالبُرْهَانِ
وَبوُدِّكُمْ واللهِ لَمَّا قَالهَا أنْ لَيْسَ يَدْخُلُ مَسْمَعَ الإنْسَانِ
قَامَ الدَّلِيلُ عَلى اسْتِنَادِ الْكَوْنِ أَجْـ ـمَعِهِ إِلَى خَلَّاقِهِ الرَّحْمَٰنِ
مَا قَامَ قطُّ عَلَى انْتِفَاءِ صِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الأَكْوَانِ
هُوَ وَاحِدٌ فِي وَصْفِهِ وَعُلُوِّهِ مَا لِلْوَرَى رَبٌّ سِوَاهُ ثَانِ
فَلأَيِّ مَعْنًى تَجْحَدُونَ عُلُوَّهُ وَصِفَاتِهِ بِالفَشْرِ والهَذَيَانِ
هَذَا وَمَا المَحْذُورُ إِلَّا أَنْ يُقَا لَ مَعَ الإِلَهِ لَنَا إِلهٌ ثَانِ
أَوْ أَنْ يُعطَّلَ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ هَذَانِ مَحْذُورَانِ مَحْظُورَانِ
أَمَّا إِذَا مَا قِيلَ رَبٌّ وَاحِدٌ أَوْصَافُهُ أَربت عَلَى الحُسْبَانِ
وَهُوَ القَدِيمُ فَلَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ مُتَوحِّدًا بَلْ دَائِمَ الإِحْسَانِ
فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْـ ـتُمْ لَيْسَ هَذَا قَطُّ فِي الإِمْكَانِ
فَلَئِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ نَقْصٌ فَذَا بهْتٌ فَمَا فِي ذَاكَ مِنْ نُقْصَانِ
النَّقْصُ فِي أَمْرَيْنِ سَلْبُ كَمَالِهِ أَوْ شِرْكَةٌ بِالوَاحِدِ الرَّحْمَٰنِ
أَتكُونُ أَوْصَافُ الكَمَالِ نَقِيصَةً فِي أَيِّ عَقْلٍ ذَاكَ أَمْ قُرْآنِ
إِنَّ الكَمَالَ بِكَثْرَةِ الأَوْصَافِ لَا فِي سَلْبِهَا ذَا وَاضِحُ البُرْهَانِ
مَا النَّقْصُ غَيْرُ السَّلْبِ حَسْبُ وكُلُّ نَقْصٍ أَصْلُهُ سَلْبٌ وَهَذَا وَاضِحُ التِّبْيَانِ
فَالجَهْلُ سَلْبُ العِلْمِ وَهْوَ نَقِيصَةٌ وَالظُّلْمُ سَلْبُ العَدْلِ والإِحْسَانِ

مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبُ وَصْفِهِ حَقًّا تَعَالَى اللهُ عَنْ نُقْصَانِ
وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ذِكْرُ صِفَاتِهِ وَالحَمْدُ والتَّمْجِيدُ كُلَّ أَوَانِ
وَلِذَاكَ أَعْلَمُ خَلْقِهِ أَدْرَاهُمُ بِصِفَاتِهِ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
وَلَهُ صِفَاتٌ لَيْسَ يُحْصِيهَا سِوَا هُ مِنْ مَلَائِكَةٍ وَلَا إِنْسَانِ
وَلِذَاكَ يُثْنِي فِي القِيَامَةِ سَاجِدًا لَمَّا يَرَاهُ المصْطَفَى بِعِيَانِ
بِثَنَاءِ حَمْدٍ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِيُحْصِيهِ مَدَى الأَزْمَانِ
أَنْ لَا تَوَالُدَ فِي الجِنَانِ رَوَاهُ تَعْـ ـلِيقًا مُحَمَّدُ العَظِيمُ الشَّانِ
وَحَكَاهُ عَنْهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ إِسْـ ـحَاقُ بْنُ إبراهِيمَ ذُو الإتْقَان
لَا يَشْتَهِي وَلَدًا بِهَا وَلَوِ اشْتَهَا هُ لَكَانَ ذَاكَ مُحَقَّقَ الإِمْكَانِ
وَرَوَى هِشَامٌ لابنِهِ عَنْ عَامِرٍ عَنْ نَاجٍ عَنْ سَعدِ بْنِ سِنَانِ
أَنَّ المنَعَّمَ بالجِنَانِ إِذَا اشْتَهَى الْـ ـوَلَدَ الذِي هُوَ نُسْخَةُ الإِنْسَان
فَالحَمْلُ ثُمَّ الوَضْعُ ثُمَّ السِّنُّ فِي فَرْدٍ مِنَ السَّاعَاتِ فِي الأَزْمَانِ
إِسنَادُهُ عِنْدِي صَحِيحٌ قَدْ رَوَا هُ التِرمذِيُّ وأَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
ورِجَالُ ذَا الإِسْنَادِ مُحْتَجٌّ بِهِمْ فِي مُسْلِمٍ وَهُمُ أولُو إتْقَانِ
لَكِنْ غَرِيبٌ مَا لَهُ مِنْ شَاهِدٍ فَرْدٌ بِذَا الإِسْنَادِ لَيْسَ بِثَانِ
لَوْلَا حَدِيثُ أَبِي رَزِينٍ كَانَ ذَا كَالنَّص يَقْرُبُ مِنْهُ فِي التِّبْيَانِ
وَلِذَاكَ أَوَّلَهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بالشَّـرْطِ الَّذِي هُوَ مُنْتَفِي الوِجْدَانِ

وَبِذَاكَ رَامَ الجَمْعَ بَيْنَ حَدِيثِهِ وَأَبِي رزيـنٍ وَهْو ذُو إِمْكَانِ
هَذَا وَفِي تَأْوِيلِهِ نَظَرٌ فَـإِنَّ إِذَا لتَحقِيقٍ وَذِي إِتْقَانِ
ولربَّمَا جَاءَتْ لِغَيْرِ تَحَقُّقٍ وَالعَكْسُ فِي إِنْ ذَاكَ وَضْعُ لِسَانِ
وَاحْتَجَّ مَنْ نَصرَ الوِلَادَةَ أَنَّ فِي الـ ـجَنَّاتِ سَائِرَ شَهْوَةِ الإِنْسَانِ
واللهُ قَدْ جَعَلَ البَنِينَ مَعَ النِّسَا مِنْ أَعْظَمِ الشَّهَوَاتِ فِي القُرْآنِ
فَأُجِيبَ عَنْهُ بأَنَّه لَا يَشْتَهِي وَلَدًا وَلَا حَبَلًا مِنَ النِّسْوانِ
وَاحْتَجَّ مَنْ مَنَعَ الوِلَادَةَ أَنَّهَا مَلْزُومَـةٌ أَمْرَيْنِ مُمْتَنِعَـانِ
حَيْضٌ وإِنْزَالُ المَنِيِّ وَذَانِكَ الْـ أَمْرَانِ فِي الجَنَّاتِ مَفْقُودَانِ
وَرَوَى صُدَيٌّ عَنْ رَسُولِ اللهِ أَنَّ مَنِيَّهُمْ إِذْ ذَاكَ ذُو فِقْدَانِ
بَلْ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ هَكَذَا يَرْوِي سُلَيْمَانٌ هُوَ الطَّبرانِي
وَأُجِيبَ عَنْهُ بأَنَّهُ نَوْعٌ سِوَى الـ ـمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّسوانِ
فالنَّفْيُ لِلمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْـ إِيلَادِ والإِثْبَاتُ نَـوْعٌ ثَـانِ
واللهُ خَالِقُ نَوْعِنَا مِنْ أَرْبعٍ مُتَقَـابِلَاتٍ كُلُّهَـا بِـوِزَانِ
ذَكَرٌ وأُنْثَى وَالَّذِي هُوَ ضِدُّهُ وَكَذَاكَ مِنْ أُنْثَى بِلَا نُكْرَانِ
وَثَنَاؤُهُ بِصِفَاتِهِ لَا بِالسُّلُو بِ كَمَا يَقُولُ العَادِمُ العِرْفَانِ
وَالعَقْلُ دَلَّ عَلَى انْتِهَاءِ الْكَوْنِ أَجْـ ـمَعِهِ إِلَى رَبٍّ عَظِيمِ الشَّانِ
وَثُبوتِ أَوْصَافِ الكَمَالِ لِذَاتِهِ لَا يَقْتَضِي إِبطَالَ ذَا البُرْهَانِ
وَالكَوْنُ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَهُ تَعَا لَى ذُو الكَمَالِ وَدَائِمُ السُّلْطَانِ

وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الوُجُودِ وَفوق كُلِّ مَكَانِ
وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الـ ـمعْبُودُ لَا شَيْءٌ مِنَ الأَكْوَانِ
وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذُو حِكْمَةٍ فِي غَايَةِ الإِتْقَانِ
وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو قُدْرَةٍ حَيٌّ عَلِيمٌ دَائِمُ الإِحْسَانِ
وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الفَعَّالُ حَقًّا كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ المخْتَارُ فِي أَفْعَالِهِ حَقًّا بِلَا نُكْرَانِ
وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الحَيُّ الَّذِي مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ القَيُّومُ قَا مَ بِنَفْسِهِ وَمُقِيمُ ذِي الأَكْوَانِ
وكَذاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وإِرَادَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَحَنَانِ
وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بِالوَحْيِ والقُرْآنِ
وَكذاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الـ خَلَّاقُ بَاعِثُ هَذِهِ الأَبْدَانِ
لَا تَجْعَلُوهُ شَاهِدًا بالزُّورِ والتَّعْطِيلِ تِلْكَ شَهَادَةُ البُطْلَانِ
وَإِذَا تأَمَّلْتَ الوُجُودَ رَأَيتَهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ العُمْيَانِ
بِشَهَادَةِ الإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا للهِ لَا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ
وَكَذاكَ رُسْلُ اللهِ شَاهِدَةٌ بِهِ أَيْضًا فَسَلْ عَنْهُمْ عَلِيمَ زَمَانِ
وَكَذَاكَ كُتْبُ اللهِ شَاهِدَةٌ بِهِ أَيْضًا فَهَذَا مُحْكَمُ القُرْآنِ
وَكَذَلِكَ الفِطَرُ الَّتِي مَا غُيِّرَتْ عَنْ أَصْلِ خِلْقَتِهَا بأَمْرٍ ثَانِ
وَكَذَا العُقُولُ المسْتَنِيراتُ الَّتِي فِيهَا مَصَابِيحُ الهُدَى الرَّبَّانِي

أَتَرَوْنَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ ... لِشَهَادَةِ الجَهْمِيِّ والْيُونَانِـي
هَذِي الشُّهودُ فإنْ طَلَبْتُمْ شاهِدًا ... مِنْ غَيرِهَا سَيَقُومُ بعْدَ زَمَانِ
إِذْ ينْجلي هَذَا الغُبَارُ فيظْهَرُ الْـ ... ـحَقُّ المبينُ مُشاهَدًا بعِيَانِ
فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ إِنَّـهُ ... مَلْزُومُ تَرْكِيبٍ فَمَنْ يَلْحَانِي
إنْ قُلتُ لَا عَقْلٌ وَلَا سَمعٌ لَكُمْ ... وَصَرَخْتُ فِيما بَيْنكُمْ بِأَذَانِ
هَلْ يُجْعَلُ الملْزُومُ عينَ اللَّازِمِ الْـ ... ـمَنْفِيِّ هَذَا بَيِّنُ البُـطْلَانِ
فَالشَّيْءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يُنْفَى لَدَى ... عَقْلٍ سَلِيمٍ يَا ذوِي العِرْفَانِ
قُلْتُمْ نَفَيْنَا وَصْفَهُ وَعُلُـوَّهُ ... مِنْ خَشْيَةِ التَّرِكِيبِ والإِمْكَانِ
لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا ... فَالْوَصْفُ وَالتَّرِكِيبُ مُتَّحِدَانِ
أَوْ كَانَ فَوْقَ العَرْشِ كَانَ مُرَكَّبًا ... فَالفَوْقُ والتَّرِكِيبُ مُتَّفِقَـانِ
فَنَفَيْتُمُ التَّرِكِيبَ بالتَّرِكِيبِ مَعْ ... تَغْيِيرِ إِحْدَى اللفْظَتَيْنِ بِثَانِ
بَلْ صُورَةُ البُرْهَانِ أَصْبَحَ شَكْلُهَا ... شَكْلًا عَقِيمًا لَيْسَ ذَا بُرْهَانِ
لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ كَذَاكَ مَوْ ... صُوفًا وَهَذَا حَاصِلُ البُرْهَانِ
فَإِذَا جَعَلْتُمْ لَفْظَةَ التَّرِكِيبِ بالْـ ... ـمعْنى الصَّحيح أَمَارَةَ البُطْلَانِ
جِئْنَا إِلَى المعْنَى فَخَلَّصْنَاهُ مِنْـ ... ـهَا واطَّرَحْنَاهَا اطِّرَاحَ مُهَانِ
هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدْعِيَّةٌ ... مَذْمُومَةٌ مِنَّـا بِكُـلِّ لِسَانِ
وَاللَّفْظُ بالتَّوْحِيدِ نَجْعَلُهُ مَكَا ... نَ اللَّفْظِ بالتَّرْكِيبِ فِي التِّبْيَانِ
وَاللَّفْظُ بالتَّوحِيدِ أَوْلَى بِالصِّفَا ... تِ وَبالْعُلُوِّ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
هَذَا هُوَ التَّوحِيدُ عِنْدَ الرُّسْلِ لَا ... أَصْحَابِ جَهْمٍ شِيعَةِ الكُفْرانِ

□ فصــل □

○ في أقسامِ التوحيدِ والفرقِ بين توحيدِ المرسلينَ وتوحيدِ النفاةِ المعطلينَ ○

فَاسْمَعْ إذًا أنْواعَهُ هِيَ خَمْسَةٌ قَدْ حُصِّلَتْ أَقْسَامُهَا بِبَيَانِ
تَوحِيدُ أَتْبَاعِ ابن سِينَا وَهْوَ مَنْـ ـسُوبٌ لآرسطُو مِنَ الْيُونَانِ
مَـا لِلإلَـهِ لَدَيْهِـمُ مَاهِيَّـةٌ غَيْرُ الوُجُودِ المطْلَقِ الوِحْدَانِ
مَسْلُوبُ أَوْصَافِ الكَمَالِ جَميعِهَا لَكِنْ وجُـودٌ حَسْبُ لَيْسَ بِفَانِ
مَا إنْ لَهُ ذَاتٌ سِوَى نَفْس الوُجُو دِ المطْلَقِ المسْلُوبِ كلِّ مَعَانِ
فَلذَاكَ لَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا عِلْمٌ وَلَا قَوْلٌ مِنَ الرَّحْمـٰنِ
وَلِذَاكَ قَالُوا لَيسَ ثَمَّ مَشِيئَةٌ وَإِرَادَةٌ لِوُجُودِ ذِي الأَكْوَانِ
بَلْ تِلكَ لَازمَةٌ لَهُ بالذَّاتِ لَمْ تَنْفَكَّ عَنْهُ قطُّ فِي الأَزْمَانِ
مَا اخْتَارَ شَيْئًا قَطُّ يَفْعَلُهُ وَلَا هَذَا لَهُ أَبدًا بِذِي إمْكَانِ
وَبَنَوْا عَلَى هَذَا اسْتِحَالَةَ خَرْقِ ذِي الْـ أَفْلَاكِ يَـوْمَ قِيامَـةِ الأَبْـدانِ
ولِذَاكَ قَالُوا ليْسَ يَعْلَمُ قطُّ شَيْـ ـئًا مَا مِنَ المَوْجُودِ فِي الأَعْيَانِ
لَا يَعْلَمُ الأَفْلَاكَ كَمْ أَعْدَادُهَا وَكَذا النُّجومُ وَذَانِكَ القَمَرَانِ
بَلْ لَيسَ يَسْمَعُ صَوْتَ كُلِّ مُصَوِّتٍ كَلَّا وَلَيسَ يَرَاهُ رَأْيَ عِيَانِ
بَلْ لَيْسَ يَعْلَمُ حَالَةَالإِنْسَانِ تَفْـ ـصِيلًا مِنَ الطَّاعَاتِ وَالعِصْيَانِ

كَلَّا وَلَا عِلْمٌ لَهُ بِتَساقُطِ الْـ أَوْرَاقِ أَوْ بِمَنَابِتِ الأَغْصَانِ
عِلْمًا عَلَى التفصِيل هَذَا عِنْدَهُمْ عَيْنُ المُحَالِ وَلَازِمُ الإِمْكَانِ
بَلْ نَفسُ آدَمَ عِنْدَهُمْ عَيْنُ المحَا لِ وَلَمْ يكُنْ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
مَا زَالَ نَوْعُ النَّاسِ مَوْجُودًا ولَا يَفنَى كَذاكَ الدَّهْرُ والملْوَانِ
هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِثْلِ ابْنِ سينَا والنَّصيرِ الثَّانِي
قَالُوا وألجَأَنَا إِلَى ذَا خَشْيَـةُ التَّـرْكِيـبِ والتجْسِيمِ ذِي البُطْلَانِ
وَلِذَاكَ قُلْنَا مَالَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا عِلمٌ فَكَيْفَ يَدَانِ
وَكَذَاكَ قُلْنَا لَيْسَ فَوْقَ العَـرْشِ إِلَّا المسْتحِيـلُ وَليْسَ ذَا إِمكَانِ
جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ كِلَا الجِسْمَينِ مَحـ ـدُودٌ يَكُـونُ كِلَاهُمَا صِنْـوَانِ
فَبِذَاكَ حَقًّا صَرَّحُوا فِي كُتْبِهِمْ وَهُمُ الفُحُولُ أَئِمَّةُ الكُفْرانِ
لَيْسُوا مَخَانِيثَ الوُجودِ فَلَا إِلَى الـ ـكُفْرَانِ يَنْحَازُوا وَلَا الإِيمَانِ
والشِّرْكُ عِنْدَهُمُ ثُبُوتُ الذَّاتِ وَالْـ أَوْصَافِ إِذْ يَبْقَى هُنَاكَ اثْنَانِ
غَيْرُ الوُجُودِ فَصَارَ ثَمَّ ثلاثَةٌ فَلِذَا نَفَيْنَا اثنَيـنِ بالبُرْهَـانِ
نَفْيُ الوُجُودِ فَلَا يُضَافُ إِليهِ شَيْ ءٌ غَيْرُهُ فَيَصِيـرَ ذَا إِمْكَـانِ

* * *

□ فصـــلٌ □

○ في النوعِ الثاني منْ أنواعِ التَّوحيدِ ○
لأهلِ الإلحادِ

هَذَا وَثَانِيهَا فَتَوحِيدُ ابْن سَبْـ ـعِينٍ وَشِيعَتِهِ أولي البُهْتَانِ
كُلِّ اتِّحَادِيٍّ خَبِيثٍ عِنْدَهُ مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ الحَقَّانِـي
تَوْحِيدُهُمْ أنَّ الإلَهَ هُوَ الوُجو دُ المطْلَقُ المبثُوثُ فِي الأَعْيَانِ
هُوَ عَيْنُهَا لَا غَيْرُهَا مَا هَا هُنَا رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَفتَرِقَـانِ
لَكِنَّ وَهْمَ العَبْدِ ثُمَّ خَيَالَهُ فِي ذِي المظاهِرِ دَائِمًا يَلِجَانِ
فَلِذَاكَ حُكْمُهُمَا عَلَيْهِ نَافِذٌ فَابْنُ الطَّبِيعَةِ ظَاهِرُ النُّقْصَانِ
فَإِذَا تَجَرَّدَ عِلْمُهُ عَنْ حِسِّهِ وَخَيَالِهِ بَلْ ثـمَّ تَجْرِيـدَانِ
تَجْرِيدُهُ عَنْ عَقْلِهِ أَيْضًا فَـإِنَّ الـعَقْلَ لَا يُدْنيهِ مِنْ ذَا الشَّانِ
بَلْ يخْرِقُ الحُجُبَ الْكَثِيفَةَ كُلَّهَا وَهْمًا وَحِسًّا ثُمَّ عَقْلٌ وَانِ
فَالوَهْمُ مِنْهُ وَحِسُّهُ وَخيَالُهُ وَالعِلْمُ والمعْقُولُ فِي الأذْهَانِ
حُجُبٌ عَلَى ذَا الشَّانِ فاخْرِقْهَا وإلَّا كُنْتَ مَحْجُوبًا عَنِ العِرْفَانِ
هَذا وأكْثَفُهَا حِجُابُ الحِسِّ والْـ ـمعْقُولُ ذَانِكَ صَاحِبُ الفُرْقَانِ
فَهُنَاكَ صِرْتَ مُوحِّدًا حَقًّا تَرَى هَذَا الوُجُودَ حَقِيقَةَ الدَّيَّانِ
والشِّرْكُ عِنْدَهُمُ فَتنويعُ الوُجو دِ وَقَولُنَا إنَّ الوُجُودَ اثْنَانِ

وَاحْتَجَّ يَوْمًا بِالكِتَابِ عَلَيْهِمُ شَخْصٌ فَقَالُوا الشِّرْكُ فِي القُرْآنِ
لَكِنَّمَا التَّوحِيدُ عِنْدَ القَائِلِيـ ـنَ بالاتِّحَادِ فَهُمْ أُولُو العِرْفَانِ
رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ ذَاكَ وإِنَّمَا الْـ ـمَوْجُودُ فَرْدٌ مَا لَهُ مِنْ ثَانِ

□ فصـــلٌ □

○ في النَّوعِ الثالثِ مِنَ التَّوحيدِ لأَهلِ الإلحادِ ○

هَذَا وَثَالِثُهَا هُوَ التَّوحِيدُ عِنْـ ـدَ الجَهْمِ تَعْطِيلٌ بِلا إيمَانِ
نَفْيُ الصِّفَاتِ مَعَ العُلُوِّ كَذاكَ نَفْـ ـيُ كَلامِهِ بِالوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
فَالعَرشُ لَيسَ عَلَيهِ شَيءٌ بَتَّةً لَكِنَّهُ خِلْوٌ مِـنَ الرَّحمَٰـــنِ
مَا فَوْقَهُ رَبٌّ يُطَاعُ وَلَا عَلَيْـ ـهِ للوَرَى مِنْ خَالِقٍ رَحْمَٰـنِ
بَلْ حَظُّ عرشِ الرَّبِّ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِنْهُ كَحَظِّ الأَسْفَلِ التَّحْتَانِي
فَهُوَ المعَطِّلُ عَنْ نُعُوتِ كَمَالِهِ وَعنِ الكَلَامِ وَعَنْ جَمِيعِ مَعَانِ
وَانْظرْ إِلَى مَا قَدْ حَكَينَا عَنهُ فِي مَبْدا القَصِيدِ حِكَايَةَ التِّبْيَانِ
هَذَا هُوَ التَّوحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ تِلْوَ الفُحولِ مُقَدِّمِي البُهتانِ
وَالشِّرْكُ عِنْدَهُمُ فإِثْبَاتُ الصِّفَا تِ لِربِّنَا ونِهَايـةُ الكُفْـرَانِ
إِنْ كَانَ شِرْكٌ ذَا وَكُلُّ الرُّسْلِ قَدْ جَاءُوا بِهِ يَا خَيْبَةَ الإِنْسَانِ

❊ ❊ ❊

□ فصلٌ □

○ في النَّوعِ الرَّابعِ مِنْ أنواعِهِ ○

هَذَا وَرَابِعُهَا فَتَوْحِيدٌ لَدَى جَبْرِيِّهِمْ هُوَ غَايَةُ العِرْفَانِ
العَبْدُ مَيْتٌ مَا لَهُ فِعْلٌ وَلَـ ـكِنْ مَا تَرى هُوَ فِعْلُ ذِي السُّلْطَانِ
واللهُ فَاعِلُ فِعْلِنا مِنْ طَاعَةٍ وَمِن الفُسوقِ وَسائِرِ العِصْيَانِ
هِيَ فِعْلُ رَبِّ العَالَمِينَ حَقِيقَةً لَيْسَتْ بِفِعْلٍ قَطُّ لـلإِنْسَانِ
فَالعَبْدُ مَيْتٌ وَهْوَ مَجْبُورٌ عَلَى أَفْعَالِهِ كالميْتِ فِي الأَكْفَانِ
وَهْوَ الملُومُ عَلَى فِعَالِ إلهِهِ فِيهِ وَدَاخِلُ جَاحِمِ النِّيرَانِ
يَا وَيْحَهُ المسْكِينُ مَظْلُـومٌ يُرَى فِي صُورَةِ العَبْدِ الظَّلومِ الجَانِي
لَكِنْ نَقُولُ بأَنَّهُ هُوَ ظَالِمٌ فِي نَفسِهِ أَدَبًا مَعَ الرَّحْمـٰنِ
هَذا هُوَ التَّوحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِنْ كُلِّ جَبْرِيٍّ خَبِيثٍ جَنَانِ
والكُلُّ عِنْدَ غُلَاتِهِمْ طَاعَاتُنا مَا ثَمَّ فِي التحْقِيقِ مِنْ عِصْيَانِ
والشِّرْكُ عِنْدَهُمُ اعْتِقَادُكَ فَاعِلًا غَيْرَ الإلهِ المـالِكِ الدَّيَّـانِ
فَانظُرْ إِلَى التَّوحِيدِ عِنْد القَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الإِشْرَاكِ والكُفْرَانِ
مَا عِنْدَهُمْ واللهِ شَيْءٌ غَيْرَهُ هَاتِيكَ كُتْبُهُمُ بِكُلِّ مَكَانِ
أَتَرى أَبَا جَهْلٍ وَشِيعَتَهُ رَأَوْا مِنْ خَالِقٍ ثَانٍ لِذي الأَكْوَانِ
أَمْ كُلُّهُمْ جَمْعًا أَقَرُّوا أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الخَلَّاقُ للإِنْسَانِ

فإذَا ادَّعَيْتُمْ أَنَّ هَذَا غَايَةُ التَّـــوْحِيـدِ صَارَ الشِّرْكُ ذَا بُطْلَانِ
فالنَّـاسُ كُلُّهُـمُ أَقَـرُّوا أَنَّـهُ هُوَ وَحْدَهُ الخَلَّاقُ لَيْسَ اثْنَانِ
إلَّا المجُوسَ فإنَّهُمْ قَالُوا بِـأَنَّ الشَّرَّ خَالِقُهُ إلـهٌ ثَـانِ

□ فصـل □

○ في بيانِ توحيدِ الأنبياءِ والمرسلينَ ومخالفتهِ ○ لتوحيدِ الملاحدةِ والمعطلينَ

فَاسْمَع إذًا تَوْحِيدَ رُسْلِ اللهِ ثُـمَّ اجْعَلْهُ دَاخِلَ كِفَّةِ الميزَانِ
مَعْ هَذِهِ الأَنْواعِ وَانْظُرْ أَيُّهَا أَوْلَى لَدَى الميزَانِ بالرجْحَانِ
تَوْحِيدُهُمْ نَوْعَانِ قَوْلِيٌّ وَفِعْـلِيٌّ كِلَا نَوْعَيْهِ ذُو بُرْهَانِ
فالأولُ القَوْلِيُّ ذُو نَوْعَيْنِ أَيْـضًا فِي كِتَابِ اللهِ مَوْجُودَانِ
إحْدَاهُمَا سَلْبٌ وَذَا نَوْعَانِ أَيْـضًا فِيهِ حَقًّا فِيهِ مَذْكُورَانِ
سَلْبُ النَّقَائِصِ وَالعُيُوبِ جَمِيعِها عَنْهُ هُمَا نَوْعَانِ مَعْقُـولَانِ
سَلْبٌ لمتَّصِلٍ وَمنْفَصِلٍ هُمَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ أَمَّا الثَّانِـي
سَلْبُ الشَّرِيكِ مَعَ الظَّهِيرِ مَعَ الشَّفِيـعِ بِدُونِ إذنِ الخَالِقِ الدَّيَّانِ
وَكَذاكَ سَلْبُ الزَّوجِ والوَلَدِ الَّذي نَسَبُوا إلَيْهِ عابدو الصُّلْبَانِ
وَكَذَاكَ نفْيُ الكُفْءِ أَيْضًا وَالولـيِّ لَنَا سِوَى الرَّحمٰنِ ذِي الغُفْرَانِ
وَالأَوَّلُ التَّنْزِيهُ للرَّحْمـٰنِ عَنْ وَصْفِ العُيُوبِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانِ

كَالمْوتِ والإِعْيَاءِ والتَّعَبِ الذِي يَنْفِي اقْتِدَارَ الخَالِقِ الدَّيَّانِ
والنَّومِ والسِّنَةِ التِي هِيَ أَصْلُهُ وَعُزُوبِ شيءٍ عَنْهُ فِي الأَكْوَانِ
وَكَذلِكَ العَبَثُ الَّذِي تَنْفِيهِ حِكْـ ـمَتُهُ وَحَمْدُ اللهِ ذِي الإِتْقَانِ
وَكَذَاكَ تَرْكُ الخَلْقِ إِهْمَالًا سُدًى لَا يُبْعَثُونَ إِلَى مَعَادٍ ثَـانِ
كَلَّا وَلَا أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ عَلَيْـ ـهِمْ مِنْ إِلٰهٍ قَـادِرٍ دَيَّانِ
وَكَذَاكَ ظُلْمُ عِبَادِهِ وَهْوَ الغَنِـيُّ فَمَا لَهُ والظُّلْم لِـلإِنْسَانِ
وَكَذَاكَ غَفْلَتُهُ تَعَالَى وَهْوَ عَـلَّام الغُيُوبِ فَظَاهِرُ البُـطْلَانِ
وَكَذَلِكَ النِّسْيَانُ جَلَّ إِلَهُنَـا لَا يعْتَرِيهِ قَطٌّ مِنْ نِسْيَـانِ
وَكَذاكَ حَاجَتُهُ إِلَى طَعْمٍ وَرِزْ قٍ وَهْوَ رَزَّاقٌ بِلَا حُسْبَانِ
هَذَا وَثَانِي نَوْعَي السَّلْبِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الأَنْوَاعِ فِي الأَوْزَانِ
تَنْزِيهُ أَوْصَافِ الكَمَالِ لَهُ عَنِ الـتَّشْبِيـهِ والتَّمْثِيـلِ والنُّكْـرَانِ
لَسْنَا نُشَبِّهُ وَصْفَـهُ بِصِفَاتِنَـا إِنَّ المشَبِّـهَ عَابِـدُ الأَوْثَـانِ
كَلَّا وَلَا نُخلِيهِ مِنْ أَوْصَافِهِ إِن المعَطِّـلَ عَابِـدُ البُهْتَـانِ
مَنْ مَثَّلَ اللهَ العَظِيمَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ النَّسِيبُ لِمشْرِكٍ نَصْرَانِي
أَوْ عَطَّلَ الرَّحْمٰنَ مِنْ أَوْصَافِهِ فَهُوَ الكَفُورُ ولَيْسَ ذَا إِيمَانِ

☐ فصــلٌ ☐

○ في النوعِ الثاني من النوعِ الأوَّلِ وهو الثبوتُ ○

هَذَا وَمِنْ تَوْحِيدِهِمْ إِثْبَاتُ أَوْ صَافِ الكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمٰنِ

كَعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَـٰ ـواتِ الْعُلَا بَلْ فَوْقَ كُلِّ مكَانِ
فَهْوَ العَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَـهُ إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَا بِبيَانِ
وَهْوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلأَكْـوَانِ
حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ متكلـمٌ ذو رحمةٍ وإرادةٍ وحَنَـانِ
هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ هو بَاطِنٌ هِيَ أَربَعٌ بِوِزَانِ
مَا قَبْلَهُ شَيءٌ كَذَا مَا بَعْدَهُ شَيءٌ تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ
مَا فَوْقَهُ شَيءٌ كَذَا مَا دُونَهُ شَيءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِي البُرْهَانِ
فَانْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ بِتَدَبُّـرٍ وَتَبَصُّرٍ وَتعقُّـلٍ لمعَـانِ
وَانظُرْ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ أَنواعِ مَعْـ ـرِفَةٍ لخالِقِنا العظِيمِ الشَّانِ
وَهْوَ العَلِيُّ فَكُلُّ أَنْوَاعِ العُلُـوِّ لَهُ فَثَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ
وَهْوَ العَظِيمُ بِكلِّ معْنًى يُوجِبُ التَّـعظِيمَ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إنسَانِ
وَهْوَ الجَلِيلُ فَكُلُّ أَوصَافِ الجَلَا لِ لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِلَا بُطْلَانِ
وَهْوَ الجَمِيلُ عَلَى الحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا وَجَمَالُ سَائِرِ هَذِهِ الأَكْوَانِ
مِنْ بَعْضِ آثارِ الجَمِيلِ فَرَبُّهَا أَوْلَى وأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي العِرْفَانِ
فَجَمَالُهُ بَالذَّاتِ والأَوْصَافِ وَالـ أَفْعَالِ والأَسْمَاءِ بالبُرْهَـانِ
لَا شَيءَ يُشْبِهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ
وَهْوَ المجِيدُ صِفَاتُهُ أَوْصَافُ تَعْـ ـظِيمٍ فَشَأْنُ الْوَصْفِ أَعْظَمُ شَانِ
وَهْوَ السَّمِيعُ يَرَى وَيَسمَعُ كُلَّ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ فَالسِّرُّ والإِعْلَانُ مُسْتَوِيَانِ
والسَّمْعُ مِنهُ واسِعُ الأَصْواتِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ بَعِيدُهَا والدَّانِي
وَهُوَ البَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ والصَّوَّانِ
وَيَرَى مَجَارِي القُوتِ فِي أَعْضَائِهَا وَيَرَى نِياطَ عُرُوقِهَا بِعِيَانِ
وَيرى خِيَاناتِ العُيُونِ بِلَحْظِهَا وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ
وَهوَ العَلِيمُ أَحَاطَ عِلْمًا بالَّذِي فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
وَبِكلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ فَهوَ المحِيطُ ولَيسَ ذَا نِسْيَانِ
وَكَذَاكَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ غَدًا وَما قَدْ كَانَ والمَوْجُودَ فِي ذَا الآنِ
وَكَذَاكَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَان كَيْـ ـفَ يَكُونُ ذَا إِمْكَانِ

□ فصـل □

وَهوَ الحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٌ أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى الأَزْمَانِ
مَلأَ الوُجُودَ جَمِيعَهُ ونَظِيرَهُ مِنْ غَيْرِ مَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانِ
هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحمدِهِ كُلُّ المحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحْسَانِ

□ فصـل □

وَهوَ المُكَلِّمُ عَبْدَهُ مُوسَى بِتَكْـ ـلِيمِ الخِطَابِ وَقَبْلَهُ الأَبَوَانِ
كَلِمَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الإِحْصَاءِ والتَّـ ـعْدَادِ بَلْ عَنْ حَصْرِ ذِي الحُسْبَانِ

لَوْ أنَّ أشْجَارَ البِلَادِ جَمِيعَهَا الْـ أَقْلَامُ تَكْتُبهَا بِكلِّ بَنَانِ
وَالبحْرَ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أبحُرٍ لِكِتابةِ الكَلماتِ كُلَّ زَمَانِ
نَفِدتْ وَلَمْ تَنْفَدْ بِها كَلِماتُهُ لَيْسَ الكلامُ مِنَ الإِلَهِ بِفَانِ
وَهوَ القَدِيرُ وَلَيْسَ يُعْجزهُ إذَا مَا رَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانِ
وَهوَ القويُّ لَهُ القُوَى جَمْعًا تَعَا لى اللهُ ذُو الأكْوَانِ والسُّلْطَانِ
وَهوَ الغَنيُّ بِذَاتِهِ فغِنَاهُ ذَا تِيٌّ لَهُ كالجُودِ والإحْسَانِ
وَهوَ العَزِيزُ فَلَنْ يُرام جَنَابُهُ أنَّى يُرامُ جَنابُ ذِي السُّلْطَانِ
وَهوَ العَزِيزُ القَاهِرُ الغَلَّابُ لمْ يَغْلِبْهُ شَيْءٌ هَذِهِ صِفتَانِ
وَهوَ العَزيزُ بقوةٍ هِي وَصْفُهُ فَالعزُّ حِينَئِذٍ ثَلَاثُ مَعَانِ
وَهيَ الَّتي كَمُلَتْ لَهُ سُبْحَانهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عَادِمِ النُّقْصانِ
وَهو الحَكِيمُ وَذَاكَ مِنْ أَوْصَافِهِ نوعَانِ أَيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ
حُكْمٌ وإحْكَامٌ فكلٌّ مِنْهُمَا نَوْعَانِ أَيْضًا ثَابتَا البُرْهَانِ
والحُكْمُ شَرْعِيٌّ وكَوْنِيٌّ وَلَا يَتَلَازَمَانِ وَمَا هُمَا سِيَّانِ
بَلْ ذَاكَ يُوجَدُ دُونَ هَذَا مُفْردًا وَالعَكْسُ أيْضًا ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
لَنْ يَخْلُوَ المربُوبُ مِنْ إحْدَاهُمَا أو مِنْهُمَا بلْ لَيسَ يَنْتَفِيَانِ
لَكِنَّمَا الشَّرْعِيُّ مَحْبُوبٌ لَهُ أَبدًا وَلَنْ يَخْلُو مِن الأكْوَانِ
هُوَ أمرُهُ الدِّينيُّ جاءَتْ رُسْلُهُ بقيَامِهِ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ
لَكِنَّما الكوْنيُّ فَهْوَ قَضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ بالعَدْلِ والإحْسَانِ

هُوَ كُلُّهُ حَقٌّ وعَدْلٌ ذُو رِضًا   والشَّأنُ فِي المَقْضِيِّ كُلّ الشَّانِ
فَلذَاكَ نَرْضَى بالقَضَاءِ ونَسْخَطُ الْـ   ـمقْضيَّ حِينَ يَكُونُ بالعِصْيَانِ
فاللهُ يَرْضَى بالقَضَاءِ وَيَسْخَطُ الْـ   ـمقْضِيَّ مَا الأمْرَانِ مُتَّحِدَانِ
فَقضَاؤُهُ صِفَةٌ بِهِ قَامَتْ وَمَا الْـ   ـمَقْضِيُّ إلَّا صَنْعَةُ الرحْمٰنِ
هَذَا البَيَانُ يُزِيلُ لَبْسًا طَالَمَا   هَلَكَتْ عَلَيهِ الناسُ كُلَّ زَمَانِ
وَيحِلُّ مَا قَدْ عَقَّدُوا بأُصُولِهِمْ   وبُحُوثِهِمْ فافْهَمْهُ فَهْمَ بَيَانِ
مَنْ وَافَقَ الكَوْنِيَّ وَافَقَ سُخْطَهُ   إنْ لَمْ يَوافِقْ طَاعَةَ الدَّيَّانِ
فَلِذَاكَ لَا يَعْدُوهُ ذَمٌّ أوْ فَوَا   تُ الحَمْدِ مَعْ أجرٍ ومَعْ رِضْوَانِ
وَمُوافِقُ الدِّينيِّ لَا يَعْدُوهُ أجْـ   ـرٌ بَلْ لَهُ عِنْدَ الصَّوابِ اثْنَانِ

□ فصـــل □

والحِكْمَةُ العُلْيَا عَلَى نَوْعَينِ أيْـ   ـضًا حُصِّلَا بقَواطِعِ البُرْهَانِ
إحْدَاهُمَا فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ   نَوْعَانِ أيْضًا لَيْسَ يفْترِقَانِ
أحكَامُ هَذَا الخَلْقِ إذْ إيجَادُهُ   فِي غَايَةِ الإحْكَامِ والإتْقَانِ
وَصُدُورُهُ مِنْ أجلِ غَايَاتٍ لَهُ   وَلَهُ عَلَيْهَا حَمْدُ كُلِّ لِسَانِ
والحِكمةُ الأُخْرَى فحِكْمَةُ شَرْعِهِ   أيضًا وفِيهَا ذَانِكَ الوَصْفَانِ
غَايَاتُهَا اللَّائِي حُمِدْنَ وَكَوْنُهَا   فِي غَايَةِ الإتْقَانِ والإحْسَانِ

* * *

□ فصـــل □

وَهوَ الْحَيِيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ عِنْدَ التَجَاهُرِ مِنْهُ بالعِصْيَانِ
لَكِنَّـهُ يُلقِـي عَلَيْـهِ سَتْــرَهُ فَهوَ السِّتِّيرُ وصَاحِبُ الغُفْرَانِ
وَهْوَ الحليمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ بِعُقوبَةٍ لِيتُوبَ مِنْ عِصْيَانِ
وَهْوَ العَفُوُّ فَعَفْوُهُ وَسِعَ الورَى لولاهُ غَارَ الأرضُ بالسُّكَّانِ
وَهوَ الصَّبُورُ عَلَى أَذَى أعْدَائِه شَتَمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ للبُهْتَـانِ
قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا شَتْمًا وتكْذِيبًا مِنَ الإِنْسَانِ
هَذَا وَذَاكَ بَسَمْعِهِ وبعِلْمِـهِ لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بكُلِّ هَوَانِ
لَكِنْ يُعَافِيهِمْ ويَرْزُقُهُمْ وَهُمْ يؤْذُونَهُ بـالشِّرْكِ والكُفْـرَانِ

□ فصـــل □

وَهوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَوَاطِرِ واللَّوا حِظِ كَيْفَ بالأَفْعَالِ بالأَرْكَانِ
وَهوَ الْحَفِيظُ عَليهِمُ وَهْوَ الكَفِيـ ـلُ بحِفْظِهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَانِ
وَهوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ ولِعَبْدِهِ واللُّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
إدرَاكُ أَسْرارِ الأمُورِ بِخِبْرَةٍ واللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الإِحْسَانِ
فيُرِيكَ عِزَّتَهُ وَيبْدي لُطْفَـهُ والعَبْدُ فِي الغَفَلَاتِ عَنْ ذَا الشَّأنِ

* * *

□ فصـــل □

وَهْوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرِّفقِ بَلْ يُعْطِيهُمُ بالرِّفْقِ فَوْقَ أمَـانِ
وَهْوَ القَرِيبُ وقُرْبُهُ المخْتَصُّ بالـدَّاعِــي وعابِدِه عَلَى الإيمَـانِ
وَهْوَ المجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْــهُ أَنَا المجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي
وَهوَ الْمُجِيبُ لِدَعْوةِ الْمُضْطَرِّ إذْ يَدْعُوهُ فِي سِرٍّ وَفِي إعْلَانِ
وَهوَ الجَوَادُ فجُودُهُ عَمَّ الوُجُو دَ جَمِيعَهُ بالفَضْلِ والإحْسَانِ
وَهوَ الجَوَادُ فَلَا يُخَيِّبُ سَائِلًا وَلوَ انَّه مِنْ أُمَّةِ الكُفْرَانِ
وَهوَ المغيثُ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِه وَكَذَا يُجِيبُ إغَاثَةَ اللَّهْفَانِ

□ فصـــل □

وَهوَ الوَدُودُ يحِبُّهُمْ ويحِبُّهُ أحْبَابُــهُ والـفَضْلُ للمنَّـــانِ
وَهوَ الَّذِي جَعَلَ المحبَّةَ فِي قُلو بِهِمُ وَجَازَاهُمْ بحبٍّ ثَـانِ
هَذَا هُوَ الإحْسَانُ حَقًّا لَا مُعَا وَضةً وَلَا لِتَوَقُّعِ الشُّكْرَانِ
لَكِنْ يُحبُّ شُكُورَهُمْ وشَكُورَهُمْ لَا لِاحْتِياجٍ مِنْهُ للشُّكْرَانِ
وَهوَ الشَّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِلَا حُسْبَانِ
مَا لِلْعبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ هُوَ أوْجَبَ الأجْرَ العظِيمَ الشَّانِ
كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَديْهِ ضَائِعٌ إنْ كَانَ بالإخْلَاصِ والإحْسَانِ

إنْ عُذِّبُوا فبِعَدلِه أو نُعِّمُوا فبفَضْلِـهِ والحَمْـدُ للمنَّـانِ

□ فصـل □

وَهُوَ الغَفُورُ فَلَوْ أتَى بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شِرْكٍ بَلْ مِنَ العِصْيَانِ
لأتَاهُ بالغُفْرانِ مِلء قُرَابِهَـا سُبْحانَهُ هُوَ وَاسِعُ الغُفْرَانِ
وَكَذَلِكَ التَّوابُ مِنْ أوْصَافِهِ والتَّوْبُ فِي أوْصَافِهِ نَوْعَانِ
إذْنٌ بِتَوْبَةِ عَبْـدِهِ وَقَبُولِهَـا بَعْدَ المتَابِ بمنَّـةِ المنَّـانِ

□ فصـل □

وَهْوَ الإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي صَمَدَتْ إِلَيْهِ الخَلْقُ بالإِذْعَانِ
الكَامِلُ الأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُو هِ كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
وَكَذَلِكَ القَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ فَالخَلْقُ مَقْهُورُونَ بالسُّلْطَانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ سُلْطَانِ
وَكَذَلِكَ الجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا ذَا كَسْرَةٍ فالجَبْرُ مِنْهُ دَانِ
والثانِ جَبْرُ القَهْرِ بالعِزِّ الذي لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ
وَلَهُ مُسَمَّى ثَالِثٌ وَهوَ العُلُـوُّ فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ
مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ للنَّخْلَةِ الْـ عُلْيَا التِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانِ

▢ فصل ▢

وَهْوَ الحَسِيبُ حِمَايَةً وكِفَايةً والحَسْبُ كَافِي العَبْد كُلَّ أَوَانِ
وَهْوَ الرشِيدُ فَقَوْلُهُ وَفِعَالُـهُ رُشْدٌ وَرَبُّكَ مُرشِدُ الحيرانِ
وَكِلَاهُمَا حَقٌّ فهذَا وَصْفُهُ وَالفِعْلُ للإِرشَادِ ذَاكَ الثَّانِي
والعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ وَمَقَالِهِ والحُكْمِ فِي الميزَانِ
فَعَلى الصِّراطِ المسْتقَيمِ إلهُنَا قَوْلًا وفِعلًا ذَاكَ فِي القُرْآنِ

▢ فصل ▢

هَذَا وَمِنْ أوْصَافِهِ القُدُّوس ذُو التَّـــنْزيهِ بِالتَّعظِيـمِ للرَّحْمَـٰــنِ
وَهوَ السَّلَامُ عَلَى الحَقِيقَةِ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ تَمْثيلٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
وَالبِرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانَـهُ هُوَ كَثْرةُ الخَيْراتِ والإِحْسَانِ
صَدَرَتْ عَنِ البرِّ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ فَالبِـرُّ حِينَئِـذٍ لَـهُ نَوْعَــانِ
وَصْفٌ وَفِعْلٌ فَهْوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ مُولِي الجَمِيلِ ودَائِمُ الإِحْسَانِ
وَكَذَلِكَ الوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ فَانْظُرْ مَواهِبَهُ مَدَى الأزمَانِ
أَهْلُ السَّمٰـوَاتِ العلَى والأَرْضِ عَنْ تِلْكَ المَوَاهِبِ لَيسَ يَنْفكَّانِ
وَكَذَلِكَ الفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَالفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أمْرَانِ
فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهْوَ شَرْعُ إِلهِنَا والفتحُ بالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثَــانِ

وَالرَّبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِمَا عَدْلًا وإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ
وكَذَلِكَ الرزَّاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَالرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ
رِزْقٌ عَلَى يدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَوْعَانِ أَيْضًا ذَانِ مَعْرُوفَانِ
رِزْقُ القُلُوبِ العِلْمَ والإِيمَانَ وَالـرِّزْقُ المُعَدُّ لِهَذِهِ الأَبْدَانِ
هَذا هُوَ الرِّزْقُ الحَلَالُ وَرَبُّنَا رَزَّاقُهُ وَالفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
والثانِ سَوْقُ القُوتِ لِلأَعْضَاءِ فِي تِلْكَ المَجَارِي سَوْقَهُ بِوِزَانِ
هَذَا يَكُونُ مِنَ الحَلَالِ كَمَا يَكُو نُ مِنَ الحَرَامِ كِلَاهُمَا رِزْقَانِ
وَاللهُ رَازِقُهُ بِهَذَا الاعْتِبَا رِ وَلَيْسَ بِالإِطْلَاقِ دُونَ بَيَانِ

فصل

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ القَيُّومُ وَالْـ ـقَيُّومُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
إِحدَاهُمَا القَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَالكَوْنُ قَامَ بِهِ هُمَا الأَمْرَانِ
فَالأَوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ وَالفَقْرُ مِنْ كُلٍّ إِلَيْهِ الثَّانِي
وَالوَصْفُ بِالقَيُّومِ ذُو شَأْنٍ كَذَا مَوْصُوفُهُ أَيْضًا عَظِيمُ الشَّانِ
وَالحَيُّ يَتْلُوهُ فَأَوْصَافُ الكَمَا لِ هُمَا لِأُفْقِ سَمَائِهَا قُطْبَانِ
فَالحَيُّ وَالقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الْـ أَوْصَافُ أَصْلًا عَنهُمَا بِبَيَانِ
هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ هُوَ رَافِعٌ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ
وَهُوَ المُعِزُّ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا عِزٌّ حَقِيقِيٌّ بِلَا بُطْلَانِ

وَهْوَ المُذِلُّ لمنْ يَشاءُ بذِلَّـةِ الـدَّارَيْــنِ ذُلَّ شَقَا وَذُلَّ هَوَانِ
هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ وَالْمَنعُ عَيْنُ العَدْلِ للمَنَّـانِ
وَهمَا صفَاتُ الذَّاتِ أيْضًا إذْ هُمَا بالذَّاتِ لَا بالغَيْرِ قَائِمَتَـانِ
وَلِذَاكَ قَدْ غَلِطَ المقَسِّمُ حِينَ ظَـنَّ صِفَاتِه نَوْعَانِ مخْتلفَانِ
إنْ لَمْ يُرِدْ هَذَا وَلَكِنْ قَدْ أَرَا دَ قِيامَهَا بِالفِعْلِ ذِي الإمْكَانِ
والفِعْلُ والمفْعُولُ شَيءٌ وَاحِدٌ عِنْدَ المُقَسِّمِ ما هُمَا شَيْئَانِ
فَلِذَاكَ وصْفُ الفِعْلِ لَيْسَ لَدْيـهِ إلَّا نِسْبَــةٌ عَدَمِيَّــةٌ بِبَيَــانِ
فَجَمِيعُ أسْمَاء الفِعَال لَدَيْهِ لَيْــسَتْ قَطُّ ثابتَة ذَوَاتِ مَعَانِ
مَوْجُودَةٌ لَكِنْ أُمُورٌ كُلُّهَـا نِسَبٌ تُرَى عَدَمِيَّةَ الوِجْدَانِ
هَذَا هُوَ التَّعْطِيلُ للأفْعَـالِ كَالتَّـعْطِيـلِ لـلأَوْصَافِ بالميـزَانِ
فالحقُّ أنَّ الوَصْفَ لَيْسَ بِمَـوردِ التَّـقْسِيمِ هَذَا مُقْتَضَى البُرْهَانِ
بَلْ مَورِدُ التَّقْسِيمِ مَا قَدْ قَـامَ بالـذَّاتِ التِـي لِلْوَاحِدِ الرَّحْمَٰنِ
فَهمَا إذًا نَوْعَانِ أَوْصَافٌ وأفْـ ـعَالٌ فَهذِي قِسْمَةُ التِّبْيَـانِ
فَالوَصْفُ بالأفْعَالِ يَسْتدعِي قِيَا مَ الفِعْلِ بالْموصُوفِ بالبُرْهَانِ
كَالوَصْفِ بالمعْنَى سِوَى الأفْعَالِ مَا إنْ بَيْنَ ذَينكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانِ
وَمِنَ العَجَائِبِ أنَّهُمْ رَدُّوا عَلَى مَنْ أثبتَ الأَسْماءَ دُونَ مَعَانِ
قَامتْ بِمَنْ هِيَ وصْفُهُ هَذَا مُحَا لٌ غَيْرُ معْقولٍ لذِي الأذْهَانِ
وأتَوْا إلى الأَوْصَافِ باسْمِ العَقْلِ قَا لُوا لَمْ تَقُمْ بالوَاحِدِ الدَّيَّانِ

فانظُرْ إليهِمْ أبطَلُوا الأصْلَ الَّذي رَدُّوا بِـهِ أقْوالَهُـمْ بـوِزَانِ
إنْ كَانَ هَذَا مُمْكِنًا فكَذَاكَ قَوْ لُ خُصُومِكُمْ أيضًا فَذُو إمْكَانِ
والوَصْفُ بالتَّقْديمِ والتأخيرِ كَوْ نِيٌّ ودِينِيٌّ هُمَا نَوْعَـانِ
وَكِلاهُمَا أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ ونِسْـ بِيٌّ وَلَا يَخْفَى عَلَى الأذْهَانِ
واللهُ قَدَّرَ ذَاكَ أجْمَعَهُ بإحْـ ـكَامٍ وإتقَانٍ مِنَ الرَّحْمَـٰنِ

□ فصـل □

هَذَا وَمِنْ أَسْمَائِهِ مَا لَيْسَ يُفْـ ـرَدُ بلْ يقَالُ إذَا أَتَى بقِرَانِ
وَهيَ التِي تُدْعَى بمزْدَوَجَاتِهَا إفرادُهَا خَطَرٌ عَلَى الإنْسَانِ
إذْ ذَاكَ مُوهِمُ نَوْعِ نَقْصٍ جلَّ رَبُّ العَرْشِ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نقْصَانِ
يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَا ءُ بِحِكْمَةٍ واللهُ ذُو سُلْطَانِ
فَبِهِ اسْتَنَارَ العَرْشُ والكُرْسِيُّ مَعْ سَبْعِ الطِّبَاقِ وَسَائِرِ الأكْوَانِ
وَكِتَابُهُ نُورٌ كَذَلِكَ شَرْعُهُ نُورٌ كَذَا المبْعُوثُ بالفُرْقَانِ
وَكذلِكَ الإيمَانُ فِي قَلبِ الفَتى نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ القُرْآنِ
وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كُشِفَ الحِجَا بُ لأحْرَقَ السُّبُحَاتُ للأكْوَانِ
وَإذَا أَتَى لِلفَصْلِ يُشْرِقُ نُورُهُ فِي الأرْضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الأبْدَانِ
وَكَذَاكَ دَار الرَّبِّ جَنَّاتُ الْعُلَا نُورٌ تلألأَ لَيْسَ ذَا بُطْلَانِ
وَالنُّورُ ذُو نَوعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَصْـ ـفٌ مَا هُمَا واللهِ مُتَّحِدَانِ

وَكَذَلِكَ المخْلُوقُ ذُو نَوْعَيْنِ مَحْـ ـسُوسٌ ومَعْقُولٌ هُمَا شَيْئانِ
احْذَرْ تَزِلَّ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوَّةٌ كَمْ قَدْ هَوَى فِيهَا عَلَى الأَزْمَانِ
مِنْ عَابِدٍ بالجَهْلِ زلَّتْ رِجْلُهُ فَهوى إلَى قَعْرِ الحَضِيضِ الدَّانِي
لَاحَتْ لهُ أنْوارُ آثارِ العِبَا دَةِ ظَنَّهَا الأَنْوَارَ للرَّحْمَٰنِ
فأتَى بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَبَلِيَّةٍ مَا شِئْتَ مِنْ شَطْحٍ وَمِنْ هَذَيَانِ
وَكَذا الحُلُولِيُّ الَّذِي هُوَ خِدْنُهُ مِنْ هَا هُنَا حَقًّا هُمَا أَخَوَانِ
وَيقَابِلُ الرَّجُلَيْنِ ذُو التَّعطِيلِ والْـ ـحُجُبِ الكَثِيفَةِ ما هُما سِيَّانِ
ذَا فِي كَثَافَةِ طَبْعِهِ وظَلَامِهِ وَبظُلْمَةِ التعْطِيلِ هَذَا الثَّانِي
والنُّورُ مَحْجُوبٌ فَلا هَذَا وَلَا هَذَا لَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ يَرَيَانِ

□ فصـــل □

وَهْوَ المقدِّمُ والمؤَخِّرُ ذَانِكَ الصِّفَتَانِ للأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ
كَالمانِعِ المعْطِي وكَالضَّارِ الَّذِي هُوَ نَافِعٌ وكَمَالُهُ الأَمْرَانِ
وَنَظِيرُ هَذَا القَابِضُ المقْرُونُ باسْـ ـمِ البَاسِطِ اللَّفظَانِ مقْتَرِنَانِ
وَكَذَا المعِزُّ مَعَ المذِلِّ وخَافِضٌ مَع رَافِعٍ لَفْظَانِ مُزْدَوَجَانِ
وَحَديثُ إفرادِ اسْمِ مُنْتَقِمٍ فَمَوْ قُوفٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو العِرْفَانِ
مَا جَاءَ فِي القُرْآنِ غَيرَ مقيَّدٍ بالمجْرِمِينَ وَجَا بِذُو نَوْعَانِ

*   *   *

□ فصل □

وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمِنْ أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي البُرْهَانِ
قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ كَلامًا قَدْ حَكَا هُ الدَّارِمِيْ عَنْهُ بِلَا نُكْرَانِ
مَا عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكُونُ وَلَا نَهَا رٌ قُلتُ تَحْتَ الفُلْكِ يُوجَدُ ذَانِ
نُورُ السَّمٰوَاتِ العُلَا مِنْ نُورِهِ والأَرْضِ كَيْفَ النَّجْمُ والقَمَرَانِ
مِنْ نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَلّ جَلَالُه وَكَذَا حَكَاهُ الحَافِظُ الطَّبَرَانِي

□ فصل □

وَدِلَالَةُ الأَسْمَاءِ أَنْوَاعٌ ثَلَا ثٌ كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ بِبَيَانِ
دَلَّتْ مُطَابَقَةً كَذَاكَ تَضَمُّنًا وَكَذَا التِزَامًا وَاضِحَ البُرْهَانِ
أَمَّا مُطَابَقَةُ الدِّلَالَةِ فَهْيَ أَنَّ الإِسْمَ يُفهَمُ مِنْهُ مَفْهُومَانِ
ذَاتُ الإلهِ وَذَلِكَ الوَصْفُ الَّذِي يُشْتَق مِنْهُ الإِسْمُ بالمِيزَانِ
لَكِنْ دِلَالَتُهُ عَلَى إِحْدَاهُمَا بِتَضَمُّنٍ فافهمْهُ فَهْمَ بيَانِ
وَكَذَا دِلَالَتُهُ عَلَى الصِّفَة التي مَا اشْتُقَّ مِنْهَا فَالْتِزَامٌ دَانِ
وَإِذَا أَرَدْتَ لِذَا مِثَالًا بَيِّنًا فمِثَالُ ذَلِكَ لَفْظَةُ الرَّحْمٰنِ
ذَاتُ الإِلٰهُ ورَحْمَةٌ مَدْلُولُهَا فَهُمَا لِهَذَا اللفظِ مَدْلُولانِ
إحدَاهُمَا بَعْضٌ لِذَا الْموضُوعِ فَهْـ ـيَ تَضَمُّنٌ ذَا وَاضِحُ التِّبْيَانِ

لَكِنَّ وَصْفَ الحَيِّ لَازِمُ ذَلِكَ الْـ ـمعْنَى لُزُومَ العِلْمِ لِلرَّحْمٰنِ
فَلِذَا دِلَالَتُهُ عَلَيْهِ بالتِـزَا مِ بَيِّنٍ وَالحَقُّ ذُو تِبْيَانِ

□ فصل □

○ في بيانِ حقيقةِ الإلحادِ في أسماءِ ربِّ العالمينَ ○ وذكرِ انقسامِ الملحدينَ

أَسْمَاؤُهُ أَوْصَافُ مَدْحٍ كُلُّهَا مُشْتَقَّةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لِمعَانِ
إِيَّاكَ والإِلْحَادَ فِيهَا إِنَّهُ كُفْرٌ مَعَاذَ اللهِ مِنْ كُفْرَانِ
وَحَقِيقَةُ الإِلْحَادِ فيهَا المَيْلُ بالـ إِشْرَاكِ والتَّعْطِيلِ والنُّكْرَانِ
فالمُلحِدُونَ إذًا ثَلاثُ طَوَائِفٍ فَعَلَيْهِمُ غَضَبٌ مِنْ الرَّحمَٰنِ
المُشرِكُونَ لأنهُمْ سَمَّوا بِهَا أَوثَانَهُمْ قَالُوا إِلَهٌ ثَانِ
هُمْ شَبَّهُوا المخْلُوقَ بالخَلَّاقِ عَكْـ ـسَ مُشَبِّهِ الخَلَّاقِ بالإِنْسَانِ
وكَذَاكَ أَهْلُ الإِتِّحَادِ فَإِنَّهُمْ إِخوَانُهُمْ مِنْ أَقْربِ الإِخْوَانِ
أَعْطُوا الوُجُودَ جَمِيعَهُ أَسْمَاءَهُ إِذ كَانَ عَينَ اللهَ ذِي السُّلْطَانِ
والمشْرِكُونَ أَقَلُّ شِركًا مِنهُمُ هُمْ خَصَّصُوا ذَا الإِسْمَ بالأَوْثَانِ
وَلِذَاكَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكٍ عِنْدَهُمْ لَوْ عَمَّمُوا مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ
والمُلْحِدُ الثَّانِي فَذُو التَّعطِيلِ إِذْ يَنْفِي حَقَائِقَها بِلَا بُرْهَانِ
مَا ثَمَّ غَيْرُ الإِسْمِ أَوَّله بِمَا يَنْفِي الحَقِيقَةَ نَفْيَ ذِي بُطْلَانِ

فَالقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَعْنَى الحَقِيـ ـقَةِ فَاجْتَهِدْ فِيهِ بِلَفْظِ بَيَانِ
عَطِّلْ وَحرِّفْ ثُمَّ أَوِّلْ وانْفِهَا واقْذِفْ بِتَجْسِيمٍ وبالْكُفْرَانِ
لِلْمُثْبِتِينَ حَقَائِقَ الأَسماءِ والْـ أَوْصَافِ بالأَخْبَارِ والقُـرْآنِ
فإِذَا هُمُ احْتَجُّوا عَلَيْك فقلْ لَهُمْ هَذَا مجازٌ وَهْوَ وضْعٌ ثَانِ
فإِذَا غُلِبْتَ عَلَى المجَازِ فَقُلْ لَهُمْ لَا يُسْتَفَادُ حَقِيقَةُ الإِيقَانِ
أَنَّى وَتِلْكَ أَدِلَّةٌ لَفظِيَّـةٌ عُزِلَتْ عَنِ الإِيقَانِ مُنذُ زَمَانِ
فَإِذَا تَضافَرَتِ الأَدِلَّةُ كَثْرَةً وَغُلِبْتَ عَنْ تَقْرِيرِ ذَا بِبَيَانِ
فَعَلَيْكَ حِينَئِذٍ بِقَانُونٍ وضعْـ ـنَاهُ لِدَفْعِ أَدِلَّةِ القُـرْآنِ
وَلِكُلِّ نَصٍّ لَيْسَ يُقْبَلُ أَنْ يُؤَوَّلَ بِالمجَازِ وَلَا بِمَعْنًى ثَانِ
قُلْ عَارَضَ المنْقُولَ مَعْقُولٌ وَمَا الـ أَمْرَانِ عِنْدَ العَقْلِ يَتَّفِقَانِ
مَا ثَمَّ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ أَرْبعٍ مُتَقَابِلَاتٍ كُلهَا بِـوِزَانِ
إِعْمَالُ ذَيْنِ وَعكْسُهُ أَوْ تُلْغِي الـ ـمَعْقُولَ مَا هَذَا بِذِي إِمْكَانِ
العَقْلُ أَصْلُ النَّقْلِ وَهْوَ أَبوهُ إِنْ تُبْطِلْهُ يَبْطُلْ فَرْعُهُ التَّحْتَانِي
فَتَعَيَّنَ الإِعْمَالُ للمعْقُولِ والْـ إِلْغَـاءُ لِلمنْقُـولِ بالبُرْهَـانِ
إِعْمَالُهُ يُفْضِي إِلَـى إِلغَائِـهِ فاهْجُرْهُ هَجْرَ التَّرْكِ والنِّسْيَانِ
وَاللهِ لَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ إِنَّنَا وَهُمُ لَدَى الرَّحْمَـٰنِ مُخْتَصمَانِ
وَهُنَاكَ يُجْزَى المُلْحِدُونَ وَمَنْ نَفَى الْـ إِلْحَادَ يُجْزَى ثُـمَّ بالغُفْرَانِ
فاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّما هِيَ سَاعَةٌ يَا مُثْبِتَ الأَوْصَافِ لِلرَّحْمَـٰنِ

فَلَسَوْفَ تَجْني أجْرَ صَبْرِكَ حِينَ يَجْـ ـنِي الغَيْرُ وِزرَ الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ
فالله سَائِلُنَا وَسَائِلُهُمْ عَنِ الـ إِثْبَاتِ والتَّعْطِيلِ بَعْدَ زَمَانِ
فَأَعِدَّ حِينَئِذٍ جَوَابًا كَافِيًا عِنْدَ السُّؤَالِ يَكُونُ ذَا تِبْيَانِ
هَذَا وثَالِثُهـمْ فَنَافِيهَا وَنَـا فِي مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ بالبُهْتَانِ
ذَا جَاحِدُ الرَّحْمنِ رَأْسًا لَمْ يُقِـرَّ بِخَالِقٍ أَبَدًا وَلَا رَحْمنِ
هَذَا هُوَ الإِلْحَادُ فَاحْذَرْهُ لَعَلَّ اللهَ أن يُنْجِيكَ مِنْ نِيرانِ
وَتَفُوزَ بالزُّلْفَي لَديهِ وَجَنَّةِ الْـ ـمأْوَى مَعَ الغُفْرَانِ والرِّضْوَانِ
لَا تُوحِشَنَّكَ غُرْبَةٌ بَيْنَ الوَرَى فَالنَّاسُ كَالأمواتِ فِي الحُسْبَانِ
أَوَ مَا عَلِمْتَ بأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ الْـ ـغُرَبَاءُ حَقًّا عِنْدَ كُلِّ زَمَانِ
قُلْ لِي مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ عَلَى الإِحْسَانِ
مِنْ جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ وَمُحَارِبٍ بِالبَغْيِ والطُّغْيَانِ
وَتَظُنُّ أَنَّكَ وَارِثٌ لَهُمُ وَمَا ذُقْتَ الأَذَى فِي نُصْرَةِ الرَّحْمنِ
كَلَّا وَلَا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ فِي اللهِ لَا بِيَدٍ وَلَا بِلسَانِ
مَنَّتْكَ وَاللهِ المحَالَ النفسُ فَاسْـ ـتَحدِثْ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالحُسْبَانِ
لَوْ كُنْتَ وَارِثَهُ لآذاكَ الأُلَى وَرِثُوا عِدَاهُ بِسَائِرِ الأَلْوَانِ

* * *

□ فصــلٌ □

○ في النَّوعِ الثَّانِي مِنْ نوعي توحيدِ الأنبياءِ ○ والمرسلينَ المخالِفِ لتوحيدِ المعطلينَ والمشركينَ

هَذا وَثَانِي نَوعَيِ التَّوحِيد تَوْ حِيدُ العِبادَةِ مِنْكَ لِلرَّحمٰنِ
أَلَّا تَكُونَ لِغَيْرِهِ عَبْدًا وَلَا تَعْبُدْ بِغَيْرِ شَرِيعَةِ الإِيمَانِ
فَتَقُومَ بالإِسْلَامِ والإيمَانِ وَالْـ إِحْسَانِ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ
وَالصدْقُ والإِخْلَاصُ رُكْنَا ذَلِكَ التَّـ ـوحِيدِ كالرُّكْنَيْنِ للبُنْيَانِ
وَحَقِيقَةُ الإخْلَاصِ تَوْحِيدُ المُرا دِ فَلَا يُزَاحِمهُ مُرَادٌ ثَانِ
لَكِنْ مُرادُ العَبْدِ يَبْقَى وَاحِدًا مَا فِيهِ تفْرِيقٌ لَدَى الإِنْسَانِ
إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا سُبْحَانَهُ فَاخْصُصْهُ بالتَّوْحِيدِ مَعْ إِحسَانِ
أَوْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا أنشَاكَ لَمْ يُشْرِكْهُ إِذْ أَنْشَاكَ رَبٌّ ثَانِ
فَكَذَاكَ أَيْضًا وَحْدَهُ فاعْبُدْهُ لَا تعْبُدْ سِوَاهُ يَا أَخَا العِرْفَانِ
وَالصِّدْقُ تَوْحِيدُ الإِرَادَةِ وَهْوَ بَذْ لُ الجَهْدِ لَا كَسَلًا وَلَا مُتَوانِ
وَالسّنَّةُ المثْلَى لِسَالِكِهَا فَتَوْ حِيدُ الطَّرِيقِ الأَعْظَمِ السُّلْطَانِي
فَلِواحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَعْنِي سَبِيلَ الحَقِّ وَالإِيمَانِ
هَذِي ثَلاثٌ مُسْعِدَاتٌ لِلَّذِي قَدْ نَالَهَا وَالفضْلُ لِلمَنَّانِ
فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ لِنفسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ العَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ

لله قَلْبٌ شَامَ هَاتِيكَ البُرُو ... قَ مِنَ الخِيَامِ فَهَمَّ بالطَّيَرانِ
لَوْلَا التَّعَلُّل بِالرجَاءِ تَصَدَّعَتْ ... أَعْشَارُهُ كَتَصَدُّعِ البُنْيَانِ
وَتَراهُ يَبْسُطُهُ الرَّجَاءُ فَيَنْثَنِي ... مُتَمَايِلًا كَتَمَايُلِ النَّشْوَانِ
وَيَعُودُ يَقْبِضُهُ الإِيَاسُ لِكَوْنِهِ ... مُتَخَلِّفًا عَنْ رُفْقَةِ الإِحْسَانِ
فَتَراهُ بَيْنَ القَبْضِ والبَسْطِ اللَّذَيْـ ... ـنِ هُمَا لِأُفْقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ
وَبَدَا لَهُ سَعْدُ السُّعُودِ فَصَارَ مَسْـ ... ـرَاهُ عَلَيْهِ لَا عَلَى الدَّبْرَانِ
لله ذَيَّاكَ الفَرِيقُ فَإِنَّهُمْ ... خُصُّوا بِخَالِصَةٍ مِنَ الرحْمٰنِ
شُدَّتْ رَكَائِبُهُمْ إِلَى مَعْبُودِهِمْ ... وَرَسُولِه يَا خَيْبَةَ الكَسْلَانِ

□ فصــلٌ □

وَالشِّرْكَ فَاحْذَرْهُ فَشِرْكٌ ظَاهِرٌ ... ذَا القِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الغُفْرَانِ
وَهْوَ اتِّخَاذُ النِّدِّ لِلرَّحْمٰنِ أيًّا ... كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانِ
يَدْعُوهُ أَوْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ ... وَيُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدَّيَّانِ
وَاللهِ مَا سَاوُوهُمُ بِاللهِ فِي ... خَلْقٍ وَلَا رِزْقٍ وَلَا إِحْسَانِ
فَاللهُ عِنْدَهُمُ هُوَ الخَلَّاقُ والرَّازِّقُ ... مُولي الفَضْلِ والإِحْسَانِ
لَكِنَّهُمْ سَاوَوْهُمُ باللهِ فِي ... حُبٍّ وَتَعْظِيمٍ وَفِي إِيمَانِ
جَعَلُوا مَحَبَّتَهُمْ مَعَ الرَّحْمٰنِ مَا ... جَعَلُوا المحَبَّةَ قَطُّ لِلرَّحْمٰنِ
لَوْ كَانَ حُبُّهُمُ لأَجْلِ اللهِ مَا ... عَادَوا أَحِبَّتَهُ عَلَى الإِيمَانِ

وَلَمَا أَحَبُّوا سُخْطَهُ وَتَجَنَّبُوا مَحْبُوبَـهُ وَمَواقِـعَ الـرِّضْوَانِ
شَرْطُ المَحَبَّةِ أَنْ تُوافِـقَ مَـنْ تُحِـبُّ عَلَـى مَحَبَّتِهِ بِلَا عِصْيَانِ
فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ المَحبَّةَ مَعْ خِلَا فِكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ
أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الحَبِيبِ وَتَدَّعِي حُبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ
وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ أَيْنَ المَحبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ
لَيْسَ العِبَادَةُ غَيْرَ تَـوْحِيـدِ المحَـبَّةِ مَعْ خُضُوعِ القَلْبِ والأَرْكَانِ
والحُبُّ نَفْسُ وِفَاقِـهِ فِيمَـا يُحِـبُّ وَبُغْضُ مَا لَا يَرْتَضِي بِجَنَانِ
وَوِفَاقُهُ نَفْسُ اتِّبَاعِكَ أَمْـرَهُ وَالقَصْدُ وَجْهُ اللهِ ذِي الإِحْسَانِ
هَذَا هُوَ الإِحْسَانُ شَرْطٌ فِي قَبُو لِ السَّعْي فَافْهَمْهُ مِنَ القُرْآنِ
وَالإِتِّبَاعُ بِدُونِ شَرْعِ رَسُولِهِ عَيْنُ المحَالِ وأبطَلُ البُطْلَانِ
فَإِذَا نَبذْتَ كِتَابَهُ وَرَسُولَـهُ وتَبِعْتَ أَمْرَ النَّفْسِ والشَّيْطَانِ
وَتَخِذْتَ أَنْـدادًا تُحِبُّهُـمُ كَحُـبِّ اللهِ كُنْتَ مُجَانِبَ الإِيمَانِ
ولَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ يَدَّعِي الـ إِسْلَامَ شِرْكًا ظَاهِرَ التِّبْيَـانِ
جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَالَـوْهُمْ وَسَوَّوهُـمْ بِهِ فِي الحُبِّ لَا السُّلْطَانِ
واللهِ مَا سَاوَوهُمُ باللهِ بَلْ زَادُوا لَهُمْ حُبًّا بِلَا كِتْمَانِ
واللهِ مَا غَضِبُوا إِذَا انْتُهِكَتْ مَحَا رِمُ رَبِّهِمْ فِي السِّرِّ والإِعْلَانِ
حَتَّى إِذَا مَا قِيلَ فِي الوَثَنِ الَّذِي يَدْعُونَهُ مَا فِيهِ مِنْ نقْصَانِ
فَأَجَارَكَ الرَّحمٰنُ مِنْ غَضَبٍ وَمِنْ حَرْبٍ وَمِنْ شَتْمٍ وَمِنْ عُدْوَانِ

وَأَجَارَكَ الرَّحمْنُ مِنْ ضَرْبٍ وتَعْـ ـزِيرٍ وَمِنْ سَبٍّ ومِنْ تَسْجَانِ
وَاللهِ لَوْ عَطَّلْتَ كُلَّ صِفَاتِهِ مَا قَابَلُوكَ بِبَعْضِ ذَا العُدْوَانِ
وَاللهِ لَوْ خَالَفْتَ نَصَّ رَسُولِهِ نَصًّا صَرِيحًا وَاضِحَ التِّبيَانِ
وَتبعْتَ قَوْلَ شُيُوخِهِمْ أَوْ غَيرِهِمْ كُنْتَ المحَقِّقَ صَاحِبَ العِرْفَانِ
حَتَّى إِذَا خَالَفْتَ آراءَ الرِّجَا لِ لِسُنَّةِ المبْعُوثِ بالقُـرْآنِ
نَادَوْا عَلَيْكَ بِبِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ قَالُوا وَفِي تَكْفِيرِهِ قَـوْلَانِ
قالُوا تَنَقَّصْتَ الكِبَارَ وَسَائِرَ الـ ـعُلَمَاءِ بَلْ جَاهَرْتَ بِالبُهتَانِ
هَذَا وَلَمْ تَسلُبْهُمُ حَقًّا لَهُمْ لِيَكُونَ ذَا كَذِبٍ وَذَا عُدْوَانِ
وَإِذَا سَلَبْتَ صِفَاتِهِ وَعُلُـوَّهُ وَكَلَامَهُ جَهْرًا بِلَا كِتْمَـانِ
لَمْ يَغْضَبُوا بَلْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عيْنَ الصَّوابِ وَمُقْتَضَى الإِحْسَانِ
والأمرُ واللهِ العَظِيمِ يَزِيدُ فَوْ قَ الوَصْفِ لَا يَخْفَى عَلَى العُمْيَانِ
وإذا ذَكَرْتَ الله تَوْحِيدًا رَأَيْـ ـتَ وُجُوهَهُمْ مَكْسُوفَةَ الأَلْوَانِ
بَلْ يَنْظُرونَ إِليكَ شَزْرًا مِثْلَ مَا نَظَرَ التُّيوسُ إِلَى عَصَا الجوبَانِ
وَإِذَا ذَكَرْتَ بِمدْحَةٍ شُرَكَاءَهُمْ يَتَبَـاشَرونَ تَبَـاشُرَ الفَرْحَـانِ
واللهِ مَا شَمُّوا رَوَائِحَ دِينِهِ يَا زَكْمَةً أَعْيَتْ طَبِيبَ زَمَانِ

* * *

□ فصل □

○ في صَفِّ العسكرينِ وتقابلِ الصفينِ واستدارةِ ○ رحى الحرب العوانِ وتصاولِ الأقرانِ

يَا مَنْ يُشِبُّ الحرْبَ جَهْلًا مَا لَكُمْ   بِقِتَالِ حِزْبِ اللهِ قَطُّ يَدَانِ
أَنَّى تَقُومُ جُنُودُكُمْ لِجُنُودِهِمْ   وَهُمُ الهُدَاةُ ونَاصِرُو الرحْمٰنِ
وجُنُودُكُمْ مَا بَيْنَ كَذَّابٍ وَدَجَّالٍ   وَمُحْتَالٍ وَذِي بُهْتَانِ
مِنْ كُلِّ أرْعَنَ يَدَّعِي المعْقُولَ وَهْـ   ـوَ مُجَانِبٌ لِلعَقْلِ والإِيمَانِ
أَوْ كُلِّ مُبْتَدعٍ وَجَهْمِيٍّ غَدَا   فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنَ القُرْآنِ
أَوْ كُلِّ مَنْ قَدْ دَانَ دِينَ شُيُوخِ أَهْـ   ـلِ الإِعْتِزَالِ البَيِّنَ البُطْلَانِ
أَوْ قَائِلٍ بالإِتِّحَادِ وَإِنَّهُ   عَيْنُ الإِلَهِ وَمَا هُنَا شَيْئَانِ
أَوْ مَنْ غَدَا فِي دِينِهِ مُتَحَيِّرًا   أَتْبَاعَ كُلِّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ
وَجُنُودُهُمْ جِبْرِيلُ مَعْ مِيكَالَ مَعْ   بَاقِي الملائِكِ نَاصِرِي القُرآنِ
وَجميعُ رُسْلِ اللهِ مِنْ نُوحٍ إِلَى   خَيرِ الوَرَى المبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ
فَالقلْبُ خمستُهُمْ أُولو العَزْمِ الأُولَى   فِي سُورةِ الشُّورَى أَتَوا بِبَيَانِ
فِي أولِ الأَحْزَابِ أيضًا ذِكرهُمْ   هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ مِنْ إنسَانِ
وَلَوَاؤُهُمْ بِيَدِ الرَّسُولِ عِصَابَةُ الْـ   إِسْلَامِ أَهلُ العِلْمِ والإِيمَانِ
والتَّابِعُونَ لَهُمْ بإِحْسَانٍ عَلَى   طَبَقَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ

أَهْلُ الحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ وأئِمةُ الْـ ـفَتْوَى وَأهْلُ حَقَائِقِ العِرْفَانِ
العَارِفُـونَ بِربِّهِـمْ ونَبِيِّهِـمْ وَمَراتِبِ الأعْمَالِ فِي الرُّجْحَان
صُوفِيّـةٌ سُنِّيَّـةٌ نَبَوِيّـةٌ لَيْسُوا أُولِي شَطْحٍ وَلَا هَذَيَانِ
هَذَا كَلَامُهُمُ لَدَيْنَا حَاضِرٌ مِنْ غَيْرِ مَا كَذِبٍ وَلَا كِتْمانِ
فَاقْبَلْ حِوَالَةَ مَنْ أَحَالَ عَلَيْهِمُ هُمْ أَمْلِيَاؤُهُمُ أُولُو إمْكَـانِ
فَإذَا بَعَثْنَا غَارَةً مِنْ أُخْرَيَا تِ العَسْكَرِ المَنْصُورِ بالقُرْآنِ
طَحَنَتْكُمُ طَحْنَ الرَّحَى لِلْحَبِّ حَتَّـى صِرْتُمُ كَالبَعْرِ فِي القِيعانِ
أَنَّى يُقَاوِمُ ذِي العَسَاكِرَ طَمْطَمٌ أَوْ تَنْكَلُوشَا أَوْ أَخو اليُونَانِ
أَعْنِي أرِسْطُو عَابِدَ الأوثَانِ أَوْ ذَاكَ الكَفُورَ مُعَلِّمَ الْألحَانِ
ذَاكَ المعَلِّمَ أولًا لِلْحَـرْفِ والثَّـانِي لِصَوْتٍ بِئسَتِ العِلْمَانِ
هَذَا أَسَاسُ الفِسْقِ والحَرْفُ الَّذِي وَضَعُوا أَسَاسُ الكُفْرِ والهَذَيانِ
أَوْ ذَلِكَ المخْدُوعَ حَامِلَ رَايةِ الْـ إِلْحَادِ ذَاكَ خَلِيفَةُ الشَّيْطَانِ
أَعْنِي ابْنَ سِينَا ذَلِكَ المَحْلُولَ مِنْ أَدْيَانِ أَهْلِ الأرْضِ ذَا الكُفْرَانِ
وَكَذَا نَصِيرَ الشِّرْكِ فِي أتبَاعِهِ أَعْدَاءِ رُسْلِ اللهِ والإيمَـانِ
نَصَرُوا الضَّلَالَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ وَغَزَوا جُيُوشَ الدِّينِ وَالإِيمَانِ
فَجَرى عَلَى الإِسْلَامِ مِنْهُمْ مِحْنَةٌ لَمْ تَجْرِ قَطُّ بِسَالِفِ الأَزْمَانِ
أَوْ جَعْدٌ اوْجَهْمٌ وأَتْبَاعٌ لَهُ هُمْ أُمَّةُ التعْطِيل والبُهْتَـانِ
أَوْ حفْصُ أو بِشْرٌ أو النَّظَّامُ ذَا كَ مُقَدَّمُ الفُسَّاقِ والمجَّـانِ

والجَعْفَرَانِ كَذَاكَ شَيْطَانٌ وَيُدْ عَى الطَّاقَ لَا حُيِّيتَ مِنْ شَيْطَانِ
وكذلِكَ الشَّحَّامُ والعَلَّافُ والنَّـــجَّارُ أَهْلُ الجَهْلِ بِالقُــرْآنِ
واللهِ مَا فِي القَوْمِ شَخْصٌ رَافِعٌ بِالوَحْيِ رَأْسًا بَلْ بِرَأْيِ فُلَانِ
وَخيَارُ عَسْكَرِكُمْ فَـذَاكَ الأَشْعَــرِيُّ القَرْمُ ذَاكَ مُقَدَّمُ الفُرْسَانِ
لَكِنَّكُمْ واللهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى إِثْبَاتِـهِ والحَـقُّ ذُوْ بُرْهَــانِ
هُوَ قَالَ إِنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ وَاسْــــتَوْلَى مَقَالَةَ كُلِّ ذِي بُهْتَانِ
فِي كُتْبِهِ طُرًّا وَقَرَّرَ قَوْلَ ذِي الْـ إِثْبَاتِ تَقْرِيرًا عَظِيمَ الشَّان
لكِنَّكُـمْ أَكْفَرْتُمُـوهُ وَقُلْتُــمُ مَنْ قَالَ هَذَا فَهْوَ ذُوْ كُفْرَانِ
فَخِيَارُ عَسْكَرِكمْ فَأَنْتُمْ مِنْهُمُ بُرَآءُ إِذْ قَرِبُوا مِنَ الإِيمَانِ
هَذِي العَسَاكِرِ قَدْ تَلاقَتْ جَهْرَةً وَدَنَا القِتَالُ وَصِيحَ بالأَقْرَانِ
صُفُّوا الجُيُوشَ وَعبِّئُوهَا وابرُزُوا لِلْحَرْبِ واقْترِبُوا مِنَ الفُرْسَانِ
فَهُمُ إِلَى لُقْيَاكُمُ بِالشَّوْقِ كَيْ يُوفُوا بِنَذْرِهِمُ مِنَ القُرْبَـانِ
وَلَهُمْ إِلَيْكُمْ شَوْقُ ذِي قَرَم فَمَا يَشْفِيهِ غَيْرُ مَوَائِدِ اللُّحْمَانِ
تَبًّا لَكُمْ لَوْ تَعْقِلُونَ لَكُنْتُمُ خَلْفَ الخُدُورِ كَأَضْعَفِ النِّسْوَانِ
مِنْ أَينَ أَنتم وَالحَدِيثُ وَأَهْلُهُ والوَحْيُ والمَعْقُولُ بِالبُرْهَــانِ
مَا عِنْدَكُم إِلَّا الدَّعَاوَى والشَّكَا وَى أَوْ شَهَادَاتٌ عَلَى البُهتَانِ
هَذَا الذِي واللهِ نِلْنَا مِنْكُمُ فِي الحَرْبِ إِذْ يتقَابَلُ الصَّفَّانِ
وَاللهِ مَا جِئْتُم بِقَالَ اللهُ أَوْ قَالَ الرَّسولُ ونَحنُ فِي المَيْدَانِ

إلا بِجَعْجَعَةٍ وَفَرْقَعَةٍ وَغَمْـ ـغَمَةٍ وَقَعْقَعَةٍ بِكُـلِّ لِسَانِ
وَيَحِقُّ ذَاكَ لَكُمْ وأَنْتُمْ أَهْلُهُ أَنْتُمْ بِحَاصِلِكُمْ أولُو عِرْفَانِ
وَبِحَقِّكُمْ تَحْمُوا مَنَاصِبَكُمْ وأنْ تَحْمُوا مَآكِلَكُمْ بِكُلِّ سِنَانِ
وَبِحَقِّنَا نَحْمِي الهُدَى وَنذُبُّ عَنْ سُنَنِ الرَّسُولِ وَمُقْتَضَى القُرْآنِ
قَبحَ الإِلَهُ مَنَاصِبًا ومـآكِلًا قَامَتْ عَلَى العُدْوانِ والطُّغْيَانِ
واللهِ لَوْ جِئْتُمْ بِقَالَ اللهُ أَوْ قَالَ الرَّسُولُ كَفِعْلِ ذِي الإِيمَانِ
كُنَا لَكُمْ شَاوِيشَ تَعْظِيمٍ وإجْـ ـلَالٍ كَشَاوِيشٍ لِذِي سُلْطَانِ
لَكِنْ هَجَرْتُمْ ذَا وَجِئْتُمْ بِدْعَةً وأَرَدْتُـمُ التَّعْظِيـمَ بالبُهْتَـانِ

□ فصـل □

العِلْمُ قَالَ اللهُ قَـالَ رَسُولُـهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أولُو العِرْفَانِ
مَا العِلْمُ نَصْبُكَ لِلخِلَافِ سَفَاهَةً بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ
كَلَّا وَلَا جَحْدُ الصِّفَاتِ لِربِّنَا فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ وَالسُّبْحَانِ
كَلَّا وَلَا نَفْيُ العُلوِّ لِفَاطِرِ الْـ أَكْوَانِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ
كَلَّا وَلَا عَزْلُ النُّصُوص وأنَّهَا لَيْسَتْ تُفِيدُ حَقَائِقَ الإِيمَانِ
إِذْ لَا تُفِيدُكُمُ يَقِينًا لَا وَلَا عِلْمًا فَقَدْ عُزِلَتْ عَنِ الإِيقَانِ
وَالعِلْمُ عِنْدَكُمُ يُنَالُ بِغَيْرِهَـا بِزِبَالَـةِ الأَفْكَـارِ والأَذْهَـانِ
سَمَّيْتُمُـوهُ قَوَاطِعًـا عَقْلِيَّـةً تَنْفِي الظَّوَاهِرَ حَامِلَاتِ مَعَانِ

كَلَّا وَلَا إِحْصَاءُ آراءِ الرِّجا ... لِ وَضَبْطُهَا بِالحَصْرِ والحُسْبَانِ
كَلَّا وَلَا التَّأْوِيلُ وَالتَّبْدِيلُ والتَّـحْرِيفُ لِلْوَحْيَيْنِ بالبُهْتَانِ
كَلَّا وَلَا الإِشْكَالُ والتشْكِيكُ والـ ... ـوَقْفُ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ
هَذِي عُلُومُكُمُ التي مِنْ أَجْلِهَا ... عَادَيْتُمُونَا يَا أُولِي العِرْفَانِ

▢ فصل ▢

○ في عقدِ الهدنةِ والأمانِ الواقعِ بينَ المعطلةِ ○ وأهلِ الإلحادِ حزبِ جنكسخانَ

يَا قَوْمُ صَالَحْتُمْ نُفَاةَ الذَّاتِ وَالْـ ... أَوْصَافِ صُلْحًا مُوجِبًا لِأَمَانِ
وَأَغرتُمُ وَهْنًا عَلَيْهِمْ غَارَةً ... قَعْقَعْتُمُ فِيهَا لَهُمْ بِشنَانِ
مَا كَانَ فِيهَا مِنْ قَتِيلٍ مِنْهُمُ ... كَلَّا وَلَا فِيهَا أَسِيرٌ عَانِ
وَلَطَفْتُمُ فِي القَوْلِ أَوْ صَانَعْتُمُ ... وَأَتيْتُمُ فِي بَحْثِكُمْ بِدِهَانِ
وَجَلَسْتُمُ مَعَهُمْ مَجَالِسَكُمْ مَعَ الْـ ... أُسْتَاذِ بِالآدَابِ والمِيزَانِ
وَضَرَعْتُمُ لِلْقَوْمِ كُلَّ ضَرَاعَةٍ ... حَتَّى أَعَارُوكُمْ سِلَاحَ الجَانِي
فَغَزَوْتُمُ بِسِلَاحِهِمْ لِعَسَاكِرِ الْـ ... إِثْبَاتِ والآثَارِ والقُرْآنِ
وَلِأَجْلِ ذَا صَانَعْتُمُوهُمْ عِنْدَ حَرْ ... بِكُمُ لَهُمْ بِاللُّطْفِ والإِذْعَانِ
وَلِأَجْلِ ذَا كُنْتُمْ مَخَانِيثًا لَهُمْ ... لَمْ تَنْفَتِحْ مِنْكُمْ لَهُمْ عَيْنَانِ

حَذرًا مِنَ اسْتِرْجَاعِهِمْ لِسِلَاحِهِمْ فَتُرَوْنَ بَعْدَ السَّلْبِ كَالنِّسْوَانِ
وَبَحثْتُمُ مَع صَاحِبِ الإِثْبَاتِ بالتَّكْفِيرِ والتَّضْلِيلِ والعُدْوَانِ
وَقَلَبْتُمُ ظَهْرَ المِجَنِّ لَهُ وأَجْـ ـلَبْتُمْ عَلَيْهِ بِعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
واللهِ هَذِي رِيبَةٌ لَا يَخْتَفِي مَضْمُونُهَا إِلَّا عَلَى الثِّيرَانِ
هَذَا وَبيْنَهُمَا أَشَدُّ تَفَاوُتٍ فِئَتَانِ فِي الرَّحْمَٰنِ يَخْتَصِمَانِ
هَذَا نَفَى ذَاتَ الإِلٰهِ وَوَصْفَهُ نَفْيًا صَرِيحًا لَيْسَ بِالكِتْمَانِ
لَكِنْ إذا وَصَفَ الإِلَهَ بكلِّ أَوْ صَافِ الكَمَالِ المُطْلَقِ الرَّبَّانِي
وَنَفَى النَّقَائِصَ وَالعُيُوبَ كَنَفْيِهِ التَّشْبِيهَ للرَّحْمَٰنِ بالإِنْسَانِ
فَلِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ حَرْبُكُمُ لَهُ بِالحَدِّ دُونَ مُعَطِّلِ الرحْمَٰنِ
قُلْنَا نَعَمْ هَذَا المجسِّمُ كَافِرٌ أَفكَانَ ذَلِكَ كَامِلَ الإِيمَانِ
لَا تَنْطَفِي نِيرَانُ غَيْظِكُمُ عَلَى هَذَا المَجسِّمِ يا أُولِي النِّيرانِ
فاللهُ يُوقِدُهَا وَيُصْلِي حَرَّهَا يَوْمَ الحِسَابِ مُحَرِّفَ القُرْآنِ
يَا قَوْمَنَا لَقَدِ ارْتَكَبْتُمْ خُطَّةً لَمْ يَرْتَكِبْهَا قَطُّ ذُو عِرْفَانِ
وَأَعَنْتُمُ أَعْدَاءَكُمْ بِوِفَاقِكُمْ لَهُمُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ البُطْلَانِ
أَخَذُوا نَواصِيَكُمْ بِهَا وَلِحَاكُمُ فَغَدَتْ تُجَرُّ بِذِلَّةٍ وَهَوَانِ
قُلْتُمْ بِقَوْلِهِمُ وَرُمْتُمْ كَسْرَهُمْ أَنَّى وَقَدْ غَلَقُوا لَكُمْ بِرهَانِ
وَكَسَرْتُمُ البَابَ الَّذِي مِنْ خَلْفِهِ أَعْدَاءُ رُسْلِ اللهِ والإِيمَانِ
فَأَتَى عَدُوٌّ مَا لَكُمْ بِقِتَالِهِمْ وَبحَرْبِهِمْ أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ

فَغَدَوْتُمُ أسْرَى لَهُمْ بِحِبَالِهِمْ أيدِيكُمُ شُدَّتْ إلَى الأذْقَانِ
حَمَلُوا عَلَيْكُمْ كَالسِّبَاعِ اسْتَقْبَلَتْ حُمُرًا مُعَقَّرَةً ذَوِي أرْسَانِ
صَالُوا عَلَيْكُمْ بالَّذِي صُلْتُمْ بِهِ أنْتُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةَ الفُرْسَان
لَوْلَا تَحَيُّزُكُمْ إلَيْنَا كُنْتُمُ وَسْطَ العَرِينِ مُمَزَّقِي اللُّحْمَانِ
لَكِنْ بِنَا اسْتَنْصَرْتُمُ وَبِقَوْلِنَا صُلْتُمْ عَلَيْهِمْ صَوْلَةَ الشُّجْعَانِ
وَالَيْتُمُ الإثْبَات إذْ صُلْتُمْ بِهِ وَعَزَلْتُمُ التَّعْطِيلَ عَزْلَ مُهَانِ
وَأتَيْتُمُ تَغْزُونَنَا بِسَرِيَّةٍ مِنْ عَسْكَرِ التَّعْطِيلِ والكُفْرَانِ
مَنْ ذَا بِحَقِّ اللهِ أجْهَلُ مِنْكُمُ وأحَقُّنَا بِالجَهْلِ والعُدْوَانِ
تَاللهِ مَا يَدْرِي الفَتَى بِمُصَابِهِ وَالقَلْبُ تَحْتَ الخَتْمِ والخُذْلَانِ

□ فصل □

○ في مصارعِ النفاةِ والمعطلينَ بأسنةِ أمراءِ الإثباتِ الموحدينَ ○

وَإذَا أرَدْتَ تَرَى مَصَارِعَ مَنْ خَلَا مِنْ أُمَّةِ التَّعْطِيلِ والكُفْرَانِ
وَتَراهُمُ أسْرَى حَقِيرٌ شَأْنُهُمْ أيْدِيهُمُ غُلَّتْ إلَى الأذْقَانِ
وَتَرَاهُمُ تَحْتَ الرِّمَاحِ دَرِيئَةً مَا فِيهِمُ مِنْ فَارِسٍ طَعَّانِ
وَتَراهُمُ تَحْتَ السُّيُوفِ تَنُوشُهُمْ مِنْ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَعَنْ أيْمَانِ
وَتَرَاهُمُ انْسَلَخُوا مِنَ الوَحْيَيْنِ والْـ ـعَقْلِ الصَّحِيحِ وَمُقْتَضَى القُرْآنِ

وَتَرَاهُمُ واللهِ ضُحْكَةَ سَاخِرٍ وَلَطَالَمَا سَخِرُوا مِنَ الإِيمَانِ
قَدْ أوحِشَتْ مِنْهُمْ رُبُوعٌ زَادَهَا الْـ ـجَبَّارُ إيحَاشًا مِنَ الأَزْمَانِ
وَخلَتْ دِيَارُهُمُ وَشُتِّتَ شَمْلُهُمْ مَا فِيهِمُ رَجُلَانِ مُجْتَمِعَانِ
قَدْ عَطَّلَ الرَّحْمـٰنُ أَفْئِدَةً لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إيمَانِ
إذْ عَطَّلُوا الرَّحْمـٰنَ مِنْ أَوْصَافِهِ والعَرْشَ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمـٰنِ
بَلْ عَطَّلُوهُ عَنِ الكَلَامِ وَعَنْ صِفَا تِ كَمَالِهِ بِالجَهْلِ والبُهْتَانِ
فَاقْرأْ تَصَانِيفَ الإمَامِ حَقِيقَةً شَيْخِ الوُجُودِ العَالِمِ الرَّبَّانِي
أعْنِي أَبَا العَبَّاسِ أَحْمَدَ ذَلِكَ الْـ ـبَحْرَ المحِيطَ بِسَائِرِ الخُلْجَانِ
وَاقرأْ كِتَابَ العَقْلِ والنَّقْلِ الَّذِي مَا فِي الوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِ
وَكَذَاكَ مِنْهَاجٌ لَهُ فِي رَدِّهِ قَوْلَ الرَّوَافِضِ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ
وَكَذَاكَ أَهْلُ الإعْتِزَالِ فإنَّهُ أَرْدَاهُمُ فِي حُفْرَةِ الجَبَّـانِ
وَكَذلِكَ التَّأْسِيسُ أَصْبَحَ نَقْضُهُ أُعْجُوبَـةً لِلْعَالِـمِ الرَّبَّانِـي
وَكَذَاكَ أَجْوِبَةٌ لَهُ مِصْرِيَّـةٌ فِي سِتِّ أَسْفَارٍ كُتِبْنَ سِمَانِ
وَكَذَا جَوَابٌ لِلنَّصَارَى فِيهِ مَا يَشْفِي الصُّدُورَ وإنهُ سِفْرَانِ
وَكَذَاكَ شَرْحُ عَقِيدَةٍ للأَصْبَهَا نِي شَارِحِ المحْصُولِ شَرْحَ بَيَانِ
فِيهَا النُّبُوَّاتُ الَّتِي إِثْبَاتُهَـا فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ والتبْيَـانِ
واللهِ مَا لأُولِي الكَلَامِ نَظِيرُهُ أَبَدًا وَكُتْبِهِمُ بِكُلِّ مَكَـانِ
وَكَذَا حُدُوثُ العَالمِ العُلْـوِيِّ والسُّفْلِـيِّ فِيهِ فِي أَتَمِّ بَيَـانِ

وَكَذَا قَوَاعِدُ الاسْتِقَامَةِ إنَّهَا سِفْرَانِ فِيمَا بَيْنَنَا ضَخْمَانِ
وَقَرأتُ أَكْثَرَهَا عَلَيْهِ فَزَادَنِي وَاللهِ فِي عِلْمٍ وَفِي إيمَانِ
هَذَا وَلَوْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُ قَبْلِي يَمُوتُ لَكَانَ هَذَا الشَّانِ
وَكَذَاكَ تَوْحِيدُ الفَلاسِفَةِ الأُلَى تَوْحِيدُهُمْ هُوَ غَايَةُ الكُفْرانِ
سِفْرٌ لَطِيفٌ فِيهِ نَقْضُ أصُولِهِمْ بِحَقِيقَـةِ المَعْقُـولِ والبُرْهَـانِ
وَكَذَاكَ تِسْعِينِيَّـةٌ فِيهَـا لَـهُ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ بالنفسَانِي
تِسْعُونَ وَجْهًا بَيَّنَتْ بُطْلَانَهُ أَعْنِي كَلَام النَّفْسِ ذَا الوِحْدَانِ
وَكَذَا قَوَاعِدُهُ الكِبَارُ وإنَّهَا أَوْفَى مِنَ المِائَتَيْنِ فِي الحُسْبَانِ
لَمْ يَتَّسِعْ نَظْمِي لَهَا فَأَسُوقُهَا فأشَرْتُ بَعْضَ إشَارَةٍ لبيَانِ
وَكَذَا رَسَائِلُهُ إلَى البُلْدَانِ والـْ أَطْرَافِ والأَصْحَابِ والإخْوَانِ
هِيَ فِي الوَرَى مَبْثُوثَةٌ مَعْلُومَةٌ تُبْتَاعُ بِالغَالِي مِنَ الأَثْمَـانِ
وَكَذَا فَتَاوَاهُ فَأَخْبَرنِي الَّذِي أضْحَى عَلَيْهَا دَائِمَ الطَّوَفَانِ
بلَغَ الَّذِي أَلْفَاهُ مِنْهَا عِدَّةَ الْـ أَيَّامِ مِنْ شَهْرٍ بِلَا نُقْصَانِ
سِفْرٌ يُقَابِلُ كُلَّ يَوْمٍ وَالَّذِي قَدْ فَاتَنِي مِنْهَا بِلَا حُسْبَانِ
هَذَا وَلَيْسَ يُقَصِّرُ التفْسِيرُ عَنْ عَشْرٍ كِبَارٍ لَيْسَ ذَا نُقْصَانِ
وَكَذَا المَفَارِيدُ الَّتِي فِي كُلِّ مَسْـ ـألَةٍ فَسِفْرٌ وَاضِحُ التِّبْيَـانِ
مَا بَيْنَ عَشْرٍ أَوْ تَزِيدُ بِضِعْفِهَا هِيَ كالنُّجُومِ لِسَالِكٍ حَيْرانِ
وَلَهُ المَقَامَاتُ الشَّهِيرةُ فِي الوَرَى قَدْ قَامَهَا للهِ غَيْرَ جَبَـانِ

نَصَرَ الإِلَهَ وَدِينَهُ وكِتَابَـهُ وَرَسُولَهُ بِالسَّيْفِ والبُرْهَـانِ
أَبْدَى فَضَائِحَهُمْ وَبَيَّنَ جَهْلَهُمْ وَأَرَى تَنَاقُضَهُمْ بِكُلِّ زَمَانِ
وَأَصَارَهُمْ واللهِ تَحْتَ نِعَالِ أَهْـ ـلِ الحَقِّ بَعْدَ مَلَابِسِ التِّيجَانِ
وَأَصَارَهُمْ تَحْتَ الحَضِيضِ وَطالَمَا كَانُوا هُمُ الأَعْلَامَ لِلبُلْـدَانِ
وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّهُ بِسِلَاحِهِمْ أَرْدَاهُمُ تَحْتَ الحَضِيضِ الدَّانِي
كَانَتْ نَوَاصِينَا بأَيْدِيهِمْ فَمَا مِنَّا لَهُمْ إِلَّا أَسِيرٌ عَـانِ
فَغَدَتْ نَواصِيهِمْ بأَيْدِينَا فَمَا يَلْقَوْنَنَا إِلَّا بِحَبْـلِ أَمَـانِ
وَغَدَتْ مُلُوكُهُمُ مَمَالِيكًا لِأَنْـ ـصَارِ الرَّسُولِ بِمِنَّةِ الرَّحْمَـٰنِ
وَأَتَتْ جُنُودُهُمُ الَّتِي صَالُوا بِهَا مُنْقَـادَةً لِعَسَاكِـرِ الإِيمَـانِ
يَدْرِي بِهَذَا مَنْ لَهُ خَبَرٌ بِمَا قَدْ قَالَهُ فِي رَبِّهِ الفِئَتَـانِ
والفَدْمُ يُوحِشُنَا وَلَيْسَ هُنَاكُمُ فَـحُضُورُهُ وَمَغِيبُـهُ سِيَّـانِ

□ فصـــلٌ □

○ في بيانِ أنَّ المصيبةَ التي حلَّتْ بأهلِ ○ التعطيلِ والكفرانِ من جهةِ الأسماءِ التي ما أنزلَ اللهُ بهَا من سلطانِ

يَا قَوْمُ أَصْلُ بَلائِكُمْ أَسْمَاءُ لَمْ يُنزِلْ بِهَا الرَّحْمَـٰنُ مِنْ سُلْطَانِ

هِيَ عَكَّسَتْكُمْ غَايَةَ التَعْكِيسِ واقْـ ـتَلَعَتْ دِيَارَكُمُ مِنَ الأَرْكَانِ
فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ الْقُصُورُ وَأَوْحَشَتْ مِنْكُمْ رُبُوعُ العِلْمِ والإِيمَانِ
والذَّنْبُ ذَنْبُكُمُ قَبِلْتُمْ لَفْظَهَا مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ وَلَا فُرْقَانِ
وَهِي الَّتِي اشْتَمَلتْ عَلَى أَمْرَيْنِ مِنْ حَقٍّ وأَمْرٍ وَاضِحِ البُطْلَانِ
سَمَّيْتُمُ عَرْشَ المهَيْمِنِ حَيِّزًا وَالإِسْتِوَاءَ تَحيُّزًا بِمكَانِ
وَجَعَلْتُمُ فَوْقَ السَّمواتِ العُلَا جِهَةً وَسُقْتُمْ نَفْيَ ذَا بِوِزَانِ
وَجَعَلْتُمُ الإِثْبَاتَ تَشْبِيهًا وَتجْـ ـسِيمًا وَهَذَا غَايَةُ البُهْتَانِ
وَجَعَلْتُمُ الموْصُوف جِسْمًا قَابِلَ الْـ أَعْرَاضِ والأَكْوَانِ وَالأَلْوَانِ
وَجَعَلْتُمُ أَوْصَافَهُ عَرَضًا وَهَـ ـذَا كُلُّهُ جِسْرٌ إِلَى النُّكْرَانِ
وَكَذَاكَ سَمَّيْتُمْ حُلُولَ حَوَادِثٍ أَفْعَالَهُ تَلْقِيبَ ذِي عُدْوَانِ
إِذْ تَنْفِرُ الأَسْمَاعُ مِنْ ذَا اللَّفْظِ نُفْـ ـرتَهَا مِنَ التَّشْبِيهِ والنُّقْصَانِ
فَكَسَوْتُمُ أَفْعَالَهُ لَفْظَ الحَوَا دِثِ ثُمَّ قُلْتُمْ قَوْلَ ذِي بُطْلَانِ
لَيْسَتْ تَقُومُ بِهِ الحَوَادِثُ والمرا دُ النَّفْيُ لِلأَفْعَالِ لِلدَّيَّانِ
فَإِذَا انْتَفَتْ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ وَكَلَامُهُ وَعُلُوُّ ذِي السُّلْطَانِ
فَبِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَبًّا عِنْدَكُمْ يَا فِرْقَةَ التَّحْقِيقِ والعِرْفَانِ
والقَصْدُ نَفْيُ فِعَالِهِ عَنْهُ بِذَا التَّلْقِيبِ فِعْلَ الشَّاعِرِ الفَتَّانِ
وَكَذَاكَ حِكْمَةُ رَبِّنَا سَمَّيْتُمُ عِلَلًا وأَغْرَاضًا وَذَانِ اسْمَانِ
لَا يُشْعِرَانِ بِمِدْحَةٍ بَلْ ضِدِّهَا فَيَهُونُ حِينَئِذٍ عَلَى الأَذْهَانِ

نَفْيُ الصِّفَاتِ وَحِكْمَةِ الخَلَّاقِ والْـ   أَفْعَالِ إنكَارًا لِهَـذَا الشَّانِ
وَكَذَا اسْتِواءُ الرَّبِّ فَوْقَ العَرْشِ قُلْـ   ـتُمْ إنهُ التَّرْكِيبُ ذُو بُطْلَانِ
وَكَذَاكَ وَجْهُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ   وَكَذَاكَ لَفْظُ يَدٍ وَلَفْظُ يَدَانِ
سَمَّيْتُمُ ذَا كُلَّهُ الأَعْضَاءَ بَلْ   سَمَّيْتُمُـوهُ جَـوَارِحَ الإِنْسَانِ
وَسَطَوْتُمُ بِالنَّفْيِ حِينَئِذٍ عَلَيْـ   ـهِ كَنَفْيِنَا لِلْعَيْبِ مَعْ نُقْصَانِ
قُلْتُمْ نُنَزِّهُهُ عَنِ الأَعْرَاضِ وَالْـ   أَغْرَاضِ والأَبْعَاضِ والجُثْمَانِ
وَعَنِ الحَوَادِثِ أَنْ تَحِلَّ بِذَاتِهِ   سُبْحَانَهُ مِنْ طَارِقِ الحِدْثَانِ
وَالقَصْدُ نَفْيُ صِفَاتِهِ وَفِعَالِهِ   وَالإِسْتِوَاءِ وَحِكْمَةِ الرَّحْمَـٰنِ
وَالنَّاسُ أَكثرُهُمْ بِسِجْنِ اللَّفْظِ مَسْـ   ـجُونُونَ خَوْفَ مَعَرَّةِ السَّجَّانِ
والكُلُّ إِلَّا الفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَبًا   فِي قَالَبٍ وَيَرُدُّهُ فِي ثَانِ
وَالقَصْدُ أَنَّ الذَّاتَ والأَوْصَافَ وَالْـ   أَفْعَالَ لَا تُنْفَى بِذَا الهَذَيَانِ
سَمُّوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْـ   أَسْمَاءِ بَلْ فِي مَقْصِدٍ وَمَعَانِ
كَمْ ذَا تَوَسَّلْتُمْ بِلَفْظِ الجِسْـمِ وَالتَّـ   ـجْسِيـمِ لِلتَّعْطِيلِ وَالكُفْرَانِ
وَجَعَلْتُمُوهُ التُّرْسَ إنْ قُلْنَا لَكُمْ   اللهُ فَوْقَ العَرْشِ والأَكْوَانِ
قُلْتُمْ لَنَا جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ تَعَا   لَى اللهُ عَنْ جِسْمٍ وَعَنْ جُثْمَانِ
وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا القُرانُ كَلَامُهُ   مِنْهُ بَدَا لَمْ يَبْدُ مِنْ إِنْسَانِ
كَلَّا وَلَا مَلَكٌ ولَا لَوْحٌ وَلَـ   ـكِنْ قَالَهُ الرَّحْمَـٰنُ قَوْلَ بَيَانِ
قُلْتُمْ لَنَا إِنَّ الكَلَامَ قِيَامُـهُ   بِالجِسْمِ أَيْضًا وَهْوَ ذُو حَدَثَانِ

عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِ جِسْمٍ لَمْ يَكُنْ   هَذَا بِمَعْقُولٍ لِذِي الأَذْهَانِ
وَكَذَاكَ حِينَ نقُولُ يَنْزِلُ رَبُّنَا   فِي ثُلْثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِ
قُلْتُمْ لَنَا إِنَّ النُّزولَ لِغَيْرِ أَجْـ   ـسَامٍ مُحَالٌ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ
وَكَـذَاكَ إِنْ قُلْنَا يُرَى سُبْحَانَهُ   قُلْتُمْ أَجِسْمٌ كَيْ يُرَى بِعِيَانِ
أَمْ كَانَ ذَا جِهَةٍ تَعَالَى رَبُّنَا   عَنْ ذَا فَلَيْسَ يَرَاهُ مِنْ إِنْسَانِ
أَمَّا إِذَا قُلْنَا لَهُ وَجْهٌ كَمَا   فِي النَّصِّ أَوْ قُلْنَا كَذَاكَ يَدَانِ
وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا كَمَا فِي النَّـصِّ إِنَّ   القَلْبَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَـٰنِ
وَكَذَاكَ إِن قُلْنَا الأَصَابِعُ فَوْقَهَا   كُلُّ العَوالِمِ وَهْيَ ذُو رَجَفَانِ
وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا يَدَاهُ لأَرْضِهِ   وَسَمَائِهِ فِي الحَشْرِ قَابِضَتَانِ
وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا سَيَكْشِفُ سَاقَهُ   فَيخِرُّ ذَاكَ الجَمْعُ لِلأَذْقَـانِ
وَكَذَاكَ إِنْ قُلْنَا يَجِيءُ لِفَصْلِهِ   بَيْنَ العِبَادِ بِعَدْلِ ذِي سُلْطَانِ
قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ كَذَاكَ قِيَامَةُ الْـ   آتِي بِهَذَا القَوْلِ فِي الرَّحْمَـٰنِ
واللهِ لَوْ قُلْنَا الَّذِي قَالَ الصَّحَا   بَةُ والأُلَى مِنْ بَعْدِهِمْ بِلِسَانِ
لَرَجَمْتُمُونَا بِالحِجَارَةِ إِنْ قَدَرْ   تُمْ بَعْدَ رَجْمِ الشَّتْمِ والعُدْوَانِ
واللهِ قَدْ كَفَّرْتُمُ مَنْ قَالَ بَعْـ   ـضَ مَقَالِهِمْ يَا أُمَّةَ العُدْوَانِ
وَجَعَلْتُمُ الجِسْمَ الَّذِي قَدَّرْتُمُ   بُطْلَانَهُ طَاغُوتَ ذَا البُطْلَانِ
وَوَضَعْتُمُ لِلْجِسْمِ مَعْنًى غَيْرَ مَعْـ   ـرُوفٍ بِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ لِسَانِ
وبَنَيْتُمُ نَفْيَ الصِّفَاتِ عَلَيْهِ فَاجْـ   ـتَمَعَتْ لَكُمْ إِذْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ

كذِبٌ عَلى لُغَةِ الرَّسُولِ وَنَفْيُ إثْـ ـبَاتِ العُلُوِّ لِفَاطِرِ الأَكْوَانِ
وَرَكِبْتُمُ إذْ ذَاكَ تَحْرِيفَيْنِ تَحْـ ـرِيفَ الحَديثِ ومحْكَمِ القُرْآنِ
وَكَسَبْتُمُ وِزْرَيْنِ وِزْرَ النَّفْـيِ والتَّـحْرِيـفِ فَاجْتَمَعَتْ لَكُمْ كِفْلَانِ
وَعَدَاكُمُ أجْرَانِ أجْرُ الصِّدْقِ والْـ إيمَانِ حَتَّى فَاتَكُمْ حَظَّانِ
وَكَسَبْتُمُ مَقْتَينِ مَقْتَ إلهِكُمْ وَالمؤمِنيـنَ فَنَالكُـمْ مَقْتَـانِ
وَلَبِسْتُمُ ثَوْبَينِ ثَوْبَ الجَهْـلِ والظُّلْـمِ القَبِيحِ فَبِئْسَتِ الثَّوْبَانِ
وَتَخِذْتُمُ طَرْزَيْنِ طَرْزَ الكِبْرِ والتِّيـهِ العَظِيمِ فَبِئْسَتِ الطَّرْزَانِ
وَمَدَدْتُمُ نَحْوَ العُلَى بَاعَيْنِ لَـ ـكِنْ لَمْ تَطُلْ مِنْكُمْ لَهَا البَاعَانِ
وَأَتَيْتُمُوهَا مِنْ سِوَى أبْوَابِهَا لَكِنْ تَسَوَّرْتُمْ مِنَ الحِيطَانِ
وَغَلَقْتُمُ بَابَيْنِ لَوْ فُتِحَا لَكُمْ فُزْتُمْ بِكُـلِّ بِشَارةٍ وَتَهَـانِ
بَابَ الحَدِيثِ وَبَابَ هَذَا الوَحْيِ مَنْ يَفْتَحْهُمَـا فَلْيَهْنِـهِ البَابَـانِ
وَفَتحْتُمُ بَابَيْنِ مَنْ يَفْتَحْهُمَا تُفْتَحْ عَلَيْهِ مَوَاهِبُ الشَّيْطانِ
بَابَ الكَلامِ وَقَدْ نُهِيتُمْ عَنْهُ وَالْـ ـبَابَ الحَرِيقَ فمنْطِقُ اليُونَانِ
فَدَخَلْتُمُ دَارَيْنِ دَارَ الجَهْلِ فِـي الدُّنْيَـا وَدَارَ الخِزْيِ فِي النِّيرَانِ
وَطَعِمْتُمُ لَوْنَينِ لَوْنَ الشَّكِّ والتَّشْكِيـكِ بَعْـدُ فَبِئْسَتِ اللَّوْنَانِ
وَرَكِبْتُمُ أمْرَيْنِ كَمْ قَدْ أَهْلَكَا مِنْ أمَّةٍ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
تَقْدِيمَ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَى الَّذِي قَالَ الرَّسُولُ وَمحْكَمِ القُرْآنِ
وَالثَّانِ نِسْبَتُهُمْ إلَى الألغَـازِ وَالتَّلْبِيـسِ والتَّدْلِيسِ وَالكِتْمَانِ

وَمَكَرْتُمُ مَكْرَيْنِ لَوْ تَمَّا لَكُمْ لتفصَّمَتْ فِينَا عُرَى الإِيمَانِ
أَطفَأْتُمُ نُورَ الكِتَابِ وَسُنَّةِ الْـ ـهَادِي بِذَا التَّحْرِيفِ والهَذَيَانِ
لَكِنَّكُمْ أَوْقَدْتُمُو لِلْحَرْبِ نَا رًا بَينَ طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلِفَـانِ
واللهُ مُطْفِيهَا بِأَلْسِنَةِ الأُلَـى قَدْ خَصَّهُمْ بالعِلْمِ والإِيمَانِ
واللهِ لَوْ غَرِقَ المجَسِّمُ فِي دَمِ التَّـجْسِيمِ مِنْ قَدَمٍ إِلَى الآذَانِ
فَالنصُّ أَعْظَمُ عِنْدَهُ وأَجَلُّ قَدْ رًا أَنْ يعارِضَهُ بقولِ فُلَانِ

□ فصــل □

○ في كسرِ الطاغوتِ الذي نفوا به صفاتِ ذي الملكوتِ والجبروتِ ○

أَهْوِنْ بِذَا الطَّاغُوتِ لَا عَزَّ اسْمُهُ طَاغُوتُ ذِي التَّعطِيلِ وَالكُفْرَانِ
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ بَلْ جَرِيحٍ بَلْ قَتِيـ ـلٍ تَحْتَ ذَا الطَّاغُوتِ فِي الأَزْمَانِ
وَتَرى الجَبَانَ يَكَادُ يُخلَعُ قَلْبُهُ مِنْ لَفْظِهِ تَبًّا لِكُلِّ جَبَـانِ
وَتَرَى المخَنَّثَ حِينَ يَقْرَعُ سَمْعَهُ تَبْدُو عَلَيْهِ شَمَائِلُ النِّسْوَانِ
وَيظَلُّ مَنْكُوحًا لِكُلِّ مُعَطِّلٍ وَلِكُلِّ زِنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانِ
وَتَرى صَبيَّ العَقْلِ يُفزِعُهُ اسْمُهُ كَالغُولِ حِينَ يقَالُ لِلصِّبْيَانِ
كُفْرانَ هَذَا الإِسْمِ لَا سُبْحَانَهُ أَبداً وسُبْحَانَ العَظِيمِ الشَّانِ
كَمْ ذا التَّتَرُّسُ بالمحَالِ أَمَا تَرى قَدْ مزَّقَتْهُ كَثْرةُ السِّهْمَـانِ

جِسْمٌ وَتَجْسِيمٌ وَتَشْبِيهٌ أَما تَعْيُونَ مِنْ فَشْرٍ وَمِنْ هَذَيانِ
أَنْتُمْ وَضَعْتُمْ ذَلِكَ الطَّاغوتَ ثُمَّ بِهِ نَفَيتُمْ مُوجِبَ القُرآنِ
وَجَعَلْتُمُوهُ شَاهِدًا بَلْ حَاكِمًا هَذَا عَلَى مَنْ يَا أُولِي العُدْوَانِ
أَعَلَى كِتَابِ اللهِ ثُمَّ رَسُولِهِ بِاللهِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ
فَقَضَاؤُهُ بِالجَوْرِ وَالعُدْوانِ مِثْـ ـلُ قِيَامِهِ بِالزُّورِ وَالعُدْوَانِ
وَقِيَامُهُ بِالزُّورِ مِثْلُ قَضَائِهِ بِالجَوْرِ وَالعُدْوَانِ وَالبُهْتَانِ
كَمْ ذِي الجَعَاجِعُ لَيْسَ شَيءٌ تَحْتَهَا إِلَّا الصَّدَى كَالبُومِ فِي الخِرْبَانِ
وَنَظِيرِ هَذَا قَولُ مُلْحِدِكُمْ وَقَدْ جَحَدَ الصِّفَاتِ لِفَاطِرِ الأَكْوانِ
لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا فَالوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ
ذَا المَنْجنيقُ وذَلِكَ الطَّاغُوتُ قَدْ هَدَمَا دِيَارَكُمُ إِلَى الأَرْكَانِ
وَاللهُ رَبِّي قَدْ أَعَانَ بِكَسْرِ ذَا وَبِقَطْعِ ذَا سُبْحَانَ ذِي الإِحْسَانِ
فَلَئِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ لِمَقَالِكُمْ حَقًّا لُزُومَ بَيَانِ
فَلَنَا جَوَابَاتٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا مَعْلُومَةُ الإِيضَاحِ وَالتِّبْيَانِ
مَنْعُ اللُّزومِ وَمَا بِأَيْدِيكُمْ سِوَى دَعْوَى مُجَرَّدَةٍ عَنِ البُرْهَانِ
لَا يَرْتَضِيهَا عَالِمٌ أَوْ عَاقِلٌ بَلْ تِلْكَ حِيْلَةُ مُفْلِسٍ فَتَّانِ
فَلَئِنْ زَعَمْتُم أَنَّ مَنْعَ لُزُومِهِ مِنْكُم مكَابَرَةٌ عَلَى البُطْلَانِ
فَجَوابُنَا الثَّانِي امْتِنَاعُ النفْيِ فِي مَا تَدَّعُونَ لُزُومَهُ بِبَيَانِ
إِنْ كَانَ ذَلِكَ لازِمًا للنَّصِّ والْـ ـمَلْزُومُ حَقٌّ وَهْوَ ذُو بُرْهَانِ

وَالحَقُّ لَازِمُهُ فَحَقٌّ مِثْلُهُ ... أَنَّى يَكُونُ الشيءُ ذَا بُطْلَانِ
وَيكُونُ مَلْزومًا بِهِ حَقًّا فَذَا ... عَيْنُ المحَالِ وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
فَتَعَيَّنَ الإِلْزَامُ حِينَئِذٍ عَلَى ... قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ
وَجَعَلْتُمُ أَتْبَاعَهُ مَانَسْتُرًا ... خَوْفًا مِنَ التصريحِ بالكفْرَانِ
وَاللهِ مَا قُلْنَا سِوَى مَا قَالَهُ ... هَذِي مَقَالَتُنَا بلَا كِتْمَانِ
فَجَعَلْتُمُوهَا جُنَّةً والقَصْدُ مَفْـ ... ـهُومٌ فَنَحْنُ وِقَايَةُ القُرْآنِ
هَذَا وَثَالِثُ مَا نُجِيبُ بِهِ هُوَ اسْـ ... ـتِفْسَارُكُمْ يَا فِرْقَةَ العِرْفَانِ
مَاذَا الَّذِي تَعْنُونَ بِالجِسْمِ الَّذِي ... أَلْزَمْتُمُونَا أَوْضِحُوا بِبَيَانِ
تَعْنُونَ مَا هُوَ قَائِمٌ بالنفسِ أَوْ ... عَالٍ عَلَى العَرْشِ العَظِيمِ الشَّانِ
أَوْ ذَا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الأَوْصَافُ أَوْ ... صَافُ الكَمَالِ عَدِيمَةُ النقْصَانِ
أَوْ مَا تَرَكَّبَ مِنْ جَوَاهِرَ فَرْدَةٍ ... أَوْ صُورَةٍ حَلَّتْ هَيُولَى ثَانِ
أَوْ مَا هُوَ الجسْمُ الَّذِي فِي العُرْفِ أو ... فِي الوَضْعِ عِنْدَ تَخَاطُبٍ بِلِسَانِ
أَوْ مَا هُوَ الجسْمُ الَّذِي فِي الذِّهْنِ ذَا ... كَ يُقَالُ تَعْلِيمٌ لِذِي الأَذهَانِ
مَاذَا الَّذِي فِي ذَاكَ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُو ... تِ عُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
فَأْتُوا بِتَعْيِينِ الَّذِي هُوَ لَازِمٌ ... فَإِذَا تَعَيَّنَ ظَاهِرَ التِّبْيَانِ
فَأْتُوا بِبُرْهَانَينِ بُرْهَانِ اللزُو ... مِ وَنَفْيِ لَازِمِهِ فَذَانِ اثْنَانِ
واللهِ لَوْ نُشِرَتْ لَكُمْ أَشْيَاخُكُمْ ... عَجزُوا وَلَوْ وَاطَاهُمْ الثَّقَلَانِ
إِنْ كُنْتُمُ أَنْتُمْ فُحُولًا فَابْرُزُوا ... وَدَعُوا الشَّكَاوِي حِيلَةَ النِّسْوَانِ

وَإِذَا اشْتَكَيْتُمْ فاجْعَلُوا الشَّكْوَى إلى الْـ ـوَحْيَيْنِ لَا القَاضِي وَلَا السُّلْطَانِ
فَنُجِيبُ بِالتَّـرْكِيبِ حِينَئِذٍ جَوَا بًا شَافِيًا فِيـهِ هُـدَى الحَيْرَانِ
الحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَنَفْيُهَا عَيْنُ المحَالِ وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
فَالجِسْمُ إِمَّا لَازِمٌ لِثُبُوتِهَـا فَهُوَ الصَّوَابُ وَلَيْسَ ذَا بُطْلَانِ
أَوْ لَيْسَ يَلزَمُ مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ فَشَنَاعَـةُ الإِلْـزَامِ بِالبُهْتَـانِ
فالمنْعُ في إحدَى المقَدِّمتَيْنِ مَعْـ ـلُومُ البَيَانِ إِذًا بِلَا نُكْرَانِ
فَالمنْعُ إِمَّا فِي اللُّزُومِ أَوْ انْتِفَا ءِ اللَّازِمِ المنْسُوبِ لِلْبُطْلَانِ
هَذَا هُوَ الطَّاغوتُ قَدْ أضْحَى كَمَا أَبصَرْتُمُـوهُ بِمِنَّـةِ الرَّحْمَـٰـنِ

□ فصـــلٌ □

○ في مبدأ العداوةِ الواقعةِ بينَ المثبتينَ ○
الموحدينَ وبينَ النفاةِ المعطلين

يَا قَوْمُ تَدْرُونَ الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا مِنْ أَجْلِ مَاذَا فِي قَدِيمِ زَمَانِ
إِنَّا تَحَيَّزْنَا إِلَى القُرْآنِ والنَّـــقْلِ الصَّحِيحِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ
وَكَذَا إِلَى العَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطـرَة الرَّحْمَـٰنِ قَبْـلَ تَغَيُّـرِ الإِنْسَانِ
هِيَ أَرْبعٌ متَلَازِمَاتٌ بَعْضُهَا قَدْ صَدَّقَتْ بَعْضًا عَلَى مِيزَانِ
واللهِ مَا اجْتَمعَتْ لَدَيكُمْ هَذِهِ أَبَدًا كَمَـا أَقْرَرْتُـمُ بِـلِسَانِ
إِذْ قُلتُمُ العَقْلُ الصَّحِيحُ يُعَارِضُ الــــمنْقُولَ مِنْ أَثَرٍ وَمِن قُرْآنِ

فَنُقَدِّمُ المعْقُولَ ثُمَّ نُصَرِّفُ الْـ ـمَنْقُولَ بالتَّأويلِ ذِي الألْوَانِ
فَإذَا عَجزْنَا عَنْهُ أَلْقَيْنَاهُ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ قَصْدًا إلَى الإحْسَانِ
وَلَكُمْ بِذَا سَلَفٌ لَهُمْ تَابَعْتُمُ لمَّا دَعَوْا لِلأَخْذِ بالقُـرْآنِ
صَدُّوا فلمَّا أَن أصِيبُوا أقْسَمُوا لمَرَادُنا توفيقُ ذِي الإحْسَانِ
وَلَقَدْ أصِيبُوا فِي قُلُوبِهِمُ وَفِي تِلْكَ العُقُولِ بغَايَةِ النقْصَانِ
فَأَتَوْا بأقْوَالٍ إذَا حَصَّلْتَهَـا أُسْمِعْتَ ضَحْكَةَ هَازِلٍ مَجَّانِ
هَذَا جَزَاءُ المعْرِضِينَ عَن الهُدَى مُتَعوِّضِينَ زَخَارِفَ الهَذَيَانِ
وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِشَيْخِ القَوْمِ إذْ يَأبَى السُّجُودَ بِكبر ذِي طُغْيَانِ
ثُمَّ ارْتَضَى أَنْ صَارَ قَوَّادًا لأرْ بَابِ الفُسُوقِ وَكلِّ ذِي عِصْيَانِ
وَكَذَاكَ أَهْلُ الشِّركِ قَالُوا كَيْفَ ذَا بَشَرٌ أَتَى بِالوَحْيِ والقُـرْآنِ
ثُمَّ ارْتَضَوْا أَنْ يَجْعَلُوا مَعْبُودَهُمْ مِنْ هِذه الأحْجَارِ والأوْثَانِ
وَكَذَاكَ عُبَّادُ الصَّلِيبِ حَمُوا بَتَا رِكَهُمْ مِنَ النِّسْوَانِ والوِلْدَانِ
وَأَتَوْا إلَى رَبِّ السَّموَاتِ العُلَى جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا مِنَ الذكْرَانِ
وَكَذَلِكَ الجَهْمِيُّ نَزَّهَ رَبَّهُ عَنْ عَرْشِهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الأكْوَانِ
حَذَرًا مِنَ الحَصْرِ الَّذِي فِي ظَنِّهِ أَوْ أَنْ يُرَى مُتَحَيِّزًا بِمَكَانِ
فَأَصَارَهُ عَدَمًا وَلَيْسَ وُجُودُهُ مُتَحَقِّقًا فِي خَارجِ الأذْهَانِ
وَرَمَيْتُمُ أَهْلَ الحَدِيثِ بِأَسْهُمٍ عَنْ قَوْسِ مَوْتُورِ الفُؤَادِ جَبَانِ
فَتتَرَّسُوا بِالوَحْيِ والسُّنَنِ الَّتِي تَتْلُوهُ نِعْمَ التُّرْسُ للشُّجْعَانِ

هُوَ تُرْسُهُمْ واللهِ مِنْ عُدْوَانِكُمْ وَالتُّرسُ يَوْمَ البَعْثِ مِنْ نِيرَانِ
أَفَتَارِكُوهُ لِفَشْرِكمْ وَمُحَالِكُمْ لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَٰنِ
وَدَعَوْتُمُونَا لِلذِي قُلتُمْ بِهِ قُلْنَا مَعَاذَ اللهِ مِنْ خُذْلَانِ
فَاشْتَدَّ ذَاكَ الحَرْبُ بَيْنَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ وَتَفَاقَمَ الأَمْرَانِ
وَتَأَصَّلَتْ تِلكَ العَدَاوَةُ بَيْنَنَا مِنْ يَوْمِ أَمْرِ اللهِ لِلشَّيْطَانِ
بِسُجُودِهِ فَعَصَى وَعَارَضَ أَمْرَهُ بِقِيَاسِهِ وَبعَقْلِهِ الخَوَّانِ
فَأَتَى التَّلَامِيذُ الوِقَاحُ فعَارضُوا أَخبَارَهُ بالفشْرِ والهَذَيَانِ
وَمُعَارِضٌ للأَمْرِ مِثْلُ مُعَارِضِ الْـ أَخْبَارِ هُمْ فِي كُفْرِهِمْ صِنْوَانِ
مَنْ عَارَضَ المَنْصُوصَ بالمَعْقولِ قِدْ مًا أَخْبِرُونَا يَا أُولِي العِرْفَانِ
أَوَ مَا عَرَفْتُمْ أَنَّه القَدَرِيُّ والْـ ـجَبْرِيُّ أَيضًا ذَاكَ فِي القُرْآنِ
إِذْ قَالَ قَدْ أَغوَيْتَني وفَتَنْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
فَاحْتَجَّ بالمَقْدُورِ ثُمَّ أَبَانَ أَنَّ الفِعْلَ مِنْهُ بِغَيَّةٍ وَزِيَانِ
فَانْظُرْ إِلَى مِيرَاثِهِمْ ذَا الشَّيْخَ بالتَّعْصِيبِ والمِيرَاثِ بالسُّهْمَانِ
فَسَأَلْتكُمْ باللهِ مَنْ وُرَّاثُهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ بَعْد ذَا التِّبْيَانِ
هَذَا الّذِي أَلْقَى العَدَاوَةَ بَيْنَنَا إِذْ ذَاكَ وَاتَّصَلَتْ إِلَى ذَا الآنِ
أَصَّلْتُمُ أَصْلًا وَأَصَّلَ خَصْمُكُمْ أَصْلًا فَحِينَ تَقَابَلَ الأَصْلَانِ
ظَهَرَ التَّبَايُنُ فَانْتَشَتْ مَا بَيْنَنَا الْـ ـحَرْبُ العَوَانُ وَصِيحَ بالأَقْرانِ
أَصَّلْتُمُ آرَا الرِّجَالِ وَخَرْصَهَا مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ وَلَا سُلْطَانِ

هَذَا وَكَمْ رَأْيٍ لَهُمْ فَبِرَأْيِ مَنْ نَزِنُ النُّصُوصَ فَأَوْضِحُوا بِبَيَانِ
كُلٌّ لَهُ رَأْيٌ وَمَعْقُولٌ لَهُ يَدْعُو وَيَمْنَعُ أَخْذَ رَأْيِ فُلاَنِ
وَالْخَصْمُ أَصَّلَ مُحْكَمَ الْقُرْآنِ مَعْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَٰنِ
وَبَنَى عَلَيْهِ فَاعْتَلَى بُنْيَانُهُ نَحْوَ السَّمَا أَعْظِمْ بِذَا الْبُنْيَانِ
وَعَلَى شَفَا جُرُفٍ بَنَيْتُمْ أَنْتُمُ فَأَتَتْ سُيُولُ الْوَحْيِ وَالإِيمَانِ
قَلَعَتْ أَسَاسَ بِنَائِكُمْ فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ السُّقُوفُ وَخَرَّ لِلأَرْكَانِ
اللهُ أَكْبَرُ لَوْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ الْـ ـبُنْيَانَ حِينَ عَلَا كَمِثْلِ دُخَانِ
تَسْمُو إِلَيْهِ نَوَاظِرٌ مِنْ تَحْتِهِ وَهُوَ الْوَضِيعُ وَلَوْ يُرَى بِعِيَانِ
فَاصْبِرْ لَهُ وَهْنًا وَرُدَّ الطَّرْفَ تَلْـ ـقَاهُ قَرِيبًا فِي الْحَضِيضِ الدَّانِي

□ فصــل □

○ في بيانِ أنَّ التعطيلَ أساسُ الزندقةِ والكفرانِ والإثباتَ أساسُ العلمِ والإيمانِ ○

مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ فِعْلًا يَقُومُ بِهِ قِيَامَ مَعَانِ
كَلَّا وَلَيْسَ الأَمْرُ أَيْضًا قَائِمًا بِالرَّبِّ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الأَكْوَانِ
كَلَّا وَلَيْسَ اللهُ فَوْقَ عِبَادِهِ بَلْ عَرْشُهُ خِلْوٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ
فَثَلَاثَةٌ وَاللهِ لَا تُبْقِي مِنَ الْـ إِيمَانِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ بِــوَزَانِ

وَقَدِ اسْتَراحَ مُعَطِّلٌ هَذِي الثَّلَا ... ثَ مِنَ الإلَهِ وَجُمْلَةَ القُرْآنِ
وَمِنَ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشرِيعَةِ الْـ ... إسْلَام بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الأدْيَانِ
وَتمَامُ ذَاكَ جُحُودُهُ لِصِفَاتِهِ ... وَالذاتُ دُونَ الوَصْفِ ذُو بُطْلَانِ
وتَمَامُ ذَا الإيمَانِ إقْرَارُ الفَتَى ... بِاللهِ فَاطِرِ هَـذِهِ الأكْـوَانِ
فَإذَا أَقَرَّ بِهِ وَعَطَّلَ كُلَّ مَفْـ ... ـروضٍ وَلَمْ يَتَوَقَّ مِنْ عِصْيَانِ
لَمْ يَنْقُصِ الإيمَانُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ ... أَنَّى وَلَيْسَ بِقَابِلِ النُّقْصَانِ
وَتَمَامُ هَذَا قَوْلُهُ أَنَّ النُّبُـــوَّةَ لَيْسَ وَصْفًا قَامَ بِالإنْسَانِ
لكِنْ تَعَلُّقُ ذَلِكَ المعْنَى القَدِيـ ... ـمِ بِوَاحِدٍ مِنْ جُمْلَةِ الإنسانِ
هَذَا وَمَا ذَاكَ التَّعَلُّقُ ثَابِتًا ... فِي خَارِجٍ بَلْ ذَاكَ فِي الأذْهَانِ
فَتعلُّقُ الأقْوَالِ لَا يُعْطِي الَّذِي ... وَقَفَتْ عَلَيهِ الكونُ فِي الأعْيَانِ
هَذَا إذا مَا حَصَّلَ المعْنَى الَّذِي ... قُلْتُمْ هُوَ النَّفْسِيُّ فِي البُرْهَانِ
لكِنَّ جُمْهُورَ الطَّوائِفِ لَمْ يَرَوْا ... ذَا مُمكِنًا بَلْ ذَاكَ ذُو بُطْلَانِ
مَا قَالَ هَذَا غَيْرُكُمْ مِنْ سَائِرِ الـنُّـظَّارِ فِي الآفَاقِ والأزْمَـانِ
تِسْعُونَ وَجْهًا بَيَّنَتْ بُطْلَانَهُ ... لَوْلَا القَرِيضُ لَسُقْتُهَا بِوِزَانِ
يَا قَوْمُ أينَ الرَّبُّ أينَ كَلَامُهُ ... أَينَ الرَّسُولُ فأوْضِحُوا بِبَيَانِ
مَا فَوْقَ عَرْشِ الرَّبِّ مَنْ هُوَ قَائِلٌ ... طَهَ وَلَا حَرْفًا مِنَ القُرْآنِ
وَلقَدْ شَهِدتُمْ أنَّ هَذَا قَوْلُكُمْ ... واللهُ يشْهَدُ مَعْ أولِي الإيمَانِ
وَارَحْمَتَاهُ لَكُمْ غَبَنْتُمْ حَظَّكُمْ ... مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إيمَانِ

وَنَسَبْتُمُ لِلْكُفْرِ أَوْلَى مِنْكُمُ بِـالله والإِيمَـانِ والقُـرْآنِ
هَذِي بِضَاعَتُكُمْ فَمنْ يَسْتَامُهَا فَقدِ ارْتَضَى بالجَهْلِ والخُسْرَانِ
وَتَمَامُ هَذَا قَوْلُكم فِي مَبْدَإٍ وَمَعَادِنَا أَعْنِي المعَادَ الثَّانِـي
وَتَمَامُ هَذَا قَوْلُكمْ بِفَنَاءِ دَا رِ الخُلْدِ فالدَّارَانِ فَانِيَتَـانِ
يَا قَوْمَنَا بَلَغَ الوُجودُ بأسرِهِ الدُّنْيَـا مَعَ الأُخْرَى مَعَ الإِيمَانِ
والخَلْقَ والأَمْرَ المنزَّلَ والجزَا وَمنَازِلَ الجنَّاتِ والنِّيـرَانِ
والنَّاسُ قَدْ ورِثُوهُ بَعْدُ فَمنْهُمُ ذُو السَّهْمِ والسَّهْمينِ والسُّهْمَانِ
بِئْسَ المورِّثُ والمورَّثُ والتُّرا ثُ ثَلاثَةٌ أَهْلٌ لِكُلِّ هَوَانِ
يَا وَارِثِينَ نَبِيَّهِمْ بُشْرَاكُـمُ مَا إِرْثُكُمْ مَعَ إِرثِهِمْ سِيَّانِ
شَتَّانَ بَينَ الوَارِثِينَ وَبينَ مَوْ رُوثَيهِمَا وَسِهَامِ ذِي سَهْمَانِ
يَا قَوْمُ ما صَاحَ الأَئِمَّةُ جَهْدَهُمْ بِالجَهْمِ مِنْ أَقْطَارِهَا بأَذَانِ
إِلَّا لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ أَقْوَالِهِ وَمآلِهَـا بحَقِيقَـةِ العِرْفَـانِ
قَوْلُ الرسُولِ وقولُ جَهْمٍ عِنْدَنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجتَمِعَانِ
نَصَحُوكُمُ واللهِ جَهْدَ نَصِيحَةٍ مَا فِيهِمُ واللهِ مِنْ خَوَّانِ
فخُذُوا بِهَدْيِهِمُ فَربِّي ضَامِنٌ وَرَسُولُهُ أَنْ تفعَلُوا بِجِنَـانِ
فَإِذَا أبيتُمْ فالسَّلَامُ عَلَى مَـنِ اتَّـبَعَ الهُدَى وانْقَادَ للقُـرْآنِ
سِيرُوا عَلَى نُجُبِ العَزَائِمِ وَاجْعَلُوا بِظُهُورِهَا المسْرَى إِلَى الرَّحْمَـنِ
سَبَقَ المفَرِّدُ وَهْوَ ذَاكِرُ رَبِّهِ فِي كلِّ حَالٍ لَيْسَ ذَا نِسْيَانِ

لَكِنْ أَخُو الغَفَلَاتِ مُنْقَطِعٌ بِهِ   بَيْنَ المَفَاوِزِ تَحْتَ ذِي الغِيلَانِ
صَيْدُ السِّبَاعِ وَكُلِّ وَحْشٍ كَاسِرٍ   بِئْسَ المضِيفُ لأَعْجَزِ الضِّيفَانِ
وَكَذلِكَ الشَّيطَانُ يَصْطَادُ الَّذِي   لَا يَذْكُرُ الرحْمٰنَ كُلَّ أَوَانِ
والذكْرُ أَنْواعٌ فأَعْلَى نوعِـهِ   ذِكْرُ الصِّفَاتِ لربِّنَا المنَّـانِ
وثُبُوتُهَا أَصْلٌ لِهَذَا الذكـرِ   والنَّـافِي لَهَا داعٍ إِلَى النِّسْيَانِ
فَلذَاكَ كَانَ خَلِيفَةَ الشَّيطَانِ ذَا   لَا مَرْحبًا بخَلِيفـةِ الشَّيطَـانِ
والذَّاكِرُونَ عَلَى مَراتِبِهِمْ فأَعْـ   ـلَاهُمْ أُولُو الإِيمَانِ والعِرْفَانِ
بِصِفَاتِه العُلْيَا إذا قامُوا بحَمْـ   ـدِ اللهِ فِي سرٍّ وفِي إِعْلَانِ
وَأخصُّ أَهْلِ الذِّكْرِ بالرَّحمٰنِ أَعْـ   ـلَمُهُمْ بِهَا هُمْ صَفْوةُ الرَّحْمٰنِ
وَكَذَاكَ كَانَ محمَّدٌ وأَبُوهُ إِبْـ   ـرَاهِيمُ والمولُودُ مِنْ عِمْـرَانِ
وَكَذَاكَ نُوحٌ وَابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَنَا   هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ مِنْ إِنْسَانِ
لِمَعَارِفٍ حَصُلَتْ لَهُمْ بِصِفَاتِهِ   لَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ مِنَ الإِنْسَانِ
وُهُم أولُو العزْمِ الذين بِسُورةِ الْـ   أَحْزَابِ والشُّورَى أَتَوْا بِبَيَانِ
وَكذلِكَ القُرْآنُ مَمْلوءٌ مِنَ الْـ   أَوْصَافِ وَهْيَ القَصْدُ بالقُرْآنِ
لِيَصِيرَ مَعْرُوفًا لَنَا بِصِفَاتِـهِ   وَيَصِيرَ مذْكُورًا لَنَا بِجَنَـانِ
وَلِسَانٍ ايْضًا مَعْ مَحبَّتِنَا لَهُ   فلأَجْلِ ذَا الإِثْبَاتُ فِي الإِيمَانِ
مِثْلُ الأَسَاسِ مِنَ البِنَاءِ فَمَنْ يرُمْ   هَدْمَ الأَسَاسِ فكيفَ بالبُنْيَانِ
واللهِ مَا قَامَ البِنَاءُ لِدِينِ رُسْـ   ـلِ اللهِ بالتَّعْطِيـلِ للديَّـانِ

مَا قَامَ إِلَّا بالصِّفَاتِ مُفَصَّلًا إثْبَاتَهَا تَفْصِيلَ ذِي عِرْفَانِ
فَهِيَ الأَسَاسُ لدِينِنَا ولِكُلِّ ديـ ـنٍ قَبْلَهُ مِنْ سَائِرِ الأَدْيَانِ
وَكَذَاكَ زَنْدَقَةُ العِبَادِ أسَاسُهَا التَّـعْطِيـلُ يَشْهَدُ ذَا أولُو العِرْفَانِ
وَاللهِ مَا فِي الأَرْضِ زَنْدَقَةٌ بدَتْ إلا مِنَ التَّعْطِيلِ والنُّكْـرانِ
واللهِ مَا فِي الأَرْضِ زنْدَقَةٌ بَدَتْ مِنْ جَانِبِ الإِثْبَاتِ والقُرْآن
هَذِي زَنَادِقَةُ العِبَادِ جَمِيعُهُمْ وَمُصَنَّفَاتُهُـمُ بِكُـلِّ مَكَـانِ
مَا فِيهِمُ أحَدٌ يَقُولُ اللهُ فَو قَ العَرْشِ مُسْتَوِلٍ عَلَى الأَكْوانِ
وَيقولُ إنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ مُتَكلِّـمٌ بالوَحْـيِ والقُـرْآنِ
وَيقولُ إنَّ اللهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى فأَسْمَعَهُ بذِي الآذَانِ
وَيقُولُ إنَّ النَّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضٍ لِلعَقْلِ بَلْ أَمْـرَانِ متَّفِقَـانِ
والنَّقْلُ جَاءَ بِمَا يَحَارُ العقْلُ فِيـ ـهِ لَا بالمحَالِ البيِّنِ البُطْلَانِ
فانظُرْ إِلَى الجَهْمِيِّ كَيْفَ أَتَى إِلَى أسِّ الهُدَى وَمعَاقِلِ الإِيمَانِ
بمِعَاوِلِ التَّعْطِيلِ يقْطَعُهَا فَمَا يُبْقِي عَلَى التَّعْطِيلِ مِنْ إيمَانِ
يَدْرِي بِهَذا عَارِفٌ بمآخِذِ الْـ أَقْوَالِ مُضطَلِعٌ بِهَذَا الشَّانِ
واللهِ لـوْ حَدَّقْتـمُ لرَأيتُـمُ هَذَا وأعْظَمَ مِنْهُ رَأيَ عِيَانِ
لَكِنْ عَلَى تِلْكَ العُيُونِ غِشَـاوَةٌ مَا حِيلَةُ الكَحَّالِ فِي العُمْيَانِ

* * *

□ فصــلٌ □

○ في بهتِ أهلِ الشركِ والتعطيلِ في رميهم أهلَ التوحيدِ والإثباتِ بتنقيصِ الرسولِ ○

قَالُوا تَنَقَّصْتُمْ رَسُولَ اللهِ وَا عَجبًا لِهَذَا البَغْيِ والبُهْتَانِ
عَزَلُوهُ أَنْ يُحْتَجَّ قَطٌّ بقَوْلِهِ فِي العِلْمِ باللهِ العَظِيمِ الشَّانِ
عَزَلُوا كَلَامَ اللهِ ثمَّ رَسُولِهِ عَنْ ذَاكَ عَزْلًا لَيْسَ ذَا كِتمَانِ
جَعَلُوا حَقِيقَتَهُ وَظَاهِرَهُ هُوَ الْـ كُفْرُ الصَّرِيحُ البيِّنُ البُطْلَانِ
قَالوا وَظَاهِرُهُ هُوَ التَّشْبِيهُ والتَّجْسِيمُ حَاشَا ظَاهِرَ القُرْآنِ
مَنْ قَالَ فِي الرَّحْمَٰنِ مَا دلَّتْ عليـ ـهِ حَقِيقَةُ الأَخْبَارِ والفُرْقَانِ
فَهوَ المشَبِّهُ والممَثِّلُ والمجَسِّمُ عَابِدُ الأَوثَانِ لَا الرَّحْمَٰنِ
تَاللهِ قَدْ مُسِخَتْ عُقُولُكُمُ فَلَيْـ ـسَ وَرَاءَ هَذَا قَطٌّ مِنْ نُقْصَانِ
وَرَمَيْتُمُو حِزْبَ الرسُولِ وَجُنْدَهُ بِمُصَابِكُمْ يَا فِرْقَةَ البُهْتَانِ
وجَعَلتُمُ التَّنقِيصَ عَيْنَ وِفَاقِهِ إِذْ لَمْ يوافِقْ ذَاكَ رَأْيَ فُلَانِ
أَنْتُمْ تَنَقَّصْتُمْ إِلَهَ العَرْشِ والْـ ـقُرْآنَ والمبعُوثَ بالقُرْآنِ
نَزَّهْتُمُوهُ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَعَنِ الكَلَامِ وَفوقَ كُلِّ مَكَانِ
وَجَعَلْتُمُ ذَا كلَّهُ التَّشبِيهَ والتَّمثِيلَ والتَّجْسِيمَ ذَا البطْلَانِ
وَكلامكُمْ فِيهِ الشِّفَاءُ وغَايَةُ التَّحقِيقِ يَا عَجَبًا لِذَا الخُذْلَانِ

جَعَلُوا عُقُولَهُمُ أَحَقَّ بأَخْذِ مَا فِيهَا مِنَ الأَخْبَارِ والقُـرْآنِ
وَكَلامهُ لَا يُسْتَفَادُ بِهِ الْيَقِيـ ـنُ لأَجْلِ ذَا لَا يَقْبَلُ الخَصْمَانِ
تَحْكِيمَهُ عِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا بَلِ الْـ ـمعْقُولَ ثُمَّ المَنْطِقَ اليُونَانِي
أَيُّ التَّنقُّصِ بَعْدَ ذَا لَوْلَا الوَقَا حَةُ والجَرَاءةُ يا أولِي العُدْوانِ
يَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ ونُورٌ قَدْ غَدَا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كُلَّ زَمَانِ
لَكِنَّنَا قُلْنَـا مَقَالَـةَ صَارِخٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ بَيْنَكُمْ بأَذَانِ
الرَّبُّ رَبٌّ والرَّسُولُ فَعَبْدُهُ حَقًّا وَلَيْسَ لَنَا إلَـهٌ ثَـانِ
فَلِذَاكَ لَمْ نَعْبُدْهُ مِثْلَ عِبَـادَةِ الرَّحْمـٰنِ فِعْلِ المشْرِكِ النَّصْرانِي
كَلَّا وَلَمْ نَغْلُ الغُلُوَّ كَمَا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ مَخَافَةَ الكُفْرانِ
للهِ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِغَيْـرِهِ وَلِعَبْدِهِ حَـقٌّ هُمَـا حَقَّـانِ
لَا تَجْعَلُوا الحَقَّينِ حَقًّا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا فُرْقَانِ
فَالحَجُّ للرَّحْمـٰنِ دُونَ رَسُولِهِ وَكَذَا الصَّلَاةُ وذبحُ ذَا القُرْبانِ
وَكَذَا السُّجُودُ وَنَذْرُنَا ويَمِينُنَا وَكَذَا مَتَابُ العَبْدِ مِنْ عِصْيَانِ
وَكَذَا التَّوَكُّلُ والإِنَابَةُ والتُّقَى وَكَذَا الرَّجَاءُ وَخَشْيَةُ الرَّحْمـٰنِ
وكَذَا العِبَادَةُ واسْتِعانَتُنَا بِهِ إياكَ نَعْبُـدُ ذَانِ تَوْحِيـدَانِ
وَعَلَيْهِمَا قَامَ الوُجُودُ بأَسْرِهِ دُنْيَا وأُخْرَى حَبَّذَا الرُّكْنَانِ
وَكذلِكَ التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ والتَّـهْلِيلُ حَـقُّ إلهِنَـا الدَّيَّـانِ
لكنَّمَا التَّعْزِيرُ والتَّوقِيرُ حَـقٌّ للرَّسُولِ بِمقْتَضَى القُرْآنِ

والحُبُّ والإيمَانُ والتَّصدِيقُ لَا   يَخْتَصُّ بَلْ حقَّانِ مشْتَرِكَانِ
هَذِي تَفَاصِيلُ الحُقُوقِ ثَلاثَةٌ   لَا تَجْهَلُوهَا يَا أولِي العُدْوانِ
حَقُّ الإلَهِ عِبَادَةٌ بالأمْرِ لَا   بِهَوَى النُّفُوسِ فَذَاكَ لِلشَّيْطَانِ
مِنْ غَيْرِ إشْراكٍ بِهِ شَيْئًا هُمَا   سَبَبَا النَّجَاةِ فَحَبَّذَا السَّبَبَانِ
ورَسُولُهُ فهوَ المُطَاعُ وقَوْلُهُ الْـ   ـمَقْبُولُ إذْ هُوَ صَاحِبُ البُرْهَانِ
والأمْرُ مِنْهُ الحَتْمُ لَا تَخييرَ فِيـ   ـهِ عِنْدَ ذِي عَقْلٍ وَذِي إيمَانِ
مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ قُمْنَا عَلَى   أقْوَالِـهِ بالسَّبْـرِ والمِيــزَانِ
إنْ وَافقَتْ قولَ الرسُولِ وحُكْمَهُ   فَعَلَى الرؤوس تُشَالُ كالتِّيجَانِ
أوْ خَالَفَتْ هَذَا رَدَدْنَاهَا عَلَى   مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنَ إنسَانِ
أوْ أُشْكِلَتْ عَنَّا توقَّفْنَا وَلَمْ   نَجْزِمْ بِلَا عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانِ
هَذَا الَّذِي أدَّى إلَيْهِ عِلْمُنَا   وَبِهِ نَدِينُ اللهَ كُلَّ أوَانِ
فَهوَ المطَاعُ وأمْرُهُ العَالِي عَلَى   أمْرِ الوَرَى وأوَامِرِ السُّلْطَانِ
وَهُوَ المقَدَّمُ فِي مَحبَّتِنَا عَلَى الْـ   أهلينَ والأزوَاجِ والوِلْـدَانِ
وَعَلَى العِبَادِ جَمِيعِهِمْ حَتَّى عَلَى   النَّـفْسِ التِي قَدْ ضَمَّهَا الجَنْبَانِ
وَنظِيرُ هَذَا قَوْلُ أعْدَاءِ المسِيـ   ـحِ مِنَ النَّصارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ
إنَّا تَنَقَّصْنَا المسِيـحَ بِقَوْلِنَـا   عَبْدٌ وذَلِكَ غَايَةُ النّـقْصَانِ
لَوْ قُلْتُمْ وَلَدٌ إلَـهٌ خَالِـقٌ   وَفَّيْتُمُــوهُ حَقَّــهُ بِــوزَانِ
وَكَذاكَ أشْبَاهُ النَّصَارى قَدْ غَلَوْا   فِي دِينِهِمْ بالجَهْلِ والطُّغْيَانِ

صَاروا مُعَادِينَ الرَّسُولَ وَدِينَنَا فِي صُورَةِ الأَحْبَابِ والإِخْوَانِ
فانْظُرْ إلَى تَبْدِيلِهِمْ تَوْحِيدَهُ بالشِّرْكِ والإِيمَان بالكُفْـرَانِ
وانْظُرْ إلَى تَجْرِيدِهِ التَّوحِيدَ مِنْ أَسْبَابِ كُلِّ الشِّرْكِ بالرَّحْمٰـنِ[1]
وَاجْمعْ مَقَالَتهُمْ وَمَا قَدْ قَالَهُ وَاسْتَدعِ بالنُّقَّـادِ والـوَزَّانِ
عَقلٍ وَفِطْرَتِكَ السَّلِيمةِ ثُم زِنْ هَذَا وذَا لَا تَطْغَ فِي المِيزَانِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ أيُّ حِزْبَيْنَا هُوْ الـ ـمتَنَقِّصُ المنصُوصُ ذُو العُدْوانِ
رَامِي البَرِيءِ بِدَائِهِ ومُصَابِهِ فِعْلَ المُبَاهِتِ أَوْقَحِ الحَيَوانِ
كمعيِّرٍ للنَّاسِ بالزغَلِ الَّذِي هُوَ ضَرْبُهُ فاعْجَبْ لِذِي البُهْتَانِ
يا فِرقةَ التَّنقِيصِ بَلْ يا أمةَ الدَّعْـوَى بِلَا عِلْمٍ وَلَا عِرْفَانِ
وَاللهِ مَا قَدَّمتُمُ يَوْمًا مَقَا لَتَهُ عَلَى التَّقْلِيـدِ لـلإِنْسَانِ
والله مَا قَالَ الشُّيوخ وَقَـالَ إِلَّا كُنْتُمُ مَعَهُمْ بِلَا كِتْمَانِ
واللهِ أَغْلَاطُ الشُّيوخ لَدَيْكُمُ أَوْلَى مِنَ المَعْصُومِ بالبُرْهَانِ
وَكَذَا قَضَيْتُمْ بالَّذِي حَكَمَتْ بِهِ جهْلًا عَلَى الأَخْبَارِ والقُرْآنِ
واللهِ إِنَّهُمُ لَدَيْكُمْ مِثْلُ مَعْـ ـصُومٍ وَهَذَا غَايَةُ الطُّغْيَانِ
تَبًّا لَكُمْ مَاذَا التَّنَقُّصُ بَعْدَ ذَا لَوْ تَعْرِفُونَ العَدْلَ مِنْ نُقْصَانِ
واللهِ مَا يُرْضِيه جَعْلُكُمُ لَهُ تُرْسًا لِشرْكِكُمُ ولِلعُـدْوانِ
وَكَذاكَ جَعْلُكُمُ المشَايِخَ جُنَّةً بِخِلَافِهِ والقَصْدُ ذُو تبيَـانِ
واللهُ يَشْهَدُ ذَا بِجذْرِ قلوبِكُمْ وَكَذَاكَ يشْهَدُهُ أولُو الإِيمَانِ

وَاللهِ مَا عَظَّمْتُمُـوهُ طَاعَـةً وَمَحبَّةً يَا فِرْقَـةَ العِصْيَـانِ
أَنَّى وَجَهْلُكُمُ بِـهِ وَبدينـهِ وَخِلَافُكُمْ للوَحْيِ مَعْلُومَـانِ
أَوُصَاكُمُ أَشْيَاخُكُمْ بخِلَافِهِمْ لِوفَاقِهِ فِي سَالِفِ الأَزْمَـانِ
خَالَفْتُمُ قَولَ الشُّيوخِ وَقَوْلَهُ فغدَا لَكُمْ خُلْفَانِ متَّفِقَـانِ
واللهِ أَمْرُكُمُ عجيبٌ مُعْجِبٌ ضِدَّانِ فِيكُمْ لَيس يَتَّفقَـانِ
تَقْدِيمُ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَيْهِ مع هَذَا الغُلُوِّ فكَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
كَفَّرتُمُ مَنْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ جَهْـ ـلًا مِنْكُمُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ
لَكِنْ تجَّردْتُم لِنَصْرِ الشِّرْكِ والْـ ـبِدَعِ المضِلَّةِ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ
واللهِ لَمْ نَقصِدْ سِوَى التَّجْرِيـدِ لِلتَّـوحِيدِ ذَاكَ وَصِيَّةُ الرَّحْمٰـنِ
وَرِضَا رَسُولِ اللهِ مِنَّـا لَا غُلُـوَّ الشرْكِ أَصْلِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ
وَاللهِ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولُ دُعَاءَنَا إِيَّاهُ بَادَرْنَـا إِلَـى الإِذْعَـانِ
واللهِ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولُ سُجُودَنَا كُنَّا نَخِرُّ لَهُ عَلَى الأَذْقَانِ
واللهِ مَا يُرْضِيهِ منَّا غَيْر إِخْـ ـلَاصٍ وَتحْكِيمٍ لِذَا القُرْآنِ
وَلَقَدْ نَهَى ذَا الخَلْقَ عَنْ إِطْرَائِهِ فِعْلَ النَّصَارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ
وَلَقَدْ نَهَانَا أَنْ نُصَيِّرَ قَبْرَهُ عِيدًا حَذَارِ الشِّرْكِ بالرَّحْمٰـنِ
وَدَعَا بأَلَّا يُجْعَلَ القبرُ الَّذِي قَدْ ضَمَّهُ وَثَنًا مِنَ الأَوْثَانِ
فأَجَابَ رَبُّ العَالِمِينَ دُعَاءَهُ وَأَحَاطَـهُ بِثَلَاثَـةِ الجُـدْرَانِ
حَتَّى اغْتَدَتْ أَرْجَاؤهُ بدُعَائِهِ فِي عِزَّةٍ وحِمَايةٍ وَصِيَـانِ

وَلَقَدْ غَدَا عِنْدَ الوَفَاةِ مُصَرِّحًا بِاللَّعْنِ يَصْرُخُ فِيهِمُ بِـأَذَانِ
وَعَنَى الأُلَى جَعَلُوا القُبُورَ مَسَاجِدًا وَهُمُ اليَهُودُ وَعابِدُو الصُّلْبَانِ
واللهِ لَوْلَا ذَاكَ أبرزَ قَبْرَهُ لَكِنَّهُـمْ حَجَبُـوهُ بالحِيطَـانِ
قَصَدُوا إلَى تَسنِيم حُجْرَتِه لِيمْـ ـتَنعَ السُّجُودُ لَهُ عَلَى الأذْقَانِ
قَصَدُوا مُوَافَقَةَ الرَّسُولِ وَقَصْدَهُ التَّـجْرِيدَ لِلتَّوْحِيـدِ لِلرَّحْمٰـنِ
يَا فِرْقَةً جَهِلَتْ نُصُوصَ نَبِيهِمْ وَقُصُودَهُ وَحَقِيقَـةَ الإِيمَـانِ
فَسَطَوْا عَلَى أَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ بِالْبَغْيِ والعُـدْوانِ والبُهْتَـانِ
لَا تعْجَلوا وتَبيَّنُوا وَتَثَبَّتُـوا فَمُصَابُكُمْ مَا فِيهِ مِنْ حَيْرَانِ
قُلْنَا الَّذِي قَالَ الأَئمَةُ قَبْلَنَا وَبِهِ النُّصُوصُ أَتَتْ عَلَى التِّبْيَانِ
القَصْدُ حَجُّ البَيْتِ وَهْوَ فَرِيضَـةُ الـرَّحْمَـٰنِ وَاجِبَةٌ عَلَى الأَعْيَانِ
وَرِحَالُنَا شُدَّتْ إِلَيْهِ مِنْ بِقَا عِ الأَرْضِ قَاصِيهَا كَذَاكَ الدَّانِي
مَنْ لَمْ يَزُرْ بَيْتَ الإِلَهِ فَمَا لَهُ مِنْ حَجِّهِ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ
وَكَذَا نَشُدُّ رِحَالَنَا لِلمَسْجِدِ النَّـبوِيِّ خَيْرِ مَسَاجِدِ البُلْدَانِ
مِنْ بَعْدِ مَكَّةَ أَوْ عَلَى الإِطْلَاقِ فِيـ ـهِ الخُلْفُ بَيْنَ القَوْمِ مُنْذُ زَمَانِ
وَنَراهُ عِنْدَ النَّذْرِ فَرْضًا لكِنِ النُّـعْمَانُ يَأبَى ذَا وللنُّعْمَـانِ
أَصْلٌ هُوَ النَّافِي الوُجُوبَ فإِنَّهُ مَا جِنْسُهُ فَرْضًا عَلَى الإِنْسَانِ
وَلَنَـا بَراهِيـنٌ تَـدُلُّ بأَنَّــهُ بالنَّذْرِ مُفْتَرَضٌ عَلَى الإِنْسَانِ
أَمْرُ الرَّسُولِ لِكُلِّ نَاذرِ طَاعَةٍ بوفَائِـهِ بالنَّـذْرِ بـالإِحْسَانِ

وَصَلاتُنَا فِيهِ بأَلْفٍ مِنْ سِوَا ... هُ مَا خَلا ذَا الحِجْرِ والأرْكَانِ

وَكَذَا صَلاةٌ فِي قِبَا فَكعُمْرةٍ ... فِي أجْرِهَا والفَضْلُ للمنَّانِ

فإذَا أَتَيْنَا المسْجِدَ النَّبوِيَّ صَـلَّـيْنَـا ... التَّحِيَّــةَ أَوَّلا ثِنْتَــانِ

بِتَمَامِ أرْكَانٍ لَهَا وَخُشُوعِهَا ... وحُضُورِ قَلْبٍ فِعْلَ ذِي الإحْسَانِ

ثمَّ انْثنينَا للزيَارةِ نَقْصِدُ الْـ ... ـقَبْرَ الشَّرِيفَ وَلوْ عَلَى الأجْفَانِ

فَنَقُومَ دُونَ القَبْرِ وَقْفَةَ خَاضِعٍ ... مُتذَلِّلٍ فِي السِّرِّ والإعْلانِ

فَكَأَنَّهُ فِي القَبْرِ حيٌّ ناطِقٌ ... فَالوَاقِفُونَ نَـوَاكِسُ الأذْقَـانِ

مَلَكَتْهُمُ تِلْكَ المهَابَةُ فاعْتَرَتْ ... تِلْكَ القَوَائِمَ كَثْرَةُ الرَّجفَانِ

وَتَفَجَّرتْ تِلْكَ العُيُونُ بِمَائِهَا ... وَلَطَالَمَا غَاضَتْ عَلَى الأزْمَانِ

وَأَتَى المسَلِّمُ بالسَّلامِ بِهَيْبَةٍ ... وَوَقَارِ ذِي عِلْمٍ وذِي إيمَانِ

لَمْ يَرْفَعِ الأصْوَاتَ حَوْلَ ضَرِيحِهِ ... كَلَّا وَلَمْ يَسْجُدْ عَلَى الأذْقَانِ

كَلَّا وَلَمْ يُرَ طَائِفًا بِالقَبْرِ أسْـ ... ـبُوعًا كأَنَّ القَبْرَ بَيْتٌ ثَانِ

ثُمَّ انْثَنَى بِدُعَائِهِ مُتَوجِّهًـا ... للهِ نَحْوَ البَيْتِ ذِي الأرْكَانِ

هَذِي زِيَارَةُ مَنْ غَدَا مُتَمَسِّكًا ... بشَرِيعَةِ الإسْلامِ والإيمَــانِ

مِنْ أفْضَلِ الأعْمَالِ هَاتِيكَ الزِّيَا ... رَةُ وَهْي يَوْمَ الحَشْرِ فِي المِيزَانِ

لا تلْبسُوا الحَقَّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ ... سُنَنُ الرَّسُولِ بأعظَمِ البُرْهَانِ

هَذِي زِيَارَتُنَا وَلَمْ نُنْكِر سِوَى الْـ ... ـبِدَعِ المضِلَّةِ يا أُولِي العُدْوانِ

وَحَدِيثُ شَدِّ الرَّحْلِ نَصٌّ ثابتٌ ... يَجِبُ المصِيرُ إلَيْهِ بالبُرْهَانِ

□ فصـــل □

○ في تعيين أنَّ اتّباعَ السُّنةِ والقرآنِ ○ طريقة النَّجاةِ من النِّيرانِ

يَا مَنْ يُرِيدُ نَجَاتَهُ يَوْمَ الحِسَا ... بِ مِنَ الجَحِيمِ وَمُوقَدِ النِّيرَانِ
اتْبَعْ رَسُولَ اللهِ فِي الأَقْوَالِ والـ ... أَعْمَالِ لَا تَخْرُجْ عَنِ القُرْآنِ
وَخُذِ الصَّحِيحَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا لِعقْـ ... ـدِ الدِّينِ والإِيمَانِ وَاسِطَتَانِ
وَاقْرأْهُمَا بَعْدَ التَّجرُّدِ مِنْ هَوًى ... وَتَعَصُّبٍ وَحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ
وَاجْعَلْهُمَا حَكَمًا وَلَا تَحْكُمْ عَلَى ... مَا فِيهِمَا أَصْلًا بقَوْلِ فُلَانِ
وَاجْعَلْ مَقَالَتَهُ كَبعْضِ مَقَالَةِ الْـ ... أَشْيَاخِ تَنْصُرُهَا بِكُلِّ أوانِ
وَانصرْ مَقَالَتَهُ كَنَصْرِكَ للَّذِي ... قَلَّدْتَهُ مِنْ غَيْرِ مَا بُرْهَانِ
قَدِّرْ رَسُولَ اللهِ عِنْدَكَ وَحْدَهُ ... وَالقَوْلُ مِنْهُ إِلَيْكَ ذُو تِبْيَانِ
مَاذَا تَرَى فَرْضًا عَلَيْكَ مُعَيَّنًا ... إنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَذَا إِيمَانِ
عَرْضَ الَّذِي قَالُوا عَلَى أَقْوَالِهِ ... أَوْ عَكْسَ ذَاكَ فَذَانِكَ الأَمْرَانِ
هِيَ مَفْرِقُ الطُّرقَاتِ بَيْنَ طَرِيقِنَا ... وَطرِيقِ أَهْلِ الزَّيغِ والعُدْوَانِ
قَدِّرْ مَقَالَاتِ العِبَادِ جَمِيعِهِمْ ... عَدَمًا وَرَاجِعْ مَطْلَعَ الإِيمَانِ
واجْعَلْ جُلُوسَكَ بَيْنَ صَحْبِ مُحَمدٍ ... وَتَلَقَّ مَعْهُمْ عَنْهُ بالإِحْسَانِ
وَتَلَقَّ عَنْهُمْ مَا تَلَقَّوْهُ هُمُ ... عَنْهُ مِنَ الإِيمَانِ والعِرْفَانِ

أفَلَيْسَ فِي هَذَا بَلاغُ مُسَافِرٍ يَبْغِي الإِلَهَ وَجنَّةَ الحَيَوانِ
لَولَا التنَاوُشُ بَيْنَ هَذَا الخَلْقِ مَا كَانَ التفرُّقُ قَطُّ فِي الحُسْبَانِ
فالرَّبُّ رَبٌّ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُ حَقٌّ وَفَهْمُ الحَقِّ مِنْهُ دَانِ
وَرَسُولُهُ قَدْ أَوْضَحَ الحَقَّ المبيـ ـنَ بِغَايَةِ الإِيضَاحِ والتِّبْيَانِ
مَا ثَمَّ مِنْهُ فوقَ كُلِّ نَصِيحَةٍ يَحْتَاجُ سَامِعُهَا إِلَى تِبْيَانِ
والنُّصْحُ مِنْهُ فَوْقَ كُلِّ نَصِيحَةٍ والعِلْمُ مأْخُوذٌ عَنِ الرحْمٰنِ
فِلأَيِّ شيءٍ يَعْدِلُ البَاغِي الهُدَى عَنْ قَوْلِه لَوْلَا عَمَى الخُذْلَانِ
فَالنَّقْلُ عَنْهُ مُصَدَّقٌ وَالقَوْلُ مِنْ ذِي عِصْمَةٍ مَا عِنْدَنَا قَوْلَانِ
وَالعَكْسُ عِنْدَ سِوَاهُ فِي الأَمْرَيْنِ يَا مَنْ يَهْتَدِي هَلْ يَسْتَوِي النَّقْلَانِ
تَاللهِ قَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ نَحْوَ الفجْرِ نَاظِرَتَانِ
وأخُو العَمَايَةِ فِي عَمَايَتِهِ يَقُو لُ اللَّيْلُ بَعْدُ أَيسْتَوِي الرَّجُلَانِ
تَاللهِ قَدْ رُفِعَتْ لَكَ الأَعْلَامُ إِنْ كُنْتَ المشَمِّرَ نِلْتَ دَارَ أَمَانِ
وَإِذَا جَبُنْتَ وَكُنْتَ كَسْلَانًا فَمَا حُرِمَ الوُصُولَ إِلَيْه غَيْرُ جَبَانِ
فاقْدِمْ وَعِذْ بالوَصْلِ نَفْسَكَ واهْجُرِ الْـ ـمَقْطُوعَ مِنْهُ قَاطِعَ الإِنْسَانِ
عَنْ نَيْلِ مَقْصِدِهِ فَذَاكَ عدُوُّهُ وَلَوَ انَّهُ مِنْهُ القَرِيبُ الدَّانِي

* * *

□ فصـــل □

○ في تيسيرِ السَّيرِ إلى اللهِ على المثبتينَ ○ الموحدينَ وامتناعِهِ على المعطلينَ والمشركينَ

يَا قَاعِدًا سَارَتْ بِهِ أَنْفَاسُهُ   سَيْرَ البرِيدِ وَلَيْسَ بالذَّمَلانِ
حَتَّى متَى هَذا الرُّقَادُ وَقَدْ سَرَى   وَفْدُ المحَبَّةِ مَعْ أُولِي الإِحْسَانِ
وَحَدَتْ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ العُلَى   لَا حَادِيَ الركْبَانِ والأَظْعَانِ
رَكِبُوا العَزَائِمَ واعْتَلَوْا بظُهُورِها   وَسَرَوْا فَمَا حَنُّوا إلَى نُعْمَانِ
سَارُوا رُوَيْدًا ثُمَّ جَاءُوا أَوَّلًا   سَيْرَ الدَّلِيلِ يَؤُمُّ بالرُّكْبَـانِ
سَارُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ لَا   التَّـعْطِيـلِ والتَّحْرِيفِ والنُّكْرَانِ
عَرَفُوهُ بالأَوْصَافِ فامتَلأَتْ قُلُو   بُهُمُ لَهُ بالحُبِّ والإيمَـانِ
فَتطايَرتْ تِلكَ القُلُوبُ إِلَيْهِ بالْـ   أَشْوَاقِ إذْ مُلِئَتْ مِنَ العِرْفَانِ
وَأَشَدُّهُمْ حُبًّا لَـهُ أَدْراهُـمُ   بِصِفَاتِـهِ وحَقَائِـقِ القُـرْآنِ
فالحُبُّ يَتْبَعُ لِلشُّعورِ بِحَسْبِهِ   يَقْوَى وَيَضْعُفُ ذَاكَ ذُو تِبْيَانِ
وَلِذَاكَ كَانَ العَارِفُونَ صِفَاتِهِ   أَحْبَابَهُ هُمْ أَهْلُ هَذَا الشَّانِ
وَلِذَاكَ كَانَ العَالمونَ بِرَبِّهِمْ   أَحْبَابَـهُ وَبشِرْعَـةِ الإِيمَـانِ
وَلِذاكَ كَانَ المنْكِرونَ لَهَا هُمُ الْـ   أَعْدَاءُ حَقًّا هُمْ أُولُو الشَّنَآنِ
وَلِذَاكَ كَانَ الجَاهِلُونَ بِذَا وذَا   بُغَضَاءَهُ حَقًّا ذَوِي شَنَـآنِ

وحَيَاةُ قَلْبِ العَبْدِ فِي شَيْئِينِ مَنْ ... يُرْزَقْهُمَا يَحْيَا مَدَى الأَزْمَانِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الأُخْرَى يَكُو ... نُ الحَيَّ ذَا الرِّضْوَانِ والإِحْسَانِ
ذِكْرُ الإِلَهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْـ ... ـرَاكٍ بِهِ وَهُمَا فَمُمْتَنِعَانِ
مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَامْتِنَا ... عِ الطَّائِرِ المَقْصُوصِ مِنْ طَيَرانِ
أَيُحِبُّه مَنْ كَانَ يُنْكِرُ وَصْفَهُ ... وَعُلُوَّهُ وَكَلامَهُ بِقُرَانِ
لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ... مُتَكَلِّمًا بالوَحْيِ والفُرْقَانِ
اللهُ أَكْبَرُ ذَاكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْ ... تِيهِ لِمَنْ يَرْضَى بِلَا حُسْبَانِ
وَتَرَى المخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ تَقُولُ ذَا ... إِحْدَى الأَثَافِي خُصَّ بالحِرْمَانِ
اللهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَدْلُ اللهِ يَقْـ ... ـضِيهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ إِنْسَانِ
وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الحَمْدُ فِي الْـ ... أُولَى وفِي الأُخْرَى هُمَا حَمْدَانِ
حَمْدٌ لِذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَكَذَاكَ حَمْدُ العَدْلِ والإِحْسَانِ
يَا مَنْ تَعِزُّ عَلَيْهِمُ أَروَاحُهُمْ ... وَيَرَوْنَ غَبْنًا بَيْعَهَا بِهَوَانِ
وَيَرَوْنَ خُسْرانًا مُبِينًا بَيْعَهَا ... فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحَةٍ وَمُهَانِ
وَيَرَوْنَ مَيْدانَ التَّسَابُقِ بَارِزًا ... فيتاركُونَ تَقَحُّمَ المَيْدَانِ
وَيَرَوْنَ أَنْفَاسَ العِبَادِ عَلَيهِمُ ... قَدْ أُحْصِيَتْ بالعَدِّ والحُسْبَانِ
وَيَرَوْنَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللقَا ... للهِ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ
مَاذَا عَبَدْتُمْ ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبْـ ... ـتُمْ مَنْ أَتَى بِالحَقِّ والبُرْهَانِ
هَاتُوا جَوَابًا للسُّؤَالِ وَهيِّئُوا ... أَيْضًا صَوَابًا للجَوَابِ يَدَانِ

وَتَيقَّنُوا أَنْ لَيْسَ يُنْجِيكُمْ سِوَى تَجْرِيدِكُمْ لِحَقَائِقِ الإيمَـانِ
تَجرِيدُكُمْ تَوْحِيدَهُ سُبْحَانَـهُ عَنْ شِرْكَةِ الشَّيْطَانِ والأَوْثَانِ
وَكَذَاكَ تَجْرِيدُ اتِّبَاعِ رَسولِهِ عَنْ هَذِهِ الآرَاءِ والهَذَيَـانِ
واللهِ مَا يُنْجِي الفَتَى مِنْ رَبِّهِ شَيءٌ سِوَى هَذَا بِلَا رَوَغَانِ
يَاربِّ جَرِّدْ عَبْدَكَ المِسْكِينَ رَا جي الفَضْلِ مِنْكَ وأَضْعَفَ العُبْدانِ
لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ فَاجْعَلْهُ لَا يَنْسَاكَ أَنْتَ بَدَأْتَ بالإِحْسَانِ
وبِه خَتَمْتَ فكُنْتَ أولَى بالجَمِيـ ـلِ وَبِالثَّنَاءِ مِنَ الجَهُولِ الجَانِي
فَالعَبْدُ لَيْسَ يَضِيعُ بَيْنَ فَوَاتِحٍ وَخَواتِمٍ مِنْ فَضْلِ ذِي الغُفْرَانِ
أَنْتَ العَلِيمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتَهُ مِنْ تُرْبةٍ هِيَ أَضْعَفُ الأَرْكَانِ
كُلٌّ عَلَيْهَا قَدْ عَلَا وَهوتْ إِلَى تَحْت الجَمِيعِ بِذِلَةٍ وَهَوَانِ
وَعَلَتْ عَلَيْهَا النَّارُ حَتَّى ظَنَّ أَنْ يَعْلُو عَلَيْهَا الخَلْقُ مِنْ نِيرانِ
وَأَتَى إِلَى الأَبَوَيْنِ ظَنًّا أَنَّهُ سَيُصَيِّرُ الأَبَوَيْنِ تَحْتَ دُخَانِ
فَسَعَتْ إِلَى الأَبَوَيْنِ رحْمَتُكَ التي وَسِعَتْهُمَا فَعَلَا بِكَ الأَبَوَانِ
هَذَا وَنَحْن بَنُوهُمَا وَحُلُومُنَا فِي جَنْبِ حِلْمِهِمَا لَدَى المِيزَانِ
جُزْءٌ يَسِيرٌ والعَدُوُّ فَوَاحِدٌ لَهُمَا وَأَعْدَانَا بِلَا حُسْبَـانِ
وَالضَّعْفُ مسْتَوْلٍ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيـ ـعِ جِهَاتِنَا سِيمَـا مِنَ الأَيمَـانِ
يَارَبِّ مَعْذِرَةً إِلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ قَصْدُ العِبَادِ رُكُوبَ ذَا العِصْيَانِ
لَكِنْ نُفُوسٌ سَوَّلَتْهُ وَغَرَّهَا هَذَا الْعَدُوُّ لَهَا غُرُورَ أَمَانِ

فَتيقَّنَتْ يَارَبِّ أنَّكَ وَاسِعُ الْـ ـغُفْرَانِ ذُو فَضْلٍ وَذُو إحْسَانِ
وَمَقَالُنَا مَا قَالَهُ الأبَوَانِ قَبْـ ـلِ مَقَالَةِ العَبْدِ الظَّلُّومِ الجَانِي
نَحْنُ الأُلَى ظَلَمُوا وإنْ لَمْ تَغْفِرِ الذَّنْـ ـبَ العَظِيمَ فَنَحْنُ ذُو خُسْرَانِ
يَارَبُّ فَانْصُرْنَا عَلَى الشَّيْطَانِ لَيْـ ـسَ لَنَا بِهِ لَوْلَا حِمَاك يَدَانِ

□ فصــل □

○ في ظهورِ الفرقِ بينَ الطائفتينِ وعدمِ التباسِهِ ○
إلا على مَنْ ليسَ بذي عينينِ

وَالفَرْقُ بَيْنَكُمُ وَبَيْنَ خُصُومِكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ثَابتٌ بِبَيَانِ
مَا أَنْتُمُ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْكُمُ شَتَّانَ بَيْنَ السَّعْدِ والدَّبْرَانِ
فَإِذَا دَعَوْنَا لِلقُرْان دَعَوْتُـمُ لِلرَّأْيِ أَيْنَ الرَّأْيُ مِنْ قُرْآنِ
وَإِذَا دَعَوْنَا لِلْحَدِيثِ دَعَوْتُمُ أَنْتُمْ إِلَى تَقْلِيدِ قَوْلِ فُلانِ
وَكذَا تَلَقَّيْنَا نُصُوصَ نَبِيِّنَـا بِقَبولهَـا بِالحَـقِّ والإِذْعَــانِ
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا جَحْدٍ وَلَا تَفْوِيضِ ذِي جَهْلٍ بِلَا عِرْفَانِ
لَكِنْ بِإعْرَاضٍ وَتجْهِيلٍ وَتأْ وِيلٍ تَلَقَّيْتُـمْ مَـعَ النُّكْـرَانِ
أَنْكَرْتُمُوهَا جَهْدَكُمْ فإذَا أَتَى مَا لَا سَبِيلَ لَهُ إلَى نُكْرَانِ
أَعْرَضْتُمُ عَنْهُ وَلَمْ تَسْتَنبِطُوا مِنْهُ هُدًى لِحَقَائِقِ الإيمَانِ

فَإِذَا ابْتُلِيتُمْ مُكْرَهِينَ بِسَمْعِهَا فَوَّضْتُمُوهَا لَا عَلَى العِرْفَانِ
لَكِنْ بِجَهْلٍ لِلَّذِي سِيقَتْ لَهْ تَفْوِيضَ إِعْرَاضٍ وَجَهْلِ مَعَانِ
فَإِذَا ابْتُلِيتُمْ بِاحْتِجَاجِ خُصُومِكُمْ أَوْلَيْتُمُوهَا دَفْعَ ذِي صَوَلَانِ
فَالجَحْدُ والإِعْرَاضُ والتَّأْويلُ والتَّجْهِيلُ حَظُّ النَّصِّ عِنْدَ الجَانِي
لَكِنْ لَدَينَا حَظُّهُ التَّسْلِيمُ مَعْ حُسْنِ القَبُولِ وَفَهْمِ ذِي الإِحْسَانِ

□ فصلٌ □

○ في التَّفاوتِ بينَ حظِّ المثبتِينَ والمعطِّلينَ ○ من وحي ربِّ العالمينَ

وَلَنَا الحَقِيقَةُ مِنْ كَلَامِ إِلهِنَا وَنَصِيبُكُمْ مِنْهُ المجَازُ الثَّانِي
وَقَوَاطِعُ الوَحْيَيْنِ شَاهِدَةٌ لَنَا وَعَلَيْكُمُ هَلْ يَسْتَوِي الأَمْرَانِ
وَأَدِلَّةُ المعْقُولِ شَاهِدَةٌ لَنَا أَيْضًا فَقَاضُونَا إِلَى البُرْهَانِ
وَكَذَاكَ فِطْرَةُ رَبِّنَا الرحْمنِ شَا هِدَةٌ لَنَا أَيْضًا شُهُودَ بَيَانِ
وَكَذَاكَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ والأُلَى تَبِعُوهُمُ بالعِلْمِ والإِحْسَانِ
وَكَذَاكَ إِجْمَاعُ الأَئِمَّةِ بَعْدَهُمْ هَذَا كَلَامُهُمُ بِكُلِّ مَكَانِ
هَذِي الشهودُ فَهَلْ لَدَيْكُمْ أَنْتُمُ مِنْ شَاهِدٍ بِالنَّفْيِ والنُّكْرَانِ
وَجُنُودُنَا مَنْ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَجُنُودُكُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ

وَخِيَامُنَا مَضْرُوبَةٌ بِمَشَاعِرِ الْـ ـوَحْيَيْنِ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
وَخِيَامُكُمْ مَضْرُوبَةٌ بالتِّيـهِ فالسُّـكَّانُ كُـلُّ مُلَـدَّدٍ حَيْـرَانِ
هَذِي شَهَادَتُهُمْ عَلَى مَحْصُولِهِمْ عِنْدَ المَمَاتِ وَقَوْلُهُمْ بِلِسَانِ
واللهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ أَيْضًا كَذَا تَكْفِي شَهَادَةُ رَبِّنَا الرَّحْمنِ
وَلَنَا المسَانِدُ والصِّحَاحُ وَهَـذِهِ السُّـنَنُ الَّتِي نَابَتْ عَنِ القُرْآنِ
وَلَكُمْ تَصَانِيفُ الكَلَامِ وَهذِهِ الْـ آرَاءُ وَهْيَ كَثِيرَةُ الهَذَيَـانِ
شُبَهٌ يُكَسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَبَيْـ ـتٍ مِنْ زُجَاجٍ خَرَّ لِلأَرْكَانِ
هَلْ ثَمَّ شَيءٌ غَيْرَ رَأْيٍ أَوْ كَلَا مٍ بَاطِلٍ أَوْ مَنْطِقِ اليُونَانِ
وَنَقُولُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ فِي كُلِّ تَصْنِيفٍ وَكُلِّ مَكَانِ
لَكِنْ تَقُولُوا قَالَ آرسطُو وَقَا لَ ابنُ الخَطِيبِ وَقَال ذُو العِرْفَانِ
شَيْخٌ لَكُمْ يُدْعَى ابنَ سِينَا لَمْ يَكُنْ مُتَقَيِّـدًا بالدِّيـنِ والإِيمَـانِ
وَخِيَارُ مَا تَأْتُونَ قَـالَ الأَشْعَـرِيُّ وَتشْهَدُونَ عَلَيْهِ بِالبُهْتَانِ
فَالأَشْعَرِيُّ مُقَـرِّرٌ لِعُلُـوِّ رَبِّ العَرْشِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الأَكْوَانِ
فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ بالمعْقُولِ والـ ـمنْقُولِ ثُمَّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمنِ
هَذَا وَنَحْنُ فَتَارِكُو الآرَاء لَلنَّـقْلِ الصَّحِيحِ وَمُحْكَمِ الفُرْقَانِ
لَكِنَّكُمْ بالعَكْسِ قَدْ صَرَّحْتُمُ وَوَضَعْتُمُ القَانُونَ ذَا البُهْتَانِ
وَالنَّفْيُ عِنْدَكُمُ عَلَى التَّفْصِيلِ والْـ إِثْبَاتُ إِجْمَالًا بِلَا نُكْـرَانِ
وَالمثْبِتُونَ طَرِيقُهُمْ نَفْيٌ عَلَى الـ إِجْمَـالِ وَالتَّفْصِيـلِ بالتِّبْيَـانِ

فَتَدبَّروا القُرْآنَ مَعْ مَنْ مِنْكُمَا وَشَهَادَةَ المبْعُوثِ بالقُرْآنِ
وَعَرَضْتُمُ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي قَالَ الشُّيُوخُ وَمُحْكَمَ الفُرْقَانِ
فَالمُحْكَمُ النَّصُّ الموَافِقُ قَوْلَهُمْ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ فِي الأَذْهَانِ
لَكِنَّمَا النَّصُّ المخَالِفُ قَوْلَهُمْ مُتَشَابِهٌ مُتَأَوَّلٌ بِمَعَانِ
وَإِذَا تَأَدَّبْتُمْ تَقُولُوا مُشْكِلٌ أَفَوَاضِحٌ يَا قَوْمُ رأيُ فُلانِ
وَاللهِ لَوْ كَانَ الموَافِقَ لَمْ يَكُنْ مُتَشَابِهًا مُتَأَوَّلًا بِلِسَانِ
لَكِنْ عَرَضْنَا نَحْنُ أَقْوَالَ الشُّيُو خِ عَلَى الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الوَحْيَانِ
مَا خَالَفَ النَّصَّيْنِ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ شَيْئًا وقُلنَا حَسْبُنَا النَّصَّانِ
وَالمشْكِلُ القَوْلُ المخَالِفُ عِنْدَنَا فِي غَايَةِ الإِشْكَالِ لَا التِّبْيَانِ
وَالعَزْلُ والإِبقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى الْـ آرَاءِ عِنْدَكُمُ بِلَا كِتْمَانِ
لَكِنْ لَدَيْنَا ذَاكَ مَرْجِعُهُ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ
وَالْكُفْرُ وَالْإِسْلَامُ عَيْنُ خِلَافِهِ وَوِفَاقُهُ لَا غَيْرُ بِالْبُرْهَانِ
وَالكُفْرُ عِنْدَكُمْ خِلَافُ شُيُوخِكُمْ وَوِفَاقُهُمْ فَحَقِيقَةُ الإِيمَانِ
هَذِي سَبِيلُكُمُ وَتِلْكَ سَبِيلُنَا وَالموعِدُ الرَّحْمَٰنُ بَعْدَ زَمَانِ
وَهُنَاكَ يُعْلَمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْـ ـحَقِّ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الدَّيَّانِ
فَاصبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ فَإِذَا أُصِبْتَ فَفِي رِضَا الرَّحْمَٰنِ
فَالقَوْمُ مِثْلُكَ يَأْلَمُونَ وَيَصْبِرُو نَ وَصَبْرُهُمْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ

* * *

□ فصــل □

○ فِي بيانِ الاستغناءِ بالوحي المنزَّلِ من السماءِ ○ عنْ تقليدِ الرِّجالِ والآراءِ

يَا طَالِبَ الحَقِّ المُبينِ وَمُؤْثِرًا عِلْمَ اليَقِيْنِ وَصِحَّةَ الإِيمَانِ
اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصحٍ خَبِرَ الَّذِي عِنْدَ الوَرَى مُذْ شَبَّ حَتَّى الآنِ
مَا زَالَ مُذ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ قَدْ شَدَّ مِيزَرهُ إِلَى الرَّحْمَـٰنِ
وَتخَلُّلُ الفَتَرَاتِ لِلْعَزَمَاتِ أَمْـ ـرٌ لاَزِمٌ لِطَبِيعَـةِ الإِنْسَانِ
وَتَوَلُّدُ النُّقْصَانِ مِنْ فَتَرَاتِـهِ أَوَ لَيْسَ سَائِرُنَا بَنِي النُّقْصَانِ
طَافَ المذَاهِبَ يَبْتَغِي نُورًا لِيَهْـ ـدِيَهُ وَيُنْجِيَهُ مِنَ النِّيـرَانِ
وَكَأَنَّهُ قَدْ طَافَ يَبْغِي ظُلْمَةَ الـلَّـيْلِ البَهِيمِ وَمَذْهَبَ الحَيْرَانِ
وَاللَّيْلُ لَا يَزْدَادُ إِلا قُـوَّةً وَالصُّبْحُ مَقْهُورٌ بِذِي السُّلْطَانِ
حَتَّى بَدَتْ فِي سَيْرِهِ نَارٌ عَلَى طُوْرِ المَدِيْنَةِ مَطْلَعِ الإِيْمَانِ
فَأَتَى لِيَقْبِسَهَا فَلَمْ يُمْكِنْهُ مَعْ تِلْكَ القُيُودِ مَنَالُهَا بِأَمَـانِ
لَولَا تَدَارَكَهُ الإِلَـهُ بِلُطْفِـهِ وَلَّى عَلَى العَقِبَيْنِ ذَا نُكْصَانِ
لَكِنْ تَوقَّفَ خَاضِعًا مُتَذَلِّلا مُسْتَشْعِرَ الإِفْلَاسِ مِنْ أَثْمَانِ
فأَتَاهُ جُنْدٌ حَلَّ عَنْهُ قُيُودَهُ فَامْتَـدَّ حِينَئِـذٍ لَـهُ البَاعَـانِ
وَاللهِ لَوْلَا أَنْ تُحَلَّ قُيُودُهُ وَتَزُولَ عَنْهُ رِبْقَةُ الشَّيْطَانِ

كَانَ الرُّقِيُّ إِلَى الثُّرَيَّا مُصْعِدًا مِنْ دُونِ تِلْكَ النَّارِ فِي الإِمْكَانِ
فَرَأَى بِتِلْكَ النَّارِ آطَامَ المدِيـ ـنَةِ كَالخِيَامِ تَشُوفُهَا العَيْنَانِ
وَرَأَى هُنَالِكَ كُلَّ هَادٍ مُهْتَدٍ يَدْعُو إِلَى الإِيمَانِ وَالإِيقَانِ
فَهُنَاكَ هَنَّأَ نَفْسَهُ مُتَذَكِّرًا مَا قَالَهُ المشْتَاقُ مُنْذُ زَمَانِ
وَالمسْتَهَامُ عَلَى المحَبَّةِ لَمْ يَزَلْ حَاشَا لِذِكْرَاكُمْ مِنَ النِّسْيَانِ
لَوْ قِيلَ مَا تهْوَى لَقَالَ مُبَادِرًا أَهْوَى زِيَارَتَكُمْ عَلَى الأَجْفَانِ
تَاللهِ إِنْ سَمَحَ الزَّمَانُ بِقُرْبِكُمْ وَحَلَلْتُ مِنْكُمْ بِالمَحَلِّ الدَّانِي
لَأُعَفِّرَنَّ الخَدَّ شُكْرًا فِي الثَّرى وَأُكَحِّلَنَّ بِتُرْبِكُمْ أَجْفَانِي
إِنْ رُمْتَ تُبْصِرُ مَا ذَكَرْتَ فَغُضَّ طَرْ فًا عَنْ سِوَى الآثَارِ وَالقُرْآنِ
واتْرُكْ رُسُومَ الخَلْقِ لَا تَعْبأْ بِهَا فِي السَّعْدِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ دَبْرَانِ
حَدِّقْ لِقَلبكَ فِي النُّصُوصِ كَمِثْلِ مَا قَدْ حَذَّقُوا فِي الرَّأْيِ طُولَ زَمَانِ
وَاكحَلْ جُفُونَ القَلْبِ بِالوَحْيَينِ وَاحْـ ـذَرْ كُحْلَهُمْ يَا كَثْرَةَ العُمْيَانِ
فَاللهُ بَيَّنَ فِيهِمَا طُرُقَ الهُدَى لِعِبَادِهِ فِي أَحْسَنِ التِّبْيَانِ
لَمْ يُحْوِجِ اللهُ الخَلَائِقَ مَعْهُمَا لِخَيَالِ فَلْتَانٍ وَرَأْيِ فُلَانِ
فَالوَحْيُ كَافٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ شَافٍ لِدَاءِ جَهَالَةِ الإِنْسَانِ
وَتَفَاوُتُ العُلَمَاءِ فِي أَفْهَامِهِمْ لِلْوَحْيِ فَوْقَ تَفَاوُتِ الأَبْدَانِ
وَالجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفِقَانِ
نَصٌّ مِنَ القُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةٍ وَطَبِيبُ ذَاكَ العَالِمُ الرَّبَّانِي

وَالعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلاثٌ مَا لَهَا مِنْ رَابعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
عِلْمٌ بأَوْصَافِ الإلهِ وَفِعْلِهِ وَكَذلكَ الأَسْمَاءُ للرَّحْمَـٰنِ
وَالأَمْرُ والنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ وَجزَاؤُهُ يَوْمَ المَعَادِ الثَّانِـي
وَالكُلُّ فِي القُرْآنِ والسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ المَبْعُوثِ بالفُرْقَانِ
وَاللهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مُتَحَذْلِقٌ بِسِوَاهُمَا إِلَّا مِنَ الهَذَيَـانِ
إنْ قُلتُمُ تَقْرِيرُهُ فَمُقَـرَّرٌ بِأَتَمِّ تَقْرِيرٍ مِـنَ الرَّحْمَـٰنِ
أَوْ قُلْتُـمُ إِيضَاحُـهُ فَمُبَيَّـنٌ بِأَتَمِّ إِيضَاحٍ وَخَيْرِ بَيَـانِ
أَوْ قُلْتُمُ إِيجَازُه فَهوَ الَّذِي فِي غَايَةِ الإِيجَازِ والتِّبْيَـانِ
أَوْ قُلْتُمُ مَعْنَاهُ هَذَا فَاقْصِدُوا مَعْنَى الخِطَابِ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ
أَوْ قُلتُمُ نَحْنُ التَّرَاجِمُ فَاقْصِدُوا الـ ـمَعْنَى بِلَا شَطَطٍ وَلَا نُقْصَانِ
أَوْ قُلْتُمُ بِخِلَافِهِ فَكَلَامُكُـمْ فِي غَايَةِ الإِنْكَارِ والبُطْلَانِ
أَوْ قُلْتُمُ قِسْنَا عَلَيْهِ نَظِيرَهُ فَقِيَاسُكُمْ نَوْعَـانِ مُخْتَلِفَـانِ
نَوْعٌ يُخَالِفُ نَصَّهُ فَهوَ المُحَا لُ وَذَاكَ عِنْدَ اللهِ ذُو بُطْلَانِ
وَكَلَامُنَا فِيهِ وَلَيْسَ كَلَامُنَا فِي غَيْرِهِ أَعْنِي القِيَاسَ الثَّانِي
مَا لَا يُخَالِفُ نَصَّهُ فالنَّاسُ قَدْ عَمِلُوا بهِ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ
لَكِنَّهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ لَا يُصَا رُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ ذَا الفِقْدَانِ
هَذَا جَوَابُ الشَّافِعِيِّ لِأَحْمَدٍ للهِ دَرُّكَ مِنْ إِمَامِ زَمَـانِ
وَاللهِ مَا اضْطُرَّ العِبَادُ إِلَيهِ فِيـ ـمَا بَيْنَهُمْ مِنْ حَادِثٍ بِزَمَانِ

فَإِذَا رَأَيْتَ النَّصَّ عَنْهُ سَاكِتًا فَسُكُوتُهُ عَفْوٌ مِنَ الرَّحْمـٰنِ
وَهوَ المبَاحُ إِبَاحَةَ العَفْوِ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ حَرَجٍ وَلَا نُكْرَانِ
فَأَضِفْ إِلَى هَذَا عُمُومَ اللفْظِ والْـ ـمعْنَى وحُسْنَ الفَهْمِ فِي القُرْآنِ
فَهُنَاكَ تُصْبِحُ فِي غِنًى وَكِفَايَةٍ عَنْ كُلِّ ذِي رَأيٍ وَذِي حُسْبَانِ
وَمقَدَّرَاتُ الذِّهْنِ لَمْ يَضْمَنْ لَنَا تِبْيَانُهَا بِالنَّصِّ والقُرْآنِ
وَهيَ الَّتِي فِيهَا اعْتَرَاكُ الرأيِ مِنْ تَحْتِ العَجَاجِ وَجَوْلَةِ الأَذْهَانِ
لَكِنْ هُنَا أَمْرَانِ لَوْ تَمَّا لَمَا احْـ ـتَجْنَا إِلَيْهِ فَحَبَّذَا الأمْرَانِ
جَمْعُ النُّصُوصِ وَفَهْمُ مَعْنَاهَا المُرا دِ بِلَفْظِهَا وَالْفَهْمُ مَرْتَبَتَانِ
إِحْدَاهُمَا مَدْلُولُ ذَاكَ اللَّفظِ وَضْـ ـعًا أَوْ لُزُومًا ثُمَّ هَذَا الثَّانِي
فِيهِ تَفَاوَتَتِ الفُهُومُ تَفَاوُتًا لَمْ يَنْضبِطْ أَبدًا لَهُ طَرَفَانِ
فَالشَّيءُ يَلْزَمُهُ لَوازِمُ جَمَّةٌ عِنْدَ الخَبِيرِ بِهِ وَذِي العِرْفَانِ
فَبِقَدْرِ ذَاكَ الخبْرِ يُحْصِي مِنْ لَوَا زِمِهِ وَهَذَا وَاضِحُ التِّبْيَانِ
وَلَذَاكَ مَنْ عَرَفَ الكِتَابَ حَقِيقَةً عَرَفَ الوُجُودَ جَمِيعَهُ بِبَيَانِ
وَكَذَاكَ يَعْرِفُ جُمْلَةَ الشَّرْعِ الَّذِي يَحْتَاجُهُ الإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانِ
عِلْمًا بِتَفْصِيلٍ وَعِلْمًا مُجْمَلًا تَفْصِيلُهُ أَيْضًا بِوَحْيٍ ثَانِ
وَكِلَاهُمَا وَحْيَانِ قَدْ ضَمِنَا لَنَا أَعْلَى العُلُومِ بِغَايَةِ التِّبْيَانِ
وَلِذَاكَ يُعرفُ مِنْ صِفَاتِ اللهِ وَالْـ أَفْعَالِ والأَسْمَاءِ ذِي الإِحْسَانِ
مَا لَيسَ يُعْرَفُ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِهِ أَبدًا وَلَا مَا قَالَتِ الثَّقَلَانِ

وَكَذَاكَ يُعْرَفُ مِنْ صِفَاتِ البَعْثِ بالتَّـفْصِيلِ والإِجْمَالِ فِي القُرْآنِ
مَا يَجْعَلُ اليَوْمَ العَظِيمَ مُشَاهَدًا بِالقَلْبِ كالمشْهُودِ رَأْيَ عِيَانِ
وَكَذَاكَ يُعْرَفُ مِنْ حَقِيقَةِ نَفْسِهِ وَصِفَاتِهَا بِحَقِيقَةِ العِرْفَانِ
يَعْرِفْ لَوَازِمَهَا وَيَعْرِفُ كَوْنَهَا مَخْلُوقَةً مَرْبُوبَةً بِبَيَانِ
وَكَذَاكَ يَعْرِفُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الـ ـحَاجَاتِ والإِعْدَامِ والنُّقْصَانِ
وَكَذَاكَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَصِفَاتِهِ أَيْضًا بِلَا مِثْلٍ وَلَا نُقْصَانِ
وَهُنَا ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ فَافْطِنْ لَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانِ
بالضِّدِّ والأَوْلَى كَذَا بِالإِمْتِنَا عِ لِعِلْمِنَا بِالنَّفْسِ والرَّحْمَٰنِ
فَالضِّدُّ مَعْرِفَةُ الإِلَهِ بِضِدِّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
وَحَقِيقَةُ الأَوْلَى ثُبُوتُ كَمَالِهِ إِذْ كَانَ مُعْطِيهِ عَلَى الإِحْسَانِ

□ فصـــل □

○ في بيانِ شروطِ كفايةِ النصينِ ○
والاستغناءِ بالوحيينِ

وَكِفَايَةُ النَّصَّيْنِ مَشْرُوطٌ بِتَجْـ ـرِيدِ التَّلَقِّي عَنْهُمَا لمعَانِ
وَكَذَاكَ مَشْرُوطٌ بِخَلْعِ قُيُودِهِمْ فَقُيُودُهُمْ غُلٌّ إِلَى الأَذْقَانِ
وَكَذَاكَ مَشْرُوطٌ بِهَدْمِ قَوَاعِدٍ مَا أُنْزِلَتْ بِبَيَانِهَا الوَحْيَانِ

وَكذَاكَ مَشْرُوطٌ بإقدَامٍ عَلَى الْـ   آرَاءِ إنْ عَرِيَتْ عَنِ البُرْهَانِ
بِالرَّدِّ والإِبْطَالِ لاَ تَعْبأ بِهَا   شَيْئًا إذَا مافَاتَهَا الـنَّصَّانِ
لَوْلا القَوَاعِدُ والقُيودُ وهَذِهِ الْـ   آرَاءُ لاتَّسَعَتْ عُرَى الإِيمَانِ
لَكِنَّهَا وَاللهِ ضَيِّقَةُ العُـرَى   فَاحْتَاجَتِ الأَيْدَي لِذَاكَ تَوانِ
وَتَعَطَّلَتْ مِنْ أجْلِهَا واللهِ أعْـ   ـدَادٌ مِنَ النَّصَّيْنِ ذَاتُ بَيَانِ
وَتضَمَّنَتْ تَقْييدَ مُطْلَقِهَا وإطْـ   ـلاَقَ المقَيَّدِ وَهْوَ ذُو مِيزَانِ
وَتَضَمَّنَتْ تَخْصِيصَ مَا عَمَّتْه والتَّـ   ـعْمِيمُ لِلمَخْصُوصِ بالأَعْيَانِ
وَتَضَمَّنَتْ تَفْرِيقَ مَا جَمَعَتْ وَجمْـ   ـعًا لِلذِي وَسَمَتْهُ بِالفُرْقَانِ
وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدْ وَسَّعَتْـ   ـهُ وَعَكْسَهُ فَلتَنْظُرِ النَّوْعَانِ
سَكَتَتْ وَكَانَ سُكُوتُهَا عَفْوًا فَلَمْ   تَعْفُ القَواعِدُ باتِّسَاعِ بِطَانِ
وَتَضَمَّنَتْ إهْدَارَ مَا اعْتَبرتْ كَذَا   بِالْعَكْسِ وَالأَمْرَانِ مَحْذُورَانِ
وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا شُروطًا لَمْ تَكُنْ   مَشْرُوطَةً شَرْعًا بِلا بُرْهَانِ
وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا مَوانِعَ لَمْ تَكُنْ   مَمْنُوعَةً شَرْعًا بِلا تِبْيَـانِ
إلَّا بأقْـيِسَةٍ وَآرَاءٍ وَتقْـــ   ـلِيدٍ بِلاَ عِلْمٍ أَوِ اسْتِحْسَانِ
عَمَّنْ أَتَتَ هَذِي القَوَاعِدُ مِنْ جَمِيـ   ـعِ الصَّحْبِ وَالأَتْبَاعِ بِالإِحْسَانِ
مَا أَسَّسُوا إلا اتِّبَاعَ نَبِيِّهِمْ   لاَ عَقلَ فُلْتَانٍ وَرَأْيَ فُلاَنِ
بَلْ أَنْكَرُوا الآرَاءَ نُصْحًا مِنْهُمُ   للهِ وَالدَّاعِـــي وَللقُــــرْآنِ
أَوَ لَيْسَ فِي خُلْفٍ بِهَا وتَنَاقُضٍ   مَا دَلَّ ذَا لُبٍّ وَذَا عِرْفَانِ

والله لَوْ كَانَتْ مِنَ الرَّحْمـٰنِ مَا اخْـ ـتَلَفَتْ وَلَا انْتَقَضَتْ مَدَى الأَزْمَانِ
شُبَهٌ تَهَافَتُ كالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانِ
والله لَا يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ عَلْيَاءَ طَالِبَةٍ لِهَـذَا الشَّانِ
فَمِثَالُهَا والله فِي قَلْبِ الفَتَى وَثَبَاتُهَا فِي مَنْبَتِ الإِيمَانِ
كَالزَّرْعِ يَنْبتُ حَوْلَهُ دَغَلٌ فَيَمْـ ـنَعُهُ النَّما فَتَرَاهُ ذَا نُقْصَانِ
وَكذَلِكَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِ الفَتَى غَرْسٌ مِنَ الرَّحْمـٰنِ فِي الإِنْسَانِ
والنَّفْسُ تُنْبتُ حَوْلَه الشَّهَوَاتِ والـشُّـبُهَاتِ وَهْيَ كثيرَةُ الأَفْنَانِ
فَيعُودُ ذَاكَ الغَرْسُ يَبْسًا ذَاوِيًا أَوْ نَاقِصَ الثَّمراتِ كُلَّ أَوَانِ
فَتَرَاهُ يَحْرُثُ دَائِبًا وَمَغَلُّـهُ نَزْرٌ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الخُسْرَانِ
وَالله لَوْ نَكشَ النَّبَاتَ وَكَانَ ذَا بَصَرٍ لِذَاكَ الشَّوْكِ والسَّعْدَانِ
لَأَتَى كأَمْثَالِ الجِبَالِ مَغَلُّهُ وَلَكَانَ أَضْعَافًا بِلَا حُسْبَانِ

□ فصـــل □

هَذَا وَلَيْسَ الطَّعْنُ بالإِطْلَاقِ فِيـ ـهَا كُلِّهَا فِعْلَ الجَهُولِ الجَانِي
بَلْ فِي الَّتِي قَدْ خَالَفَتْ قَوْلَ الرَّسُو لِ وَمُحْكَمَ الإِيمَانِ والفُرْقَانِ
أَو فِي الَّتِي مَا أَنزَلَ الرَّحْمـٰنُ فِي تَقْرِيرِهَا يَا قَوْمُ مِنْ سُلْطَانِ
فَهِيَ التِي كَمْ عَطَّلَتْ مِنْ سُنَّةٍ بَلْ عَطَّلَتْ مِنْ مُحْكَمِ القُرْآنِ
هَذَا وَتَرْجُو أَنَّ وَاضِعَهَا فَلَا يَعْدُوهُ أَجْرٌ أَوْ لَهُ أَجْرَانِ

إذْ قَالَ مَبْلَغُ عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ إيـ ـجَابِ القَبُولِ لَهُ عَلَى إنْسَانِ
بَلْ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَبُولِ كَلامِهِ نَصًّا بِتَقْلِيـدٍ بِلَا بُرْهَـانِ
وَكَذَاكَ أَوْصَانَا بِتَقْدِيمِ النُّصُو صِ عَلَيْهِ مِنْ خَبَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
نَصَحَ العِبَادَ بِذَا وَخَلَّصَ نَفْسَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدَّيَّانِ
وَالخَوْفُ كُلُّ الخَوْفِ فَهْوَ عَلَى الَّذِي تَرَكَ النُّصُوصَ لأَجْلِ قَوْلِ فُلَانِ
وَإِذَا بَغَى الإحْسَانَ أَوَّلَهَا بِمَا لَوْ قَالَهُ خَصْمٌ لَهُ ذُو شَانِ
لَرَمَاهُ بِالدَّاءِ العُضَالِ مُنَادِيًا بِفَسَادِ مَا قَدْ قَالَهُ بِـأَذَانِ

□ فصـــل □

○ في لازمِ المذهبِ هلْ هُوَ مَذْهبٌ أمْ لَا ○

وَلَوَازِمُ المَعْنَى تُرادُ بِذِكْرِهِ مِنْ عَارِفٍ بِلُزُومِهَا الحقَّانِي
وَسِوَاهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ فِي حَقِّهِ قَصْدَ اللَّوازِمِ وَهْيَ ذُو تِبْيَانِ
إذْ قَدْ يَكُونُ لُزُومُهَا المجْهُول أَوْ قَدْ كَانَ يَعْلَمُهُ بِلَا نُكْرانِ
لَكِنْ عَرَتْهُ غَفْلَةٌ بِلُزُومِهَـا إِذْ كَانَ ذَا سَهْوٍ وَذَا نِسْيَانِ
وَلِذَاكَ لَمْ يَكُ لَازِمًا لِمَذَاهِبِ الـ ـعُلَمَاءِ مَذْهَبُهُمْ بِلَا بُرْهَانِ
فَالمقْدِمُونَ عَلَى حِكَايَةِ ذَاكَ مَذْ هَبُهُمْ أولُو جَهْلٍ مَعَ العُدْوانِ
لَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهورِهِ وَخَفَائِهِ قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللزومِ الدَّانِي
سِيمَا إذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ لَكِنْ يُظَنُّ لُزُومُهُ بِجَنَـانِ

لَا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ وَيْحَكُمُ عَلَى مَا تُلْزِمُونَ شَهَادَةَ البُهْتَانِ
بِخِلَافِ لَازِمِ مَا يَقُولُ إِلهُنَا وَنَبِيُّنَا المَعْصُومُ بالبُرْهَانِ
فَلِذَا دَلَالَاتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ وَخَفِيَةٌ تَخْفَى عَلَى الأَذْهَانِ
واللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ الفَهْمَ فِي آيَاتِهِ رِزْقًا بِلَا حُسْبَانِ
وَاحْذَر حِكَايَاتٍ لأَرْبَابِ الكَلَا مِ عَنِ الخُصُومِ كَثِيرَةِ الهَذَيَانِ
فَحَكَوْا بِمَا ظَنُّوهُ يُلْزِمُهُمْ فَقَا لُوا ذَاكَ مَذْهَبُهُمْ بِلَا بُرْهَانِ
كَذَبُوا عَلَيْهِمْ بَاهِتِينَ لَهُمْ بِمَا ظَنُّوهُ يُلْزِمُهُمْ مِنَ البُهْتَانِ
فَحَكَى المُعَطِّلُ عَنْ أُولِي الإِثْبَاتِ قَوْ لَهُمُ بِأَنَّ اللهَ ذُو جُسْمَانِ
وَحَكَى المعطِّلُ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ يُرَى لَنَا بِعِيَانِ
وَحكَى المعطِّلُ أَنَّهُمْ قَالُوا يَجُو زُ كَلَامُهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ مَعَانِ
وَحكَى المعطِّلُ أَنَّهُمْ قَالُوا بِتَحْ يِيزِ الإِلهِ وَحَصْرِهِ بِمَكَانِ
وَحكَى المعطِّلُ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ الْـ أَعْضَاءُ جَلَّ اللهُ عَنْ بُهْتَانِ
وَحكَى المعطِّلُ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ هُوَ التَّشْبِيهُ لِلخَلَّاقِ بِالإِنْسَانِ
وَحكَى المعطِّلُ عَنْهُمُ مَا لَمْ يَقُو لُوه وَلَا أَشْيَاخُهُمْ بِلِسَان
ظَنَّ المعطِّلُ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ فَلِذَا أَتَى بِالزُّورِ والعُدْوَانِ
فَعَلَيْهِ فِي هَذَا مَعَاذِيرٌ ثَلَا ثٌ كُلُّهَا مُتَحَقِّقُ البُطْلَانِ
ظَنُّ اللزومِ وَقَذْفُهُمْ بِلزومِهِ وَتَمَامُ ذَاكَ شَهَادَةُ الكُفْرَانِ
يَا شَاهِدًا بِالزُّورِ وَيْحَكَ لَمْ تخَفْ يَوْمَ الشَّهَادَةِ سَطْوَةَ الدَّيَّانِ

يَا قَائِلَ البُهْتَانِ غَطٌّ لَوَازِمًا قَدْ قُلْتَ مَلْزُومَاتِهَا بِبَيَـانِ
وَاللهِ لَازِمُهَا انْتِفَاءُ الذّاتِ وَالْـ أَوْصَافِ والأفْعَالِ للرَّحْمٰـنِ
واللهِ لَازِمُهَا انْتِفَاءُ الدِّينِ وَالْـ ـقُرْآنِ والإِسْلَامِ والإِيمَـانِ
وَلُزُومُ ذَلِكَ بَيِّنٌ جِدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَـانِ وَاعِيَتَـانِ
واللهِ لَوْلَا ضِيقُ هَذَا النَّظْـم بَيَّـنْتُ اللُّـزُومَ بأوْضَحِ التِّبْيَانِ
وَلَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا يَكْفِي لمنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ نَاظِرَتَـانِ
إنَّ الذَّكِيَّ بِبَعْضِ ذَلِكَ يَكْتَفِي وَأخُو البَلَادَةِ سَاكِنُ الجَبَّانِ
يَا قَوْمَنَا اعْتَبِروا بِجَهْلِ شُيُوخِكُمْ بِحَقَائِقِ الإيمَـانِ والقُـرْآنِ
أَو مَا سَمِعْتُمْ قَولَ أفْضَلَ وَقْتِهِ فِيكُمْ مَقَالَـةَ جَاهِـلٍ فَتَّـانِ
إنَّ السَّمواتِ العُلَى والأرْضَ قَبْـ ـلَ العَرْشِ بالإجْمَاعِ مَخْلُوقَانِ
واللهِ مَا هَذِي مَقَالَةُ عَالِمٍ فَضْلًا عَنِ الإجْمَاعِ كُلَّ زَمَانِ
مَنْ قَالَ ذَا قَدْ خَالَفَ الإجْمَاعَ والْـ ـخَبَرَ الصَّحِيحَ وَظَاهِرَ القُرْآنِ
فَانْظُرْ إلَى مَا جَرَّهُ تَأويلُ لَفْـ ـظِ الإسْتِوَاءِ بِظَاهِرِ البُطْلَانِ
زَعَمَ المعَطِّلُ أنَّ تَأوِيلَ اسْتَوَى بالخَلْقِ والإقْبَالِ وَضْعَ لِسَانِ
كَذَبَ المعَطِّلُ لَيْسَ ذَا لُغَةَ الأُلَى قَدْ خُوطِبُوا بِالوَحْيِ والقُرْآنِ
فَأحَارَهُ هَذَا إلَى أنْ قَالَ خَلْـ ـقُ العَرْشِ بَعْدَ جَمِيعِ ذِي الأكْوَانِ
يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ لَهُ وإجْـ ـمَاعِ الهُدَاةِ ومُحْكَمِ القُرْآنِ

* * *

□ فصـــل □

○ في الرَّدِّ عليهمْ في تكفيرِهمْ أهلَ العلمِ والإيمانِ ○
وذكرِ انقسامِهمْ إلى أهلِ الجهلِ والتَّفريطِ والبدعِ والكفرانِ

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّكُمْ كَفَّرْتُمُ ... أَهْلَ الحَدِيثِ وَشِيعَةَ القُرْآنِ
إِذْ خَالَفُوا رَأْيًا لَهُ رَأْيٌ يُنَا ... قِضُهُ لأَجْلِ النَّصِّ والبُرْهَانِ
وَجَعَلْتُمُ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلافِكُمْ ... وَوِفَاقُكُمْ فَحَقِيقَةُ الإِيمَـانِ
فَوِفَاقُكُمْ مِيزَانُ دِينِ اللهِ لا ... مَنْ جَاءَ بالبُرْهَانِ والفُرْقَانِ
مِيزَانُكُمْ مِيزَانُ بَاغٍ جَاهِلٍ ... وَالعَوْلُ كُلَّ العَوْلِ فِي المِيزَانِ
أَهْوِنْ بِهِ مِيزَانَ جَوْرٍ عَائِلٍ ... بِيَدِ المطَفِّفِ وَيْلَ ذَا الوَزَّانِ
لَوْ كَانَ ثَمَّ حَيًا وأَدْنَى مسْكَةٍ ... مِنْ دِينٍ اوْ عِلْمٍ وَمِنْ إِيمَانِ
لَمْ تَجْعَلُوا آرَاءَكُمْ مِيزَانَ كُفْـ ... ـرِ النَّاسِ بالبُهْتَانِ والعُدْوانِ
هَبْكُمْ تَأَوَّلْتُمْ وَسَاغَ لَكُم أيكْـ ... ـفُرُ مَنْ يُخَالِفُكُمْ بِلا بُرْهَانِ
هَذِي الوقَاحَةُ والجَرَاءَةُ والجَهَا ... لَةُ وَيْحَكُمْ يا فِرْقَةَ الطُّغْيانِ
اللهُ أَكْبَرُ ذَا عُقُوبَةُ تَارِكِ الْـ ... ـوَحْيَيْنِ لـلآرَاءِ والهَذَيَـانِ
لَكِنَّنَا نَأْتِي بِحُكْمٍ عَـادِلٍ ... فِيكُمْ لأَجْلِ مَخَافَةِ الرَّحْمَنِ
فَاسْمَعْ إِذًا يا مُنْصِفًا حُكْمَيْهِمَا ... وَانْظُرْ إِذًا هَلْ يَسْتَوِي الحُكْمَانِ
هُمْ عِنْدَنَا قِسْمَانِ أَهْلُ جَهَالَةٍ ... وَذَوُو العِنَادِ وَذَلِكَ القِسْمَانِ

جمعٌ وفَرْقٌ بَيْنَ نَوْعَيْهِمْ هُمَا فِي بِدْعَةٍ لَا شَكَّ يَجْتَمِعَانِ
وَذَوو العِنَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَالجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ
مُتَمَكِّنُونَ مِن الهُدَى والعِلْمِ بالْـ أَسْبَاب ذَاتِ اليُسْرِ والإمْكَانِ
لَكِنْ إلَى أرْضِ الجَهَالَةِ أَخْلَدُوا وَاسْتَسْهَلُوا التَّقْلِيدَ كَالعُمْيَانِ
لَمْ يَبْذُلُوا المقْدُورَ فِي إدْرَاكِهِمْ لِلحَقِّ تَهوِينًا بِهَذَا الشَّأنِ
فَهُمُ الأُلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيقِهِمْ وَالكُفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلَانِ
وَالوَقْفُ عِنْدِي فِيهِمُ لَسْتُ الَّذِي بالكُفْرِ أَنْعَتُهُمْ وَلَا الإيمَانِ
واللهُ أَعْلَمُ بِالبِطَانَةِ مِنْهُمُ وَلنَا ظَهَارَةُ حُلَّةِ الإعْلَانِ
لَكِنَّهُمْ مُسْتَوْجِبُونَ عِقَابَهُ قَطْعًا لأَجْلِ البَغْيِ والعُدْوَانِ
هَبْكُمْ عُذِرْتُمْ بِالجَهَالَةِ إنَّكُمْ لَنْ تُعْذَرُوا بِالظُّلْمِ والطُّغْيَانِ
وَالطَّعْنِ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ وَدِينِه وَشَهَادَةٍ بِالزُّورِ والبُهْتَانِ
وَكَذَلِكَ اسْتِحْلَالُ قَتْلِ مُخَالِفِيـ ـكُمْ قَتْلَ ذِي الإشْرَاكِ والعُدْوَانِ
إنَّ الخَوَارِجَ مَا أَحَلُّوا قَتْلَهُمْ إلَّا لِمَا ارْتَكَبُوا مِنَ العِصْيَانِ
وَسَمِعْتُمُ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ فِيهِمْ وَذَلِكَ وَاضِحُ التِّبْيَانِ
لَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَبَحْتُمْ قَتْلَهُمْ بِوِفَاقِ سُنَّتِهِ مَعَ القُرْآنِ
واللهِ مَا زَادُوا النَّقِيرَ عَلَيْهِمَا لَكِنْ بِتَقْرِيرٍ مَعَ الإيمَانِ
فَبِحَقِّ مَنْ قَدْ خَصَّكُمْ بِالْعِلْمِ والتَّحْقِيقِ والإنْصَافِ والعِرْفَانِ
أَنْتُم أَحَقُّ أَمِ الْخَوَارِجُ بِالَّذِي قَالَ الرَّسُولُ فَأَوْضِحُوا بِبَيَانِ

هُمْ يَقْتُلُونَ لِعَابِدِ الرَّحْمنِ بَلْ يُدْعَوْنَ أَهْلَ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ
هَذَا وَلَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ وَلَا عَزْلِ النُّصُوصِ الحَقِّ بِالبُرْهَانِ

□ فصــل □

وَالآخَرُونَ فَأَهْلُ عَجْزٍ عَنْ بُلُو غِ الحَقِّ مَعْ قَصْدٍ وَمعْ إِيمَانِ
بِاللهِ ثُمَّ رَسُولِهِ وَلِقَائِهِ وَهُمُ إِذَا مَيَّزْتَهُمْ ضَرْبَانِ
قَوْمٌ دَهَاهُمْ حُسْنُ ظَنِّهِمُ بِمَا قَالَتْهُ أَشْيَاخٌ ذَوُو أَسْنَانِ
وَدِيَانَةٍ فِي النَّاسِ لَمْ يَجِدُوا سِوَى أَقْوَالِهِمْ فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانِ
لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى الهُدَى لَمْ يَرْتَضُوا بَدَلًا بِهِ مِنْ قَائِلِ البُهْتَانِ
فأولَاءِ مَعْذُورُونَ إنْ لَمْ يَظْلِمُوا وَيُكَفِّرُوا بِالجَهْلِ وَالعُدْوَانِ
والآخَرُونَ فَطَالِبُونَ الحَقَّ لَـ ـكِنْ صَدَّهُمْ عَنْ عِلْمِهِ شَيْئَانِ
مَعْ بَحْثِهِمْ وَمُصَنَّفَاتٍ قَصْدُهُمْ مِنْهَا وُصُولُهُمُ إِلَى العِرْفَانِ
إِحْدَاهُمَا طَلَبُ الحَقَائِقِ مِنْ سِوَى أَبْوَابِهَا مُتَسَوِّرِي الجُدْرَانِ
وَسُلُوكُ طُرْقٍ غَيْرِ مُوصِلَةٍ إِلَى دَرْكِ اليَقِين وَمَطْلَعِ الإِيمَانِ
فَتَشَابَهَتْ تِلْكَ الأُمُورُ عَلَيْهِمُ مِثْلَ اشْتِبَاهِ الطُّرْقِ بِالحَيْرانِ
فَتَرى أَفَاضِلَهُمْ حَيَارَى كُلُّهَا فِي التِّيهِ يَقْرَعُ نَاجِذَ النَّدْمَانِ
وَيقُولُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الطُّرْقُ لا أَدْرِي الطَّرِيقَ الأَعْظَمَ السُّلْطَانِي
بَلْ كُلُّهُمْ طُرُقٌ مَخُوفَاتٌ بِهَا الْـ آفَاتُ حَاصِلَةٌ بِلَا حُسْبَانِ

فَالوَقْفُ غَايَتُهُ وآخِرُ أمْرِهِ ... مِن غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي الرَّحمٰنِ
أَوْ دِينِه وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ ... وَلِقَائِهِ وَقِيَامَةِ الأَبْدَانِ
فَأُولَاءِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالأَجْرَيْنِ أوْ ... إحْدَاهُمَا أَوْ وَاسِعِ الغُفْرَانِ
فَانْظُرْ إلَى أحْكَامِنَا فِيهِمْ وَقَدْ ... جَحَدُوا النُّصُوصَ وَمُقْتَضَى القُرْآنِ
وَانْظُر إلَى أَحْكَامِهِمْ فِيْنَا لأَجْـ ... ـلِ خِلافِهِمْ إِذْ قَادَهُ الوَحْيَانِ
هَلْ يَسْتَوِي الحُكْمَانِ عِنْدَ اللهِ أَوْ ... عِنْدَ الرسُولِ وَعِنْدَ ذِي إيمَانِ
الْكُفْرُ حَقُّ اللهِ ثمَّ رَسُولِهِ ... بِالنَّصِّ يَثْبتُ لَا بِقَوْلِ فُلَانِ
مَنْ كَانَ رَبُّ العَالَمِينَ وَعَبْدُهُ ... قَدْ كَفَّراهُ فَذَاكَ ذُو الكُفْرَانِ
فَهَلُمَّ وَيْحَكُمُ نُحَاكِمْكُمْ إلَى ... النَّصَّين مِنْ وَحْيٍ وَمِنْ قُرْآنِ
وَهُنَاكَ يُعْلَمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْـ ... ـكُفْرَانِ حَقًّا أَوْ عَلَى الإِيمَانِ
فَلْيَهْنِكُمْ تَكْفِيرُ مَنْ حَكَمَتْ بإسْـ ... ـلَامٍ وإيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ
لَكِنَّ غَايَتَهُ كَغَايَةِ مَنْ سِوَى الْـ ... ـمَعْصُومِ غايَةِ نَوْعِ ذَا الإِحْسَانِ
خَطَأً يُصِيرُ الأجر أجْرًا وَاحِدًا ... إنْ فَاتَهُ مِنْ أجْلِهِ الكِفْلَانِ
إنْ كَانَ ذَاكَ مُكَفِّرًا يَا أمَّةَ الْـ ... ـعُدْوانِ مَنْ هَذَا عَلَى الإيمَانَ
قَدْ دَارَ بَيْنَ الأَجْرِ والأَجْرَيْنِ ... والتَّكْفِيرِ بالدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانِ
كَفَّرْتُمُ واللهِ مَنْ شَهِدَ الرَّسُو ... لُ بأنَّهُ حَقًّا عَلَى الإِيمَانِ
ثِنْتَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ وَخصْلَةٌ ... مِنْ عِنْدِكُمْ أَفأنْتُما عِدْلَانِ

* * *

□ فصــلٌ □

○ في تلاعبِ المكفِّرينَ لأهلِ السُّنَّةِ والإيمانِ ○ بالدِّينِ كتلاعبِ الصِّبيانِ

كَمْ ذَا التَّلاعُبُ مِنكُمُ بالدِّينِ وَالْـ　إِيْمَانِ مِثْلَ تَلاعُبِ الصِّبْيَانِ
خُسِفَتْ قُلُوبُكُمُ كَمَا خُسِفَتْ عُقُو　لُكُمُ فَلا تَزْكُـو عَلَى القُـرْآنِ
كَمْ ذَا تَقُولُوا مُجْمَلٌ وَمُفصَّلٌ　وَظَوَاهِرٌ عُزِلَتْ عَنِ الإِيقَانِ
حَتَّى إذَا رَأْيُ الرجَالِ أَتَاكُمُ　فَاسْمَعْ لِما يُوحَى بِلَا بُرْهَانِ
مِثْلَ الخَفَافِيشِ الَّتِي إنْ جَاءهَا　ضَوْءُ النَّهَارِ فَفِي كُوَى الحِيطَانِ
عَمِيَتْ عَنِ الشَّمْسِ المُنِيرَةِ لَا تُطِيـ　ـقُ هِدَايَةً فِيهَا إِلَى الطَّيَرَانِ
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيلُ جَاءَ ظَلَامُهُ　جَالَتْ بِظُلْمَتِهِ بِكُلِّ مَكَانِ
فَتَرى المُوحِّدَ حِينَ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ　وَيرَاهُمُ فِي مِحْنَةٍ وهَـوَانِ
وَا رَحْمَتَـاه لِعَيْنِـهِ وَلأُذْنِـهِ　يَا مِحْنَةَ العَيْنَيْنِ والأُذُنَـانِ
إنْ قَالَ حَقًّا كَفَّرُوهُ وإنْ يَقُو　لُوا بَاطِلًا نَسَبُوهُ للإِيمَـانِ
حَتَّى إذَا مَا رَدَّهُ عَادَوهُ مِثْـ　ـلَ عَدَاوةِ الشَّيطَانِ للإنْسَانِ
قَالُوا لَهُ خَالَفْتَ أقْوَالَ الشُّيُو　خِ وَلَمْ يُبَالُوا الخُلْفَ لِلْفُرْقَانِ
خَالَفْتُ أَقْوَالَ الشُّيوخِ فَأَنْتُمُ　خَالَفْتُمُ مَنْ جَـاءَ بِالقُـرْآنِ
خَالَفْتُمُ قَوْلَ الرَّسُولِ وإنَّمَا　خَالَفْتُ مِنْ جَرَّاهُ قَوْلَ فُلَانِ

يَا حَبَّذَا ذَاكَ الخِلَافُ فَإِنَّهُ عَيْنُ الوِفَاقِ لِطَاعَةِ الرَّحْمَٰنِ
أَوَ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَعْدَاءَ الرسو لِ عَلَيْهِ عَابُوا الخُلْفَ بِالبُهْتَانِ
لِشُيُوخِهِمْ وَلِمَا عَلَيْهِ قَدْ مَضَى أَسْلَافُهُمْ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
مَا العَيْبُ إِلَّا فِي خِلَافِ النَّصِّ لَا رَأْيِ الرِّجَالِ وَفِكْرَةِ الأَذْهَانِ
أَنْتُمْ تَعِيبُونَا بِهَذَا وَهْوَ مِنْ تَوْفِيقِنَا وَالفَضْلُ لِلمَنَّانِ
فَلْيَهْنِكُمْ خُلْفُ النُّصُوصِ وَيَهْنِنَا خُلْفُ الشُّيُوخِ أَيَسْتَوِي الخُلْفَانِ
وَاللهِ مَا تسوى عُقُولُ جَميعِ أَهْـ ـلِ الأَرْضِ نَصًّا صَحَّ ذَا تِبْيَانِ
حَتَّى نُقَدِّمَهَا عَلَيْهِ مُعْرِضِـ ـينَ مُؤَوِّلِينَ مُحَرِّفِي القُرْآنِ
وَاللهِ إِنَّ النَّصَّ فِيمَا بَيْنَنَا لَأَجَلُّ مِنْ آرَاءِ كُلِّ فُلَانِ
وَاللهِ لَمْ يَنْقِمْ عَلَيْنَا مِنْكُمُ أَبَدًا خِلَافَ النَّصِّ مِنْ إِنْسَانِ
لَكِنْ خِلَافَ الأَشْعَرِيِّ بِزَعْمِكُمْ وَكَذَبْتُمُ أَنْتُمْ عَلَى الإِنْسَانِ
كَفَّرْتُمُ مَنْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ فِي كُتْبِهِ حَقًّا بِلَا كِتْمَانِ
هَذَا وَخَالَفْنَاهُ فِي القُرْآنِ مِثْـ ـلَ خِلَافِكُمْ فِي الفَوْقِ لِلرَّحْمَٰنِ
فَالأَشْعَرِيُّ مُصَرِّحٌ بِالِاسْتِوَا ءِ وَبِالعُلُوِّ بِغَايَةِ التِّبْيَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ اليَدَيْـ ـنِ وَوَجْهِ رَبِّ العَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِأَنَّ لِرَبِّنَا سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاظِرَتَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ النُّزُو لِ لِرَبِّنَا نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي
وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الأَصَا بِعِ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ ذُو البُرْهَانِ

وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِأَنَّ اللهَ يَوْ مَ الحَشْرِ يُبْصِرُهُ أُولُو الإِيمَانِ
جَهْرًا يَرَوْنَ اللهَ فَوْقَ سَمَائِهِ رُؤْيَا العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ المَجِي ءِ وأَنَّهُ يَأْتِي بِلَا نُكْـرَانِ
وَمُصَرِّحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُؤَوِّلٍ لِلإِسْتِوَاءِ بِقَهْرِ ذِي سُلْطَانِ
ومُصَرِحٌ أَنَّ الأُلَى قَالُوا بِـذَا التَّـأْوِيـلِ أَهْلُ ضَلَالَةٍ بِبَيَـانِ
وَمُصَرِّحٌ أَنَّ الَّذِي قَدْ قَالَهُ أَهْلُ الحَدِيثِ وَعَسْكَرُ القُرْآنِ
هُوَ قَوْلُهُ يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّـهُ وَبِـهِ يَديـنُ اللهَ كُـلَّ أَوَانِ
لَكِنَّهُ قَدْ قَالَ إِنَّ كَلَامَـهُ مَعْنًى يَقُومُ بِرَبِّنَا الرَّحْمَـٰنِ
فِي القَوْلِ خَالَفْنَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمُ فِي الفَوْقِ والأَوْصَافِ لِلدَّيَانِ
لِمَ كَانَ نَفْسُ خِلَافِنَا كُفْرًا وَكَا نَ خِلَافُكُمْ هُوَ مُقْتَضَى الإِيمَانِ
هَذَا وَخَالَفْتُمْ لِنَصٍّ حِينَ خَا لَفْنَا لِرَأْيِ الجَهْمِ ذِي البُهْتَانِ
وَاللهِ مَا لَكُمُ جَوَابٌ غَيْرُ تَكْـ ـفِيرٍ بِلَا عِلْمٍ وَلَا إِيقَانِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لَكُمْ جَوَا بٌ غَيْرُ ذَا الشَّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ
فَهوَ الجَوَابُ لَدَيْكُمُ وَلَنَحْنُ مُنْـ ـتَظِرُوهُ مِنْكُمْ يَا أُولِي البُرْهَانِ
وَاللهِ لَا لِلأَشْعَرِيِّ تَبِعْتُـمُ كَلَّا وَلَا لِلنَّصِّ بِـالإِحْسَانِ
يَا قَوْمُ فَانْتَبِهُوا لأَنْفُسِـكُمْ وَخَلُّـوا الجَهْلَ والدعْوَى بِلَا بُرْهَانِ
مَا فِي الرِّيَاسَةِ بِالجَهَالَةِ غَيْرُ ضِحْـ ـكَةِ عَاقِلٍ مِنْكُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
لَا تَرْتَضُوا بِرِيَاسَةِ البَقَرِ الَّتِي رُؤَسَاؤُهَا مِنْ جُمْلَةِ الثِّيـرَانِ

* * *

□ فصــل □

○ في أنَّ أهلَ الحديثِ همْ أنصارُ رسولِ اللهِ ○ صلى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسلم وخاصَّته ولا يبغضُ الأنصارَ رجلٌ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ

يَا مُبْغِضًا أَهْلَ الحَدِيث وَشَاتِمًا ... أَبْشِرْ بِعقْدِ وَلَايَةِ الشَّيْطَانِ
أَو مَا عَلِمْتَ بأَنَّهُمْ أَنْصَارُ دِيـ ... ـنِ اللهِ والإيمَانِ والقُـرْآنِ
أَو مَا عَلِمْتَ بأَنَّ أَنْصَارَ الرَّسُو ... لِ هُمُ بِلَا شَكٍّ وَلَا نُكْرَانِ
هَلْ يُبغِضُ الأَنْصَارَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ... أَوْ مُدْرِكٌ لروَائِحِ الإِيمَـانِ
شَهِدَ الرَّسُولُ بِذَاكَ وَهْيَ شَهَادَةٌ ... مِنْ أَصْدَقِ الثَّقَلَيْنِ بالبُرْهَانِ
أَو مَا عَلِمْتَ بأَنَّ خَزْرَجَ دِينِهِ ... والأَوْسَ هُمْ أَبَدًا بِكلِّ زَمَانِ
مَا ذَنْبُهُمْ إِذْ خَالَفُوكَ لِقَوْلِهِ ... مَا خَالَفُوهُ لأَجْلِ قَوْلِ فُلَانِ
لَو وَافَقُوكَ وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْـ ... ـهَدُ أَنَّهُمْ حَقًّا أُولُو الإِيمَانِ
لَمَّا تحيَّزْتُمْ إِلَى الأَشْيَاخِ وَانْـ ... ـحَازُوا إِلَى المَبْعُوثِ بالقُرآنِ
نَسَبُوا إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ ... أَوْ حَالَةٍ أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانِ
هَذَا انْتِسَابُ أولِي التَّفَرُّقِ نِسْبَةً ... مِنْ أَرْبَعٍ مَعْلُومَـةِ التِّبْيَـانِ
فَلِذَا غَضِبْتُمْ حِينَمَا انتَسَبُوا إِلَى ... خَبَرِ الرَّسُولِ بِنسْبَةِ الإِحْسَانِ
فَوَضَعْتُمْ لَهُمُ مِنَ الأَلْقَابِ مَا ... تَسْتَقبِحُونَ وَذَا مِنَ العُدْوَانِ

هُمْ يُشْهِدُونَكُمُ عَلَى بُطْلَانِهَا أَفَتُشْهِدُونَهُمُ عَلَى البُطْلَانِ
مَا ضَرَّهُمْ واللهِ بُغْضُكُمُ لَهُمْ إِذْ وَافَقُوا حَقًّا رِضَا الرَّحْمٰنِ
يَا مَنْ يُعَادِيهِمْ لأَجْلِ مَآكِلٍ وَمَنَاصِبٍ وَرِيَاسَةِ الإِخْوَانِ
تَهْنِيكَ هَاتِيكَ العَدَاوَةُ كَمْ بِهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
وَلَسَوْفَ تَجْنِي غِبَّهَا وَاللهِ عَنْ قُرْبٍ وَتَذْكُرُ صِدْقَ ذِي الإِيمَانِ
فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الوَسَائِلُ وَانْتَهَتْ تِلْكَ المَآكِلُ فِي سَرِيعِ زَمَانِ
فَهُنَاكَ تَقْرَعُ سِنَّ نَدْمَانٍ عَلَى التَّفْرِيطِ وَقْتَ السَّيْرِ وَالإِمْكَانِ
وَهُنَاكَ تَعْلَمُ مَا بِضَاعَتُكَ الَّتِي حَصَّلْتَهَا فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
إِلَّا الوَبَالُ عَلَيْكَ وَالحَسَرَاتُ وَالْـ ـخُسْرَانُ عِنْدَ الوَضْعِ فِي المِيزَانِ
قِيلٌ وَقَالٌ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلٍ إِلَّا العَنَاءُ وَكُلُّ ذِي الأَذْهَانِ
واللهِ مَا يُجْدِي عَلَيْكَ هُنَاكَ إِلَّا ذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الوَحْيَانِ
واللهِ مَا يُنْجِيكَ مِنْ سِجْنِ الجَحِيـ ـمِ سِوَى الحَدِيثِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ
واللهِ لَيْسَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلَهُ وَسِوَاهُمُ مِنْ جُمْلَةِ الحَيَوَانِ
وَلَسَوْفَ تَذْكُرُ بِرَّ ذِي الإِيمَانِ عَنْ قُرْبٍ وَتَقْرَعُ نَاجِذَ النَّدْمَانِ
رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ أَهْلُ الكَلَامِ وَمَنْطِقِ اليُونَانِ
فَهُمُ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثِّلًا بِالمَاءِ مَهْبِطَهُ عَلَى القِيعَانِ
لَا المَاءُ تُمْسِكُهُ وَلَا كَلأٌ بِهَا يَرْعَاهُ ذُو كَبِدٍ مِنَ الحَيَوَانِ
هَذَا إِذَا لَمْ يَحْرِقِ الزَّرْعَ الَّذِي بِجِوَارِهَا بِالنَّارِ أَوْ بِدُخَانِ

وَالجَاهِلُونَ بِذَا وَهَذَا هُمْ زَوَا   نُ الزَّرْعِ إِي وَاللهِ شَرُّ زَوَانِ
وَهُمُ لَدى غَرْسِ الإلهِ كَمِثْلِ غَرْ   سِ الدُّلْبِ بَيْنَ مَغَارِسِ الرُّمَّانِ
يَمتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعْ تَضْيِيقهِ   أَبدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانِ
ذَا حَالُهُمْ مَع حَالِ أَهْلِ العِلْمِ أَنْـ   ـصَارِ الرَّسُولِ فَوارِسِ الإيمَانِ
فَعَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الإِلَهِ تَحِيَّةٌ   وَاللهُ يُبْقِيهِ مَـدَى الأَزْمَــانِ
لَوْلَاهُ مَا سُقِيَ الغِراسُ فَسَوْقُ ذَا   كَ المَاءِ للدُّلْبِ العَظِيمِ الشَّانِ
فَالغَرْسُ دُلْبٌ كُلُّهُ وَهوَ الَّذِي   يُسْقَى وَيُحْفَظُ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِ
فَالغَرسُ فِي تِلْكَ الحَضَارَةِ شَارِبٌ   فَضْلَ المِيَاهِ مَصَارُهُ البُسْتَانِ
لَكِنَّمَا البَلْوَى مِنَ الحَطَّابِ قَطَّــاعِ الغِرَاسِ وَعَاقِرِ الحِيطَانِ
بِالفَوسِ يَضْرِبُ فِي أُصُولِ الغَرْسِ كَيْ   يَجْتَثَّهَـا وَيُظَـنُّ ذَا إِحْسَـانِ
وَيَظَلُّ يَحْلِفُ كَاذِبًا لَمْ أَعْتَمِدْ   فِي ذَا سِوَى التَّثْبِيتِ للعِيدَانِ
يَا خَيْبَةَ البُسْتَانِ مِنْ حَطَّابِهِ   مَا بَعْدَ ذَا الحَطَّابِ مِنْ بُسْتَانِ
فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى البُسْتَانِ فَهْـ   ـوَ مُوَكَّلٌ بالقَطْعِ كُلَّ أَوَانِ
فَالجَاهِلُونَ شِرَارُ أَهْلِ الحَقِّ وَالْـ   ـعُلَمَاءُ سَادَتُهُمْ أُولُو الإِحْسَانِ
والجَاهِلُونَ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلَا   لِ وَشِيعَةُ الكُفْرانِ والشَّيطَانِ
وَشِرَارُهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ هُمْ شَرُّ خَلْـ   ـقِ اللهِ آفَةُ هَذِهِ الأَكْوَانِ

* * *

□ فصــلٌ □

○ في تَعَيُّنِ الهجرةِ من الآراءِ والبدعِ إلى سُنَّتِهِ ○ كَما كانتْ فرضًا مِنَ الأمصارِ إلى بلدتِهِ عليه الصلاة والسلام

يَا قَوْمُ فَرْضُ الهِجْرتَيْنِ بِحَالِهِ   واللهِ لَمْ يُنْسَخْ إلى ذَا الآنِ
فَالهِجْرةُ الأولَى إلَى الرحْمَـٰنِ بالْـ   إخْلَاصِ فِي سِرٍّ وَفِي إعْلَانِ
حَتَّى يَكُونَ القَصْدُ وَجْهَ الله بالْـ   أَقْوَالِ والأَعْمَالِ والإيمَانِ
وَيَكُونَ كُلُّ الدِّينِ للرَّحْمـٰنِ مَا   لِسِوَاهُ شَيءٌ فِيهِ مِنْ إنسَانِ
والحُبُّ والبُغْضُ اللّذَانِ هُمَا لِكُلِّ   وَلَايَةٍ وَعَدَاوَةٍ أَصْلَانِ
للهِ أيْضًا هَكَذَا الإعْطَاءُ والْـ   ـمَنْعُ اللَّذانِ عَلَيْهِمَا يَقِفَانِ
واللهِ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللهِ وَالتَّـ   ـحْكِيمُ للمُخْتَارِ شَطْرٌ ثَانِ
وَكِلاهُمَا الإحْسَانُ لَنْ يَتَقَبَّل الـ   ـرَّحْمَـٰنُ مِنْ سَعْيٍ بِلَا إحْسَانِ
وَالهِجْرةُ الأُخْرَى إلَى المَبْعُوثِ بالْـ   إسْلَامِ والإيمَانِ والإحْسَانِ
أَتَرَوْنَ هَذِي هِجْرَةَ الأبْدَانِ لَا   واللهِ بَلْ هِيَ هِجْرَةُ الإيمَانِ
قَطْعُ المسَافةِ بالقُلُوبِ إلَيْهِ فِي   دَركِ الأُصُولِ مَعَ الفُرُوعِ وَذَانِ
أَبَدًا إلَيْهِ حُكْمُهَا لَا غَيْرُهُ   فَالحُكْمُ مَا حَكَمَتْ بِهِ النَّصَّانِ
يا هِجْرَةً طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى   كَسْلَانَ مَنْخُوبِ الفُؤَادِ جَبَانِ

يَا هِجْرَةً والعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ سَبَقَ السُّعَاةَ لمنزلِ الرِّضْوَانِ
سَاروا أحَثَّ السَّيرِ وَهْوَ فَسَيْرُهُ سَيْرُ الدَّلَالِ وَلَيْسَ بالذَّمَلانِ
هَذَا وَتَنْظُرُه أمَامَ الرَّكْبِ كَالْـ ـعَلمِ العَظِيمِ يُشَافُ فِي القِيعَانِ
رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النُّصُو صِ رؤوسُهَا شَابَتْ مِنَ النِّيرانِ
نَارٌ هِيَ النُّورُ المبِينُ وَلَمْ يَكُنْ لِيَرَاهُ إلَّا مَنْ لَـهُ عَيْنَـانِ
مَكْحُولَتَانِ بِمِرْود الوَحْيَيْنِ لَا بِمَـرَاوِدِ الآرَاءِ والهَذَيَـانِ
فَلِذَاكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلتَفِتْ لَا عَنْ شَمَائِلِهِ وَلَا أيْمَانِ
يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَرْتُمُ لرأَيْتُمُ أعْلَامَ طَيْبَةَ رُؤْيةً بِعِيَـانِ
وَرَأيتُمْ ذَاكَ اللِّوَاءَ وَتَحْتَه الرُّسـلُ الكِـرَامُ وَعَسْكَر القُرْآنِ
أَصْحَابُ بَدْرٍ والأُلَى قَدْ بَايَعُوا أزْكَى البرِيَّةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ
وَكَذَا المُهَاجِرَةُ الأُلَى سَبَقُوا كَذَا الْـ أنْصَارُ أهْلُ الدَّارِ والإيمَانِ
والتَّابِعُونَ لَهُمْ بإحْسَانٍ وَسَا لِكُ هَدْيِهِمْ أبَدًا بِكُلِّ زَمَانِ
لَكِنْ رَضِيتُمْ بالأَمَانِي وابْتُلِيـ ـتُمْ بِالحُظُوظِ ونَصْرةِ الإخْوَانِ
بَلْ غَرَّكُمْ ذَاكَ الغرورُ وَسَوَّلَتْ لَكُمُ النفوسُ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ
وَنَبذْتُمُ غَسْلَ النُّصُوصِ وَرَاءَكُمْ وَقَنَعْتُـمُ بِقُطَـارَةِ الأذْهَـانِ
وَتَركْتُمُ الوَحْيَيْنِ زُهْدًا فِيهِمَا وَرَغِبْتُمُ فِي رَأيِ كُلِّ فُلَانِ
وَعزلْتُمُ النَّصَّيْنِ عَمَّا وُلِّيَا لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزْلَ ذِي عُدْوَانِ
وَزَعَمْتُمُ أنْ لَيْسَ يَحْكُمُ بَيْنَنَا إلَّا العُقولُ وَمَنْطِقُ اليُونَانِ

فَهُنَا بِحُكْمِ الحَقِّ أَوْلَى مِنْهُمَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ
حَتَّى إذَا انْكَشَفَ الغِطَاءُ وَحُصِّلَتْ أَعْمَالُ هَذَا الخَلْقِ فِي المِيزَانِ
وإذا انْجَلَى هذَا الغُبَارُ وَصَارَ مَيْـ ـدَانُ السِّبَاقِ تَنَالُهُ العَينَانِ
وَبَدتْ عَلَى تِلْكَ الوُجُوهِ سِمَاتُهَا وَسْمَ المليكِ القَادِرِ الدَّيّانِ
مُبيَضَّةً مِثْلَ الرِّياضِ بجَنَّةٍ والسُّودُ مِثْلَ الفَحْمِ للنِّيرانِ
فَهُنَاكَ يَعْلَمُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ وَهُنَاكَ يَقْرَعُ نَاجِذَ النَّدْمَانِ
وَهُنَاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفسٍ مَا الَّذِي مَعَهَا مِنَ الأَرْبَاحِ وَالخُسْرَانِ
وَهُنَاكَ يَعْلَمُ مُؤْثِرُ الآرَاءِ وَالشَّـطَحَاتِ والهَذَيانِ والبُطْلانِ
أَيَّ البَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي مِنْهَا تَعوَّضَ فِي الزَّمَانِ الفَانِي
سُبْحَانَ رَبِّ الخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ وَالعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ بالميزَانِ
لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئًا وَاحِدًا مَا فِيهِمُ مِنْ تَائِهٍ حَيْرَانِ
لكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصُّ بِالْـ ـفَضْلِ العَظِيمِ خُلاصَةَ الإِنْسَانِ
وَسِوَاهُمُ لَا يَصْلُحُونَ لِصَالِحٍ كَالشَّوْكِ فَهْوَ عِمَارَةُ النِّيرانِ
وَعِمَارَةُ الجَنَّاتِ هُم أَهلُ الهُدى اللهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
فَسَلِ الهِدَايَةَ مَنْ أَزِمَّةُ أَمْرِنَا بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةَ الذَّلِيلِ العَانِي
وَسَلِ العِيَاذَ مِنَ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللتَا نِ بهُلْكِ هَذَا الخَلْقِ كَافِلَتَانِ
شَرُّ النُّفُوسِ وسيىءُ الأَعْمَالِ مَا واللهِ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ
ولقَدْ أَتَى هَذَا التَّعَوُّذُ مِنْهُما فِي خُطْبَةِ المَبْعُوثِ بالقُرْآنِ

لَوْ كَانَ يَدْرِي العَبْدُ أَنَّ مُصَابَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُمَا الشَّرَّانِ
جَعَلَ التَّعوّذَ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الأَكْفَانِ
وَسَلِ العِيَاذَ مِنَ التَّكبُّرِ والْهَوَى فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ
وَهُمَا يَصُدَّانِ الفَتَى عَنْ كُلِّ طُرْ قِ الخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلِجَانِ
فَتَراهُ يمنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً والكِبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَشْتَرِكَانِ
واللهِ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابعٌ هَذَينِ فاسْأَلْ سَاكِنِي النيرَانِ
واللهِ لَوْ جَرَّدْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمَا لأَتَتْ إِلَيْكَ وفُودُ كُلِّ تَهَانِ

□ فصـل □

○ في ظهورِ الفرقِ المُبينِ بينَ دعوةِ الرسلِ ودعوةِ المعطلينَ ○

وَالفَرْقُ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَظَاهِرٌ جدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
فَرْقٌ مُبِينٌ ظَاهِرٌ لَا يَخْتَفِي إِيضَاحُهُ إِلَّا عَلَى العُمْيَانِ
فَالرُّسْلُ جَاؤونَا بإثبَات الْعُلُـوِّ لِـربِّنَا مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
وَكَذَا أَتوْنَا بِالصِّفَاتِ لِـرَبِّنَا الرَّحْمَنِ تَفْصِيلًا بِكُلِّ بَيَانِ
وَكَذَاكَ قَالوا إِنَّهُ مُتَكَلِّـمٌ وَكَلَامُهُ المسْمُوعُ بِالآذَانِ
وَكَذَاكَ قَالُوا إِنَّهُ سُبْحَانَهُ الْـ ـمَرئِيُّ يَوْمَ لِقَائِهِ بِعِيَانِ

* * *

وَكَذَاكَ قَالُوا إنَّهُ الفَعَّالُ حَقًّا كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
وأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمُ بِالنَّفْيِ والتَّعْطِيلِ بَلْ بِشَهَادَةِ الكُفْرَانِ
لِلْمُثْبِتِينَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ ونداءَهُ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ
شَهِدُوا بإيمَانِ المقِرِّ بِأنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَاينُ الأَكْوَانِ
وَشَهِدْتُمُ أَنْتُمْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي قَدْ قَالَ ذَلِكَ يَا أُولِي العُدْوَانِ
وَأتَى بأيْنَ اللهُ إقْرَارًا وَنُطْـ ـقًا قُلْتُمُو هَذَا مِنَ البُهْتَانِ
فَسَلُوا لَنَا بالأينِ مِثْلَ سُؤَالِنَا مَا الكَوْنُ عِنْدَكُمُ هُمَا شَيْئَانِ
وَكَذَا أَتَوْنَا بِالبَيَانِ فَقُلْتُمُ باللُّغزِ أَيْنَ اللُّغْزِ مِنْ تِبْيَانِ
إِذْ كَانَ مدْلُولُ الكَلَامِ وَوَضْعُهُ لَمْ يَقْصِدُوهُ بِنُطْقِهِمْ بِلسَانِ
والقَصْدُ مِنْهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ مَا اللُّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إلَّا ذَانِ
يَا قَوْمُ رُسْلُ اللهِ أعْرَفُ مِنْكُمُ وَأَتَمُّ نُصْحًا فِي كَمَالِ بَيَانِ
أَتَرَوْنَهُمْ قَدْ أَلْغَزُوا التَّوْحِيدَ إذْ بَيَّنْتُمُوه يَا أُولِي العِرْفَانِ
أَتَرَوْنَهُمْ قَدْ أظْهَرُوا التَّشْبيهَ وَهْـ ـوَ لَدَيْكُمُ كَعبادةِ الأَوْثَانِ
وَلأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا قَدْ قُلْتُمُ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ
وَلأَيِّ شَيْءٍ صَرَّحُوا بِخلَافِهِ تَصْرِيحَ تَفْصِيلٍ بِلَا كِتْمَانِ
وَلأَيِّ شَيْءٍ بَالغُوا فِي الوَصْفِ بالْـ إِثْبَاتِ دُونَ النفيِ كُلَّ زَمَانِ
وَلأَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمُ بَالغْتُمُ فِي النَّفْيِ والتَّعْطِيلِ بِالقَفَزَانِ
فَجَعَلْتُمُ نَفْيَ الصِّفَاتِ مُفَصَّلًا تَفْصِيلَ نَفْيِ العَيْبِ والنُّقْصَانِ

وَجَعَلْتُمُ الإِثْبَاتَ أَمْرًا مُجْمَلًا عَكْسَ الَّذِي قَالُوهُ بالبُرْهَانِ
أَتَراهُم عَجَزُوا عَنِ التِّبْيَانِ وَاسْـ ـتوْلَيْتُمُ أَنْتُمْ عَلَى التِّبيَـانِ
أَتَرَوْنَ أَفْرَاخَ اليهُودِ وأُمَّةَ التَّـعْطِيلِ والعُبَّـادَ للنِّيـرَانِ
وَوَقَاحَ أَرْبَابِ الكَلَامِ البَاطِلِ الـ ـمَذْمُومِ عِنْدَ أَئمَّةِ الإِيمَانِ
مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ وَمُعْتَزِلٍ وَمَنْ وَالَاهُمَا مِنْ حِزْبِ جَنْكِسْخَانِ
بِاللهِ أَعْلَمَ مِنْ جَمِيعِ الرُّسْلِ والتَّـوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والقُـرْآنِ
فَسَلُوهُمُ بِسُؤَالِ كُتْبِهِمُ الَّتِي جَاءُوا بِهَا عَنْ عِلمِ هَذَا الشَّانِ
وَسَلُوهُمُ هَلْ ربُّكُمْ فِي أَرْضِهِ أَوْ فِي السَّمَاءِ وفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيْءٌ فَلَا هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجُ الأَكْوَانِ
فَالعِلْمُ والتِّبيانُ والنُّصحُ الَّذِي فِيهِمْ يُبِينُ الحَقَّ كُلَّ بَيَانِ
لَكِنَّمَا الإِلْغَازُ والتَّلْبِيسُ والـ ـكِتْمَانُ فِعْلُ مُعَلِّمِ الشَّيْطَانِ

□ فصـــل □

○ في شكوى أهلِ السُّنَّةِ والقرآنِ أهلَ التَّعطيلِ والآراءِ المخالفينَ للرحمنِ ○

يارَبِّ هُمْ يَشْكُونَنَا أَبَدًا بِبَغْـ ـيِهِمُ وَظُلْمِهِمُ إِلَى السُّلْطَانِ
وَيُلَبِّسُونَ عَلَيْـهِ حَتَّـى إِنَّـهُ لَيَظُنُّهُمْ هُمْ نَاصِرو الإِيمَانِ

فَيُرونَهُ البِدَعَ المضِلَّةَ فِي قَوَا لِبِ سُنَّةٍ نَبَوِيَّـةٍ وَقُـرَانِ
وَيُرونَهُ الإِثْبَاتَ للأَوْصَافِ فِي أَمْرٍ شَنِيعٍ ظَاهِرِ النُّكْـرانِ
فَيُلَبِّسُونَ عَلَيْهِ تَلْبِيسَيْنِ لَـوْ كُشِفَا لَـهُ بَادَاهُـمُ بِطِعَـانِ
يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ لَا حُيِّيتُمُ أَبَدًا وَحُيِّيتُمْ بِكُـلِّ هَـوَانِ
لَكِنَّنَا نَشْكُوهُـمُ وَصَنِيعَهُـمْ أَبدًا إِلَيْكَ فأَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
فَاسْمَعْ شِكَايَتَنَا وأَشْكِ مُحِقَّنَا وَالمُبْطِلَ ارْدُدْهُ عَنِ البُطْلَانِ
رَاجِعْ بِهِ سُبُلَ الهُدَى والْطُفْ بِهِ حَتَّى تُرِيهِ الحَقَّ ذَا تِبْيَانِ
وارْحَمْهُ وارْحَمْ سَعْيَهُ المِسْكِينَ قَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَاهَ فِي القِيعَانِ
يَارَبِّ قَدْ عَمَّ المُصَابُ بِهَذِهِ الْـ آرَاءِ والشَّطَحَـاتِ والبُهْتَـانِ
هَجَرُوا لَهَا الْوَحْيَيْنِ والفِطْرَاتِ والْـ آثَارَ لَمْ يَعْبُوا بِذَا الهِجْرَانِ
قَالُوا وَتِلْكَ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّـةٌ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ البُرْهَانِ
فَالعَقْلُ أَوْلَى أَنْ يُصَارَ إِلِيهِ مِنْ هَذِي الظَّوَاهِرِ عِنْدَ ذِي العِرْفَانِ
ثُمَّ ادَّعَى كُلٌّ بأَنَّ العَقْلَ مَا قَدْ قُلْتُهُ دُونَ الفَرِيقِ الثَّانِي
يَارَبِّ قَدْ حَارَ العِبَادُ بِعَقْلِ مَنْ يَزِنُونَ وَحْيَكَ فَاتِ بِالمِيزَانِ
وَبِعَقْلِ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ فَكُلُّهُمْ قَدْ جَاءَ بِالمَعْقُول والبُرْهَانِ
يَارَبِّ أَرْشِدْنَا إِلَى مَعْقُولِ مَنْ يَقَعُ التَّحَاكُمُ إِنَّنَا خَصْمَانِ
جَاءُوا بِشُبْهَاتٍ وَقَالُوا إِنَّهَا مَعْقُولَـةٌ بِبَدَائِـهِ الأَذْهَـانِ
كُلٌّ يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَمَا فِي الحَقِّ مَعْقُولَانِ مُخْتَلِفَانِ

وَقضَوْا بِهَا كَذِبًا عَلَيْكَ وَجُرْأَةً ... مِنْهُمْ وَمَا الْتَفَتُوا إِلَى القُرْآنِ
يَارَبُّ قَدْ أَوْهَى النُّفَاةُ حَبائِلَ الـ ... ـقُرْآنِ والآثَارِ والإيمَانِ
يَارَبُّ قَدْ قَلَبَ النفاةُ الدِّينَ والْـ ... إيمَانَ ظَهْرًا مِنْهُ فَوْقَ بِطَانِ
يَارَبُّ قَدْ بغَتِ النُّفَاةُ وأجْلَبُوا ... بالخَيْلِ والرَّجْلِ الحَقيرِ الشَّانِ
نَصبُوا الحَبَائِلَ والغَوَائِلَ لِلأُلَى ... أَخَذُوا بِوَحْيِكَ دُونَ قَوْلِ فُلَانِ
وَدَعَوْا عِبَادَكَ أَنْ يُطِيعُوهُمْ فَمَنْ ... يَعْصِيهُمُ سَامُوهُ شَرَّ هَوَانِ
وَقَضَوْا عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ بِضَلَالِهِمْ ... بِاللَّعْنِ والتَّضْلِيلِ والكُفْرانِ
وَقَضَوْا عَلَى أَتْبَاعِ وَحْيكَ بالَّذِي ... هُمْ أَهْلُهُ لَا عَسْكَرُ الفُرْقَانِ
وَقَضَوْا بِعَزْلِهِمُ وقَتْلِهِمُ وَحْبـ ... ـسِهِمُ ونَفْيِهِمُ عَنِ الأَوْطَانِ
وَتَلاعَبُوا بالدِّينِ مِثْلَ تَلَاعُبِ الْـ ... ـحُمُرِ الَّتِي نَفَرَتْ بِلَا أَرْسَانِ
حَتَّى كأَنَّهُمُ تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ ... يُوصِي بِذَلِكَ أَوَّلٌ لِلثَّانِـي
هَجَرُوا كَلَامَكَ هَجْرَ مُبْتَدِعٍ لِمنْ ... قَدْ دَانَ بالآثَارِ والقُرْآنِ
فكأَنَّهُ فِيمَا لَدَيْهِمْ مُصْحَفٌ ... فِي بَيْتِ زِنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانِ
أَوْ مَسْجِدٌ بِجِوَارِ قَوْمٍ هَمُّهُمْ ... فِي الفِسْقِ لَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَٰنِ
وَخَواصُّهُمْ لَمْ يَقْرَءُوهُ تَدَبُّرًا ... بَلْ لِلتَّبَرُّكِ لَا لِفَهْمِ مَعَانِ
وَعَوَامُّهُمْ فِي السُّبْعِ أَوْ فِي خَتْمَةٍ ... أَوْ تُرْبَةٍ عِوَضًا لِذِي الأَثْمَانِ
هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَّةُ التَّجْوِيدِ أَوْ ... صَوْتِيَةُ الأَنْغَامِ والأَلْحَانِ
يَارَبُّ قَدْ قَالُوا بأَنَّ مَصَاحِفَ الْـ ... إِسْلَامِ مَا فِيهَا مِنَ القُرْآنِ
إلا المِدَادُ وَهَذِهِ الأوراقُ والـ ... ـجِلْدُ الَّذِي قَدْ سُلَّ مِنْ حَيَوانِ

وَالكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَسْتَ بِقَائِلٍ أَصْلًا وَلَا حَرْفًا مِنَ القُرْآنِ
إنْ ذَاكَ إِلَّا قولُ مَخْلُوقٍ وَهَلْ هُوَ جِبرَئِيلُ أو الرَّسُولُ فَذَانِ
قَولَانِ مَشْهُورَانِ قَدْ قَالَتْهُمَا أَشْيَاخُهُمْ يَا مِحْنَةَ القُــرْآنِ
لَوْ دَاسَهُ رَجُلٌ لَقَالُوا لَمْ يَطَأْ إِلَّا المِدَادَ وكَاغَدَ الإِنْسَانِ
يَارَبُّ زَالَتْ حُرْمَةُ القُرْآنِ مِنْ تِلْكَ القُلُوبِ وَحُرْمَةُ الإِيمَانِ
وَجَرَى عَلَى الأَفْوَاهِ مِنْهُم قَوْلُهُمْ مَـا بَيْنَنَـا للهِ مِـنْ قُــرْآنِ
مَا بَيْنَنَا إِلَّا الحِكَايَةُ عَنْـه وَالتَّــعْبِيـرُ ذَاكَ عِبَـارَةٌ بِـلِسَانِ
هَذَا وَمَا التَّالُونَ عُمَّالًا بهِ إِذْ هُمْ قَدِ اسْتَغْنَوْا بِقَوْلِ فُلَانِ
إنْ كَانَ قَدْ جَازَ الحَنَاجِرَ مِنْهُمُ فَبِقَدْرِ مَا عَقَلُوا مِنَ القُرْآنِ
وَالبَاحِثُونَ فَقَدَّمُوا رَأْيَ الرِّجَا لِ عَلَيْهِ تَصْرِيحًا بِلَا كِتْمَانِ
عَزَلُوهُ إِذْ وَلَّوْا سِوَاهُ وَكَانَ ذَا كَ العَزْلُ قَائِدَهُمْ إِلَى الخُذْلَانِ
قَالُوا وَلَمْ يَحْصُلْ لَنَا مِنْهُ يَقِيـ ـنٌ فَهْوَ مَعْزُولٌ عَنِ الإِيقَانِ
إِنَّ اليَقِيـنَ قَواطِـعٌ عَقْلِيَّــةٌ مِيزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ اليُونَـانِ
هَذَا دَلِيلُ الرَّفْعِ مِنْه وَهَذِهِ أَعْلَامُهُ فِي آخِرِ الأَزْمَـانِ
يَارَبُّ مَنْ أَهْلُوهُ حَقًّا كَيْ يَرَى أَقْدَامَهُمْ مِنَّا عَلَى الأَذْقَـانِ
أَهْلُوهُ مَنْ لا يَرْتَضِي مِنْهُ بَدِيـ ـلًا فَهْوَ كَافِيهِمْ بِلَا نُقْصَانِ
وَهوَ الدَّلِيلُ لَهُمْ وهَادِيهِم إِلَى الْـ إِيمَـانِ والإِيقَـانِ والعِرْفَـانِ
هُوَ مُوصِلٌ لَهُمُ إِلَى دَرْكِ اليَقِيـ ـنِ حَقِيقَةً وَقَواطِعِ البُرْهَانِ

يَارَبُّ نَحْنُ العَاجِزُونَ بحُبِّهِمْ يَا قِلَّةَ الأَنْصَارِ والأَعْـوَانِ

☐ فصــل ☐

○ في أذانِ أهلِ السنةِ الأعلامِ بصريحِهَا جهرًا ○ على رءوسِ منابرِ الإسلامِ

يَاقَوْمُ قَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الفَجْرِ فَانْـــتَبِهُوا فَإِنِّي مُعْلِـنٌ بَـــأَذَانِ
لَا بِالْمُلَحَّنِ والمبدَّلِ ذَاكَ بَلْ تَأْذِينَ حَقٍّ وَاضِحِ التِّبْيَـانِ
وَهوَ الَّذِي حقًّا إجَابَتُهُ عَلَى كُلِّ امْرِىءٍ فَرْضٌ عَلَى الأَعْيَانِ
اللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ الْـ ـعَرَبِيُّ مَخْلُوقًا مِنَ الأَكْوَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ الْـ ـمَلَكِيُّ أَنْشَاهُ عَنِ الرَّحْمَـٰنِ
وَاللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ الْـ ـبَشَرِيُّ أَنْشَاهُ لَنَـا بِـلِسَانِ
هَذِي مَقَالَاتٌ لَكُم يَا أُمَّـةَ التَّـــشْبِيـه مَا أَنْتُمْ عَلَى إِيمَانِ
شَبَّهْتُمُ الرَّحْمَنَ بالأَوْثَانِ فِي عَدَمِ الكَلَامِ وَذَاكَ لِلأَوْثَانِ
مِمَّا يَدُلُّ بِأَنَّهَا لَيسَتْ بِآ لِهَةٍ وَذَا البُرْهَانُ فِي الفُرْقَانِ
فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ مَعْ طَه وَثَا لِثِهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ القُرْآنِ
أفصِحْ بِأَنَّ الجَاحِدِينَ لِكَوْنِهِ مُتَكَلِّمًـا بحَقِيقَيـةٍ وَبَيَـانِ
هُمْ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتشْبِيهٍ معًا بالْجَامِدَاتِ عظِيمَةِ النُّقْصَانِ
لَا تَقذِفُوا بالدَّاءِ مِنْكُمْ شِيعَـةَ الرَّحْـمَـٰنِ أَهْلَ العِلْمِ والعِرْفَانِ

إنَّ الَّذي نَزَلَ الأمينُ بِهِ عَلَى قَلْبِ الرَّسُولِ الوَاضِحِ البُرْهَانِ
هُو قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالمَعْنَى جَمِيـ ـعًا إذْ هُمَا أَخَوَانِ مُصْطَحِبَانِ
لَا تَقْطَعُوا رَحِمًا تَوَلَّى وَصْلَهَا الرَّحْمَٰنُ تَنْسَلِخُوا مِنَ الإيمَانِ
وَلَقَدْ شَفَانَا قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذي قَالَ الصَّوَابَ وَجَاء بالإِحْسَانِ
إنَّ الَّذي هُوَ فِي المَصَاحِفِ مُثْبَتٌ بِأَنَامِلِ الأَشْيَاخِ والشُّبَّانِ
هُو قَولُ رَبِّي آيُهُ وحُروفُهُ وَمِدَادُنَا والرَّقُّ مَخْلُوقَانِ
والله أَكْبَرُ مَنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى لَكِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى الأَكْوَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ ذُو المَعَارِجِ مَنْ إلَيْـ ـهِ تَعْرُجُ الأَمْلَاكُ كُلَّ أَوَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ مَنْ يَخَافُ جَلَالَهُ أَمْلَاكُهُ مِنْ فَوْقِهِمْ بِبَيَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ مَنْ غَدَا لِسَرِيره أَطٌّ بِهِ كَالرَّحْلِ لِلرُّكْبَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ مَنْ أَتَانَا قَوْلُهُ مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتٍّ ثَمَانِ
نَزَلَ الأَمِيْنُ بِهِ بِأَمْرِ اللهِ مِنْ رَبٍّ عَلَى العَرْشِ اسْتَوى الرَّحْمَٰنِ
وَاللهُ أَكْبَرُ قَاهِرٌ فَوْقَ العِبَا دِ فَلَا تَضَعْ فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَٰنِ
مِنْ كُلِّ وَجْهٍ تِلْكَ ثَابِتَةٌ لَهُ لَا تَهْضِمُوهَا يَا أُولِي البُهْتَانِ
قَهْرًا وَقَدْرًا واسْتِوَاءَ الذَّاتِ فَوْ قَ العَـرْشِ بِالبُرْهَـانِ
فَبِذَاتِهِ خَلَقَ السَّمواتِ العُلَى ثُمَّ اسْتَوَى بالذَّاتِ فَافْهَمْ ذَانِ
فَضَمِيرُ فِعْلِ الإسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلـذَّاتِ الَّتِي ذُكِرتْ بلَا فُرْقَانِ
هُوَ رَبُّنَا هُوَ خَالِقٌ هُوَ مُسْتَوٍ بِالذَّاتِ هَذِي كُلُّهَا بِوِزَانِ

وَاللهُ أَكْبَرُ ذُو العُلُوِّ المطْلَق الْـ ـمَعْلُوم بالفِطْرَاتِ وَالإِيمَانِ
فَعُلُوُّهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ثَابِتٌ فاللهُ أَكْبَرُ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ مَنْ رَقَا فَوْقَ الطِّبَا قِ رَسُولُهُ فَدَنَا مِنَ الدَّيَّانِ
وَإِلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً لَا تُنْكِرُوا المعْرَاجَ بالبُهْتَانِ
وَدَنَا مِنَ الجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ وَدَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الإِحْسَانِ
وَاللهُ قَدْ أَحْصَى الَّذِي قَدْ قُلْتُم فِي ذَلِكَ المعْرَاجِ بالمِيزَانِ
قُلْتُمْ خَيَالًا أَوْ أَكَاذِيبًا أَوِ الْـ ـمِعْرَاجُ لَمْ يَحْصُلْ إِلَى الرَّحْمَـٰنِ
إِذْ كَانَ مَا فَوْقَ السَّموات العُلَى رَبٌّ إِلَيْـهِ مُنْتَهَـى الإِنْسَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ مَنْ أَشَارَ رَسُولُهُ حَقًّا إِلَيْـهِ بِأُصْبُـعٍ وَبَنَـانِ
فِي مَجمعِ الحَقِّ العَظِيمِ بِمَوْقِفٍ دُونَ المعَرَّفِ مَوْقِفَ الغُفْرَانِ
مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَشَارَ بأُصْبُعٍ قُطِعَتْ فَعِنْـدَ اللهِ يَجْتَمِعَـانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ وَشَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ شَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ عَرْشُهُ وَسِعَ السَّمَا وَالأَرْضَ والكُرْسِيَّ ذَا الأَرْكَانِ
وَكَذَلِكَ الكُرْسِيُّ قَدْ وَسِعَ الطِّبَا قَ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ بِالبُرْهَانِ
وَالرَّبُّ فَوْقَ العَرْشِ والكُرْسِيِّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الإِنْسَانِ
لَا تَحْصُرُوهُ فِي مَكَانٍ إِذْ تَقُو لُوا رَبُّنَا حَقًّا بِكُلِّ مَكَانِ
نَزَّهْتُمُوهُ بِجَهْلِكُمْ عَنْ عَرْشِهِ وَحَصَرْتُمُوهُ فِي مَكَانٍ ثَانِ
لَا تَعْدِمُوهُ بِقَوْلِكُم لَا دَاخِلٌ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الأَكْوَانِ

اللهُ أَكْبَرُ قَدْ هَتَكْتُ سِتَارَكُمْ وَبَدَتْ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شَبَهٍ وَعَنْ مَثَلٍ وَعَنْ تَعْطِيلِ ذِي كُفْرَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ مَنْ لَهُ الأَسْمَاءُ وَالْـ أَوْصَافُ كَامِلَةً بِلَا نُقْصَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ وَلَدٍ وَصَا حِبَةٍ وَعَنْ كُفْءٍ وَعَنْ أَخْدَانِ
وَاللهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شَبَهِ الجَمَا دِ كَقَوْلِ ذِي التَّعْطِيلِ وَالكُفْرَانِ
هُمْ شَبَّهُوهُ بِالجَمَادِ وَلَيْتَهُمْ قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلٍ ذِي شَانِ
اللهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شَبَهِ العِبَا دِ فَذَانِ تَشْبِيهَانِ مُمْتَنِعَانِ
واللهُ أَكْبَرُ وَاحِدٌ صَمَدٌ فَكُـلُّ الشَّأْنِ فِي صَمَدِيَّةِ الرَّحْمٰنِ
نَفَتِ الوِلَادَةَ والأُبُوَّةَ عَنْهُ والْـ ـكُفْءَ الَّذِي هُوَ لَازِمُ الإِنْسَانِ
وَكَذَاكَ أَثْبَتَتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا للهِ سَالِمَةً مِنَ النُّـقْصَانِ
وَإِلَيْهِ يَصْمُدُ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَلَا صَمَدٌ سِوَاهُ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ
لَاشَيْءَ يُشْبِهُهُ تَعَالَى كَيْفَ يشْـ ـبِهُهُ خَلْقَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ
لَكِنْ ثُبُوتُ صِفَاتِهِ وَكَلامِهِ وَعُلُوّهُ حقًّا بِلَا نُكْـرَانِ
لَا تَجْعَلُوا الإِثْبَاتَ تَشْبِيهًا لَهُ يَا فِرْقَةَ التَّشْبِيهِ والطُّغْيَـانِ
كَمْ تَرْتَقُونَ بِسُلَّمِ التَّنْزِيهِ لِلتَّعْطِيلِ تَرْوِيجًا عَلَى العُمْيَانِ
فَاللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ صِفَاتُهُ كَصِفَاتِنَا جَلَّ العَظِيمُ الشَّانِ
هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ لَا إِثْبَاتُ أَوْ صَافِ الكَمَالِ فَمَا هُمَا سِيَّانِ

* * *

□ فصـــل □

○ في تلازُم التَّعطيلِ والشِّركِ ○

وَاعْلَمْ بأنَّ الشِّرْكَ وَالتَّعْطِيلَ مُذْ كَانَا هُمَا لَا شَكَّ مُصْطَحِبَانِ
أَبدًا فَكُلُّ مُعَطِّلٍ هُوَ مُشْرِكٌ حَتْمًا وَهَذَا وَاضِحُ التِّبْيَـانِ
فَالعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الْـ بَلْوَى وَيُغْنِي فَاقَةَ الإِنْسَانِ
وَإِلَيْهِ يَصْمُدُ فِي الحَوَائِجِ كُلِّهَا وَإِلَيْهِ يَفْـزَعُ طَالِبًا لأَمَـانِ
فإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ وَفِعَالُهُ وَعُلوهُ مِن فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
فَزِعَ العِبَادُ إِلَى سِوَاهُ وَكَانَ ذَا مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ والنُّكْرَانِ
فَمُعَطِّلُ الأَوْصَافِ ذَاكَ مُعَطِّـلُ التَّـوْحِيـدِ حَقًّا ذَانِ تَعْطِيلَانِ
قَدْ عَطَّلَا بِلسَانِ كُلِّ الرُّسْلِ مِنْ نُوحٍ إِلَى المبْعُوثِ بالقُرْآنِ
وَالنَّاسُ فِي هَذَا ثَلَاثُ طَوَائِفٍ مَا رَابِعٌ أَبَدًا بِذِي إِمْكَانِ
إِحْدَى الطَّوائِفِ مُشْرِكٌ بِإِلٰـهِهِ فَإِذَا دَعَاهُ دَعَا إِلٰهًا ثَـانِ
هَذَا وَثانِي هذِهِ الأَقْسَامِ ذَا لِكَ جَاحِدٌ يَدْعُو سِوَى الرَّحْمٰـنِ
هُوَ جَاحِدٌ للربِّ يَدْعُو غَيْرَهُ شِرْكًا وَتَعْطِيلًا لَهُ قَدَمَـانِ
هَذَا وَثَالِثُ هَذِهِ الأَقْسَامِ خَيْـ ـرُ الخَلْقِ ذَاكَ خُلَاصَةُ الإِنْسَانِ
يَدْعُو الإِلهَ الحَقَّ لَا يَدْعُو سِوَا هُ قَطُّ فِي الأَشْيَاءِ والأَكْوَانِ
يَدْعُوه فِي الرَّغَبَاتِ والرَّهَبَاتِ والْـ ـحَالَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

تَوْحِيدُهُ نَوْعَانِ عِلْمِيٌّ وَقَصْـ ـدِيٌّ كَمَا قَدْ جُرِّدَ النَّوْعَانِ
فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ مَعْ تَالٍ لنَصْـ ـرِ اللهِ قُلْ يَاأَيُّـهَا بِبَيَـانِ
وَلِذَاكَ قَدْ شُرِعَا بِسُنَّةِ فَجْرِنَا وَكَذَاكَ سُنَّةِ مَغْرِبٍ طَرَفَانِ
لِيَكُونَ مُفْتَتَحُ النَّهَارِ وَخَتْمُهُ تَجْرِيدَكَ التَّوْحِيدَ لِلدَّيَّـانِ
وَكَذَاكَ قَدْ شُرِعَا بِخَاتَمِ وَتْرِنَا خَتْمًا لِسَعْيِ اللَّيْلِ بـالآذَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ شُرِعَا بِرَكْعَتَيِ الطَّوَا فِ وَذَاكَ تَحْقِيقٌ لِهَذَا الشَّانِ
فَهُمَا إِذًا أَخَوَانِ مُصْطَحِبَانِ لَا يَتَفَارَقَـانِ وَلَـيْسَ يَنْـفَصِلَانِ
فَمُعَطِّلُ الأَوْصَافِ ذُو شِرْكٍ كَذَا ذُو الشِّرْكِ فَهْوَ مُعَطِّلُ الرَّحْمـٰنِ
أَوْ بَعْضِ أَوْصَافِ الكَمَالِ لَـهُ فَحَقِّـقْ ذَا وَلَا تُسْرِعْ إِلَى نُكْرَانِ

☐ فصـــل ☐

○ في بيانِ أنَّ المعطِّلَ شرٌّ مِنَ المشْرِكِ ○

لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ شَرٌّ مِنْ أَخِي الْـ إِشْرَاكِ بالمعْقُـولِ والبُرْهَـانِ
إِنَّ المعَطِّلَ جَاحِدٌ لِلذَّاتِ أَوْ لِكَمَالِهَـا هَـذَانِ تَعْطِـيلَانِ
مُتَضَمِّنَانِ القَدْحَ فِي نَفسِ الأُلُو هَةِ كَمْ بِذَاكَ القَدْحِ مِنْ نُقْصَانِ
وَالشِّرْكُ فَهْوَ تَوسُّلٌ مَقْصُـودُهُ الزُّلْفَـى مِنَ الرَّبِّ العَظِيمِ الشَّانِ
بِعِبَادَةِ المخْلُوقِ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ بَشَرٍ وَمِنْ قَبْرٍ وَمِنْ أَوْثَانِ

فَالشِّرْكُ تَعْظِيمٌ بِجَهْلٍ مِنْ قِيَا ... سِ الرَّبِّ بالأُمَرَاءِ والسُّلْطَانِ
ظَنُّوا بأَنَّ البَابَ لَا يُغْشَى بِدُو ... نِ تَوَسُّطِ الشُّفَعَاءِ والأَعْوَانِ
ودَهَاهُمُ ذَاكَ القِيَاسُ المسْتَبِيـ ... ـنُ فَسَادُهُ بِبَدَاهَـةِ الإِنْسَانِ
الفَرْقُ بَيْنَ اللهِ والسُّلْطَانِ مِنْ ... كُلِّ الوُجُوهِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
أنَّ المُلُوكَ لَعَاجِزُونَ وَمَا لَهُمْ ... عِلْمٌ بأَحْوَالِ الدُّعَا بـأذَانِ
كَلَّا وَلَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى الَّذِي ... يَحْتَاجُهُ الإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانِ
كَلَّا وَمَا تِلْكَ الإِرَادَةُ فِيهِمُ ... لِقَضَا حَوَائِجِ كُلِّ مَا إنسَانِ
كَلَّا وَلَا وَسِعُوا الخَلِيقَةَ رَحْمَةً ... مِنْ كُلِّ وَجْهٍ هُمْ أولُو النُّقْصَانِ
فَلِذَلِكَ احْتَاجُوا إِلَى تِلْكَ الوَسَا ... ئِطِ حَاجَةً مِنْهُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
أَمَّا الَّذِي هُوَ عَالِمٌ لِلْغَيْبِ مُقْـ ... ـتَدِرٌ عَلَى مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانِ
وَتَخَافُهُ الشُّفَعَاءُ لَيْسَ يُرِيدُ مِنْـ ... ـهُمْ حَاجَةً جَلَّ العَظِيمُ الشَّانِ
بَلْ كُلُّ حَاجَاتٍ لَهُمْ فَإلَيْهِ لَا ... لِسِوَاهُ مِنْ مَلَكٍ وَلَا إِنْسَانِ
وَلَهُ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا وَهْوَ الَّذِي ... فِي ذَاكَ يَأْذَنُ لِلشَّفِيعِ الدَّانِي
لِمَنِ ارْتَضَى مِمَّنْ يُوحِّدُهُ وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ ... شَيْئًا لِمَا قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ
سَبَقَتْ شَفَاعَتُهُ إِلَيْهِ فَهْوُ مَشْـ ... ـفُوعٌ إِلَيْهِ وَشَافِعٌ ذُو شَانِ
فَلِذَا أَقَامَ الشَّافِعِينَ كَرَامَـةً ... لَهُمُ ورَحْمَةَ صَاحِبِ العِصْيَانِ
فَالكُلُّ مِنْهُ بَدَا وَمَرْجِعُهُ إِلَيْـ ... ـهِ وَحْدَهُ مَا مِنْ إِلَـٰهٍ ثَانِ
غَلَطَ الأُلَى جَعَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ سِوا ... هُ إِلَيْهِ دُونَ الإِذْنِ مِنْ رَحْمٰـنِ

هَذِي شَفَاعَةُ كُلِّ ذِي شِرْكٍ فَلَا تَعْقِدْ عَلَيْهَا يَا أَخَا الإِيمَانِ
وَاللهُ فِي القُرْآنِ أَبْطَلَهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الآثَارِ والقُـرْآنِ
وَكَذَا الوَلَايَةُ كُلُّهَا للهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلَكٍ وَلَا إِنْسَانِ
وَاللهِ لَمْ يَفْهَمْ أُولُو الإِشْرَاكِ ذَا وَرَآهُ تَنْقِيصًا أُولُو النُّقْصَانِ
إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ عَزْلَ مَنْ يُدْعَى سِوَى الرَّحْمَـٰنِ بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَـٰنِ
بَلْ كُلُّ مَدْعُوٍّ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ عَرْشِ الإِلهِ إِلَى الحَضِيضِ الدَّانِ
هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ وَدُعَاءُ عَا بِدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ البُطْلَانِ
فَلَهُ الوَلَايَةُ والوَلَايَةُ مَا لَنَا مِنْ دُونِهِ وَالٍ مِنَ الأَكْوَانِ
فَإِذَا تَوَلَّاهُ امْرُؤٌ دُونَ الوَرَى طُرًّا تَـوَلَّاهُ العَظِيـمُ الشَّانِ
وَإِذَا تَوَلَّى غَيْرَهُ مِنْ دُونِهِ وَلَّاهُ مَا يَرْضَى بِهِ لِهَوَانِ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ وَكَذَاكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
حَقًّا يُنَادِيهِمْ نِدًا سُبْحَانَـهُ يَوْمَ المَعَادِ فَيَسْمَعُ الثَّـقَلَانِ
يَا مَنْ يُرِيدُ وِلَايَةَ الرَّحْمَـٰنِ دُو نَ وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ وَالأَوْثَانِ
فَارِقْ جَمِيعَ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ حَتَّى تَنَالَ وِلَايَةَ الرَّحْمَـٰنِ
يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الخَلَائِقَ رَحْمَةً وَكِفَايَةً ذُو الفَضْلِ والإِحْسَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَـانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالعِصْيَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ وَوِقَايَةٍ مِنْهُ مَدَى الأَزْمَـانِ

يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ مُتَقَلِّبًا فِي السِّرِّ وَالإِعْلَانِ
يَدْعُوهُ أَهْلُ الأَرْضِ مَعْ أَهْلِ السَّمَا ءِ فَكُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
وَهْوَ الْكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ لَا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نُقْصَانِ
فَتَوسُّطُ الشُّفَعَاءِ وَالشُّرَكَاءِ وَالظُّهَرَاءِ أَمْرٌ بَيِّنُ البُطْلَانِ
مَا فِيهِ إِلَّا مَحْضُ تَشْبِيهٍ لَهُمْ بِاللهِ وَهْوَ فَأَقْبَحُ البُهْتَانِ
مَعْ قَصْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ مَا عَطَّلُوا الأَوْصَافَ لِلرحْمٰنِ
لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلَّا النَّفْيُ أَيْنَ النَّفْيُ مِنْ إِيمَانِ
وَالقَلْبُ لَيْسَ يُقِرُّ إِلَّا بِالتَّعَبُّدِ فَهْوَ يَدْعُوهُ إِلَى الأَكْوَانِ
فَتَرَى المَعَطِّلَ دَائِمًا فِي حَيرةٍ مُتَنَقِّلًا فِي هَذِهِ الأَعْيَانِ
يَدْعُو إِلَهًا ثُمَّ يَدْعُو غَيْرَهُ ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا مَدَى الأَزْمَانِ
وَنَرَى المَوَحِّدَ دَائِمًا مُتَنَقِّلًا بِمَنَازِلِ الطَّاعَاتِ وَالإِحْسَانِ
مَا زَالَ يَنْزِلُ فِي الوَفَاءِ مَنَازِلًا وَهِيَ الطَّرِيقُ لَهُ إِلَى الرَّحْمٰنِ
لَكِنَّمَا مَعْبُودُهُ هُوَ وَاحِدٌ مَا عِنْدَهُ رَبَّانِ مَعْبُودَانِ

□ فصل □

○ في مَثَلِ المشرِكِ والمعطِّلِ ○

أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِي مَلِكٍ عَظِيـ ـمٍ لَسْتَ فِينَا قَطُّ ذَا سُلْطَانِ

* * *

مَا فِي صِفَاتِكَ مِنْ صِفَاتِ المُلْكِ شَيْـ ... ءٌ كُلُّهـا مَسْلُوبَـةُ الوِجْـدَانِ
فَهَلِ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ المُلْكِ أَوْ ... دَبَّرْتَ أَمْرَ المُلْكِ والسُّلْطَانِ
أَوْ قُلْتَ مَرْسُومًا تُنَفِّذُهُ الرَّعَا ... يَا أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بِبَيَانِ
أَوْ كُنْتَ ذَا أَمْرٍ وَذَا نَهْيٍ وَتكْـ ... ـلِيمٍ لِمَنْ وَافَى مِنَ البُلْدَانِ
أَوْ كُنْتَ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا ... عِلْمٍ وَذَا سُخْطٍ وَذَا رِضْوَانِ
أَوْ كُنْتَ قَطُّ مُكَلِّمًا مُتَكَلِّمًا ... مُتَصَرِّفًا بِالْفِعْلِ كُلَّ زَمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ حَقِيقَةَ الْـ ... ـفِعْلِ الَّذِي قَدْ قَامَ بالأَذْهَانِ
أَوْ كُنْتَ حَيًّا فَاعِلًا بِمَشِيئَةٍ ... وَبِقُدْرَةٍ أَفْعَالَ ذِي السُّلْطَانِ
فِعْلٌ يَقُومُ بِغَيْرِ فَاعِلِه مُحَا ... لٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ لِذِي الإِنْسَانِ
بَلْ حَالَةُ الفَعَّالِ قَبْلُ وَمَعْ وَبَعْـ ... ـدُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ بِلَا فُرْقَانِ
وَاللهِ لَسْتَ بِفَاعِلٍ شَيْئًا إِذَا ... مَا كَانَ شَأْنُكَ مِنْكَ هَذَا الشَّانِ
لَا دَاخِلًا فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجٍ ... عَنَّا خَيَالًا دُرْتَ فِي الأَذْهَانِ
فَبِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ فِينَا مَالِكًا ... مُلْكًا مُطَاعًا قَاهِرَ السُّلْطَانِ
اسْمًا وَرَسْمًا لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ ... شَأْنُ المُلُوكِ أَجَلُّ مِنْ ذَا الشَّانِ
هَذَا وَثَانٍ قَالَ أَنْتَ مَلِيكُنَا ... وَسِوَاكَ لَا نَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانِ
إِذْ حُزْتَ أَوْصَافَ الكَمَالِ جَمِيعَهَا ... وَلِأَجْلِ ذَا دَانَتْ لَكَ الثَّقَلَانِ
وَقَدِ اسْتَوَيتَ عَلَى سَرِيرِ المُلْكِ وَاسْـ ... ـتَوْلَيْتَ مَعْ هَذَا عَلَى البُلْدَانِ
لَكِنَّ بَابَكَ لَيْسَ يَغْشَاهُ امْرُؤٌ ... إِنْ لَمْ يَجِئْ بِالشَّافِعِ المِعْوَانِ

وَيذِلُّ لِلْبَوَّابِ وَالـحُجَّابِ والشُّـفَعَاءِ أَهْـلِ القُرْبِ والإِحْسَانِ
أَفَيَسْتَوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ وَاللهِ مَا اسْتَوَيَا لَدَى إِنْسَانِ
وَالمشْرِكُونَ أَخَفُّ فِي كُفْرَانِهِمْ وَكِلَاهُمَا مِنْ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ
إِنَّ المعَطِّلَ بالعَـدَاوَةِ قَائِـمٌ فِي قَالبِ التَّنْزِيهِ للرَّحْمَـٰنِ

□ فصـــل □

○ فيما أعدَّ اللهُ تعالى مِنَ الإحسانِ للمتمسِّكينَ ○ بكتابِهِ وسنَّةِ رسولِهِ صلى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّم عندَ فسادِ الزَّمانِ

هَذَا ولِلْمستَمْسِكينَ بِسُنَّةِ الْـ ـمُخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الأَزْمَانِ
أجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي أَعْطَاه لـلإِنْسَانِ
فَرَوَى أَبُو دَاودَ فِي سُنَنٍ لَهُ وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
أَثَرًا تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امْرَءًا مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خِيرَةِ الرَّحْمَـٰنِ
إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمِصْدَاقٌ لَهُ فِي مُسْلِمٍ فَافْهَمْهُ بِالإِحْسَانِ
إِنَّ الْعِبَادَةَ وَقْتَ هَرْجٍ هِجْرَةٌ حَقًّا إِلَيَّ وَذَاكَ ذُو بُرْهَانِ
هَذَا فَكَمْ من هِجْرَةٍ لَكَ أَيُّهَا السُّـنِّيُّ بِالتَّحْقِيقِ لَا بأَمَـانِ
هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمُ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي القُرْآنِ

وَلَقَدْ أَتَى مِصْدَاقُهُ فِي التِّرمِذِيِّ لِمـنْ لَـهُ أُذُنَـانِ وَاعِيَتَـانِ
فِي أَجْرِ مُحْيِي سُنَّةٍ مَاتَتْ فَذَا كَ مَعَ الرَّسُولِ رَفِيقُهُ بِجِنَانِ
هَذَا وَمِصْدَاقٌ لَهُ أَيْضًا أَتَى فِي التِّرمِذِيِّ لمنْ لَهُ عَيْنَانِ
تَشْبِيهُ أُمَّتِـهِ بِغَيْـثٍ أَوَّلٌ مِنْـهُ وآخِـرُهُ فمشْتَبِهَـانِ
فَلِذَاكَ لَا يدْرِي الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا قَدْ خُصَّ بالتفْضِيلِ والرجْحَانِ
وَلَقَدْ أَتَى أثرٌ بأَنَّ الفَضْلَ فِي الطَّـرَفيْنِ أَعْني أَوَّلًا والثَّانِـي
وَالوَسْطُ ذُو ثَبَجٍ فأَعْوَجُ هَكَذَا جَاءَ الحَدِيثُ وَلَيْس ذَا نُكْرَانِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي الوَحْيِ مِصْدَاقٌ لَهُ فِي الثُّلَّتَيْنِ وَذَاكَ فِي القُرْآنِ
أَهْلُ الْيَمِينِ فَثُلَّةٌ مَعْ مِثْلِهَا والسَّابِقُونَ أَقَلُّ فِي الحُسْبَانِ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ تَابِعَهُمْ هُمُ الْـ ـغُرَبَاءُ لَيْسَتْ غُرْبَةَ الأَوْطَانِ
لَكِنَّهَـا وَاللهِ غُرْبَـةُ قَائِـمٍ بالدِّينِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فَلِذَاكَ شَبَّهَهُمْ بِهِ مَتْبُوعُهُمْ فِي الغُرْبَتَيْنِ وَذَاكَ ذُو تِبْيَانِ
لَمْ يُشْبِهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
فَانْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الغُرَبَاءَ بِالْـ ـمُحْيِينَ سُنَّتَهُ بِكُلِّ زَمَـانِ
طُوبَى لَهُمْ وَالشَّوْقُ يَحْدُوهُمْ إِلَى أَخْذِ الْحدِيثِ وَمُحْكَمِ القُرْآنِ
طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبَأُوا بِنُحَاتَةِ الْـ أَفْكَارِ أَوْ بِزِبَالَـةِ الأَذْهَـانِ
طُوبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَتْنِ العزَا ئِمِ قَاصِدِينَ لمَطْلَعِ الإِيمَانِ
طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبَأُوا شَيْئًا بِذِي الْـ آرَاءِ إِذْ أَغْنَاهُـمُ الوَحْيَـانِ

طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الوَرَى مَنْ جَاءَ بالإيمَانِ والفُرْقَانِ
واللهِ مَا ائتَمُّوا بِشَخْصٍ دُونَهُ إلَّا إذا مَا دَلَّهُمْ بِبَيَانِ
فِي البَابِ آثَارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الأَزْمَانِ
إذْ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ أَنَّ صَحَابَةَ الْـ ـمُخْتَارِ خَيْرُ طَوَائِفِ الإنْسَانِ
ذَا بالضَّرُورةِ لَيْسَ فِيهِ الخُلْفُ بَيْـ ـنَ اثْنَيْنِ مَا حُكِيَتْ بِهِ قَوْلَانِ
فَلِذَاكَ ذِي الآثَارُ أَعْضَلَ أَمْرُهَا وَبَغَوا لَهَا التَّفْسِيرَ بِالإحْسَانِ
فَاسْمَعْ إذًا تأويلَهَا وافْهَمْهُ لَا تَعْجَلْ بِرَدٍّ مِنْكَ أَوْ نُكْرَانِ
إنَّ البَدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحِطْ عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الحِرْمَانِ
الفَضْلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ ومُقَيَّـدٌ وهُمَا لأهْلِ الفَضْلِ مُرْتَبَتَانِ
وَالفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ فَضْلًا عَلَى الإطْلَاقِ مِنْ إنسَانِ
لَا يُوجِبُ التَّقْيِيدَ أَنْ يَقْضِي لَهُ بِالإسْتِوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ
إذْ كَانَ ذُو الإطْلَاقِ حَازَ مِنَ الفَضَا ئِلِ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بالإحْسَانِ
فَإذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَ نَوْ عًا لَمْ يَحُزْهُ فَاضِلُ الإنْسَانِ
لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِيصُ مِنْ فَضْلٍ عَلَيْـ ـهِ وَلَا مُسَاوَاةٍ وَلَا نُقْصَانِ
مَا خَلْقُ آدَمَ بالْيَدَيْنِ بِمُوجِبٍ فَضْلًا عَلَى المَبْعُوثِ بالقُرْآنِ
وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ كُلِّ رُسْلِ اللهِ بالبُرْهَانِ
فَمُحَمَّدٌ أَعْلَاهُمُ فَوْقًا وَمَا حَكَمَتْ لَهُمْ بِمَزِيَّةِ الرُّجْحَانِ
فَالْحَائِزُ الخَمْسِينَ أَجْرًا لَمْ يَحُزْ هَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الإيمَانِ

هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرٍ اوْ أُحُدٍ أَوِ الْـ ـفَتْحِ المبينِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
بَل حَازَهَا إذْ كَانَ قَدْ فَقَدَ المُعِيـ ـنَ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أولِي أعْوَانِ
وَالرَّبُّ لَيْسَ يُضِيعُ مَا يَتَحَمَّلُ الْـ ـمُتَحَمِّلُونَ لأجْلِهِ مِنْ شَانِ
فَتحمُّلُ العَبْدِ الوَحِيدِ رِضَاهُ مَعْ فَيْضِ العَدُوِّ وَقِلَّةِ الأَعْوَانِ
مِمّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينٍ صَادِقٍ وَمَحَبَّةٍ وَحَقِيقَةِ العِرْفَانِ
يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاغترابًا قِلَّةُ الْـ أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَغْزُوهُ إنْ تَرْجِعْ يُوَافِيهِ الفَرِيقُ الثَّانِي
فَسَلِ الغَرِيبَ المسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدًا بِلَا حُسْبَانِ
هَذَا وَقَدْ بَعُدَ المَدَى وَتطاوَلَ الْـ ـعَهْدُ الّذِي هُوَ مُوجِبُ الإِحْسَانِ
وَلِذَاكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْرًا فَسَلْ أَحْشَاءَهُ عَنْ حَرِّ ذِي النِّيرانِ
وَاللهُ أعْلَمُ بالَّذِي فِي قَلْبِهِ يَكْفِيهِ عِلْمُ الوَاحِدِ المَنَّانِ
فِي القَلْبِ أمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلإنْسَانِ
بِرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعْ رِضًا وَالشُّكْرُ والتَّحْكِيمُ للقُرْآنِ
سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ العِبَا دِ فَذَاكَ مُولِي الفَضْلِ والإِحْسَانِ
فَالفَضْلُ عِنْدَ اللهِ لَيْسَ بِصُورَةِ الْـ أَعْمَالِ بَلْ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ
وَتَفَاضُلُ الأعْمَالِ يَتْبَعُ ما يَقُو مُ بقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ البُرْهَانِ
حَتَّى يَكُونَ العَامِلَانِ كِلَاهُمَا فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بِعِيَانِ
هَذَا وَبَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَا والأَرْضِ فِي فَضْلٍ وَفِي رُجْحَانِ

وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا رُتَبٌ مُضَاعَفَةٌ بِلَا حُسْبَانِ
هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُه وَبِذَاكَ تَعْرِفُ حِكْمَةَ الرَّحْمَـٰنِ

□ فصـــلٌ □

○ فيما أعدَّ اللهُ تعالى في الجَنَّةِ لأوليائِهِ ○ المتمسكينَ بالكتابِ والسُّنَّةِ

يَاخَاطِبَ الحُورِ الحِسَانِ وَطَالبًا لِوَصْلِهِـنَّ بِجَنَّـةِ الحَيَـوانِ
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبْـ ـتَ بَذَلْتَ مَا تَحْوِي مِنَ الأَثْمَانِ
أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْـ ـتَ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الأَجْفَانِ
وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكَنِهَا فإِنْ رُمْتَ الوِصَالَ فَلَا تَكُنْ بِالْوَانِي
أَسْرِعْ وَحُثَّ السَّيْرَ جَهْدَكَ إِنَّمَا مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِزَمَـانِ
فاعْشَقْ وَحَدِّثْ بالوِصَالِ النَّفْسَ وَابْـــذُلْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْ مَ الوَصْلِ يَوْمَ الفِطْرِ مِنْ رَمضَانِ
وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الحَادِي وَسِرْ نلقَ المخَاوِفَ وَهْيَ ذَاتُ أَمَانِ
لَا يُلْهِيَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ أَيْدِي البِلَا مِنْ سَالِفِ الأَزْمَانِ
فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسَرَّةٍ وَتَبَـدَّلَتْ بِالهَـمِّ والأَحْـزَانِ
سِجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الإِيمَانِ لَـ ـكِنْ جَنَّةُ المأْوَى لِذِي الكُفْرانِ

سُكَّانُهَا أَهْلُ الجَهَالَةِ والبَطَا لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ
وَأَلَذُّهُمْ عَيْشًا فَجَاهِلُهُمْ بِحَقِّ اللهِ ثُمَّ حَقَائِقِ القُرْآنِ
عَمُرَتْ بِهِمْ هذِي الدِّيَارُ وأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ رُبُوعُ العِلْمِ والإِيمَانِ
قَدْ آثروا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا الْـ ـفَانِي عَلَى الجَنَّاتِ والرِّضْوَانِ
صَحِبُوا الأَمَانِي وابْتُلُوا بحُظُوظِهِمْ وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَةٍ وَهَوَانِ
كَدْحًا وَكَدًّا لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمُ مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانِ
وَاللهِ لَوْ شَاهَدْتَ هَاتِيكَ الصُّدُو رَ رَأَيْتَهَا كَمَرَاجِلِ النِّيرَانِ
وَوَقُودُهَا الشَّهَواتُ و الحَسَرَاتُ وَالْـ آلَامُ لَا تَخْبُو مَدَى الأَزْمَانِ
أَبدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ النُّفُو سِ اللَّاءِ قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الأَبْدَانِ
أَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ فِي كَدْحِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَـٰنِ
هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ والشَّيْطَانِ
لَا تَرْضَ مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنُفُوسِهِمْ فَقَدْ ارْتَضَوْا بالذُّلِّ وَالحِرْمَانِ
لَوْ سَاوَتِ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الكُفْرَانِ
لَكِنَّهَا وَاللهِ أَحْقَرُ عِنْدَهُ مِنْ ذَا الجَنَاحِ القَاصِرِ الطَّيَرَانِ
وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا فَالسَّعْدُ مِنْهَا حَلَّ بالدَّبَرَانِ
لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الوَفَاءُ لِصَبِّهَا أَينَ الوَفَا مِنْ غَادِرٍ خَوَّانِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ فَكَيْفَ يَنَالُهَا صَفْوٌ أَهَذَا قَطُّ فِي الإِمْكَانِ
يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَأَهَّبْ لِلَّذِي قَدْ نَالَهُ العُشَّاقُ كُلَّ زَمَانِ

أَوَ مَا سَمِعْتَ بَلْ رَأيتَ مَصَارِعَ الْـ ـعُشَّاقِ مِنْ شِيبٍ وَمِنْ شُبَّانِ

□ فصــل □

○ في صفةِ الجَنَّةِ الَّتي أعدَّها اللهُ ذو الفضْلِ ○ والمنَّةِ لأوليائِهِ المتمسِّكينَ بالكتابِ والسُّنَّةِ

فَاسْمَعْ إذًا أَوْصَافَهَا وَصِفَاتِ هَا تِيكَ المنَازِلِ رَبَّةِ الإِحْسَانِ
هِيَ جَنَّةٌ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا فنَعِيمُهَا بَاقٍ وَلَيْسَ بِفَانِ
دَارُ السَّلَامِ وَجَنَّةُ المأوى وَمَنْـ ـزِلُ عَسْكَرِ الإيمَانِ والقُرْآنِ
فَالدَّارُ دَارُ سَلَامَةٍ وَخِطَابُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ واسْمُ ذِي الغُفْرَانِ

□ فصــل □

○ في عددِ دَرجاتِ الجنَّةِ ومَا بينَ كلِّ دَرجتينِ ○

دَرَجَاتُهَا مِائَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْـ ـنِ فَذَاكَ فِي التَّحْقِيقِ لِلحُسْبَانِ
مِثْلُ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هَـ ـذِي الأرضِ قَوْلُ الصَّادِقِ البُرْهَانِ
لَكِنَّ عَالِيهَا هُوَ الفِرْدَوْسُ مَسْـ ـقُوفٌ بِعَرْشِ الخَالِقِ الرَّحْمنِ
وَسطَ الجِنَانِ وَعُلْوُهَا فَلِذَاكَ كَا نَتْ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ البُنْيَانِ
مِنْهُ تَفجَّرَ سَائِرُ الأَنْهَارِ فَالْـ ـمَنْبُوعُ مِنْهُ نَازِلٌ بِجِنَانِ

□ فصـــل □

○ في أبوابِ الجنَّةِ ○

أَبْوَابُهَـا حَـقٌّ ثَمَانِيَــةٌ أَتَتْ فِي النَّصِّ وَهْيَ لِصَاحِبِ الإِحْسَانِ
بَابُ الجِهَادِ وَذَاكَ أَعْلَاهَا وبَا بُ الصَّوْم يُدْعَى البَابُ بالرَّيَّانِ
وَلِكُلِّ سَعْيٍ صَالحٍ بَــابٌ وَرَبُّ السَّعْيِ مِنْهُ دَاخِلٌ بأَمَانِ
وَلَسَوْفَ يُدْعَى المُرءُ مِنْ أَبوابِهَا جَمْعًا إِذَا وَفَّى حُلَى الإِيمَانِ
مِنْهُمْ أَبو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذَا كَ خَلِيفَةُ المبْعُوثِ بالقُرْآنِ

□ فصـــل □

○ في مقدارِ ما بينَ البابِ والبابِ مِنْهَا ○

سَبْعُونَ عَامًا بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْـ ـهَا قُدِّرَتْ بِالعَدِّ وَالحُسْبَانِ
هَذَا حَدِيثُ لَقِيطٍ المعْرُوفُ بالْـ ـخَبَرِ الطَّوِيلِ وَذا عَظِيمُ الشَّانِ
وَعَلَيْهِ كُلُّ جَلَالَةٍ وَمَهَابَــةٍ وَلَكَمْ حَوَاهُ بَعْدُ مِنْ عِرْفَانِ

□ فصـــل □

○ في مقدارِ ما بينَ مِصْرَاعي البابِ الواحدِ مِنْهَا ○

لَكِنَّ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةَ أَربعِيــ ـنَ رَوَاهُ حَبْرُ الأُمَّةِ الشَّيْبَانِي

فِي مُسْنَدٍ بالرَّفْعِ وَهْوَ لمسْلِمٍ وَقْفٌ كَمَرْفُوعٍ بوجْهٍ ثَانِي
وَلَقَدْ رَوَى تَقْدِيرَهُ بِثَلَاثَةِ الْـ أَيَّامِ لَكِنْ عِنْد ذِي العِرْفَانِ
أَعْنِي البُخَارِيَّ الرِّضى هُوَ مُنْكَرٌ وَحَدِيثُ رَاوِيهِ فَذُو نُكْرَانِ

□ فصـــل □

○ في مِفتاحِ بابِ الجنَّةِ ○

هَذَا وَفَتْحُ البَابِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ إِلَّا بمفْتَاحٍ عَلَـى أسْنَــانِ
مِفْتَاحُهُ بِشَهَادَةِ الإِخْـلَاص والتَّـوْحِيـدِ تِلْكَ شَهَادَةُ الإِيمَانِ
أَسْنَانُهُ الأَعْمَالُ وَهْيَ شَرَائِعُ الْـ إِسْلَامِ والمفْتَـاحُ بالأَسْنَــانِ
لَا تُلْغِيَنْ هَذَا المثَالَ فَكَمْ بِهِ مِنْ حَلِّ إشْكَالٍ لِذِي العِرْفَانِ

□ فصـــل □

○ في مَنْشُورِ الجنَّةِ الذي يُوقَّع به لصاحِبِهَا ○

هَذَا وَمنْ يَدْخُلْ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ إِلَّا بِتوقِيعٍ مِـنَ الرَّحْمٰـــنِ
وَكَذَاكَ يُكْتَبُ لِلفَتَى لِدُخُولِهِ مِنْ قَبْلُ تُوْقِيعَانِ مَشْهُورَانِ
إِحْدَاهُمَا بَعْدَ الممَاتِ وعَرْضِ أَرْ وَاحِ العِبَادِ بِهِ عَلَى الدَّيَّانِ
فَيقُولُ رَبُّ العَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ لِلكَاتِبِينَ وَهُمْ أُولُو الدِّيوانِ

ذَا الِاسْمُ فِي الدِّيوانِ يُكْتَبُ ذَاكَ ديـ ـوَانُ الجِنَانِ مُجَاوِرُ المنَّانِ
دِيوانُ عِلِّيينَ أَصْحَابُ القُرَا نِ وَسُنَّةِ المبْعُوثِ بالقُـرْآنِ
فَإِذَا انْتَهَى لِلْجِسْرِ يَوْمَ الحَشْرِ يُعْـ ـطَى لِلدُّخُولِ إذًا كِتَابًا ثَانِ
عِنْوَانُهُ هَذَا الكِتَابُ مِنْ عَزِيـ ـزٍ رَاحِمٍ لِفُلَانٍ بْنِ فُلانِ
فَدَعُوهُ يَدْخُلْ جَنَّةَ المأْوَى التِي ارْ تَفَعَتْ وَلَكِنَّ القُطُوفَ دَوَانِ
هَذَا وَقَدْ كُتِبَ اسْمُه مُذْ كَانَ فِي الْـ أَرْحَامِ قَبْلَ وِلَادَةِ الإِنْسَانِ
بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهْوَ وَقْتَ القَبْضَتَيْـ ـنِ كِلَاهُمَا للعَدْلِ والإِحْسَانِ
سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالملَكُوتِ والْـ إِجْلَالِ والإِكْـرَامِ والسُّبْحَـانِ
واللهُ أَكْبَرُ عَالِمُ الأَسْرَارِ والْـ إِعْلَانِ واللَّحَظَاتِ بالأَجْفَـانِ
وَالحَمْدُ للهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْـ أَصْوَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
وَهْوَ الموَحَّدُ والمسَبَّحُ والمُمَجَّـدُ والحَمِيـدُ ومُنْزِلُ القُرْآنِ
والأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ لَهُ سُبْحَانكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ

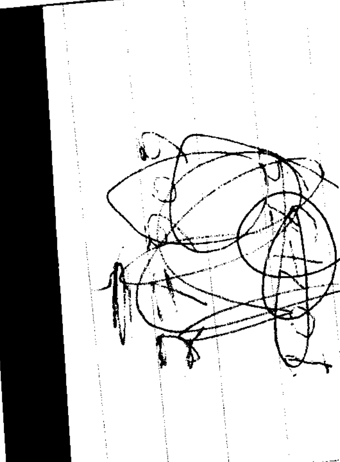
◻ فصــلٌ ◻

○ في صُفُوفِ أَهْلِ الجنَّةِ ○

هَذَا وإنَّ صُفُوفَهُمْ عِشْرُونَ مَعْ مِائَةٍ وَهَذِي الأُمَّةُ الثُّلثَـانِ
يَرْوِيهِ عَنْهُ بُرَيْـدَةٌ إِسْنَـادُهُ شَرْطُ الصَّحِيحِ بِمُسْنَدِ الشَّيْبَانِي
وَلَهُ شَوَاهِد مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْـ ـرةَ وابْنِ مَسْعُودٍ وَحَبْرِ زَمَانِ

10447

29414



أعني ابنَ عَبَّاسٍ وَفِي إسْنَادِهِ رَجُلٌ ضَعِيفٌ غَيْرُ ذِي إتْقَانِ
وَلَقَدْ أتانا فِي الصَّحِيحِ بأَنَّهُمْ شَطْرٌ وَمَا اللَّفْظَانِ مُخْتَلِفَانِ
إذْ قَالَ أرْجُو أنْ تَكُونُوا شَطْرَهُمْ هَذَا رَجَاءٌ مِنْهُ للرَّحْمَـٰـنِ
أعْطَاهُ رَبُّ العَرْشِ مَا يَرْجُو وَزَا دَ مِنَ العَطَاءِ فَعَالَ ذِي الإحْسَانِ

□ فصل □

○ في صفةِ أوَّلِ زمرةٍ تدْخلُ الجنَّة ○

هَذَا وَأَوَّلُ زُمْرَةٍ فَوُجُوهُهُمْ كالبَدْرِ لَيْلَ السِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
السَّابِقُونَ هُمُ وَقَدْ كَانُوا هُنَا أَيْضًا أولِي سَبقٍ إلَى الإحْسَانِ

□ فصل □

○ في صفةِ الزُّمرةِ الثَّانيةِ ○

والزُّمْرَةُ الأُخْرَى كأَضْوَأ كَوْكَبٍ فِي الأُفْقِ تَنْظُرُهُ بِهِ العَيْنَانِ
أمشَاطُهُمْ ذَهَبٌ وَرَشْحُهُمُ فَمِسْـ ـكٌ خَالِصٌ يَا ذِلَّةَ الحِرْمَانِ

* * *

□ فصــلٌ □

○ في تفاضُلِ أهْلِ الجنَّةِ في الدَّرجاتِ العُلا ○

وَيَرَى الذينَ بِذَيْلِهَا مَنْ فَوْقَهُمْ مِثْلَ الكَوَاكِبِ رُؤيَةً بِعِيَانِ
مَا ذَاكَ مُخْتَصًّا بُرسْلِ اللهِ بَلْ لَهُمُ وللصِّدِّيقِ ذِي الإِيمَانِ

□ فصــلٌ □

○ في ذِكْرِ أعْلَى أهْلِ الجنَّةِ منزلةً وأدْناهُمْ ○

هَذَا وأعْلاهُمْ فَنَاظِرُ رَبِّـهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتُهُ الطَّرفَانِ
لَكِنَّ أدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي إذْ لَيْسَ فِي الجَنَّاتِ مِنْ نُقْصَانِ
فَهوَ الَّذِي تُلْفَى مَسَافَةُ مُلْكِهِ بِسِنِينَنَـا أَلْفَـانِ كَامِلَتَـانِ
فَيَرَى بِهَا أقْصَاهُ حَقًّا مِثْل رُؤ يَتِهِ لأَدْنَاهُ القَرِيبِ الدَّانِـي
أَوَ مَا سَمِعْتَ بأنَّ آخر أَهْلِهَا يُعْطِيهِ رَبُّ العَرْشِ ذُو الغُفْرَانِ
أَضْعَافَ دُنْيَانَا جَمِيعًا عَشْرَ أَمْـ ـثَالٍ لَهَا سُبْحَانَ ذِي الإِحْسَانِ

□ فصــلٌ □

○ في ذكْرِ سِنِّ أهْلِ الجنَّةِ ○

هَذَا وَسِنُّهُمُ ثَلاثٌ مَعْ ثَلا ثِينَ الَّتِي هِيَ قُوَّةُ الشُّبَّانِ

وَصَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فِي ذَا عَلَى ... حَدٍّ سَوَاءٍ مَا سِوَى الوِلْدَانِ
وَلَقَد رَوَى الخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّهُمْ ... أَبْنَاءُ عَشْرٍ بَعْدَهَا عَشْرَانِ
وكِلَاهُمَا فِي التِرْمِذِيِّ وَلَيْسَ ذَا ... بِتَنَاقُضٍ بَلْ هَا هُنَا أَمْرَانِ
حَذْفُ الثَّلَاثِ وَنيفٍ بَعْدَ العُقُو ... دِ وَذِكْرُ ذَلكَ عِنْدَهُمْ سِيَّانِ
عِنْدَ اتِّسَاعٍ فِي الكَلَامِ فعِنْدَ مَا ... يَأْتُوا بِتَحْرِيرٍ فبِالمِيزَانِ

□ فصل □

○ في طُولِ قَامَاتِ أهْلِ الجَنَّةِ وعَرْضِهِمْ ○

والطُّولُ طُولُ أَبِيهِمُ سِتُّونَ لَـ ... ـكِنْ عَرْضُهُمْ سَبْعٌ بِلَا نُقْصَانِ
الطُّولُ صَحَّ بِغيرِ شَكٍّ فِي الصَّحِيـ ... ـحَيْنِ اللذَيْنِ هُمَا لَنَا شَمْسَانِ
وَالعَرْضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إحْدَاهُمَا ... لَكِنْ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِـي
هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَـ ... ـذَا العَرْضِ وَالطُّولِ البَديعِ الشَّانِ
كُلٌّ عَلَى مِقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا ... تَقْدِيرُ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإنْسَانِ

□ فصل □

○ في لحاهُمْ وألوَانهُمْ ○

أَلْوَانُهُمْ بيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحىً ... جُعْدُ الشُّعورِ مُكَحَّلُو الأَجْفَانِ
هَذا كَمالُ الحُسْنِ فِي أَبْشَارِهِمْ ... وَشُعُورِهِمْ وكَذَلِكَ العَيْنَانِ

□ فصــلٌ □

○ في لِسانِ أهْلِ الجنَّةِ ○

وَلَقَدْ أَتَى أَثَرٌ بِأَنَّ لِسَانَهُمْ ... بِالمنطِقِ العَرَبِيِّ خَيرِ لِسَانِ
لكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نظرًا ففيـ ... ـهِ رَاوِيَانِ وَمَا هُمَا ثَبْتَانِ
أعْنِي العَلاءَ هُوَ ابنُ عَمْرٍو ثُمَّ يَحـ ... ـيَى الأَشْعَرِيِّ وَذَانِ مَغْمُوزَانِ

□ فصــلٌ □

○ في رِيحِ أهْلِ الجنَّةِ مِنْ مسيرةِ كم يُوجَدُ ○

والرِّيحُ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِيـ ... ـنَ وإِنْ تَشَأْ مِائَةً فَمَرْوِيَّـانِ
وَكَذَا رُوِي سَبْعِينَ أَيْضًا صَحَّ هَـ ... ـذَا كُلُّهُ وَأَتَى بِهِ أَثَـرَانِ
مَا فِي رِجَالِهِمَا لَنَا مِنْ مَطْعَنٍ ... وَالجَمْعُ بَيْنَ الكُلِّ ذُو إِمْكَانِ
وَلَقَدْ أَتَى تَقْدِيرُهُ مِائَةً بِخَمْـ ... ـسٍ ضَرْبُهَا مِنْ غَيْرِ مَا نُقْصَانِ
إِنْ صَحَّ هَذَا فَهْوَ أَيْضًا وَالَّذِي ... مِنْ قَبْلِهِ فِي غَايَةِ الإِمْكَانِ
إِمَّا بِحَسْبِ المدْرِكِين لِرِيحِهَا ... قُرْبًا وَبُعْدًا مَا هُمَا سِيَّانِ
أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا ... أَيْضًا وَذَلِكَ وَاضِحُ التِّبْيَانِ
أَوْ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ أَيْضًا فَهْوَ أَنْـ ... ـوَاعٌ بِقَدْرِ إِطَاقَـةِ الإِنْسَانِ
مَا بَيْنَ أَلْفَاظِ الرَّسُولِ تَنَاقُضٌ ... بَلْ ذَاكَ فِي الأَفْهَامِ والأَذْهَانِ

□ فصــل □

○ في أسبقِ النَّاسِ دخولًا إلى الجنَّةِ ○

وَنظِيرُ هَذَا سَبْقُ أَهْلِ الفَقْرِ لِلْـ ـجَنَّاتِ فِي تَقْدِيرِهِ أَثَــرَانِ
مِائَةٌ بِخَمْسٍ ضَرْبُهَا أَوْ أَرْبَعِيـ ـنَ كِلَاهُمَا فِي ذَاكَ مَحْفُوظَانِ
فَأَبُو هُرِيرَةَ قَدْ رَوَى أولَاهُمَا وَرَوَى لَنَا الثَّانِي صَحَابِيَّانِ
هَذَا بِحَسْبِ تَفَاوُتِ الْفُقَرَاءِ فِي اسْـ ـتِحْقَاقِ سَبْقِهِمُ إِلَى الإِحْسَانِ
أَوْ ذَا بِحَسْبِ تَفَاوُتٍ فِي الأَغْنِيَا ءِ كِلَاهُمَا لَا شَكَّ مَوْجُودَانِ
هَذَا وَأَوَّلُهُمْ دُخُولًا خَيْرُ خَلْـ ـقِ اللهِ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالقُرْآنِ
وَالأَنْبِيَاءُ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِـنَ التَّــفْضِيـلِ تِلْكَ مَوَاهِبُ المنَّانِ
هَذَا وَأُمَّةُ أَحْمَدٍ سَبَّاقُ بَا قِي الخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ بِجِنَانِ
وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْـ إِسْلَامِ وَالتَّصْدِيـقِ بِالقُــرْآنِ
وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ أَسْـ ـبَقُهُمْ دُخُولًا قَوْلَ ذِي البُرْهَانِ
وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّ أَوَّلَهُمْ يُصَا فِحُهُ إِلَهُ العَرْشِ ذُو الإِحْسَانِ
وَيَكُونُ أَوَّلَهُمْ دُخُولًا جَنَّةَ الْـ ـفِرْدَوسِ ذَلِكَ قَامِعُ الكُفْرَانِ
فَارُوقُ دِينِ اللهِ نَاصِرُ قَوْلِهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الإِيمَــانِ
لَكِنَّهُ أَثَرٌ ضَعِيفٌ فِيهِ مَجْـ ـرُوحٌ يُسَمَّى خَالِدًا بِبَيَـانِ
لَوْ صَحَّ كَانَ عُمُومُهُ المخْصُوصُ بِالصِّـدِّيـقِ قَطْعًا غَيْـرَ ذِي نُكْــرَانِ

هَذَا وَأَوَّلُهُمْ دُخُولًا فَهْوَ حَمَّادٌ عَلَى الحَالَاتِ لِلرَّحْمَٰنِ
إنْ كَانَ فِي السَّرَّاءِ أصْبَحَ حَامِدًا أَوْ كَانَ فِي الضَّرَّا فَحَمْدٌ ثَانِ
هَذَا الَّذِي هُوَ عَارِفٌ بِإِلَهِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ الرَّبَّانِي
وَكَذَا الشَّهِيدُ فَسَبْقُهُ مُتَيَقَّنٌ وَهْوَ الجَدِيرُ بِذَلِكَ الإِحْسَانِ
وَكَذَلِكَ المَمْلُوكُ حِينَ يَقُومُ بِالْـ حَقَّيْنِ سَبَّاقٌ بِغَيْرِ تَوَانِ
وَكَذَا فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَيْسَ بِالْـ مِلْحَاحِ بَلْ ذُو عِفَّةٍ وَصِيَانِ

□ فصل □

○ في عددِ الجنَّاتِ وأجناسِها ○

وَالجَنَّةُ اسْمُ الجِنْسِ وَهْيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ
ذَهَبِيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتَاهُ مِنْ حَلْيٍ وَآنِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ
وَكَذَاكَ أَيْضًا فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ حَلْيٍ وَبُنْيَانٍ وَكُلِّ أَوَانِ
لَكِنَّ دَارَ الخُلْدِ وَالمأْوَى وَعَدْ نٍ وَالسَّلَامِ إِضَافَةٌ لِمَعَانِ
أَوْصَافُهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْـ ـهَا مِدْحَةً مَعْ غَايَةِ التِّبْيَانِ
لَكِنَّمَا الفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا وَأَوْ سَطُهَا مَسَاكِنُ صَفْوَةِ الرَّحْمَٰنِ
أَعْلَاهُ مَنْزِلَةً لأَعْلَى الخَلْقِ مَنْـ ـزِلَةً هُوَ المَبْعُوثُ بِالقُرْآنِ

* * *

وَهِيَ الْوَسِيْلَةُ وَهْيَ أَعْلَى رُتْبَةً   خَلُصَتْ لَهُ فَضْلًا مِنَ الرَّحْمَٰنِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَٰنِ تَفْـ   ـضِيلُ الجِنَانِ مُفَصَّلًا بِبَيَانِ
هِيَ أَرْبَـعٌ ثِنْتَانِ فَاضِلَتَـانِ ثُـــمَّ   يَلِيهِمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولَانِ
فالأُولَيَانِ الفُضْلَيَانِ لأَوْجُـهٍ   عَشْرٍ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوِزَانِ
وَإذَا تأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا   فِيهِ تَلُوحُ لِمنْ لَهُ عَيْنَـانِ
سُبْحَانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَالْـ   ـفِرْدَوسِ عِنْدَ تَكَامُلِ البُنْيَانِ
وَيَدَاه أَيْضًا أَتْقَنَتْ لِبِنَائِهَـا   فَتَبَارَكَ الرَّحْمَٰنُ أَعْظَمُ بَانِ
هِيَ فِي الجِنَانِ كآدَمٍ وَكِلَاهُمَا   تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ
لَكِنَّمَا الجَهمِيُّ لَيسَ لَدَيْهِ مِنْ   ذَا الفَضْلِ شَيءٌ فَهْوَ ذو نُكْرَانِ
وَلَدٌ عَقُوقٌ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ   يُثْبِتْ بِذَا فَضْلًا عَلَى شَيْطَانِ
فَكِلَاهُمَا تَأثِيرُ قُدْرَتِه وَتَـأْ   ثِيرُ المشِيئَةِ لَيْسَ ثَمَّ يَدَانِ
آلاهُمَا أو نِعْمَتَـاهُ وَخَلقُـهُ   كُـلٌّ بِنِعْمَـةِ رَبِّـهِ المَنَّـــانِ
لَمَّا قَضَى رَبُّ العِبَادِ العَرْشَ قَا   لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمَتْ بِبَيَـانِ
قَدْ أفْلَحَ العَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤمِنٌ   مَاذَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الإحْسَانِ
وَلَقَدْ رَوَى حَقًّا أَبُو الدَّرْدَاءِ ذَا   كَ عُوَيْمِرٌ أَثَرًا عَظِيمَ الشَّانِ
يَهْتَزُّ قَلْبُ العَبْدِ عِنْدَ سَمَاعِهِ   طَرَبًا بِقَدْرِ حَلَاوَةِ الإِيمَانِ
مَا مِثْلُهُ أَبَدًا يُقَالُ بِرَأْيِـهِ   أَوْ كَانَ يَا أَهْلًا بِذَا العِرْفَانِ
فِيهِ النُّزُولُ ثَلَاث سَاعَاتٍ فإحْـ   ـدَاهُنَّ يَنْظُرُ فِي الكِتَابِ الثَّانِي

يَمْحُو وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ وَبِعِزَّةٍ وبِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
فَتَرَى الفَتَى يُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُصْـ ـبِحُ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ
هُوَ نَائِمٌ وأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرتْ لَيْلًا وَلَا يَدْري بِذَاكَ الشَّانِ
والسَّاعَةُ الأُخْرَى إلَى عَدْنٍ مَسَا كِنِ أَهْلِهِ هُمْ صَفوةُ الرَّحْمٰنِ
الرُّسْلُ ثُمَّ الأَنْبِيَاءُ وَمَعْهُمُ الصِّدِّيقُ حَسْبُ فَلَا تَكُنْ بِجَبَانِ
فِيهَا الَّذِي وَاللهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ الأُذُنَانِ
كَلَّا وَلَا قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ المِثَا لُ لَهُ تَعَالَى اللهُ ذُو السُّلْطَانِ
وَالسَّاعَةُ الأُخْرَى إلَى هَذِي السَّمَا ءِ يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ نَدْمَانِ
أَوْ دَاعٍ اوْ مُسْتَغْفِرٍ أَوْ سَائِلٍ أُعْطِيهِ إنِّي وَاسِعُ الإِحْسَانِ
حَتَّى يُصلَّى الفَجْرُ يَشْهَدُهَا مَعَ الْـ أَمْلَاكِ تِلْكَ شَهَادَةُ القُرْآنِ
هَذَا الحَدِيثُ بِطُولِه وَسِيَاقِهِ وَتَمَامِهِ فِي سُنَّةِ الطَّبَرانِي

□ فصـــل □

○ في بناءِ الجنَّةِ ○

وَبِنَاؤهَا اللَّبِنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ وَأُخْـ ـرَى فِضَّةٌ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ
وقُصُورُهَا مِنْ لُؤلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ خَالِصِ العِقْيَانِ
وَكَذَاكَ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ بِهِ نُظِمَ البِنَاءُ بِغَايَةِ الإِتْقَانِ

* * *

وَالطِّينُ مِسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَا نٌ جَا بِذَا أَثَرَانِ مَقْبُولَانِ
لَيْسَا بِمُخْتَلِفَيْنِ لَا تُنْكِرْهُمَا فَهُمَا المِلَاطُ لِذَلِكَ البُنْيَانِ

□ فصــل □

○ في أرْضِها وحصبائِها وتُرْبِها ○

وَالأَرْضُ مَرْمَرَةٌ كَخَالِصِ فِضَّةٍ مِثْلَ المِرَاتِ تَنَالُهُ العَيْنَــانِ
فِي مُسْلِمٍ تَشْبِيهُهَا بِالدَّرْمَـكِ الصَّــافِي وبالمسْكِ العَظِيمِ الشَّانِ
هَذَا لِحُسْنِ اللَّوْنِ لَكِنْ ذَا لِطيـ ـبِ الرِّيحِ صَارَ هُنَاكَ تَشْبِيهَانِ
حَصْبَاؤها دُرٌّ وَيَاقُوتٌ كَذَا كَ لآلِيءٌ نُثِرَتْ كَنَثْرِ جُمَانِ
وَتُرابُهَا مِنْ زَعْفَرَانٍ أَوْ مِنَ الْـ مِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غِزلَانِ

□ فصــل □

○ في صِفةِ غُرُفَاتِهَا ○

غُرُفَاتُهَا فِي الجَوِّ يُنْظَرُ بَطْنُهَا مِنْ ظَهْرِهَا وَالظَّهْرُ مِنْ بطْنَانِ
سُكَّانُهَا أهلُ القِيَامِ مَعَ الصِّيَا مِ وَطَيِّبِ الكَلِمَاتِ والإحْسَانِ
ثِنْتَانِ خَالِصُ حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَعَبِيدُهُ أَيْضًا لَهُمْ ثِنْتَــانِ

* * *

□ فصـــل □

○ في خِيامِ أهْلِ الجنَّةِ ○

لِلْعبدِ فِيها خَيْمَةٌ مِنْ لُؤلُؤٍ قَدْ جُوِّفَتْ هِيَ صَنْعَةُ الرَّحْمَـٰنِ
سِتُّونَ مِيلًا طُولُهَا فِي الجَوِّ فِي كُلِّ الزوايَا أَجْمَلُ النِّسْوَانِ
يَغْشَى الجَمِيعَ فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَذَا لاتِّسَاعِ مَكَانِ
فِيهَا مَقَاصِيرٌ بِهَا الأَبْوَابُ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٌّ زِينَ بالمرْجَانِ
وَخِيَامُهَا مَنْصُوبَةٌ بِرِيَاضِهَـا وَشَواطِيءُ الأَنْهَارِ ذِي الجَرَيَانِ
مَا فِي الخِيَام سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلَتْ لِلنَّيرَيْـنِ لَقُـلْتَ مُنْكَسِفَـانِ
للهِ هَاتِيكَ الخِيَامُ فَكَمْ بِهَا لِلقَلْبِ مِنْ عُلَقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ خَيْـ ـرَاتٌ حِسَانٌ هُنَّ خَيْرُ حِسَانِ
خَيْراتُ أَخْلَاقٍ حِسَانٌ أَوْجُهًا فَالْحُسْنُ والإِحْسَانُ متَّفِقَـانِ

□ فصـــل □

○ في أرَائِكِهَا وسُرُرِهَا ○

فِيهَا الأَرَائِكُ وَهْيَ مِنْ سُرُرٍ عَلَيْـ ـهِنَّ الحِجَالُ كَثِيرَةُ الأَلْـوَانِ
لَا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الأَرَائِكِ دُونَ هَا تِيكَ الحِجَالِ وَذَاكَ وَضْعُ لِسَانِ
بَشْخَانَةٌ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فَا رِسَ وَهْوَ ظَهْرُ البَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ

□ فصل □

○ في أشجارِهَا وثمارِهَا وظلالِهَا ○

أَشْجَارُهَا نَوْعَان مِنْهَا مَا لَهُ   فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِثَالٌ ذَانِ
كَالسِّدْرِ أَصْلُ النبقِ مَخْضُودٌ مَكَا   نَ الشَّوْكِ مِنْ ثمرٍ ذَوِي أَلْوَانِ
هَذَا وَظِلُّ السِّدْرِ مِنْ خَيْرِ الظِّلَا   لِ وَنَفْعُهُ التَّرْوِيحُ للأَبْدَانِ
وثِمَارُهُ أَيْضًا ذَوَاتُ مَنَافِعٍ   مِنْ بَعْضِهَا تفريحُ ذِي الأَحْزَانِ
وَالطَّلْحُ وَهْوَ الموْزُ مَنْضُودٌ كَمَا   نُضِدَتْ يَدٌ بأَصَابعٍ وَبَنَانِ
أَوْ أَنَّهُ شَجَرُ البَوادِي مُوقَرًا   حمْلًا مَكَانَ الشَّوْكِ فِي الأَغْصَانِ
وكَذَلِكَ الرُّمَّانُ والأَعْنَابُ والنَّـ   ـخْلُ الَّتي مِنْها القُطُوفُ دَوَانِ
هَذَا وَنَوْعٌ مَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا   نَظِيرٌ كَيْ يُرى بِعِيانِ
يَكْفِي مِنَ التَّعْدَادِ قَولُ إِلَهِنَا   مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ
وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا فِي اللَّونِ مُخْـ   ـتَلِفَ الطُّعُومِ فَذَاكَ ذُو أَلْوَانِ
أَوْ أَنَّهُ مُتَشَابِهٌ فِي الإِسْمِ مُخْـ   ـتلفُ الطُّعُومِ فَذاكَ قَوْلٌ ثَانِ
أَوْ أَنَّهُ وَسَطٌ خِيَارٌ كُلُّـهُ   فَالفَحْلُ مِنْهُ لَيسَ ذَا ثِنْيَانِ
أَوْ أَنَّهُ لِثِمَارِنَا ذِي مُشْبِهٌ   فِي اسْمٍ وَلَوْنٍ لَيسَ يَخْتَلِفَانِ
لَكِنْ لِبهْجَتِهَا ولَذَّةِ طَعْمِهَا   أَمْرٌ سِوَى هَذَا الَّذِي تَجدَانِ
فَيَلَذُّهَا فِي الأَكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا   وَتَلَذُّهَا مِنْ قَبْلِهِ العَيْنَانِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ الْـ ـعُلْيَا سِوَى أَسْمَاءِ مَا تَرِيَانِ
يَعْنِي الحَقَائِقَ لَا تَمَاثُلَ هَذِهِ وكِلَاهُمَا فِي الإسمِ متَّفِقَانِ
يَا طِيبَ هَاتِيكَ الثِّمَارِ وَغَرْسِهَا فِي المِسْكِ ذَاكَ التُّرْبُ للبسْتَانِ
وَكَذَلِكَ المَاءُ الَّذِي يُسْقَى بِهِ يَا طِيبَ ذَاكَ الوِرْدِ لِلظَّمْآنِ
وَإِذَا تَنَاوَلْتَ الثِّمَارَ أَتَتْ نَظِيـ ـرَتُهَا فَحَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ
لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَدًا وَلَمْ تَرْقُبْ نُزُو لَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلٍ إِلَى مِيزَانِ
وَكَذَاكَ لَمْ تُمْنَعْ وَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى أَنْ تَرْتَقِي لِلْقِنْوِ فِي العِيدَانِ
بَلْ ذُلِّلَتْ تِلْكَ القُطُوفُ فَكَيْفَمَا شِئْتَ انْتَزَعْتَ بِأَسْهَلِ الإِمكَانِ
وَلَقَدْ أَتَى أَثَرٌ بِأَنَّ السَّاقَ مِنْ ذَهَبٍ رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ بِبَيَانِ
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الجُذُو عُ زُمُرُّدٌ مِنْ أَحْسَنِ الأَلْوَانِ
وَمُقَطَّعَاتُهُمُ مِنَ الكَرْمِ الَّذِي فِيهَا وَمِنْ سَعَفٍ مِنَ العِقْيَانِ
وَثِمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجَمٍ كَأَمْـ ـثَالِ القِلَالِ فَجَلَّ ذُو الإِحْسَانِ
وَظِلالُهَا مُمْتَدَّةٌ لَيْسَتْ تَقِي حَرًّا وَلَا شَمْسًا وَأَنَّى ذَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بِظِلِّ أَصْلٍ وَاحِدٍ فِيهِ يَسِيرُ الرَّاكِبُ العَجْلَانِ
مِائَةَ سِنِينَ قُدِّرَتْ لَا تَنْقَضِي هَذَا العَظِيمُ الأَصْلِ وَالأَفْنَانِ
وَلَقَدْ رَوَى الخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّ طُو بَى قَدْرُهَا مِائَةٌ بِلَا نُقْصَانِ
تَتَفَتَّحُ الأَكْمَامُ فِيهَا عَنْ لِبَا سِهِمُ بِمَا شَاءُوا مِنَ الأَلْوَانِ

* * *

□ فصل □

○ في سَمَاعِ أهْلِ الجنَّةِ ○

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسِلُ رَبُّنَا ... رِيحًا تَهُزُّ ذَوَائِبَ الأَغْصَانِ
فَتُثِيرُ أَصْوَاتًا تَلَذُّ لمسْمَعِ الْـ ... إِنْسَانِ كالنَّغَمَاتِ بالأَوْزَانِ
يَا لَذَّةَ الأَسْمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي ... بِلَذَاذَةِ الأَوْتَارِ وَالعِيدَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ سَمَاعُهُمْ فِيهَا غِنَا ... ءُ الحُورِ بالأَصْوَاتِ والأَلْحَانِ
وَاهًا لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ ... مُلِئتْ بِهِ الأَذْنَانِ بالإِحْسَانِ
وَاهًا لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ وَطِيبِهِ ... مِنْ مِثْلِ أَقْمَارٍ عَلَى أَغْصَانِ
وَاهًا لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ ... لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
وَاهًا لِذَيَّاكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقُلْ ... ذَيَّاكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانِ
مَا ظَنُّ سَامِعِهِ بِصَوْتٍ أَطْيبِ الْـ ... أَصْوَاتِ مِنْ حُورِ الجِنَانِ حِسَانِ
نَحْن النَّوَاعِمُ والخَوَالِدُ خَيِّرَا ... تٌ كَامِلَاتُ الحُسْنِ وَالإِحْسَانِ
لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَا لَنَا ... سَخَطٌ وَلَا ضِغْنٌ مِنَ الأَضْغَانِ
طُوبَى لمنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَاكَ طُو ... بَى لِلَّذِي هُوَ حَظُّنَا لَفْظَانِ
فِي ذَاكَ آثَارٌ رُوِينَ وَذِكْرُهَا ... فِي التِّرمِذِيِّ وَمُعْجَمِ الطَّبَرَانِي
وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الاَوْزَاعِيِّ تَفْـ ... ـسِيرًا لِلَفْظَةِ يُحْبَرُونَ أَغَانِ
نَزِّهْ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذَيَّـ ... ـاكَ الغِنَا عَنْ هَذِهِ الأَلْحَانِ

لَا تؤثِر الأَدْنَى عَلَى الأَعْلَى فَتُحْـ ـرَمَ ذَا وَذَا يَا ذِلَّةَ الحِرْمَـانِ
إنَّ اخْتِيَارَكَ للسَّمَاعِ النَّازِلِ الْـ أَدْنَى عَلَى الأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ
وَاللهِ إنَّ سَمَاعَهُمْ فِي القَلْبِ وَالْـ إيمَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الأَبْدَانِ
وَاللهِ مَا انفكَّ الَّذِي هُوَ دَأْبُهُ أَبَدًا مِنَ الإِشْرَاكِ بالرَّحْمَنِ
فَالقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حُبًّا وإخْلَاصًا مَعَ الإحْسَانِ
فَإذَا تَعَلَّقَ بالسَّمَاعِ أَصَارَهُ عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَـةٍ وَفُلَانِ
حُبُّ الكِتَابِ وَحُبُّ أَلحَانِ الغِنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
ثَقُلَ الكِتَابُ عَلَيْهِمُ لَمَّا رَأَوْا تَقيِيدَهُ بِشَرَائِـعِ الإيمَـانِ
وَاللَّهْوُ خَفَّ عَلَيْهِمُ لَمَّا رَأَوْا مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَلحَانِ
قُوتُ النُّفُوسِ وَإنَّمَا القُرْآنُ قُو تُ القَلْبِ أَنَّى يَسْتَوِي القُوتَانِ
وَلِذَا تَرَاهُ حَظُّ ذِي النُّقْصَانِ كَالْـ ـجُهَّالِ والصِّبْيَانِ والنِّسْوَانِ
وَأَلَذُّهُمْ فِيهِ أَقَلُّهُمُ مِنَ الْـ ـعَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلْ أَخَا العِرْفَانِ
يَا لَذَّةَ الفُسَّاقِ لَسْتِ كَلَذَّةِ الْـ أَبْرارِ فِي عَقْلٍ وَلَا قُرْآنِ

□ فصـــل □

○ في أنهارِ الجنَّةِ ○

أَنْهَارُهَا فِي غَيْرِ أُخْدودٍ جَرَتْ سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الفَيَضَانِ
مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا شَاءُوا مفَجَّـرَةً وَمَـا لِلنَّهْرِ مِنْ نُقْصَانِ

عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ خَمْـ ـرٌ ثُمَّ أَنْهَارٌ مِنَ الأَلْبَـانِ
وَاللهِ مَا تِلْكَ المَـوَادُ كَهَـذِهِ لَكِنْ هُمَا فِي اللَّفْظِ مُجْتَمِعَانِ
هَذَا وَبَيْنَهُمَا يَسِيرُ تَشَابُـهٍ وَهُوَ اشْتِرَاكٌ قَامَ بِالأَذْهَانِ

□ فصـــل □

○ في طَعامِ أهْلِ الجنَّةِ ○

وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُمْ وَلُحُومُ طَيْرٍ نَاعِمٍ وَسِمَانِ
وَفَوَاكِهٌ شَتَّى بِحَسْبِ مُنَاهُمُ يَا شَبْعَةً كَمُلَتْ لِذِي الإِيمَانِ
لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنسا وَفَوَاكِهٌ وَالطِّيبُ مَعْ رَوْحٍ وَمَعْ رَيْحَانِ
وَصِحَافُهُم ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيهِمُ بِأَكُفِّ خُدَّامٍ مِنَ الوِلْدَانِ
وَانْظُرْ إِلَى جَعْلِ اللَّذَاذَةِ لِلْعُيُو نِ وَشَهْوَةٍ لِلنَّفْسِ فِي القُرْآنِ
لِلْعَينِ مِنْهَا لَذَّةٌ تَدْعو إِلَى شَهَوَاتِهَا بِالنَّـفْسِ والأَمْـرَانِ
سَبَبُ التَّنَاوُلِ وَهْو يُوجِبُ لَذةً أُخْرَى سِوَى مَا نَالَتِ العَيْنَانِ

□ فصـــل □

○ في شرابِهِمْ ○

يُسْقَوْنَ فِيهَا مِنْ رَحِيقٍ خَتْمُهُ بِالمِسْكِ أَوَّلُهُ كَمِثْلِ الثَّانِي

مَع خَمْرَةٍ لَذَّتْ لِشَارِبِهَا بِلَا غَوْلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا نُقْصَانِ
وَبِهَا مِنَ الأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُهُ وَيخَافُ مِنْ عَدَمٍ لِذِي الوِجْدَانِ
فَنفَى لَنَا الرَّحْمَـٰنُ أجْمَعَهَا عَنِ الْـ ـخَمْرِ الَّتِي فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
وَشَرَابُهُمْ مِنْ سَلْسَبِيلٍ مَزْجُهُ الْـ ـكَافُورُ ذَاكَ شَرَابُ ذِي الإِحْسَانِ
هَذَا شَرَابُ أولِي اليَمِينِ وَلَكِنِ الْـ أَبْرَارُ شُرْبُهُمُ شَرَابٌ ثَـانِ
يُدْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامٌ شُرْبُهُمْ شِرْبُ المقَرَّبِ خِيْرَةِ الرَّحْمَـٰنِ
صَفَّى المقَرَّبُ سَعْيَهُ فَصَفَا لَهُ ذَاكَ الشَّرَابُ فَتِلْكَ تَصْفِيَتَانِ
لَكِنَّ أَصْحَابَ اليَمِينِ فَأَهْلُ مَزْ جٍ بِالمُبَاحِ وَلَيْسَ بِالعِصْيَانِ
مُزِجَ الشَّرَابُ لَهُمْ كَمَا مَزَجُوا هُمُ الْـ أَعْمَالَ ذَاكَ المزْجُ بِالمِيـزَانِ
هَذَا وَذُو التَّخْلِيطِ مَزْجًا أَمْرُهُ وَالحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّـهِ الدَّيَّـانِ

□ فصــل □

○ في مَصْرِفِ طعامِهِمْ وشرابِهِمْ وهضمِهِ ○

هَذَا وَتَصْرِيفُ المآكِلِ مِنْهُمُ عَرَقٌ يَفِيضُ لَهُمْ مِنَ الأَبْدَانِ
كَرَوائِحِ المسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ خَلْـ ـطٌ غَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الأَلْـوَانِ
فَتَعُودُ هَاتِيكَ البُطُونُ ضَوَامِرًا تَبْغِي الطَّعَامَ عَلَى مَدَى الأَزْمَانِ
لَا غَائِطٌ فِيهَا وَلَا بَوْلٌ وَلَا مَخْطٌ وَلَا بَصْقٌ مِنَ الإِنْسَانِ

وَلَهُمْ جُشَاءٌ رِيحُهُ مِسْكٌ يَكُو ... نُ بِهِ تَمَامُ الهَضْمِ بالإِحْسَانِ
هَذَا وَهَذَا صَحَّ عَنْهُ فَوَاحِدٌ ... فِي مُسْلِمٍ ولأَحْمَدَ الأَثَرَانِ

□ فصــلٌ □

○ في لِباسِ أهْلِ الجنَّةِ ○

وَهُمُ الملُوكُ عَلَى الأَسِرَّةِ فَوْقَ هَا ... تيكَ الرُّءوسِ مُرَصَّعُ التِّيجَانِ
وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرٍ وَمِنْ ... إِسْتَبْـرَقٍ نَوْعَـانِ مَعْرُوفَــانِ
مَا ذَاكَ مِنْ دُودٍ بَنَى مِنْ فَوْقِهِ ... تِلْكَ البُيُوتَ وَعَادَ ذَا الطَّيَرَانِ
كَلَّا وَلَا نُسِجَتْ عَلَى الْمِنْوَالِ نَسْـ ... ـجَ ثِيَابِنَا بِالقُطْـنِ والكتَّـانِ
لَكِنَّهَا حُلَلٌ تَشُقُّ ثِمَارَهَــا ... عَنْهَا رَأَيْتَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
بِيضٌ وَخُضْرٌ ثُمَّ صُفْرٌ ثُمَّ حُمْـ ... ـرٌ كالرِّبَاطِ بأَحْسَنِ الأَلْوَانِ
لَا تَقْرَبُ الدَّنَسَ المقرِّبَ لِلْبِلَى ... مَا للبِلَى فِيهِنَّ مِنْ سُلْطَانِ
وَنصِيفُ إِحْدَاهُنَّ وَهْوَ خِمَارُهَا ... لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الأَثْمَانِ
سَبْعُونَ مِنْ حُلَلٍ عَلَيْهَا لَا تَعُو ... قُ الطَّرْفَ عَنْ مُخٍّ وَرَا السِّيقَانِ
لَكِنْ يَرَاهُ مِنْ وَرا ذَا كُلِّهِ ... مِثْلَ الشَّرَابِ لِذِي زُجَاجٍ أَوَانِ

* * *

□ فصـــل □

○ في فُرُشِهِمْ وما يتبعُهَا ○

وَالفُرْشُ مِنْ إسْتَبْرَقٍ قَدْ بُطِّنَتْ مَا ظَنُّكُمْ بِظَهَـارَةٍ لِبطَــانِ
مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ الأسِرَّةِ يَتَّكِي هُوَ وَالحَبِيبُ بِخَلْوَةٍ وأَمَانِ
يَتَحدَّثَانِ عَلَى الأَرَائكِ مَا تَرى حِبَّيْنِ فِي الخَلَواتِ يَنْتَجِيَانِ
هَذَا وَكَمْ زَرْبِيَّةٍ وَنَمَــارِقٍ وَوَسَائِدٍ صُفَّتْ بِلَا حُسْبَانِ

□ فصـــل □

○ في حَلْي أهْلِ الجنَّةِ ○

وَالحَلْيُ أَصْفَى لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَكَذَاكَ أَسْورَةٌ مِنَ العِقْيَانِ
مَا ذَاكَ يَخْتَصُّ الإنَاثَ وإنَّمَا هُوَ لِلإنَاثِ كَذَاكَ للذُّكْرَانِ
التَّارِكِينَ لِبَاسَهُ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَــا لأَجْلِ لِبَـاسِهِ بِجِنَــانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ حِلْيَتَهُمْ إلَى حَيْثُ انْتِهَاءِ وُضوئِهِمْ بِوِزَانِ
وَكَذَا وضوءُ أبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ فَازَتْ بِهِ العَضُدَانِ والسَّاقَانِ
وَسِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ قَائِلًا مَا السَّاقُ مَوْضِعُ حِلْيَةِ الإنْسَانِ
مَا ذَاكَ إلَّا مَوْضِعُ الكَعْبَيْنِ والزَّنْـدَيْـنِ لَا السَّاقَانِ والعَضُدَانِ
وَكَذَاكَ أَهْلُ الفِقْهِ مُخْتَلِفُونَ فِي هَذَا وَفِيهِ عِنْدَهُـمْ قَــوْلَانِ
وَالرَّاجِحُ الأَقْوَى انْتِهَاءُ وُضُوئِنَا لِلمِرفَقَيْـنِ كَـذَلِكَ الكَعْبَــانِ

هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمنُ فِي الْـ ـقُرْآنِ لَا تَعْدِلْ عَنِ القُرْآنِ
وَاحْفَظْ حُدُود الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا وَكَذَاكَ لَا تَجْنَحْ إلى النُّقْصَانِ
وَانْظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدْهُ قَدْ أَبْدَى المُرَادَ وَجَاءَ بِالتِّبْيَان
وَمَنِ اسْتَطَاعَ يُطِيلُ غُرَّتَهُ فَمَوْ قُوفٌ عَلَى الرَّاوِي هُوَ الفَوْقَانِي
فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ ذَا مِنْ كَيْسِهِ فَغَدَا يُمَيِّزُهُ أُولُو العِرْفَانِ
وَنعِيمٌ الرَّاوِي لَهُ قَدْ شَكَّ فِي رَفْعِ الحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي
وَإِطَالَةُ الغُرَّاتِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ أَبَدًا وَذَا فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ

□ فصــل □

○ في صفةِ عرائسِ الجنَّةِ وحسنِهنَّ وجَمَالِهنَّ ○ ولذةِ وِصالِهنَّ ومُهُورِهنَّ

يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الحُسْنِ الَّتِي حُفَّتْ بِذَاكَ الحِجْرِ والأَرْكَانِ
وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِمًا حَوْلَ الصَّفَا وَمُحَسِّرٍ مَسْعَاهُ لَا العَلَمَانِ
وَيَرُومُ قُرْبَانَ الوِصَالِ عَلَى مِنَى وَالخِيفُ يَحْجُبُهُ عَنِ القُرْبَانِ
فَلِذَا تَرَاهُ مُحْرِمًا أَبَدًا وَمَوْ ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانِ
يَبْغِي التمتُّعَ مُفْرِدًا مِنْ حُبِّهِ مُتَجَرِّدًا يَبْغِي شَفِيعَ قِـرَانِ
فَيَظَلُّ بالجَمَرَاتِ يَرمِي قَلْبَهُ هَذِي مَنَاسِكُهُ بِكُلِّ زَمَانِ

* * *

وَالنَّاسُ قَدْ قَضَّوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ حَثُّوا رَكَائِبَهُمْ إِلَى الأَوْطَانِ
وَحَدَتْ بِهِمْ هِمَمٌ لَهُمْ وَعَزَائِمٌ نَحْوَ المَنَازِلِ أَوَّلَ الأَزْمَانِ
رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ الوِصَا لِ فَشَمَّرُوا يَا خَيْبَةَ الكَسْلَانِ
وَرَأَوْا عَلَى بُعْدٍ خِيَامًا مُشْرِفَا تٍ مُشْرِقَاتِ النُّورِ وَالبُرْهَانِ
فَتَيَمَّمُوا تِلْكَ الخِيَامَ فَآنَسُوا فِيهِنَّ أَقْمَارًا بِلَا نُقْصَانِ
مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَا تَبْغِي سِوَى مَحْبُوبِهَا مِنْ سَائِرِ الشُّبَّانِ
قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهَا مِنْ حُسْنِهِ وَالطَّرْفُ فِي ذَا الوَجْهِ لِلنِّسْوَانِ
أَوْ أَنَّهَا قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهُ مِنْ حُسْنِهَا فَالطَّرْفُ لِلذُّكْرَانِ
وَالأَوَّلُ المَعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الخِطَا بِ فَلَا تَحِدْ عَنْ ظَاهِرِ القُرْآنِ
وَلَرُبَّمَا دَلَّتْ إِشَارَتُهُ عَلَى الثَّانِي فَتِلْكَ إِشَارَةٌ لِمَعَانِ
هَذَا وَلَيْسَ القَاصِرَاتُ كَمَنْ غَدَتْ مَقْصُورَةً فَهُمَا إِذًا صِنْفَانِ
يَا مُطْلِقَ الطَّرْفِ المُعَذَّبِ فِي الأُلَى جُرِّدْنَ عَنْ حُسْنٍ وَعَنْ إِحْسَانِ
لَا تَسْبِيَنَّكَ صُورَةٌ مِنْ تَحْتِهَا الدَّاءُ الدَّوِيُّ تَبُوءُ بِالخُسْرَانِ
قَبُحَتْ خَلَائِقُهَا وَقُبِّحَ فِعْلُهَا شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الإِنْسَانِ
تَنْقَادُ لِلأَنْذَالِ وَالأَرْذَالِ هُمْ أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الإِحْسَانِ
مَا ثَمَّ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
وَجَمَالُهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ تَرَكَتْهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا العَيْنَانِ
طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الحِفَاظِ فَمَا لَهَا بِوَفَاءِ حَقِّ البَعْلِ قَطُّ يَدَانِ

إنْ قَصَّرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةً قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إحْسَانِ
أَوْ رَامَ تَقْوِيمًا لَهَا اسْتَعْصَتْ وَلَمْ تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيجِ والنُّقْصَانِ
أَفْكَارُهَا فِي المَكْرِ والكَيْدِ الَّذِي قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرَةُ الإِنْسَانِ
فَجَمَالُهَا قِشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
نَقْدٌ رَدِيءٌ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ شَيْءٌ يُظَنُّ بِهِ مِنَ الأَثْمَانِ
فَالنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ العُمْيَانِ
أَمَّا جَمِيلَاتُ الوُجُوهِ فَخَائِنَا تُ بُعُولِهِنَّ وَهُنَّ لِلأَخْدَانِ
وَالحَافِظَاتُ الغَيْبَ مِنْهُنَّ الَّتِي قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النِّسْوَانِ
فَانْظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا مِنْ قَبْلُ مِنْ شِيبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ العَالِيَ الْـ ـبَاقِي بِذَا الأَدْنَى الَّذِي هُوَ فَانِ
إنْ كَانَ قَدْ أَعْيَاكَ خُودٌ مِثْلُ مَا تَبْغِي وَلَمْ تَظْفَرْ إلَى ذَا الآنِ
فَاخْطُبْ مِنَ الرَّحْمـٰنِ خُودًا ثُـمَّ قَدِّمْ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إمْكَانِ
ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيْسَرُ إنْ يَكُنْ لَكَ نِسْبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالإِيمَانِ
وَاللهِ لَمْ تَخْرُجْ إلَى الدُّنْيَا لِلَذَّةِ عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الفَانِي
لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعِدَّ الزَّادَ لِلْـ أُخْرَى فَجِئْتَ بِأَقْبَحِ الخُسْرَانِ
أَهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلْ فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
وَاللهِ لَوْ أَنَّ القُلُوبَ سَلِيمَةٌ لَتَقَطَّعَتْ أَسَفًا مِنَ الحِرْمَانِ
لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّنْيَا وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانِ

□ فصل □

فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائِسِ الجَنَّاتِ ثُمَّ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أُخَا العِرْفَانِ
حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلائِقًا وَمَحَاسِنًا مِنْ أجمَلِ النِّسْوَانِ
حَتَّى يَحَارُ الطَّرْفُ فِي الحُسْنِ الَّذِي قَدْ أُلْبِسَتْ فَالطَّرْفُ كَالحَيْرَانِ
وَيقُولُ لمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا سُبْحَانَ مُعْطِي الحُسْنِ والإِحْسَانِ
وَالطَّرْفُ يَشْربُ مِنْ كُئُوسِ جَمَالِهَا فَتَراهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النَّشْوَانِ
كَمُلَتْ خَلائِقُهَا وَأُكْمِلَ حُسْنُهَا كَالبَدْرِ لَيْلَ السِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الأَغْصَانِ
فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهْوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
فَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ سُبْحَانَ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإِنْسَانِ
لَا اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَهَا فَتَغِيبَ عنْـ ـدَ مَجِيئِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ الثَّانِي
وَالشَّمْسُ لَا تَأْتِي بِطَرْدِ اللَّيْلِ بَلْ يَتَصَاحَبَانِ كِلَاهُمَا أَخَوَانِ
وَكِلَاهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إِذَا مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرَيَانِ
فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بِعِيَانِ
حُمْرُ الخُدُودِ ثُغُورُهُنَّ لآلِئٌ سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأَجْفَانِ
وَالبرقُ يَبْدُو حِيْنَ يَبْسِمُ ثَغْرُهَا فَيُضِيءُ سَقْفَ القَصْرِ بالجُدْرَانِ
وَلقَدْ رُوِينَا أَنَّ بَرْقًا سَاطِعًا يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجِنَانِ

فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ ثَغْرٍ ضَاحِكٍ ... فِي الجَنَّةِ العُلْيَا كَمَا تَرَيَانِ
للهِ لَاثِمُ ذَلِكَ الثَّغْرِ الَّذِي ... فِي لَثْمِهِ إِدْرَاكُ كُلِّ أَمَانِ
رَيَّانَةُ الأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَا ... بِ فَغُصْنُهَا بِالمَاءِ ذُو جَرَيَانِ
لمَّا جَرَى مَاءُ النَّعِيمِ بِغُصْنِهَا ... حَمَلَ الثِّمَارَ كَثِيرَةَ الأَلْوَانِ
فَالْوَرْدُ وَالتُّفَّاحُ والرُّمَّانُ فِي ... غُصْنٍ تَعَالَى غَارِسُ البُسْتَانِ
وَالقَدُّ مِنْهَا كَالقَضِيبِ اللَّدْنِ فِي ... حُسْنِ القَوَامِ كَأَوْسَطِ القُضْبَانِ
فِي مَغْرِسٍ كَالعَاجِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... عَالِي النَّقَا أَوْ وَاحِدُ الكُثْبَانِ
لَا الظَّهْرُ يَلْحَقُهَا وَلَيْسَ ثُدُيُّهَا ... بِلَوَاحِقٍ لِلبَطْنِ أَوْ بِـدَوَانِ
لَكِنَّهُـنَّ كَـوَاعِبٌ وَنَوَاهِـدٌ ... فَثُدُيُّهُـنَّ كَأَلْطَـفِ الرُّمَّـانِ
وَالجِيدُ ذُو طُولٍ وَحُسْنٍ فِي بَيَا ... ضٍ واعْتِدَالٍ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
يَشْكُو الحُلِيُّ بِعَادَهُ فَلَهُ مَدَى الْـ ... أَيَّامِ وَسْوَاسٌ مِنَ الهِجْرَانِ
وَالمِعْصَمَانِ فَإِنْ تَشَأْ شَبِّهْهُمَا ... بِسَبِيكَتَيْـنِ عَلَيْهِمَـا كَفَّـانِ
كَالزُّبْدِ لِينًا فِي نُعُومَةِ مَلْمَسٍ ... أَصْدَافُ دُرٍّ دُوِّرَتْ بِوِزَانِ
وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ عَلَى بَطْنٍ لَهَا ... حُفَّتْ بِهِ خَصْرَانِ ذَاتُ ثَمَانِ
وَعَلَيْهِ أَحْسَنُ سُرَّةٍ هِيَ مَجْمَعُ الْـ ... ـخَصْرَيْنِ قَدْ غَارَتْ مِنَ الأَعْكَانِ
حُقٌّ مِنَ العَاجِ اسْتَدَارَ وَحَوْلَهُ ... حَبَّاتُ مِسْكٍ جَلَّ ذُو الإِتْقَانِ
وَإِذَا انْحَدَرْتَ رَأَيْتَ أَمْرًا هَائِلًا ... مَا لِلصِّفَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
لَا الحَيْضُ يَغْشَاهُ وَلَا بَوْلٌ وَلَا ... شَيْءٌ مِنَ الآفَاتِ فِي النِّسْوَانِ

فَخْذَانِ قَدْ حَفَّا بِهِ حَرَسًا لَهُ فَجَنَابُهُ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
قَامَا بِخِدْمَتِهِ هُوَ السُّلْطَانُ بَيْـ ـنَهُمَا وَحَقٌّ طَاعَةُ السُّلْطَانِ
وَهُوَ المُطَاعُ أَمِيرُهُ لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا هُوَ عِنْدَهُ بِجَبَانِ
وَجِمَاعُهَا فَهُوَ الشِّفَاءُ لِصَبِّهَا فَالصَّبُّ مِنْهُ لَيْسَ بِالضَّجْرَانِ
وَإِذَا يُجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا أَتَتْ بِكْرًا بِغَيْرِ دَمٍ وَلَا نُقْصَانِ
فَهُوَ الشَّهِيُّ وَعُضْوُهُ لَا يَنْثَنِي جَاءَ الحَدِيثُ بِذَا بِلَا نُكْرَانِ
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي يسٓ دُونَ بَيَانِ
شُغْلُ العَرُوسِ بِعُرْسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَبَثَتْ بِهِ الأَشْوَاقُ طُولَ زَمَانِ
بِاللهِ لَا تَسْأَلْهُ عَنْ أَشْغَالِهِ تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ
وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِصَبٍّ غَابَ عَنْ مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ البُلْدَانِ
وَالشَّوْقُ يُزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الإِمْكَانِ
وَافَى إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغِيبِهِ عَنْهُ وَصَارَ الوَصْلُ ذَا إِمْكَانِ
أَتَلُومُهُ إِنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ لَا وَالَّذِي أَعْطَى بِلَا حُسْبَانِ
يَا رَبُّ غَفْرًا قَدْ طَغَتْ أَقْلَامُنَا يَارَبُّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

□ فصل □

أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِّبَتْ مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَفَّانِ
وَالسَّاقُ مِثْلُ العَاجِ مَلْمُومٌ يُرَى مُخُّ العِظَامِ وَرَاءَهُ بِعِيَانِ

وَالرِّيحُ مِسْكٌ والجُسُومُ نَوَاعِمٌ وَاللَّوْن كاليَاقوتِ والمرْجَانِ
وَكَلامُهَا يَسْبِي العُقُولَ بِنَغْمَةٍ زَادَتْ عَلَى الأَوْتَارِ والعِيدَانِ
وَهيَ العَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبِدُرِّهَا وَتَحَبُّبٍ لِلزَّوْجِ كُلَّ أَوَانِ
وَهيَ الَّتِي عِنْدَ الجِمَاعِ تَزِيدُ فِي حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ والأُذُنَانِ
لُطْفًا وَحُسْنَ تَبَعُّلٍ وَتَغَنُّجٍ وَتَحبُّبٍ تَفْسِيرَ ذِي العِرْفَانِ
تِلْكَ الحَلَاوةُ والمَلاحَةُ أوْجَبَا إطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضْعَ لِسَانِ
فَملَاحَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غِنَاجِهَا هِيَ أَوَّلٌ وَهيَ المحَلُّ الثَّانِي
فإذَا هُمَا اجْتَمعَا لِصَبٍّ وَامِقٍ بَلَغَتْ بِهِ اللَّذَّاتُ كُلَّ مَكَانِ

□ فصــلٌ □

أَتْرابُ سِنٍّ وَاحِدٍ مُتَمَاثِلٍ سِنُّ الشَّبَابِ لأَجْمَلِ الشُّبَّانِ
بِكْرٌ فَلَمْ يَأْخُذْ بَكَارَتَهَا سِوَى الْـ ـمَحْبُوبِ مِنْ إنْسٍ وَلَا مِنْ جَانِ
حِصْنٌ عَلَيْهِ حَارِسٌ مِنْ أعْظَمِ الْـ ـحُرَّاسِ بأسًا شَأْنُهُ ذُو شَانِ
فَإذَا أَحَسَّ بِدَاخِلٍ للحِصْنِ وَلَّـى هَارِبًـا فَتَرَاهُ ذَا إمْعَانِ
وَيَعُودُ وَهْنًا حِينَ رَبُّ الحِصْنِ يَخْـ ـرُجُ مِنْهُ فَهْوَ كَذَا مَدَى الأَزْمَانِ
وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهَا تَنْصَاغُ بِكْرًا لِلْجِمَاعِ الثَّانِي
لَكِنَّ دَرَّاجًا أَبَا السَّمْحِ الَّذِي فِيهِ يُضَعِّفُهُ أُولُو الإِتْقَانِ
هَذَا وَبَعْضُهُمُ يُصَحِّحُ عَنْهُ فِي التَّـفْسِيرِ كالمولُودِ مِنْ حِبَّانِ

فَحَدِيثُهُ دُونَ الصَّحِيحِ وإنَّهُ ... فَوْقَ الضَّعِيفِ وَلَيْسَ ذَا إتْقَانِ
يُعْطَى المُجَامِعُ قُوَّةَ المِائَةِ الَّتِي اجْـ ... ـتَمَعَتْ لأقْوَى وَاحِدِ الإنْسَانِ
لَا أنَّ قُوَّتَهُ تَضَاعَفُ هَكَذَا ... إذْ قَدْ يَكُونُ لأضْعَفِ الأرْكَانِ
وَيكُونُ أقْوَى مِنْهُ ذَا نَقْص مِنَ الْـ ... إيمَانِ والأعْمَالِ والإحْسَانِ
وَلَقَدْ رَوَيْنَا أنَّهُ يَغْشَى بِيَوْ ... مٍ وَاحِدٍ مِائَةً مِنَ النِّسْوَانِ
وَرجَالُهُ شَرْطُ الصَّحِيحِ رَوَوْا لَهُمْ ... فِيهِ وَذَا فِي مُعْجَمِ الطَّبَرانِي
هَذَا دَلِيلٌ أنَّ قَدْرَ نِسَائِهِمْ ... مُتَفَاوِتٌ بِتَفَاوُتِ الإيمَان
وَبِهِ يَزُولُ تَوَهُّمُ الإشْكَالِ عَنْ ... تِلْكَ النُّصُوصِ بِمِنَّةِ الرَّحْمَـٰنِ
وَبِقُوَّةِ المِائَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ ... أفْضَى إلَى مِائَةٍ بِلَا خَوَرَانِ
وأعَفُّهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الْـ ... أقْوَى هُنَاكَ لِزُهْدِهِ فِي الفَانِي
فَاجْمَعْ قُوَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضِ الْـ ... ـعَيْنَيْنِ وَاصْبِرْ سَاعَةً لِزَمَانِ
مَا هَا هُنَا وَاللهِ مَا يَسْوِي قُلَا ... مَةَ ظُفْرٍ وَاحِدَةٍ تُرَى بِجِنَانِ
مَا هَا هُنَا إلَّا النِّقَارُ وَسَيِّءُ الْـ ... أخْلَاقِ مَعْ عَيْبٍ وَمَعْ نُقْصَانِ
هَمٌّ وَغَمٌّ دَائِمٌ لَا يَنْتَهِي ... حَتَّى الطَّلَاقِ أوِ الفِرَاقِ الثَّانِي
واللهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيًا ... شَرْعًا فأضْحَى البَعْلُ وَهْوَ العَانِي
لَا تُؤْثِرِ الأدْنَى عَلَى الأعْلَى فَإنْ ... تَفْعَلْ رَجَعْتَ بِذِلَّةٍ وَهَوَانِ

* * *

□ فصــلٌ □

وَإِذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لِبْسِهَا ... وتَمَايَلَتْ كَتَمَايُلِ النَّشْوَانِ
تَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ ... وَرْدٌ وَتُفَّـاحٌ عَلَى رُمَّـانِ
وَتَبخْتَرَتْ فِي مَشْيِهَا وَيحِقُّ ذَا ... كَ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
وَوَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأمَامِهَا ... وَعَلى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أيْمَانِ
كَالبَدْرِ لَيْلَةَ تَمِّهِ قَدْ حُفَّ فِي ... غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ المِيزَانِ
فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي ... دَهَشٍ وإعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
فَالقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ ... والعُرْسُ إثرَ العُرْسِ مُتَّصِلانِ
حَتَّى إذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلا ... أَرَأيْتَ إذْ يَتَقَابَلُ القَمَـرَانِ
فَسَلِ المُتَيَّمَ هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ ... ضَمٍّ وَتَقْبِيلٍ وَعَنْ فَلَتَـانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ أَيْنَ خَلَّفَ صَبْرَهُ ... فِي أيِّ وَادٍ أمْ بأيِّ مَكَانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ ... مُلِئَتْ لَهُ الأُذُنَانِ وَالعَيْنَـانِ
مِنْ مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجْـ ... ـهٍ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرَيَانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ كَيْفَ عِيشَتُهُ إِذًا ... وَهُمَا عَلَى فُرْشَيْهِمَا خِلْوَانِ
يَتَسَاقَطَـانِ لآلِئًـا مَنْثُـورَةً ... مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَانِ
وَسَلِ المُتَيَّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْـ ... ـمَحْبُوبِ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَانِ
وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا ... بِأكُفِّ أقْمَارٍ مِنَ الوِلْـدَانِ
يتَنَازَعَانِ الكَأْسَ هَذَا مَـرَّةً ... والخُودُ أخْرَى ثُمَّ يَتَّكِئَـانِ

فَيضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أرَأيْتَ مَعْـ ـشُوقَيْنِ بَعْدَ البُعْدِ يَلْتَقِيَان
غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنَكِّدٍ وَهُمَا بِثَوْبِ الوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
أَتَراهُمَا ضَجِرَيْنِ مِنْ ذَا العَيْشِ لَا وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجِرَانِ
وَيزِيدُ كُلٌّ مِنْهُمَا حُبًّا لِصَا حِبِهِ جَدِيدًا سَائِرَ الأَزْمَانِ
وَوِصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ مُتَسَلْسِلًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
فَالوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبٍّ سَابِقٍ وَبِلَاحِقٍ وَكِلَاهُمَا صِنْوانِ
فَرْقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهَذَا الشَّانِ
وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ سُبْحَانَ ذِي المَلَكُوتِ والسُّلْطَانِ
يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ جَدَّ الرَّحِيلُ فَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
سَارَ الرِّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الأُلَى قَنِعُوا بِذَا الحَظِّ الخَسِيسِ الفَانِي
وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيتَ بِالحِرْمَانِ
لَكِنْ أَتَيْتَ بِخُطَّتَيْ عَجْزٍ وَجَهْـ ـلٍ بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِاللِّحَاقِ مَعَ القُعُو دِ عَنِ المَسِيرِ وَرَاحَةِ الأَبْدَانِ
وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الغِطَا مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانِ

* * *

□ فصــلٌ □

○ في ذِكْرِ الخِلافِ بينَ النَّاسِ هلْ تحبلُ ○ نساءُ أهْلِ الجنَّةِ أمْ لا

وَالنَّاسُ بَيْنَهُمُ خِلَافٌ هَلْ بِهَا حَبَلٌ وَفِي هَذَا لَهُمْ قَوْلَانِ
فَنَفَاهُ طَاوُسٌ وَإِبرَاهِيمُ ثُمَّ مُجَاهِدٌ وَهُمُ أولُو العِرْفَانِ
وَرَوَى العقيلِيُّ الصَّدُوقُ أَبُو رَزِيـ ـنٍ صَاحِبُ المبْعُوثِ بالقُرْآنِ
وَالعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ حَوًّا أَمِّنَا هِيَ أَرْبَعٌ مَعْلُومَةُ التِّبْيَانِ
وَكَذَاكَ مَوْلُودُ الجِنَانِ يَجُوزُ أَنْ يَأْتِي بِلَا حَيْضٍ وَلَا فَيَضَانِ
والأَمرُ فِي ذَا مُمْكِنٌ فِي نَفْسِهِ والقَطْعُ مُمْتنِعٌ بِلَا بُرْهَانِ

□ فصــلٌ □

○ في رُؤْيةِ أَهْلِ الجنَّةِ رَبَّهمْ تبارَكَ وَتعالى ○ ونَظَرِهمْ إلى وجهِهِ الكريم

وَيَرَونَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ نَظَرَ العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا فَاسِدُ الإِيْمَانِ
وَأَتَى بِهِ القُرْآنُ تَصْرِيحًا وتعْـ ـرِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ تَفْسِيرَ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالقُرْآنِ

وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِصَحِيحِهِ يَرْوِي صُهَيْبٌ ذَا بِلا كِتْمَانِ
وَهوَ المزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أبو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ ذُو الإِيْقَانِ
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرّسُولِ وَتَابِعُو هُمْ بَعْدَهُمْ تَبِعيَّةَ الإِحْسَانِ
وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللِّقَاءِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَـٰنِ فِي سُورٍ مِنَ الفُرْقَانِ
وَلقَاؤهُ إِذْ ذَاكَ رُؤيَتُهُ حَكَى الْـ إِجْمَاعَ فِيهِ جَمَاعَةٌ بِبَيَــانِ
وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ لُغَةً وَعُرْفًا لَيْسَ يَخْتَلِفَـانِ
هَذَا وَيَكْفِي أَنَّـهُ سُبْحَانَـهُ وَصَفَ الوُجُوهَ بِنَظْرَةٍ بِجِنَانِ
وَأَعَادَ أَيْضًا وَصْفَهَا نَظَرًا وَذَا لَا شَكَّ يُفْهِمُ رُؤيَةً بِعِيَانِ
وأَتَتْ أَدَاةُ إِلَى لِرَفْعِ الوَهْمِ مِنْ فِكْرٍ كَذَاكَ تَرَقُّبُ الإِنْسَانِ
وَإِضَافَةٌ لمحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْـ ـرِ الوَجْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ العَيْنَانِ
تَاللهِ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وانْتِظَا رِ مُغَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَةٍ لِجِنَانِ
مَا فِي الجِنَانِ مِنَ انْتِظَارٍ مُؤْلِمٍ وَاللفْظُ يأْبَاهُ لِذِي العِرْفَـانِ
لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الكِتَابِ فَلَيْسَ فِيـ ـهِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرّوغَـان
مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيءٌ مَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التِّبْيَانِ
لَوْ قَالَ أَبْيَنَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمُ هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تِبْيَانِ
وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ التَّطْفِيـفِ أَنَّ القَـوْمَ قَدْ حُجبوا عَنِ الرَّحْمَـٰنِ
فَيَدُلُّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ المؤمِنِيــ ـنَ يَرَوْنَهُ فِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
وَبِذَا اسْتَدَلَّ الشَّافِعِيُّ وأَحْمَدٌ وَسِوَاهُمَا مِنْ عَالِمِي الأَزْمَانِ

وَأَتَى بِذَا المفْهومِ تَصْرِيحًا بآ ... خِرِهَا فَلَا تُخْدَعْ عَنِ القُرْآنِ
وَأَتَى بِذَاكَ مُكَذِّبًا للكَافِرِيـ ... ـنَ السَّاخِرِينَ بِشِيعَةِ الرَّحْمَٰنِ
ضَحكُوا مِنَ الكُفَّارِ يَوْمئذٍ كَمَا ... ضَحِكُوا هُمُ مِنْهُمْ عَلَى الإِيْمَانِ
وَأَثَابَهُمْ نَظَرًا إِلَيْهِ ضِدَّ مَا ... قَدْ قَالَهُ فِيهِمْ أولُو الكُفْرَانِ
فَلِذَاكَ فسَّرَهَا الأئمَّةُ أنَّـهُ ... نَظَرٌ إِلَى الرَّبِّ العَظِيمِ الشَّانِ
للهِ ذَاكَ الفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي ... هُوَ أهْلُهُ مَنْ جَادَ بالإِحْسَانِ
وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مُسْنِدًا عَن جَابرٍ ... خبرًا وَشَاهِدُهُ فَفِي القُرْآنِ
بَيْنَا هُمُو فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ ... وَنعِيمِهِمْ فِي لَذَّةٍ وَتَهَانِـي
وَإِذَا بِنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ أَشْرَقَتْ ... مِنْهُ الجِنَانُ قَصِيُّهَا والدَّانِي
رَفعُوا إِلَيْهِ رُءوسَهُمْ فَرأَوْهُ نُو ... رَ الرَّبِّ لَا يَخْفَى عَلَى إِنْسَانِ
وَإِذَا بِرَبِّهِمُ تَعَالَى فَوْقَهُـمْ ... قَدْ جَاءَ لِلتَّسْلِيمِ بالإِحْسَانِ
قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمُ فَيَرَوْنَـهُ ... جَهْرًا تَعَالَى الرَّبُّ ذو السُّلْطَانِ
مِصْدَاقُ ذَا يسٓ قَدْ ضَمِنَتْهُ عِنْـ ... ـدَ القَوْلِ مِنْ رَبٍّ بِهِمْ رَحْمَٰنِ
مَنْ رَدَّ ذَا فَعَلَى رَسُولِ اللهِ رَدَّ ... وَسَوْفَ عِنْدَ اللهِ يَلتَقِيَانِ
فِي ذَا الحَدِيثِ عُلُوُّهُ وَمَجِيئُهُ ... وَكَلَامُهُ حَتَّى يُرَى بِعِيَـانِ
هَذِي أُصُولُ الدِّينِ فِي مَضْمُونِهِ ... لَا قَوْلَ جَهْمٍ صَاحِبِ البُهْتَانِ
وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ذَلِكَ الْـ ... ـخَبَرُ الطَّوِيلُ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
فِيْهِ تَجَلِّي الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَمَجِيئُـهُ وَكَلَامُـهُ بِبَيَـانِ

وَكَذَاكَ رُؤْيَتُهُ وَتَكْلِيمٌ لِمنْ ... يَخْتَارُهُ مِـنْ أُمَّـةِ الإِنْسَانِ
فِيهِ أصُولُ الدِّينِ أَجْمَعُهَا فَلَا ... تَخْدَعْكَ عَنْهُ شِيعَةُ الشَّيْطَانِ
وَحَكَى رَسُولُ اللهِ فِيهِ تَجَدُّدَ الْـ ... ـغَضَبِ الَّذِي لِلرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
إِجْمَاعَ أَهْلِ العَزْمِ مِنْ رَسُلِ الْإِلٰـ ... ـهِ وَذَاكَ إِجْمَاعٌ عَلَى البُرْهَـانِ
لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ الحَدِيثِ بِهَذِهِ الْـ ... آرَاءِ فَهْيَ كَثِيرَةُ الهَذَيَـانِ
أَصْحَابُهَا أَهْلُ التَّخَرُّصِ وَالتَّنَا ... قُضِ والتَّهَاتُرِ قَائِلُو البُهْتَانِ
يَكْفِيكَ أَنَّكَ لَوْ حَرِصْتَ فَلَنْ تَرَى ... فِئَتَيْـنِ مِنْهُـم قَـطُّ يَتَّفِقَـانِ
إِلَّا إِذَا مَا قَلَّدا لِسِوَاهُمَـا ... فَتَراهُمُ جِيلًا مِنَ العُمْيَـانِ
وَيقُودُهُمْ أعْمَى يُظَنُّ كمبْصِرٍ ... يَا مِحْنَةَ العُمْيَانِ خَلْفَ فُلَانِ
هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمُبْصِرُ رُشْدِهِ ... اللهُ أكبَرُ كَيْـفَ يَسْتَوِيَـانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الإِيمَانِ يُخْـ ... ـبِرُ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الحَيَوَانِ
يا أَهْلَهَا لَكُمُ لَدَى الرَّحْمٰـنِ وَعْـ ... ـدٌ وَهْوَ مُنْجِزُهُ لَكُمْ بِضَمَانِ
قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا ... أَعْمَالَنَا أثقَلْتَ فِي المِيـزَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الجَنَّاتِ حِيـ ... ـنَ أجَرْتَنَا مِنْ مَدْخَلِ النِّيرَانِ
فَيقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آن أنْ ... أُعْطِيكُمُوهُ بِرَحْمَتِي وَحنَانِي
فَيرَوْنَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ ... جَهْرًا رَوَى ذَا مُسْلِمٌ بِبَيَانِ
وَلَقَدْ أَتَانَا فِي الصَّحِيحيْنِ اللَّذَيْـ ... ـنِ هُمَا أَصَحُّ الكُتْبِ بَعْدَ قُرَانِ
بِرِوَايَةِ الثِّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِير الْـ ... ـبَجلِيِّ عَمَّنْ جَاءَ بِالقُرْآنِ

أَنَّ العِبَادَ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ رُؤيَا العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقتٍ فَاحْفَظُوا الْـ ـبَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ
وَلَقَدْ رَوَى بِضْعٌ وَعِشْرُونَ امرءًا مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خِيرَةِ الرَّحْمَـٰنِ
أَخْبَارَ هَذَا البَابِ عَمَّنْ قَدْ أَتَى بالوَحْي تَفْصِيلًا بِلَا كِتْمَانِ
وَأَلَذُّ شَيءٍ لِلقُلُوبِ فَهَذِهِ الْـ أَخْبَارُ مَعْ أَمْثَالِهَا هِيَ بَهْجَةُ الإِيمَانِ
وَاللهِ لَوْلَا رُؤْيَةُ الرَّحْمَـٰنِ فِي الْـ ـجَنَّاتِ مَا طَابَتْ لِذِي العِرْفَانِ
أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ وَخِطَابه فِي جَنَّةِ الحَيَـوَانِ
وَأَشَدُّ شَيءٍ فِي العَذَابِ حِجَابُهُ سُبْحَانَهُ عَنْ سَاكِنِي النِّيرَانِ
وَإِذَا رَآهُ المؤمِنُونَ نسُوا الَّذِي هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ العَيْنَانِ
فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمُ عَادُوا إِلَى لَذَّاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الأَلْـوَانِ
فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ سِوَى هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الأَمْرَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أعْرِفِ خَلْقِهِ بِجَلَالِـهِ المَبْعُـوثِ بِالقُـرْآنِ
شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّتِي بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
فَالشَّوْقُ لَذَّةُ رُوحِهِ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَـا وَيَوْمَ قِيَامَـةِ الأَبْـدَانِ
تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ دُونَ الجَوَارِحِ هَذِهِ العَيْنَانِ
وَاللهِ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَـا أَلَـذُّ مِنَ اشْتِيَاقِ العَبْدِ لِلرَّحْمَـٰنِ
وَكَذَاكَ رُؤيَةُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَّاتِ لِلإِنْسَانِ
لَكِنَّمَا الجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا وَالوَجه أَيْضًا خَشْيَةَ الحِدْثَانِ

تَبًّا لَهُ المخْدُوعِ أنْكَرَ وَجْهَهُ وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدَّيَّانِ
وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ وَالعَرْشَ عَطَّلَهُ مِنَ الرَّحْمَٰنِ
فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرسْلُ اللهِ فِي وَادٍ وَذَا مِنْ أعْظَمِ الكُفْرَانِ

□ فصـلٌ □

○ في كَلامِ الرَّبِّ جلَّ جلالُهُ معَ أهلِ الجنَّةِ ○

أَوَ مَا عَلِمْتَ بأنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ بِجنَانِ
فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ هَلْ أَنْتُمُ رَاضُونَ قَالُوا نَحْن ذُو رِضْوَانِ
أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ يَنَلْهُ قَطُّ مِنْ إنْسَانِ
هَلْ ثَمَّ شَيءٌ غَيْرُ ذَا فَيَكُونُ أفْـ ـضَلَ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ المنَّانِ
فَيَقُولُ أفْضَلُ مِنْهُ رِضْوَانِي فَلَا يَغْشَاكُمُ سُخْطٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ
وَيُذَكِّرُ الرَّحْمَٰنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا قَدْ كَانَ مِنْه سَالِفَ الأزْمَانِ
مِنْهُ إِلَيْهِ لَيسَ ثَمَّ وَسَاطَةٌ مَا ذَاكَ تَوْبِيخًا مِنَ الرَّحمَٰنِ
لَكِنْ يُعَرِّفُهُ الَّذِي قدْ نَالَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالعَفْوِ وَالإِحْسَانِ
وَيُسَلِّمُ الرَّحْمَٰنُ جَلَّ جَلَالُهُ حقًّا عَلَيْهِمْ وَهْوَ فِي القُرْآنِ
وَكَذَاكَ يُسْمِعُهُمْ لَذِيذَ خِطَابِهِ سُبْحَانَهُ بِتِلَاوَةِ الفُرْقَانِ
فَكَأنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا هَذَا رَوَاهُ الحَافِظُ الطَّبَرانِي
هَذَا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا الْـ ـقرْآنَ فِي الدُّنْيا فَنَوْعٌ ثَانِ

وَاللهُ يُسْمَعُ قَوْلُهُ بِوَسَاطَـةٍ وَبِدُونِهَـا نَوْعَـانِ مَعْرُوفَـانِ
فَسَمَاعُ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطَةٍ وَسَمَاعُنَـا بِتَـوسُّطِ الإِنْسَانِ
مَنْ صَيَّرَ النَّوْعَيْنِ نَوْعًا وَاحِدًا فَمُخَالِـفٌ لِلعَقْـلِ وَالقُـرْآنِ

□ فصــلٌ □

○ فِي يومِ المزيدِ ومَا أعدَّ لهم فيهِ منَ الكَرَامَةِ ○

أَوَ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ المزيـ ـدِ وأَنَّهُ شَأْنٌ عَظِيمُ الشَّانِ
هُوَ يَوْمُ جُمْعَتِنَا وَيَوْمُ زِيَـارَةِ الـرَّحْمَـٰنِ وَقْتَ صَلَاتِنَا وأَذَانِ
وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمُ الأُلَى فَازُوا بِذَاكَ السَّبْقِ بِالإِحْسَانِ
سَبْقٌ بِسَبْقٍ والمؤَخِّرُ هَا هُنَا مُتَأَخِّرٌ فِي ذَلِكَ المَيْـدَانِ
وَالأَقْرَبُونَ إِلَى الإِمَامِ فَهُمْ أولُـو الزُّلْـفَى هُنَـاكَ فَهَا هُنَـا قُرْبَـانِ
قُرْبٌ بِقُرْبٍ وَالمبَاعِدُ مِثْلُـهُ بُعْـدٌ بِبُعْـدٍ حِكْمَـةُ الدَّيَّـانِ
وَلَهُمْ مَنَابِـرُ لُؤْلُـؤٍ وَزَبَرْجَـدٍ وَمَنَابِـرُ اليَاقُـوتِ والعِقْيَـانِ
هَذَا وأَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي مِنْ فَوْقِ ذَاكَ المِسْكِ كالكُثْبَانِ
مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ المنَابِرِ فَوْقَهُمْ مِمَّا يَرَوْنَ بِهِمْ مِنَ الإِحْسَانِ
فَيَرَوْنَ رَبَّهُـمُ تَعَالَـى جَهْـرَةً نَظَرَ العِيَانِ كَمَا يُرَى القَمَرَانِ
وَيُحَاضِرُ الرَّحْمَـٰنُ وَاحِدَهُمْ مُحَا ضَرَةَ الحَبِيبِ يَقُولُ يَابْنَ فُلَانِ
هَلْ تَذكُرُ اليَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيـ ـهِ مُبَارِزًا بِالذَّنْبِ والعِصْيَانِ

فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِغَفْرَةٍ قِدْمًا فإِنَّكَ وَاسِعُ الغُفْـرَانِ
فَيُجِيبُهُ الرَّحْمَـٰنُ مَغْفِرتي الَّتِي قَدْ أَوْصَلَتْكَ إِلَى المَحَلِّ الدَّانِي

◻ فصـــلٌ ◻

○ في المطرِ الَّذي يُصيبُهُمْ هُناكَ ○

وَيُظِلُّهُمْ إِذْ ذَاكَ مِنْهُ سَحَابَةٌ تَأْتِي بِمِثْلِ الوَابِلِ الهَتَّـانِ
بَيْنَا هُمُ فِي النُّورِ إِذْ غَشِيَتْهُمُ سُبْحَانَ مُنْشِيهَا مِنَ الرِّضْوَانِ
فَتَظَلُّ تُمْطِرُهُمْ بِطِيبٍ مَا رَأَوْا شَبَهًا لَهُ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ
فَيَزِيدُهُمْ هَذا جَمَالًا فَوْقَ مَا لَهُمُ وَتِلْكَ مَوَاهِبُ المَنَّانِ

◻ فصـــلٌ ◻

○ في سُوقِ الجنَّةِ التي ينصرفُونَ إليهَا ○ مِنْ ذَلِكَ المجلِسِ

فَيقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قُومُوا إِلَى مَا قَدْ ذَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الإِحْسَانِ
يَأْتُونَ سُوقًا لَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فِيهِ فَخُذْ مِنْه بِلَا أَثْمَـانِ
قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَبِيْـ ـعِ بِعَقْدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
للهِ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ المَلَا ئِكَةُ الكِرَامُ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ

فِيهَا الَّذِي وَاللهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ ... كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
كَلَّا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قلبِ امْرِىءٍ ... فَيَكُونَ عَنْهُ مُعَبِّرًا بِلِسَانِ
فَيَرَى امْرءًا مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيئَةٍ ... فيرُوعُهُ مَا تَنْظُرُ العَيْنَانِ
فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلْـ ... ـحَقُ أَهْلَهَا شَيءٌ مِنَ الأَحْزَانِ
واهًا لِذَا السُّوقِ الَّذِي مَنْ حَلَّهُ ... نَالَ التَّهَانِيَ كُلَّهَا بأمَانِ
يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ ... صَخَبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيْمَانِ
وَتِجَارَةٌ مَنْ لَيْسَ تُلهِيهِ تِجَا ... رَاتٌ وَلَا بَيْعٌ عَنِ الرَّحْمٰنِ
أَهْلُ المُروَّةِ والفُتُوَّةِ والتُّقَى ... والذِّكْرِ للرَّحْمٰنِ كُلَّ أَوَانِ
يَا مَنْ تَعوَّضَ عَنْهُ بالسُّوقِ الَّذِي ... رُكِزَتْ لَدَيهِ رَايَةُ الشَّيطَانِ
لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَاكَ السُّوقِ لَمْ ... تَرْكَنْ إِلَى سُوقِ الكَسَادِ الفَانِي

□ فصــل □

○ في حَالِهِمْ عِنْدَ رُجوعِهِمْ إِلَى أَهْلِيهِمْ ومنازِلِهِمْ ○

فَإِذَا هُمُ رَجَعُوا إِلَى أَهْلِيهِمُ ... بِمَوَاهِبٍ حَصُلَتْ مِنَ الرَّحْمٰنِ
قَالُوا لَهُمْ أَهْلًا وَرَحْبًا مَا الَّذِي ... أُعْطِيتُمُ مِنْ ذَا الجَمَالِ الثَّانِي
واللهِ لَازْدَدتُمْ جمالًا فَوْقَ مَا ... كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ هَذَا الآنِ
قَالُوا وَأَنْتُمْ وَالَّذِي أَنْشَاكُمُ ... قَدْ زِدْتُمُ حُسْنًا عَلَى الإِنْسَانِ
لكِنْ يَحِقُّ لَنَا وَقَدْ كُنَّا إِذًا ... جُلسَاءَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الرِّضْوَانِ

فَهُمو إِلَى يَوْمِ المزِيد أَشَدُّ شَوْ ... قًا مِنْ مُحِبٍّ لِلْحبيبِ الدَّانِي

□ فصــلٌ □

○ في خُلودِ أهلِ الجنَّةِ ودَوامِ صِحَّتِهِمْ ونعيمِهِمْ ○

هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ ... أَبدًا بِدَارِ الخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الإِيمَانِ يُخْـ ... ـبِر عَنْ مُنَادِيهِمْ بِحُسْنِ بَيَانِ
لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بِهَا مَوْتٌ وَعَا ... فِيَةٌ بِلَا سَقَمٍ وَلَا أَحْزَانِ
وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا ... لِشَبَابِكُمْ هِرَمٌ مَدَى الأَزْمَانِ
كَلَّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ ذَا ... نَوْمٌ وَمَوْتٌ بَيْنَنَا أَخَوَانِ
هَذَا عَلِمْنَاهُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَا ... بِ اللهِ فَافْهَمْ مُقْتَضَى القُرْآنِ
وَالجَهْمُ أَفْنَاهَا وأفْنَى أهْلَهَا ... تَبًّا لِـذَاكَ الجَاهِـلِ الفَتَّـانِ
طَـرْدًا لِنفْيِ دَوَامِ فِعْلِ الرَّبِّ فِي الْـ ... ـمَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الأَزْمَانِ
وَأَبو الهُذَيْلِ يقُولُ يَفْنَى كُلُّ مَا ... فِيهَا مِنَ الحَرَكَاتِ لِلسُّكَّانِ
وَتَصِيرُ دَارُ الخُلْدِ مَعْ سُكَّانِهَا ... وَثِمَارِهَـا كَحِجَـارَةِ البُنْيَـانِ
قَالُوا وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا ... رَبٌّ لأَجْلِ تَسَلْسُلِ الأَعْيَانِ
فالقومُ إمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ ... أَوْ مُنْكِرُونَ حَقَائِقَ الإِيمَانِ

* * *

□ فصلٌ □

○ في ذبحِ الموتِ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ والرَّدِّ ○ على مَنْ قَالَ إنَّ الذبحَ لملَكِ الموتِ وأنَّ ذلكَ مجازٌ لا حقيقةَ لَهُ

أَوَ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلمَوْتِ بَيْـ ـنَ المنْزِلَيْنِ كَذَبْحِ كَبْشِ الضَّانِ
حَاشَا لِذَا الملَكِ الكَرِيمِ وإنَّمَا هُوَ مَوْتُنَا المحْتُومُ للإنْسَانِ
وَاللهُ يُنْشِيءُ مِنْهُ كَبْشًا أَمْلَحًا يَوْمَ المعَادِ يُرَى لَنَا بِعِيَانِ
يُنْشي مِنَ الأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا بِالعَكْسِ كُلٌّ قَابِلُ الإمْكَانِ
أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ العِبَا دِ تُحَطُّ يَوْمَ العَرْضِ فِي الميزَانِ
وَكَذَاكَ تَثْقُلُ تَارَةً وَتَخِفُّ أُخْـ ـرَى ذَاكَ فِي القُرْآنِ ذُو تِبْيَانِ
وَلَـهُ لِسَانٌ كَفَّتَـاهُ تُقِيمُـهُ وَالْكَفَّتَـانِ إِلَيْـهِ نَاظِرَتَـانِ
مَا ذَاكَ أَمْرًا مَعْنَويا بَلْ هُوَ الْـ ـمَحْسُوسُ حَقًّا عِنْدَ ذِي الإِيمَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بأَنَّ تَسْبِيحَ العِبَا دِ وَذِكْرَهُمْ وَقِرَاءةَ القُـرْآنِ
يُنْشِيهِ رَبُّ العَرْشِ فِي صُوَرٍ يُجَا دِلُ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْ شِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوَرَانِ
يَشْفَعْنَ عِنْدَ الربِّ جَلَّ جَلالُهُ وَيُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِ الإِحْسَانِ
أَوَ مَا سَمِعْتَ بأَنَّ ذَلِك مُؤنِسٌ فِي القَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الأَكْفَانِ

□ فصــلٌ □

○ في إقامَةِ المأتمِ على المتخلفينَ ○ عنْ رُفْقةِ السَّابقينَ

بِاللهِ مَا عُذْرُ امرىءٍ هُوَ مُؤمِنٌ حَقًّا بِهَذَا لَـيْسَ بالْيَقْظَـانِ
بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فإذَا اسْتَفَا قَ فَلُبْسهُ هُوَ حُلَّةُ الكَسْلَانِ
تَاللهِ لَوْ شَاقَتْكَ جَنّاتُ النَّعِيـ ـمِ طَلَبْتَهَا بِنَفَائِسِ الأثْمَانِ
وَسَعَيْتَ جَهْدَكَ فِي وِصَالِ نَوَاعِمٍ وَكَوَاعِبٍ بِيضِ الوُجُوهِ حِسَانِ
جُلِيتْ عَلَيْكَ عَرَائِسٌ وَاللهِ لَوْ تُجْلَى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصَّوَّانِ
رَقَّـت حَوَاشِيـهِ وَعَادَ لِوَقْتِهِ يَنْهَالُ مِثْلَ نَقًى مِنَ الكُثْبَانِ
لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي القَسَاوَةِ جَازَ حَـدَّ الصَّخْرِ والحَصْبَاءِ فِي أَشْجَانِ
لَوْ هَزَّكَ الشَّوْقُ المُقِيمُ وَكُنْتَ ذَا حِسٍّ لَمَا اسْتَبْدَلْتَ بالأهْوَانِ
أَوْ صَادَفَتْ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَياةَ قَلْـ ـبٍ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ لِهَذَا الشَّانِ
خُودٌ تُزَفُّ إلى ضَرِيرٍ مُقْعَدٍ يَا مِحْنَةَ الْحَسْنَاءِ بالعمْيَـانِ
شَمْسٌ لِعِنِّينٍ تُزَفُّ إِلَيْهِ مَـا ذَا حِيلةُ الْعِنِّينِ فِي الغَشَيَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَـٰنِ لَسْتِ رَخِيصَةً بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الكَسْلَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَـٰنِ لَيسَ يَنَالُهَا فِي الألْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَـٰنِ مَاذَا كُفْؤُهَا إِلَّا أُولُو التَّقْوى مَعَ الإِيمَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَـٰنِ سُوقُكِ كَاسِدٌ بَيْنَ الأَرَاذِلِ سِفْلَةِ الحَيَوَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَـٰنِ أَيْنَ المشْتَرِي فَلَقَدْ عُرِضْتِ بأَيْسَرِ الأَثْمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحمَـٰنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ فَالمَهْرُ قَبْلَ المَوْتِ ذُو إمْكَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَـٰنِ كَيْفَ تَصَبُّرُ الْـ ـخُطَّابِ عَنْكِ وَهُمْ ذَوُو إيمَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَـٰنِ لَوْلَا أَنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الإِنْسَانِ
مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الجَزَاءِ الثَّانِي
لَكِنَّهَا حُجِبتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ لِيُصدَّ عَنْهَا المُبْطِلُ المتَوانِي
وَتَنَالُهَا الْهِمَمُ الَّتِي تَسْمُو إلَى رَبِّ الْعُلَى، بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَـٰنِ
فاتْعَبْ لِيَوْمِ مَعَادِكَ الأدنَى تَجِدْ رَاحَاتِهِ يَوْمَ المعَادِ الثَّانِـي
وَإِذَا أَبَتْ ذَا الشَّأنَ نَفْسُكَ فاتَّهِمْـ ـهَا ثُمَّ رَاجِعْ مَطْلَعَ الإيمَانِ
فإذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ بَعْدُ وَصُبْحُهُ مَا انْشَقَّ عَنْهُ عَمُودُهُ لأَذَانِ
وَالنَّاسُ قَدْ صَلَّوا صَلَاةَ الصُّبْحِ وانْـ ـتَظَرُوا طُلُوعَ الشَّمْسِ قُرْبَ زَمَانِ
فَاعْلَمْ بأنَّ العَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَا شِدْ رَبَّكَ المعْرُوفَ بالإِحْسَانِ
وَاسْأَلْهُ إيمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبَكَ الْـ ـمَحْجُوبَ عَنْهُ لِتَنْظُرَ العَيْنَانِ
وَاسْأَلْهُ نُورًا هَادِيًا يَهْدِيكَ فِي طُرُقِ المسِيرِ إِلَيْهِ كُلَّ أَوَانِ
وَاللهِ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فإنَّهَا لَعَلَى طَرِيقِ العَفْوِ والغُفْرَانِ
لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاخَ القَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الوَحْيِ والقُرْآنِ
وَرِضًا بآرَاءِ الرِّجَالِ وَخَرْصِهَا لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَـٰنِ

فَبأَيِّ وَجْهٍ أَلتَقِي رَبِّي إذَا أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الوَحْيِ طُولَ زَمَانِ
وَعزَلْتُهُ عَمَّا أريدَ لأَجْلِهِ عَزْلًا حَقِيقِيًّا بِلَا كِتْمَانِ
صَرَّحْتُ أنَّ يَقِينَنَا لَا يُستَفَادُ بِهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ إتقَانِ
أوْلَيْتُهُ هَجْرًا وَتأْوِيلًا وَتحْرِيفًا وتَفْوِيضًا بِلَا بُرْهَانِ
وَسَعَيْتُ جَهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُمسِكٍ بِعُرَاهُ لَا تَقْلِيدَ رَأْيِ فُلَانِ
يَا مُعْرِضًا عَمَّا يُرادُ بِهِ وَقَدْ جَدَّ المسِيرُ فَمنْتَهَاهُ دَانِ
جَذْلَانُ يَضْحَكُ آمِنًا مُتَبَخْتِرًا فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانِ
خَلَعَ السُّرورُ عَلَيْهِ أوْفَى حُلَّةٍ طَرَدَتْ جَمِيعَ الهَمِّ والأَحْزَانِ
يَخْتَالُ فِي حُلَلِ المسَرَّةِ نَاسِيًا مَا بَعْدهَا مِنْ حُلَّةِ الأَكْفَانِ
مَا سَعْيُهُ إلَّا لِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ أَفْضَى إلَى النِّيرانِ
قَدْ بَاعَ طِيبَ العَيْشِ فِي دَارِ النَّعِيمِ بِذَا الحُطَامِ المضْمَحِلِّ الفَانِي
إنِّي أَظُنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ بالقُرْبِ بَلْ ظَنٌّ بِلَا إيقَانِ
بَلْ قَدْ سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوا جَنَّةٌ أَيْضًا وَنَارٌ بَلْ لَهُمْ قَوْلَانِ
وَالوَقْفُ مَذْهَبُكَ الَّذِي تَخْتَارُهُ وَإِذَا انْتَهَى الإيمَانُ للرُّجْحَانِ
أَمْ تُؤثرُ الأَدْنَى عَلَيْهِ وَقَالَتِ النَّفْسُ الَّتِي اسْتَعْلَتْ عَلَى الشَّيْطَانِ
أَتَبِيعُ نَقْدًا حَاصِلًا بِنَسِيئَةٍ بَعْدَ المَمَاتِ وَطَيِّ ذِي الأَكْوَانِ
لَو أَنَّهُ بِنَسيئَةِ الدُّنْيا لَهَانَ الأَمْرُ لَكِنْ فِي مَعَادٍ ثَانِ
دَعْ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ وَخُذْ مَا قَدْ رَأَيتَ مُشَاهِدًا بِعِيَانِ

وَاللهِ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِيًا ... وَبَحثْتَهَا بَحْثًا بِلَا رَوَغَـانِ
لرأيْتَ هَذَا كَامنًا فِيهَا وَلَوْ ... أَمِنَتْ لألْقَتْهُ إلَـى الآذَانِ
هَذَا هُوَ السِّرُّ الَّذِي مِنْ أجْلِه اخْـ ... ـتَارَتْ عَلَيْهِ العَاجِلَ المتَدَانِ
نَقْدٌ قَد اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ ... مِنْهَا وَلَمْ يَحْصُلْ لَهَا بِهَوَانِ
أتبيعُهُ بِنَسِيئَةٍ فِي غَيرِ هَـ ... ـذِي الدَّارِ بَعْدَ قيَامَةِ الأَبْدَانِ
هَذَا وإنْ جَزَمَتْ بهَا قَطْعًا وَلَـ ... ـكِنْ حَظُّهَا فِي حَيِّزِ الإمْكَانِ
مَا ذَاكَ قَطْعِيًّا لَهَا والحَاصِلُ الْـ ... ـمَوْجُودُ مَشْهُودٌ بِرأي عِيَانِ
فَتَأَلَّفَتْ مِنْ بَيْنِ شَهْوَتِهَا وَشُبْـ ... ـهَتِهَا قِيَاسَاتٌ مِنَ البُطْلَانِ
وَاسْتَنْجَدَتْ مِنْهَا رضًا بِالعَاجِلِ الْـ ... أَدْنَى عَلَى المَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانِ
وَأتَى مِنَ التَأْوِيلِ كُلُّ مُلائِمٍ ... لمَرادِهَا يَا رِقَّةَ الإيمَـانِ
وَصَغتْ إِلَى شُبُهاتِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالتَّـ ... ـعْطِيلِ مَعْ نَقْصٍ مِنَ العِرْفَانِ
وَاسْتَنقَصَتْ أَهْلَ الهُدَى وَرَأيتُهمْ ... فِي النَّاسِ كَالْغُرَبَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
وَرأَتْ عُقُولَ النَّاسِ دائِرةً عَلَى ... جَمْعِ الحُطَامِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ
وَعلَى المِليحةِ والمَليحِ وَعِشْرَةِ الْـ ... أَحْبَابِ والأَصْحَابِ والإخْوَانِ
فَاسْتَوْعَرَتْ تَرْكَ الْجَمِيْعِ وَلَمْ تَجِدْ ... عِوَضًا تلَذُّ بِهِ مِنْ الإحْسَانِ
فَالقَلْبُ لَيْسَ يَقرُّ إِلَّا فِي إِنَا ... ءٍ فَهْوَ دُونَ الجِسْمِ ذُو جَوَلَانِ
يَبْغِي لَهُ سَكَنًا يَلَذُّ بِقُرْبِهِ ... فَتَرَاهُ شِبْهَ الوَالِهِ الحَيْـرَانِ
فَيُحِبُّ هَذَا ثُمَّ يَهْوَى غَيْرَهُ ... فَيظَلُّ مُنْتَقِلًا مَدَى الأَزْمَانِ

لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وريَاسَةٍ لَمْ يَطْمَئِنَّ وَكَانَ ذَا دَوَرَانِ
بَلْ لَوْ يَنَالُ بأسْرِهَا الدُّنْيَا لَمَا قَرَّتْ بِمَا قَدْ نَالَهُ العَيْنَانِ
نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى وَاخْتَرْ لِنَفسِكَ أحْسَنَ الإنْسَانِ
فَالقَلْبُ مُضْطَرٌّ إلَى مَحْبُوبِهِ الْـ أعلَى فَلَا يُغْنِيهِ حُبٌّ ثَانِ
وَصَلَاحُهُ وَفَلَاحُهُ وَنَعِيمُهُ تَجْرِيدُ هَذَا الحُبِّ للرَّحْمَٰنِ
فَإِذَا تَخَلَّى مِنْهُ أصْبَحَ حَائِرًا وَيَعُودُ فِي ذَا الكَوْنِ ذَا هَيَمَانِ

□ فصلٌ □

○ في زهدِ أهلِ العلمِ والإيمَانِ وإيثارِهِمْ ○

الذَّهبَ الباقي على الْخزَفِ الفاني

لَكِنَّ ذَا الإِيمَانِ يَعْلَمُ أنَّ هَـ ـذَا كَالظِّلَالِ وكُلُّ هَذَا فَانِ
كَخَيَالِ طَيْفٍ مَا اسْتَتَمَّ زِيَارَةً إلَّا وَصُبْحُ رَحِيلِهِ بِأَذَانِ
وَسَحَابَةٍ طَلَعَتْ بِيَوْمٍ صَائِفٍ فَالظِّلُّ مَنْسُوخٌ بِقُرْبِ زَمَانِ
وَكَزَهْرَةٍ وَافَى الرَّبِيعُ بِحُسْنِهَا أوْ لَامِعًا فَكِلَاهُمَا أخَوَانِ
أوْ كَالسَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمْآنِ فِي وَسَطِ الهَجِيرِ بِمُسْتَوَى القِيعَانِ
أوْ كَالأَمَانِي طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا بِالقَوْلِ واسْتِحْضَارِهَا بِجَنَانِ
وَهِيَ الغُرورُ رُءُوسُ أمْوَالِ المفَا لِيسِ الأُلَى اتَّجرُوا بِلَا أثْمَانِ

أَوْ كالطَّعَامِ يَلَذُّ عِنْدَ مَسَاغِهِ لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِـدَانِ
هَذَا هُوَ المَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ الرَّسُو لُ لَهَا وَذَا فِي غَايَةِ التِّبْيَانِ
وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيْقَتَها فَخُذْ مِنْهُ مِثَالًا وَاحِدًا ذَا شَانِ
أَدْخِلْ بِجَهْدِكَ أُصْبُعًا فِي اليَمِّ وَانْـ ظُرْ مَا تَعَلَّقَهُ إِذًا بِعِيَـانِ
هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُو لُ مُمَثِّلًا والحَقُّ ذُو تِبْيَانِ
وَكَذَاكَ مَثَّلَهَا بِظِلِّ الدَّوْحِ فِي وَقْتِ الحَرُورِ لِقَائِلِ الرُّكْبَانِ
هَذَا وَلَوْ عَدَلَتْ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ عِنْدَ الإِلهِ الحَقِّ فِي المِيزَانِ
لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافِرًا مِنْ شَرْبَةٍ مَاءً وَكَانَ الحَقُّ بِالحِرْمَانِ
تَاللهِ مَا عَقْلُ امرِىءٍ قَدْ بَاعَ مَا يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَحِلٌّ فَانِ
هَذَا وَيُفْتِي ثُمَّ يَقْضِي حَاكِمًا بِالحَجْرِ مِنْ سَفَهٍ لِذَا الإِنْسَانِ
إِذْ بَاعَ شَيْئًا قَدْرُهُ فَوْقَ الَّذِي يَعْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الأَثْمَـانِ
فَمَنِ السَّفِيهُ حَقِيقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وأَنَّ العَقْلَ لِلسَّكْـرَانِ
واللهِ لَوْ أَنَّ القُلُوبَ شَهِـدْنَ مِنَّـا كَانَ شَأْنٌ غَيْرُ هَذَا الشَّانِ
نَفَسٌ مِنَ الأَنْفَاسِ هَذَا العَيْشُ إِنْ قِسْنَاهُ بِالعَيْشِ الطَّوِيلِ الثَّانِي
يَا خِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعْ عَدَمِ الوَفَا ءِ وَطُولِ جَفْوَتِهَا مِنَ الهِجْرَانِ
هَلْ فِيكِ مُعْتَبَرٌ فَيَسْلُو عَاشِقٌ بِمَصَارِعِ العُشَّاقِ كُلَّ زَمَانِ
لَكِنْ عَلَى تِلْكَ العُيُونِ غِشَاوَةٌ وَعَلَى القُلُوبِ أَكِنَّةُ النِّسْيَانِ
وَأَخُو البَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَيَقِّظٌ مُتَفَرِّدٌ عَنْ زُمْـرَةِ العِمْيَـانِ

يَسْمو إلَى ذَاكَ الرفِيقِ الأَرْفَعِ الْـ أَعْلَى وَخَلَّى اللَّعْبَ لِلصِّبْيَانِ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ فَصِبْيَانٌ وإنْ بَلَغُوا سِوَى الأفرادِ والوحْدَانِ
وَإِذَا رَأى مَا يَشْتَهِيهِ قَالَ مَوْ عِدُكَ الجِنَانُ وَجَدَّ فِي الأثمَانِ
وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا الجِمَاحَ أَعَاضَهَا بِالعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الإِيمَانِ
وَيَرى مِنَ الخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ الْـ ـبَاقِي بِهِ يَا ذِلَّةَ الخَسْرَانِ
وَيَرى مَصَارِعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ وَقُلُوبُهُمْ كمَرَاجِلِ النِّيـرانِ
حَسَرَاتُهَا هُنَّ الوَقُودُ فإنْ خَبَتْ زَادَتْ سَعِيرًا بِالوَقُودِ الثَّانِي
جَاءُوا فُرَادَى مِثْل مَا خُلِقُوا بِلَا مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا إِخْوَانِ
مَا مَعْهُمُ شَيءٌ سِوَى الأَعْمَالِ فَهْـ ـيَ مَتَاجِرٌ لِلنَّارِ أَوْ لِجنَانِ
تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ سَوْقًا إِلَى الـدَّاريـن سَوْقَ الخَيْلِ بالرُّكْبَانِ
صَبَرُوا قَلِيلًا فَاسْتَرَاحُوا دَائِمًا يَا عِـزَّةَ التَّوْفِيـقِ لِـلإِنْسَانِ
حَمِدُوا التُّقَى عِنْدَ المَمَاتِ كَذَا السُّرَى عِنْدَ الصَّبَـاحِ فَحَبَّذَا الحَمْـدَانِ
وَحَدَتْ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ العُلَى وَسَرَوْا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانِ
بَاعُوا الَّذِي يَفْنَى مِنَ الخَزَفِ الْخَسِيـ ـسِ بِدَائِمٍ مِنْ خَالصِ العِقْيَانِ
رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ السَّعَا دَةِ وَالهُدَى يَا ذِلَّةَ الحَيْرَانِ
فَتَسَابَقَ الأَقْوَامُ وابْتَدَرُوا لَهَا كتَسَابُقِ الفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ
وَأَخُو الهُوَينَى فِي الدِّيَارِ مُخَلَّفٌ مَعَ شَكْلِهِ يَا خَيْبَةَ الكَسْلَانِ

* * *

□ فصلٌ □

○ في رغبةِ قائِلها إلى منْ يقفُ عليها منْ أهِل العلم والإيمان أن يتجرد لله ويحكم عليها بما يوجُبهُ الدليلُ والبرهانُ فإنْ رأى حقًّا قبِلَهُ وحمدَ الله عليهِ وإنْ رأى باطلًا عرفَ بهِ وأرت إليه ○

يَاأَيُّهَا القَارِي لَهَا اجْلِسْ مَجلْسَ الْـ ـحَكَمِ الأَمِينِ أَتَى لَهُ الخَصْمَانِ
وَاحْكُمْ هَدَاكَ اللهُ حُكْمًا يَشْهَدُ الْـ ـعَقْلُ الصَّرِيحُ بِهِ مَعَ القُرْآنِ
وَاحْبِسْ لِسَانَكَ بُرْهَةً عَنْ كُفْرِهِ حَتَّى تُعَارِضَهَا بِلَا عُدْوَانِ
فإِذَا فَعَلْتَ فَعِنْـدَهُ أَمْثَالُهَـا فَنَزالِ آخِرَ دَعْوَةِ الفُـرْسَانِ
فَالكُفْرُ لَيْسَ سِوَى العِنَادِ وَرَدِّ مَا جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ لِقَوْلِ فُلَانِ
فَانْظُرْ لَعَلَّكَ هَكَذَا دُونَ الَّذِي قَدْ قَالَهَا فَتفُوزَ بِالـخُسْرَانِ
فَالحَقُّ شَمْسٌ وَالعُيُونُ نَوَاظِرٌ لَا تَخْتَفِي إِلَّا عَلَى العُمْيَانِ
وَالقَلْبُ يَعْمَى عَنْ هُداهُ مِثْلَ مَا تَعْمَى وأَعْظَمُ هَذِهِ العَيْنَـانِ
هَذَا وإِنِّي بَعْدُ مُمْتَحَنٌ بِأَرْ بَعَةٍ وكُلُّهُـمُ ذَوُو أَضْغَـانِ
فَظٌّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعْلِـمٌ ضَخْمُ العِمَامَةِ وَاسِعُ الأَرْدَانِ
مُتَفَيهِقٌ مُتَضَلِّعٌ بِالجَهْلِ ذُو صَلَعٍ وَذُو جَلَحٍ مِنَ العِرْفَانِ

مُزْجى البِضَاعَةِ فِي العُلُومِ وإنَّهُ زَاجٍ مِنَ الإيهَامِ والهَذَيَانِ
يَشْكُو إِلَى اللهِ الحُقُوقَ تَظَلُّمًا مِنْ جَهْلِهِ كَشِكَايَةِ الأبْدَانِ
مِن جَاهِلٍ مُتطبِّبٍ يُفْتي الوَرَى وَيُحِيلُ ذَاكَ عَلَى قَضَا الرَّحْمنِ
عَجَّتْ فُرُوجُ الخَلْقِ ثُمَّ دِمَاؤُهُمْ وَحُقُوقُهُمْ مِنْهُ إلَى الدَّيَّانِ
مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ سِوَى التَّكْفِيرِ والتَّبْديعِ والتَّضْلِيلِ وَالبُهْتَانِ
فَإذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ المغْلُوبُ عِنْـ ـدَ تَقَابُلِ الفُرْسَانِ فِي المَيْدَانِ
قَالَ اشْتَكُوهُ إلَى القُضَاةِ فإنَّهُمْ حَكَمُوا وَإلَّا اشْكُوهُ لِلسُّلْطَانِ
قُولُوا لَهُ هَذَا يُحِلُّ المُلْكَ بَلْ هَذَا يُزِيلُ المُلْكَ مِثْلَ فُلَانِ
فَاعْقِرْهُ مِنْ قَبْلِ اشْتَدَادِ الأمْرِ مِنْـ ـهُ بِقُوَّةِ الأتْبَاعِ والأعْوَانِ
وَإذَا دَعَاكُمْ لِلرَّسُولِ وَحُكْمِهِ فَادْعُوهُ كُلُّكُمُ لِرَأْيِ فُلَانِ
وَإذَا اجْتَمَعْتُمْ فِي المَجَالِسِ فالْغُبُوا وَالْغَوْا إذَا مَا احْتَجَّ بِالقُرآنِ
وَاسْتَنْصِرُوا بِمَحَاضِرٍ وَشَهَادَةٍ قَدْ أُصْلِحَتْ بِالرِّفْقِ وَالإتْقَانِ
لَا تَسْأَلُوا الشُّهَدَاءَ كَيْفَ تَحَمَّلُوا وَبِأيِّ وَقْتٍ بَلْ بِأيِّ مَكَانِ
وَارْفُوا شَهَادَتَهُمْ وَمَشُّوا حَالَهَا بَلْ أَصْلِحُوهَا غَايَةَ الإمْكَانِ
وَإذَا هُمُ شَهِدُوا فَزَكُّوهُمْ وَلَا تُصْغُوا لِقَوْلِ الجَارِحِ الطَّعَّانِ
قُولُوا العَدَالَةُ مِنْهُمُ قَطْعِيَّةٌ لَسْنَا نُعَارِضُهَا بِقَوْلِ فُلَانِ
ثَبَتَتْ عَلَى الحُكَّامِ بَلْ حَكَمُوا بِهَا فَالطَّعْنُ فِيهَا لَيْسَ ذَا إمْكَانِ
مَنْ جَاءَ يَقْدَحُ فِيهِمُ فَلْيَتَّخِذْ ظَهْرًا كَمِثْلِ حِجَارَةِ الصَّوَّانِ

وإذَا هُوَ اسْتَعْدَاهُمُ فَجَوابُكُمْ أَتَرُدُّهَـا بِعَـدَاوَةِ الدَّيَّـانِ

□ فصـل □

○ في حالِ العدوِّ الثَّاني ○

أَوْ حَاسِدٍ قَدْ بَاتَ يَغْلِي صَدْرُهُ بعَدَاوَتِي كالمِرْجَلِ المـلآنِ
لَوْ قُلتُ هَذَا البَحْرُ قَالَ مُكَذِّبًا هَذَا السَّرَابُ يَكُونُ بِالقِيعَانِ
أَوْ قُلْتُ هَذِي الشَّمْسُ قَالَ مُبَاهِتًا الشَّمْسُ لَمْ تَطْلُعْ إلَى ذَا الآنِ
أَوْ قُلْتُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ غَضِبَ الْخَبِيْثُ وَجَاءَ بالْكِتْمَانِ
أَوْ حَرَّفَ الْقُرْآنَ عَنْ مَوْضُوعِهِ تَحْرِيْفَ كَذَّابٍ عَلَى الْقُرْآنِ
صَالَ النُّصُوص عَلَيْهِ فَهْوَ بِدَفْعِهَا مُتَوكِّلٌ بِالـدَّأْبِ والدَّيـدَانِ
فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّعَّانِ
فَالقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَدْلُولِهِ كَيْلَا يَصُولَ إذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ

□ فصـل □

○ في حالِ العدوِّ الثَّالثِ ○

وَالثَّالِثُ الأَعْمَى المقَلِّدُ ذَيِنِكَ الـرَّجُلَـيْنِ قَائِدُ زُمْرَةِ العُمْيَانِ
فَاللَّعْنُ والتَّكْفِيرُ والتَّبْدِيعُ والتَّـضْلِيـلُ والتَّفْسِيقُ بِالعُـدْوانِ

فإذا هُمُ سَأَلُوهُ مُسْتَنَدًا لَهُ قَالَ اسْمَعُوا مَا قَالَهُ الرَّجُلَانِ

□ فصــل □

○ في حالِ العدوِّ الرَّابعِ ○

هَذَا وَرَابِعُهُمْ وَلَيْسَ بِكَلْبِهِمْ حَاشَا الكِلَابَ الآكِلِي الأَنْتَانِ
خِنْزِيرُ طَبْعٍ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقٍ مُتَسَوِّفٍ بالكِذْبِ والبُهْتَـانِ
كَالكَلْبِ يَتْبَعُهُمْ يُمَشْمِشُ أَعْظُمًا يَرْمُونَهَا وَالقَـوْمُ لِلّحمـانِ
يَتفكَّهُونَ بِهَا رَخِيصًا سِعْرُهَا مَيْتًا بِلَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانِ
هُوَ فَضْلَةٌ فِي النَّاسِ لَا عِلْـمٌ وَلَا دِينٌ وَلَا تَمْكِينُ ذِي سُلْطَانِ
فَإِذَا رَأى شَرًّا تَحَرَّكَ يَبْتَغِي ذِكْرًا كَمِثْلِ تَحَرُّكِ الثُّعْبَانِ
لِيَزُولَ مِنْهُ أَذَى الكَسَادِ فَيَنْفَقُ الْـ ـكَلْبُ العَقُورُ عَلَى ذُكُورِ الضَّانِ
فَبَقَاؤُهُ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ مِنْ عَسْكَرٍ يُعْزَى إِلَى غَازَانِ
هَذِي بِضَاعَةُ ضَارِبٍ فِي الأَرْضِ يَبْـ ـغِي تَاجِرًا يَبْتَاعُ بالأَثْمَانِ
وَجَدَ التُّجَارَ جَمِيعَهُمْ قَدْ سَافَرُوا عَنْ هَذِهِ البُلْدَانِ والأَوْطَانِ
إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا أَنْ يَتْجَرُوا فِينَا بِلَا أَثْمَانِ
فَهُمُ الزُّبُونُ لَهَا فَبِاللهِ ارْحَمُوا مِنْ بَيْعَةٍ مِنْ مُفْلِسٍ مِدْيَانِ
يَارَبِّ فَارْزُقْهَا بِحَقِّكَ تَاجِرًا قَدْ طَافَ بالآفَاقِ والبُلْدَانِ
مَا كُلُّ مَنْقُوشٍ لَدَيْهِ أَصْفَرٍ ذَهَبًا يَرَاهُ خَالِص العِقْيَـانِ

وَكَذا الزُّجَاجُ وَدُرَّةُ الغَوَّاصِ فِي تَمْيِيزِهِ مَا إنْ هُمَا مَثَلَانِ

□ فصـــلٌ □

○ في توجُّهِ أهلِ السنةِ إلى ربِّ العالمينَ أنْ ○ ينصرَ دينه وكتابَهُ ورسولَهُ وعبادَهُ المؤمنينَ

هَذَا وَنَصْرُ الدِّينِ فَرْضٌ لَازِمٌ لَا لِلْكِفَايَة بَلْ عَلَى الأَعْيَانِ
بِيَدٍ وإمَّا بِاللِّسَانِ فَإنْ عَجَزْ تَ فَبِالتَّوَجُّهِ والدُّعَا بِجَنَانِ
مَا بَعْدَ ذَا وَاللهِ للإيمَــانِ حبَّــةُ خَرْدَلٍ يَا نَاصِرَ الإيمَانِ
بِحَيَاةِ وَجْهِكَ خَيْرِ مَسْئُولٍ بِهِ وَبِنُورِ وَجْهِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا مِنْ غَيْرِ مَا عِوَضٍ وَلَا أثْمَانِ
وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ التِي وَسِعَتْ جَميـ ـعَ الخَلْقِ محْسِنَهُمْ كَذَاكَ الجَانِي
وبِحَقِّ أَسْمَاءٍ لَكَ الْحُسْنَى مَعَا نِيْهَا نُعُوتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمنِ
وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهْوَ حَمْدٌ وَاسِعُ الْـ أَكْوَانِ بَلْ أَضْعَافُ ذِي الأَكْوَانِ
وبأنَّكَ اللهُ الإِلَهُ الحَقُّ مَعْـ ـبُودُ الوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَنْ ثَانِ
بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ مِنْ دُونِ عَرْشِكَ لِلثَّرَى التَّحتَانِي
وَبِكَ المعَاذُ وَلَا مَلَاذَ سِوَاكَ أَنْـ ـتَ غِيَاثُ كُلِّ مُلَدَّدٍ لَهْفَانِ
مَنْ ذَاكَ لِلمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَا كَ يجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ العِصْيَانِ

إنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَـةٍ تُرْضِيكَ طَالِبُهَا أَحَقُّ معَانِ
فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعُمِكَ الَّتِي سَبَغَتْ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ
انْصُرْ كِتَابَكَ والرَّسُولَ وَدِينَكَ الْـ ـعَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بالبُرْهَانِ
وَاخْتَرْتَهُ دِيْنًا لِنَفْسِكَ واصْطَفَيْـ ـتَ مُقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الإنْسَانِ
وَرَضِيْتَهُ دِينًا لِمنْ تَرْضَاهُ مِنْ هَذَا الوَرَى هُوَ قَيِّمُ الأدْيانِ
وَأَقِرَّ عَيْنَ رَسُولِكَ المبْعُوثِ بالـدِّيـنِ الحَنِيفِ بِنَصْرِهِ المتُدَانِ
وانْصُرْهُ بالنَّصْرِ العَزِيزِ كمِثْلِ مَا قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بكُلِّ زَمَانِ
يَارَبِّ وانصرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
يَارَبِّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِدًى لِخِيَارِهِمْ ولعَسْكَرِ القُـرْآنِ
يَارَبِّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ المنْصُورَ أهْـ ـلَ تَرَاحُمٍ وَتَواصُلٍ وَتَدَانِ
يَارَبِّ وَارْحَمْهُمْ مِنَ الْبِدَعِ الَّتِي قَدْ أُحْدِثَتْ فِي الدِّيْنِ كُلَّ زَمَانِ
يَارَبِّ جَنِّبْهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النِّيرَانِ
يَارَبِّ وَاهْدِهِمُ بِنُورِ الوَحْيِ كَيْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فيظْفَرُوا بِجِنَانِ
يَارَبِّ كُنْ لَهُمُ وَلِيًّا نَاصِرًا وَاحْفَظْهُمُ مِنْ فِتْنَةِ الفَتَّانِ
وَانْصُرْهُمُ يَارَبُّ بِالحَقِّ الَّذِي أَنْزَلْتَـهُ يَـا مُنْـزِلَ القُـرْآنِ
يَارَبُّ إِنَّهُمُ هُمُ الغُرَبَاءُ قَدْ لجئُوا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الإِحْسَانِ
يَارَبُّ قَدْ عَادَوْا لأَجْلِكَ كُلَّ هَـ ـذَا الخَلْقِ إِلَّا صَادِقَ الإِيْمَانِ

* * *

قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أحْوَجَ مَا هُمُ ... دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمٰنِ
وَرَضُوْا وِلَايَتكَ الَّتِي مَنْ نَالَهَا ... نالَ الأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانِي
وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضَوْا ... بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الهَذَيَانِ
يَارَبِّ ثَبِّتْهُمْ عَلَى الإِيمَانِ وَاجْـ ... ـعَلْهُمْ هُدَاةَ التَّائِهِ الحَيْرَانِ
وَانْصُرْ عَلَى حِزْبِ النُّفَاةِ عَسَاكِرَ الـ ... إِثْبَاتِ أَهْلَ الحَقِّ والعِرْفَانِ
وَأَقِمْ لأَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْـ ... أَنْصَارَ وَانْصُرْهُمْ بِكُلِّ زَمَانِ
وَاجْعَلْهُـمُ للمتَّقِيـنَ أئِمَّـةً ... وَارْزُقْهُمُ صَبْرًا مَعَ الإِيقَانِ
تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أحْدَثُوا ... وَدَعَوْا إِلَيْهِ النَّاسَ بِالعُدْوَانِ
وَأَعِزَّهُمْ بالحَقِّ وَانْصُرْهُمْ بِهِ ... نَصْرًا عَزِيزًا أنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
وَاغْفِرْ ذُنُوبَهُمُ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ ... فَلأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْغُفْـرَانِ
وَلكَ المَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا ... يُرْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الأَزْمَانِ
مِلْءَ السَّمٰوَاتِ العُلَى والأَرْضِ والْـ ... ـمَوْجُودِ بَعْدُ وَمُنْتَهَى الإِمْكَانِ
مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... حَمْدًا بِغَيْـرِ نِهَايَـةٍ بِزَمَـانِ
وَعَلَى رَسُولِكَ أفْضَلُ الصَّلَوَاتِ والتَّـسْلِيمِ ... مِنْكَ وأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ
وعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا والأُلَى ... تَبِعُوهُمُ مِنْ بَعْدُ بِالإِحْسَانِ

« تمت »

* * *

مطابع ابن تيمية بالقاهرة
هاتف ٨٦٤٢٤٠